

عرجى زیدان

# فانج اداب اللغه العربيه

اكبره الاول



المهنة العامة المكتبة الاسكندرية

رقم القيد: ٢٧٩١

رقم التسجيل: ٢٧٩١

# تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف

عزتي زيديان

مثنى الهلال

الجزء الأول

يشتمل على تاريخ آداب اللغة العربية في  
عصر الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي

طبعة جديدة راجعها وعلق عليها

الدكتور شوقي ضيف

أستاذ الآداب العربية بكلية الآداب  
بجامعة القاهرة

دار الهلال

## تقديم

بقلم الدكتور شوقي ضيف

ليس بين المشتغلين بالادب العربي وتاريخه من ينكر الجهود الخصبة التي نهض بها الاستاذ جرجي زيدان في العشرة الثانية من هذا القرن ، فقد درس آدابنا في عصورها المختلفة درسا منظما ، لم يكتف فيه بقراءة آثارها ونصوصها العربية ، بل مد بصره الى ما كتب عن هذه النصوص والاثار في بيئات المستشرقين ، يسنده في ذلك حذق باللغات الفرنسية والالمانية والانجليزية ، فلم يترك للقوم مصيفا مهما في عصره الا طلبه ، ولا مجلة علمية الا وقف عليها وأفاد منها أكبر الفائدة واستغلها خير ما يكون الاستغلال . . .

وكان من أهم ما استغله وانتفع به كتاب تاريخ الاداب العربية لبروكلن ، وسمى في غير صحيفة من كتابه المؤلفات الغربية التي رجع اليها وعول عليها . كما سمي بعض المجلات العلمية وخاصة مجلات الجمعيات الاسيوية . وتمثل ذلك كله وحوله الى هذه المادة الغريزة القيمة التي يتضمنها كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » بأجزائه الاربعة الجامعة ، وهي اجزاء أحكم ترتيب أبوابها وتنسيق فصولها . . .

ولا تكاد تلم بهذه الاجزاء حتى ترى المؤلف يأخذ نفسه بأساليب البحث الحديث . فهو يدرس العلل والأسباب السياسية والاجتماعية التي أثرت في ادابنا على مر الاحقاب والعصور ، وهو يفرد فصولا طويلا لحياتنا العقلية بجميع فروعها العلمية ، ليتبين اصدها في الحياة الادبية ، فالادب الخالص ليس شعبة منتطعة عن شعب الحياة والفكر في الامة ، بل هو فاعل فيها ومنفعل بها ، لا يتم تاريخه ولا تصوره بدونها . ويتسع بصر المؤلف في الدراسة ، فيعرض من حين الى حين للاداب الغربية ، وخاصة الاداب اليونانية ، مؤمنا بأن دنيا الاداب جميعا واحدة واحكامها العامة واحدة ، لانها تستقي من موارد واحدة ، هي الحياة الانسانية بكل ما اختلف عليها من صروف

على هذه الشاكلة مضى جرجى زيدان يدرس آدابنا العربية على نهج سديد ، واكبر الظن ان ذلك هو السبب في احتفاظ كتابه - منذ صدوره الى اليوم - بقيمته العلمية . ولكن هل وقف تاريخ آداب لغتنا عند هذه الصورة التي رسمها المؤلف ، فلم يتغير ولم يتطور ؟ الحق انه تغير وتطور ، كما يتغير ويتطور كل تاريخ بفضل ما يستكشفه المنقبون والباحثون ، وان ما استكشف فيه منذ العقد الثاني من هذا القرن ، وهو تاريخ تأليف هذا الكتاب ، اكثر من أن ندل عليه ، فقد ظل المستشرقون يقومون بجهودهم واستكشافاتهم فيه ، وانضمت اليهم اجيال من شبابتنا الذين تخرجوا في الجامعات المصرية وغير المصرية مسلحين بأدوات العلم الحديث ، فنقبوا فيه واستكشفوا كثيرا من مجاهله ، وأكبوا على نشر دواوينه ومصنفاته التي لم تكن قد عرفت ، وبالتالي لم تكن قد خضعت للبحث والدراسة واستنباط الحقائق الأدبية



وأنت اليوم أينما وليت وجهك في مكتبتنا العربية وجدت ابحاثا وآثارا لا عهد لنا بها من قبل ، وهي تارة تختص بشاعر من الشعراء أو كاتب من الكتاب أبو عصر من العصور أو اقليم من الاقاليم العربية ، وتارة تتسع فتضم غير شاعر وكاتب وعصر واقليم ثم هي تارة تؤرخ وتصف ، وتارة تنقد وتضع المذهب أو المذاهب الفنية في الشعر والنثر ، غير ما بعثناه ونشرناه من نصوص وآثار ادبية كثيرة لا تكاد تحصى

وليس معنى ذلك أن « تاريخ اداب اللغة العربية » لجرجى زيدان استنفد اغراضه ، وانما معناه انه اصبح في حاجة الى ان يعيد باحث النظر فيه وفي فصوله ، ويلحق به ما جد على هذا التاريخ من تطور وتغير ، بحيث تتم الفائدة منه ويكمل النفع به . وهذا هو الذي دفعني مخلصا الى كتابة بعض تعليقات وحواش عليه تستكمل معانيه الادبية والتاريخية والاسلامية وتؤديها على حقوقها ووجوهها ، مع تصحيح بعض أفكاره والفاظه وضبط أشعاره

والفضل في هذا الصنيع يرجع الى السيدين اميل وشكري زيدان ، فقد ألحا على في القيام بهذا العمل خدمة للمتوفرين على دراسة الادب ووفاء منهما لشكري والدهما وبراً به وبآثاره . واستجبت لهما خدمة للعلم وتحقيقا لما كان يصبو اليه الباحثون من اخراج هذا الكتاب في طبعة جديدة منقحة .

والله الهادي الى سواء السبيل

شوقي ضيف



## مقدمة المؤلف

### تاريخ التأليف في هذا الموضوع

لم يكن تاريخ آداب اللغة معروفا عند الافرنج قبل نهضتهم الاخيرة في التمدن الحديث . وما لبثوا حين تنبهوا له أن ألفوا فيه ، واصبحوا وما من لغة من لغاتهم الا وفيها كتاب أو غير كتاب في تاريخ آدابها . ولما استشرقوا أخذوا في درس اللغة العربية ، وكتبوا في تاريخ آدابها غير كتاب سيأتي ذكره .

أما العرب فالمشهور أنهم لم يؤلفوا في تاريخ آداب لسانهم ، والحقيقة أنهم اسبق الامم الى التأليف في هذا الموضوع مثل سبقهم في غيره من الموضوعات . فان في تراجم الرجال كثيرا من هذا التاريخ لانهم يشفعون الترجمة بما خلفه المترجم من الكتب ، ويبينون موضوعاتها ، وقد يصفونها . وأول كتاب خصصوه للبحث في المؤلفين والمؤلفات « كتاب الفهرست » لابن النديم ( سنة ٣٧٧ هـ ) ، وهو يشتمل على آداب اللغة العربية من اول عهدنا الى ذلك العصر مرتبة حسب الموضوعات . ولم يقتصر ذلك الكتاب على آداب العرب الاصلية ، ولكنه تضمن ما أحدثوه من العلوم الاسلامية واللسانية أو ما نقلوه عن اللغات الاخرى بالتفصيل مع تراجم المؤلفين والمترجمين والشعراء والادباء . ولولاه لضاع اسماء كثير من الكتب النفيسة ، ولاعوزنا تراجم كثيرين من الادباء والشعراء والعلماء . فهو ذخيرة أدب وعلم ، وقد طبع في ليبسك سنة ١٨٧٢ ، ثم طبع في مصر

ولم يظهر بعده كتاب يستحق الذكر قبل كتاب « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » ويعرف بموضوعات العلوم لطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ رتبه حسب الموضوعات ايضا ، وذكر فيه ١٥٠ فنا ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية

يليه كتاب « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لملا كاتب جلبي المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ، وهو معجم مرتب على الابجدية حسب اسماء الكتب . وبلغ ما حواه منها نحو ١٥٠٠٠ كتاب مع اسماء اصحابها ووفياتهم وتواريخ اهم العلوم . وقد طبع عدة طبعات ، اهمها طبعة ليبسك ولندن ( سنة ١٨٣٥-١٨٥٨ ) في سبعة مجلدات ، معها ملحق فيه ذيل أحمد منيف زاده .

وفهارس مكاتب دمشق وحلب ورودرس والمغرب وقهرس السسيوطي وابن خليفة الاندلسي وبعض مكاتب الاستانة . وله طبعات اخرى فى الاستانة ومصر . . .

وأخيرا كتاب « أبجد العلوم » لصديق القنوجى من أهل هذا العصر، وهو كتاب ضخيم عول فيه صاحبه على من تقدمه ورتبه على الموضوعات . وقد طبع على الحجر فى الهند سنة ١٢٩٦ هـ فى ثلاثة مجلدات كبيرة

على أن هذه الكتب وأمثالها تعد من المآخذ الاساسية لدرس آداب اللغة . ولكنها لا يصح أن تسمى تاريخا لها بالمعنى المراد بالتاريخ اليوم . ولم يتصد احد للتأليف فى تاريخها على النمط الحديث قبل الاقربى المستشرقين، فهم أول من كتب فيه من أواسط القرن الماضى ، لكنهم لم يوفوه حقه الا فى أول هذا القرن . وسنأتى على أسماء مؤلفاتهم فيما يلى

أما فى العربية ، فلعلنا أول من فعل ذلك . ونحن أول من سمي هذا العلم بهذا الاسم « تاريخ آداب اللغة العربية » فنشرنا منه فصولا صدر أولها سنة ١٨٩٤ فى عدد الهلال التاسع من السنة الثانية ، وآخرها فى أواخر السنة الثالثة . وقد انتهينا فيه الى تاريخ آدابها فى عصر الانحطاط ، ثم شغلنا عن اتمامه ووعدنا القراء بالعود الى هذا الموضوع ، على أن نفرده له كتابا خاصا مع التوسع والتدقيق . . . فقضينا بضع عشرة سنة ونحن لا تقع لنا شاردة الا قيدها وملاحظة الا حفظناها وتدبرناها ، والقراء يطالبوننا به . فأعلنا أخيرا عزمنا على القيام بوعدنا وها نحن فاعلون

#### الفرض من هذا الكتاب

نعنى بتاريخ آداب اللغة العربية تاريخ ما تحويه من العلوم والاداب ، وما تقلبت عليه فى العصور المختلفة ، أو هو تاريخ ثمار عقول ابنائها ونتائج قرائحهم . وهاك أهم اغراضنا منه :

- ١ - بيان منزلة العرب بين سائر الأمم الراقية من حيث الرقى الاجتماعى والعقلى . . .
- ٢ - تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم وقرائحهم ، وما كان من تأثير الانقلابات السياسية على آدابهم باختلاف الدول والعصور
- ٣ - تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف ادواره من تكونه ونشوءه الى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب العصور والادوار
- ٤ - تراجم رجال العلم والادب مع الاشارة الى المآخذ التى يمكن الرجوع اليها لمن يريد التوسع فى تلك التراجم
- ٥ - وصف الكتب التى ظهرت فى العربية باعتبار موضوعاتها ، وكيف تسلسلت بعضها من بعض ، وبيان مميزاتها من حيث حاجة القراء اليها ووجه الاستفادة منها
- ٦ - لا نهتم من هذه الكتب الا بما لا يزال باقيا منها ، ويمكن الحصول عليه . . . فإذا كان مطبوعا ذكرنا محل طبعه وسنته ، وإذا كان لم يطبع اشرنا

الى المكاتب الكبرى التى يوجد فيها - نعى المكاتب الدولية فى أوروبا أو غيرها، كالمكتبة الملكية فى برلين ، ومكتبة المتحف البريطانى فى لندن ، والمكتبة الاهلية فى باريس ، والمكاتب الدولية فى فينا وغطا وأكسفورد ومنشن وليدن وغيرها ، ودار الكتب المصرية فى القاهرة ، ومكاتب أيا صوفيا وكوبرلى وبايزيد أو غيرها فى الاستانة ٠٠ حتى اذا أراد أحد الوقوف على شىء من الاصول الخطية ، طلبها فى فهارس تلك المكاتب

وبالجملة فان غرضنا الرئيسى ان يكون لهذا الكتاب فائدة عملية فضلا عن الفائدة النظرية ، بحيث يسهل على طلاب المطالعة معرفة الكتب الموجودة ومحل وجودها وموضوع كل منها وقيمتها بالنسبة الى سواء من نوعه ٠٠ فهو أشبه بدائرة معارف تشتمل تاريخ قرائح الامة العربية وعقولها وتراجم علمائها وادبائها وشعرائها ومن عاصرهم من كبار الرجال ، ووصف المؤلفات العربية على اختلاف موضوعاتها ٠ ومتى تم الكتاب الحقناه بفهرس ابجدى للاعلام والموضوعات ، فيصير معجما للعلم والعلماء والادب والادباء والشعر والشعراء، ولما جادت به قرائحهم من التصانيف او المنظومات ووصف كل منها ومحل طبعه أو وجوده ٠٠

#### تقسيم الموضوع وابوابه

ترددنا كثيرا فى الخطة التى نتخذها فى تقسيم هذا الكتاب ، بين أن نقسمه حسب العلوم أو حسب العصور ٠٠ ومعنى قسمته حسب العلوم ان نستوفى الكلام فى كل علم على حدة من نشأته الى الآن ، على أن نبدأ بأقدمها فنذكر تاريخ الشعر مثلا وتراجم الشعراء وما تقلب على الشعر من اول عهده الى الآن ٠ ونفعل مثل ذلك بالخطابة وغيرها من آداب الجاهلية ، وهكذا فى العلوم الاسلامية كالفقه والتفسير والنحو واللغة ، والتاريخ والجغرافية وغيرها . اما قسمته حسب العصور فيراد بها الكلام من أحوال العلوم معا فى كل عصر على حدة ، وهذا الذى اخترناه ٠٠ فقسمنا هذا الكتاب الى تاريخ آداب اللغة العربية قبل الاسلام وتاريخها بعده ، وقسمناها فى الاسلام الى عصور حسب الانقلابات السياسية لبيان ما يكون من تأثير تلك الانقلابات فيها ٠٠ فبدأنا بعصر صدر الاسلام ، فالعصر الأموى ، فالعباسى ، فالغولى ، فالعثمانى ، فالعصر الحديث ، وقسمنا كلامنا الى ادوار حسب الاقتضاء ٠ وسيتضمن هذا الكتاب أربعة أجزاء ، هذا اولها

#### موضوع هذا الجزء

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة فى العصر الجاهلى ، وفى عصر صدر الاسلام ، والعصر الأموى ٠٠ أى من أول عهدها الى سنة ١٣٢ هـ ، فبدأنا بمقدمات تمهيدية فى : ما هو المراد بآداب اللغة ، ومن هم أسبق الامم الى العلم ، وما هى مصادر آداب اللغة على الاجمال . وأتينا بآداب اللغة اليونانية على سبيل المثال ٠٠ ثم عمدنا الى آداب العرب قبل الاسلام، فقسمناها الى الجاهلية الاولى القديمة ، والجاهلية الثانية فى القرنين

الآخرين قبل الهجرة . وصدرونا الكلام بفصول في الفرق بين لغة الجاهليتين، ودرجة ارتقاء عقول العرب ، والمرأة في الجاهلية . وتقدمنا الى الآداب الجاهلية فقسمنها الى :

١ - الآداب العربية ، ويدخل فيها اللغة والشعر والخطابة والامثال والنسب ومجالس الأدب والاخبار ونحوها

٢ - العلوم الطبيعية ، وتحتها الطب والبيطرة والخيل ومهاب الرياح

٣ - العلوم الرياضية ، أردنا بها الفلك والميثولوجيا والتوقيت

٤ - ما وراء الطبيعة ، ويدخل فيها الكهانة والعيافة والقيافة وتعبير الرؤيا والزجر وغير ذلك ..

وأخذنا في الكلام عن كل علم على حدة ، فبدأنا باللغة .. فذكرنا تاريخها قبل الاسلام ، وما دخلها من الالفاظ الاعجمية ، وكيف كانت لما جاء الاسلام، وفروعها ومميزاتها عن سائر اللغات .. ثم الامثال وأنواعها وما ألف فيها . وانتقلنا الى الشعر ، وهو أهم تلك الآداب .. فأفضنا في درسه ، وبحثنا في مثل عند العرب شعر تمثيلي ، وكيف بدأ العرب ينظمون ، وما هو أصل وذلك الشعر عندهم وأسباب نهضة الشعر في الجاهلية ، وأهمها استقلال عرب الحجاز من اليمن وحروبهم فيما بينهم . وبيننا عدد الشعراء بالنظر الى القبائل ، وبانظر الى الاقاليم ، وتأثير الاقليم في قرائحهم ، ثم عقيدنا فصلا في خصائص الشعر الجاهلي وأحوال شعرائه . وتسهيلا لدرسهم وتفهمهم ، قسمناهم حسب أغراضهم الى : أصحاب المعلقات ، والشعراء الامراء ، والشعراء الفرسان ، والشعراء الحكماء ، والشعراء العشاق ، والصعاليك ، واليهود ، والنساء الشواعر ، والشعراء الهجائين ، ووصاف الخيل ، والموالي ، وسائر الشعراء . وذكرنا مميزات كل طبقة ، وأشهر شعرائها ، وتراجم وأمثلة من أقوالهم وما صارت اليه دواوينهم ، والمآخذ التي يرجع اليها في معرفة أخبارهم .. ثم تقدمنا للكلام على سائر علوم الجاهلية ..

وفي عصر صدر الاسلام ، بدأنا بذكر التغيير الذي أحدثه الاسلام في نفوس العرب ، وما كان من تأثير ذلك في آدابهم ولا سيما الشعر والخطابة .. ثم كتبنا فصلا في الشعر والرسول ، وآخر في الشعر والخلفاء الراشدين وما حدث من العلوم في هذا العصر مع تاريخ الخط

وقدمنا الكلام في العصر الاموي بمميزات ذلك العصر ، وما اقتضته سياسة بنى أمية من التفريق بين القبائل واصطناع الاحزاب وتأثير ذلك في آدابهم .. فبدأنا بالعلوم الشرعية كالقراءة والتفسير والحديث والفقه مع تمهيد في البصرة والكوفة . ثم العلوم اللسانية : النحو والحركات والاعجام ثم التاريخ والجغرافيا . ورجعنا الى ما صارت اليه آداب الجاهلية في ذلك العصر وهي اللغة والشعر والخطابة ، وتكلمنا عن أسباب رواج الشعر ومميزاته . وقسمنا هذا العصر الى ثلاثة أدوار . وقسمنا شعراءه الى شعراء السياسة وشعراء الغزل والشعراء الخلاء والسكبين والشعراء الادباء . وقدمنا الكلام في فحول ذلك العصر . وقسمنا شعراء السياسة

الى أحزاب أهمها : أنصار بنى أمية وأنصار آل المهلب وأنصار العلويين والخوارج وغيرهم . وأتينا بتراجم الشعراء من كل طبقة وأمثلة من أقوالهم حسب أغراضهم وأدوارهم ، مع ذكر دواوينهم وماخذ أخبارهم . وختمنا الجزء بفصول في قرائح الشعراء وشياطينهم والقراءة فيهم . وأخيرا تحدثنا في الخطابة وانخطباء ، والانشاء ، وبه تم العصر الاموى وهو آخر الجزء الاول . .

### الكتب التى عولنا عليها

يطول بنا ذكر الكتب التى أطلعنا عليها قبل تأليف هذا الكتاب . وهى على الاجمال كتب التاريخ والأدب واللغة والشعر . وقد ذكرنا جانبها كبيرا منها بين ماخذ تاريخ التمدن الاسلامى وتاريخ العرب قبل الاسلام . وأتينا بثبت آخر فى خاتمة باب الشعر الجاهلى من هذا الكتاب ، فنكتفى هنا بذكر الكتب التى هى من قبيل تاريخ آداب اللغة فى العربية وفى الافرنجية، مما لم يرد ذكره فى ذلك الثبت واليك أهمها (※) :

#### ١ - الكتب العربية

١٨٧٢	طبع فى ليبسك سنة	لابن النديم	الفهرست
	خط فى دار الكتب المصرية	لطاشكبرى زاده	مفتاح السعادة
١٨٥٨	طبع فى ليبسك سنة	لكاتب جلى	كشف الظنون ٣ أجزاء
١٢٩٦ هـ	طبع فى الهند سنة	لصديق القنوجى	أجدد العلوم ٣ أجزاء
١٢٨٤ هـ	طبع فى بولاق سنة	ابن خلدون	مقدمة ابن خلدون
	طبع مصر سنة ١٢٩٤ هـ	للانبارى	طبقات الادباء
	طبع مصر سنة ١٨٨٢	لابن ابى أصيبعة	طبقات الاطباء جزآن
	طبع مصر سنة ١٣١٠ هـ	لابن خلكان	وفيات الاعيان ٣ أجزاء
	طبع مصر سنة ١٢٨٢ هـ	لابن شاعر	فوات الوفيات جزآن
	طبع بولاق سنة ١٢٨٢ هـ	للسيوطى	المزهر - جزآن
	طبع مصر سنة ١٨٩٧	لادوارد فنديك	اكتفاء القنوع

#### ٢ - الكتب الفرنسية

Loliée, Hist. des littératures comparées des origines au	Paris	1900
XXe siècle	Paris	1896
Deltour, Hist. de la littérature grecque	”	1874
Bouchot, Précis de la littérature ancienne	”	1867
Prens, Hist. de la littérature italienne	”	

(※) نشرت مخطوطات عربية كثيرة بعد تأليف هذا الكتاب سنة ١٩١١ ، وهى تعد من الامهات والاصول فى تفسير حياة العرب وأدبائهم وعلمائهم وفلاسفتهم على مر العصور . وسنشير الى طائفة منها فى تعليقاتنا ، وكذلك نشرت ابحاث كثيرة للمستشرقين ، وسنذكر أطرافا منها فى التعليقات والحواشى . ومما يلاحظ أيضا أن كثيرا من كتب المستشرقين التى ذكرها فيما بعد ترجمه بعض المعاصرين ، ومنها ما أعيد نلجه . ومنها ما أضيف اليه تعليقات واضافات جديدة

Baret, Hist. de la littérature espagnole	Paris	1863
Jusserand, Hist, abr. de la littérature anglaise	"	1896
Duval, La littérature syriacque	"	1907
Seignobos, Hist. de la civilisation, 3 Vol.	"	1905
Sédillot, Hist. gen. des arabes, leur civil, etc.	"	1877
Huart, Littérature arabe	"	1902
Dozy, Recherches sur l'histoire et lit. de l'Espagne 2 Vol	"	1881
Brunetière, Hist. de la littérature française	"	1900
Le Bon, La civilisation des arabes	"	1884

\*\*\*

## ٢ - الكتب الإنجليزية

Browne, A literary hist. of Persia, 2 Vol.	London	1900
Margoliouth, Mohammed and the rise of Islam	"	1905
De Boer, The hist. of philos. in Islam	"	1903
Scott, Hist. of Moorish Empire in Europe, 3 Vol.	New York	1904
Nicholson, A literary hist. of the Arabs	London	1907
Frazer, A literary hist. of India	"	1892

\*\*\*

## ٤ - الكتب الألمانية

Hammer-Puëgstell	Litteraturgeschichte der Araber bis zum Ende des 12. Jahrhundert der Hidschret, 7 Vol.	Vienna	1856
Wuestenfeld,	Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke,	Gothingen	1882
Goldziher,	Muhammedanische Studien,	Halle	1890
Diercks,	Die Araber im Mittelalter und ihr Einfluss auf die Cultur Europa's.	Leipzig	1882
Schak,	Poesie und Kunst der Araber in Spanien	Stuttgart	1877
Brockelmann,	Geschichte der Arabischen Lit. 2 Vol.	Weimar	1902



## مقدمات تمهيدية

### ١ - ما هو المراد بآداب اللغة ؟

آداب اللغة علومها .. والمراد بتاريخ آداب اللغة (\*\*) تاريخ علومها نشأ أو تاريخ ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم ، فهو تاريخ الأمة من الوجهة الأدبية والعلمية . ولكل أمة تاريخ عام، يشمل النظر في كل أحوالها، ويتفرع إلى تاريخ سياسي وآخر اقتصادي وآخر أدبي أو علمي . فالتاريخ السياسي يبحث فيما مر على الأمة من الفتوح والحروب ، وما توالى عليها من الدول وأنواع الحكومات ونحو ذلك . والتاريخ الاجتماعي يبين الأدوار التي تقلبت فيها تلك الأمة من حيث عاداتها وأخلاقها . والتاريخ الاقتصادي يتناول النظر في تاريخ مالية تلك الأمة وثروتها وأحوالها الزراعية والصناعية وغيرها . وقس على ذلك سائر ضروب التاريخ . ومنها التاريخ الأدبي أو العلمي ، وهو يبحث في تاريخ الأمة من حيث الأدب والعلم . فيدخل فيه النظر فيما ظهر فيها من الشعراء والأدباء والعلماء والحكماء ، وما دونه من ثمار قرائحهم أو نتاج عقولهم في الكتب ، وكيف نشأ كل علم وارتقى ونفرع عملاً بسنة النشوء والارتقاء

والتاريخ العام ان لم يشمل تاريخ آداب اللغة ، كان تاريخ حرب وفتح وسفك وتقلب واستبداد ، إذ لا يستطيع الوصول إلى فهم حقيقة الأمة أو كنه تمدنها أو سياستها إلا بالاطلاع على تاريخ العلم والأدب فيها .. فهو شارح للتاريخ يعلل الأسباب والحوادث بعللها الحقيقية . فإذا قرأنا تاريخ أمة وعرفنا ما توالى عليها من الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية ، واستخرجنا أسباب تمدنها ورفقها أو تقهقرها وسقوطها .. مهما علمنا من ذلك كله ، فإن الأنساب لا تزال غامضة حتى نعلم تاريخ علوم

(\*\*) يستخدم المؤلف كلمة « تاريخ آداب اللغة » بمعناها الواسع المعروف عند الغربيين إذ يقصدون بها كل الانتاج العقلي والشعوري للأمة في مختلف الميادين العلمية والفلسفية والأدبية عبر التاريخ ومع دوراته المختلفة . وتاريخ آداب اللغة بهذا المعنى ، يصور الجانب الحضاري للأمة في وجوه نشاطها العقلي والفلسفي والأدبي . وهو لذلك يقف جنباً إلى جنب مع تاريخها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ولا يقتصر على الشعر والنثر الفني وحدهما . وكان قداماؤنا يفهمون الأدب هذا الفهم الواسع ، فيقولون : الأدب هو الأخذ من كل علم وثقافة ..

الامة وهو تاريخ عقولها وقرائحها ، فتنجلى لنا العوامل الاصلية في أسباب رقيها أو سقوطها . فان ما تخلفه من الآثار الأدبية يتم عما كانت عليه من الارتقاء العقلي أو الميل القلبي وسائر أحوالها من الاعتدال أو العفة أو التهتك ، ومن الهمة أو الخمول ، الى غير ذلك من الآداب والاطوار - وانما الامم الاخلاق ما بقيت - على أن تاريخ آداب اللغة لا يكون وافيا أن لم يوضح بالتاريخ السياسي

وأهل التمدن الحديث يجعلون البحث في آداب اللغة من أهم الوسائل اتفهم تاريخها السياسي ، ويقسمون ذلك التاريخ الى أطوار على مقتضى ما تقلب عليها من الاحوال الادبية ، ويقيسون ما تبيينوه من الاطوار الماضية على ما سيكون . . فيتنبأون بمستقبل الامة متى عرفوا الطور الذي بلغت اليه في أيامهم ، وبالقياس على الماضي ، يقولون ان هذه الامة هي الان في دور الحماسة الشعرية مثلاً ، ولا تلبث أن تنتقل الى العصر الادبي ، ثم العلمي والفلسفي . . الخ . .

تاريخ آداب اللغة (١) هو تاريخ عقول أبنائها ، وما كان من تأثير ذلك في جرسهم وفي أخلاقهم . ويدخل فيه تعيين ما بلغت اليه الامة من الرقي العلمي وامتازت به عن سواها . . وبيان تاريخ كل علم وما تقلب عليه من الاحوال ووصف ما خلفوه من الآثار المكتوبة من حيث فوائدها ، وكيفية تفرعها او تخلفها بعضها عن بعض

## ٢ - أسبق الأمم الى العلم

من هو أول من قال شعراً أو أول من رصد الكواكب ، أو اخترع الكتابة ، أو وضع الاعداد ؟ من قسم السنة الى أشهر ، والأشهر الى اسابيع ، وهذه الى الايام فالساعات ؟ نعرف مثلاً ان أول من رصد الكواكب الكلدانيون ، ولكن من هو الرجل الذي بدأ بالرصد ؟ ان ذلك ذهب في ثنايا القرون المتساعدة ، كما ذهبت أسماء مكتشف الملح ومخترع النار وصانع الابرة والمنزل ونحوهما من الادوات القديمة . والسبب في ذهاب تلك الاخبار ار الاسان عاش ادهارا قبل اختراع الكتابة ولم يكن يدون أعماله وآثاره ، مع أن بعضها - عظيم الأهمية بالنظر الى التاريخ

وللعلم بهذا الاعتبار تاريخان : احدهما قبل اختراع الكتابة ، والآخر بعدها . ولا دخل لآداب اللغة فيما هو قبل الكتابة ، لان معول أصحاب هذا العلم على ما بين أيديهم من مدونات العلوم والآداب . . فأي أمة دونت العلم أولاً ؟ . .

(١) نشط البحث في آداب اللغة عند الغربيين نشاطاً واسعاً منذ اوائل القرن التاسع عشر ، اذ ظهرت الحركة الرومانسية ، ولم يعد الغربيون يكتفون بالنماذج اليونانية والرومانية ، بل أخذوا يعنون عبادة واسمة بنماذجهم الحديثة ، ومن ثم عنى النقاد في كل امة غربية بكتابة تاريخهم الادبي الحديث . وقد نشطت دراسات علوم الطبيعة والمعلوم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، فأعانت هذه الدراسات على أن يحكم النقاد بحسبهم في الآداب وتاريخها وتطورها من زمن الاغريق الى العصر الحديث

لا خلاف في أن الشرق أسبق الى تدوين العلم من الغرب .. فقد نظم المشاركة الشعر ، وعالجوا الأمراض ، ووضعوا الشرائع ، وروصدوا الكواكب ، وعينوا أماكنها وسموها بأسمائها ، والغرب في غفلة وظلام دمس . . فأي أمم الشرق أسبق الى العلم ؟

يعسر الجواب على ذلك جوابا قاطعا ، لان أكثر آثار الشرق لا تزال مدفونة تحت الرمال أو التربة في مصر والشام وما بين النهرين واليمن والحجاز وآسيا الصغرى وفارس والهند . وفيها آثار الفراعنة والفينيقيين والاشوريين والبابليين والمعينيين والحميريين والحثيين وغيرهم . ولم ينته العلماء الى أهمية هذه الآثار الا في القرن الماضي ، فتألفت الجمعيات وجمعت الاموال للتنقيب واستخراج الاحافير وحل الكتابات .. فحلوا الخط الهيروغليفي بمصر ، والمسماري فيما بين النهرين ، والمسند في اليمن ، والنبطي في الحجاز ، والفينيقي في فينيقية . وقرأوا ما اكتشفوه من الاحافير ، فاطلعوا على كثير من أحوال تلك الامم . لكن أعمال التنقيب لا تزال في أولها ، ولا يزال معظم الآثار مدفونا وخصوصا فيما بين النهرين وآسيا الصغرى واليمن وسائر بلاد العرب .. أما مصر فان حظها من التنقيب أكثر من حظ سواها

### وادي النيل

وقد تبين من قراءة الآثار حتى الان ، أن وادي النيل ووادي الفرات أسبق بلاد انشرف الى الاشتغال بالعلم والادب ، وقد قضيا ادهارا وهما مزدهران منيران بالعلم ، وسائر العالم في ظلام .. نبغ العلماء والاطباء والشعراء بمصر في عهد الاسرة الثالثة من الدولة المصرية الاولى قبل بناء اهرام الجيزة أي منذ نحو ستة آلاف سنة . ويفتخر أحد كتاب الدولة في عهد الاسرة السادسة بمصر انه كان متوليا ادارة الكتب ، فطلب الى ذويه أن ينقشوا ذلك على قبره ، منذ نيف وخمسة آلاف سنة

ويدل ذلك طبعا على وجود الكتب من ذلك الحين ، وان لم يصل الينا شيء منها ، ولكننا سمعنا ببعضها . وربما كان أهم ما وصلنا خبره منها « كتاب الموتى » وهو كتاب الطقوس ، وفيه شعر وادب وتاريخ وعقود وعهود واغان ، وبعضها قديم جدا ، ربما كان قبل عهد الملك مينا أول فراعنة مصر .. وهو يشبه كتب الدين عند سائر الامم القديمة ، كالفيديا عند البراهمة ، والزاندافستا عند الفرس ، والكنغ عند الصينيين ، والتلمود عند اليهود ، لكنه اقدم منها كلها

وكان الفراعنة يطلبون العلم ويتفاخرون به ، ويقال ان توسرتسن أحد ملوك هذه الاسرة كان عالما بالطب ، فوضع فيه كتابا تداوله الناس الى القرن الاول للميلاد . ولا ريب أن الرياضيات في عهد الاسرة الرابعة بناءة الاهرام كانت من أرقى العلوم . وقد نبغ الشعراء بمصر من أقدم أزمانها ، وكان منهم طائفة كبيرة يجتمعون في مجلس تحتمس الثالث ورسميس الثاني ، كما اجتمع بندار وزملائه من شعراء اليونان بعد الف سنة في

مجالس ملوك اليونان . وكما اجتمع شعراء العرب بعد ألف وخمسمائة سنة أخرى في مجالس الرشيد وسيف الدولة والصاحب بن عباد وغيرهم . وكان شعراء الفراعنة ينظمون القصائد في كل نصر أو فتح ، يمتدحون ملوكهم ويسمونهم أبناء الشمس وأصحاب التاجين

#### وادي الفرات والسومريون والاكاديون

ويقال نحو ذلك عن أهل بابل وأشور في وادي الفرات ودجلة ، فان العلم عندهم قديم ، وقد تعاصر البابليون والمصريون وتبادلوا المعارف . ولكن ظهر من الاكتشافات الاثرية في بابل ، انه كان هناك قبل تتمدن البابليين أمتان سبقتا البابليين الى اسباب المدنية أو العلم : هما الاكاديون (✽) والسومريون ، وجاءوا وادي الفرات من عهد بعيد . وعندهم العلم والكتابة وهي الاحرف السمارية ، فاقتبسها البابليون منهم وطبعوا بها اخبارهم على آثارهم . وكان السومريون عند قدمهم الفرات أهل شريعة ودين وصناعة يبثون المدن والقلاع وينسجون الإنسجة . نزل السومريون والاكاديون وادي الفرات نحو القرن الخامس والرابعين قبل الميلاد أي منذ نحو ٦٥٠٠ سنة ومعهم العلم والصناعة ، وما زالوا نبراسا يستضاء بهم الى اوائل القرن العشرين ق.م ، أي نحو ٢٥ قرنا . وهم يختلفون عن سائر سكان ذلك الوادي لغة وشكلا ، كما يظهر من صورهم المنقوشة على الآثار . وقد اقتبس أهل الشام والعراق عنهم كثيرا من أسباب العلم واستدل بعض العلماء على آثار ذلك في مزامير داود

#### اقدم مكتبة في العالم

وعاصر هذه الامة في وادي الفرات غير دولة من أصل سامي . وعشر المنقبون في العراق على رقيم ( حجر أو لوح ) عليه كتابة مسمارية فيها قائمة بأسماء ملوك ، حكم بعضهم منذ أكثر من أربعين قرنا ، ويدل ذلك على قدم التمدن في ذلك البلد المبارك . وفي جملة أولئك الملوك ملك اسمه « شرجينا » كان محبا للعلم والعلماء راغبا في العمارة ، أنشأ مكتبة في

(✽) الاكاديون موجة سامية كبيرة اتساحت من بلاد العرب - وهي الموطن الاصلي للساميين - الى حوض دجلة والفرات ، حيث كان ينزل السومريون ، وهم جماعات غير سامية سبقت الى التوطن في هذا الحوض أثناء الالف الخامس ق.م . واسسوا فيه دولة وأنشأوا به حضارة تأثر بها الاكاديون تأثرا واسعا . وما زالوا خاضعين للسومريين حتى استطاع سرجون الاول ، وهو اول عظماء الساميين في التاريخ ، ان يؤسس في العراق الدولة الاكادية حول سنة ٢٥٠٠ ق.م . وبقي الملك في هذه الدولة الى ان اغتصبت دولة بابل حول سنة ١٩٥٠ ق.م . وهي دولة سامية كدولة الاكاديين ، واشهر ملوكها حمورابي الذي ولي الملك حول سنة ١٨٠٠ ق.م . وهو صاحب الشريعة البابلية التي سيحدثنا عنها المؤلف فيما بعد . وظلت هذه الدولة قائمة حتى قضى عليها الاشوريون في أواخر القرن السادس عشر ق.م . وهم أيضا سطحيون . وانظر في الصلة بين هذه الدول السامية والعرب كتاب «تاريخ العرب قبل الإسلام» لجواد علي ، جزء ١ ، ٢ ، ٣ ، وتاريخ العرب لفيليب حتى ج ١ ص ٤٢ والرافدان لسيتون لويد في مواضع متفرقة و

D.D. Luckenbill -- Ancient Records of Assyria & Babylonia.

« وركاء » من أعمال العراق سماها مدينة الكتب . وعهد الى رجال من خاصته في جمع الكتب قديمها وحديثها ، وان يفسروا بعضها بالترجمة أو التعليق . واستعان بالعلماء من سائر الاقطار لينقلوا علوم الآخرين الى لسانهم وتدوين علومهم . واشتغل آخرون بالشرح والتعليق . . كما فعل بطليموس فيلاذلفوس بالاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد ، وكسرى أنوشروان في جنديسابور في القرن الخامس للميلاد ، وكما فعل الرشيد والمامون في بغداد في القرنين الثاني والثالث للهجرة . وقد دون شرحنا هذه العلوم بالحرف المسماري نقشاً على الطين وهي الرقم المسمارية المعروفة . .

فكانت مكتبة « وركاء » هذه مملوءة بالكتب اللغوية والفلكية والشرعية والادبية وغيرها . . ثم نسخت بعد انشائها بخمسة عشر قرناً بأمر أمير آشوري ، وحفظت في دار خاصة بها كما تحفظ المكاتب اليوم . وعثر المنقبون على بقايا هذه المكتبة بين النهرين ونقلوها الى المتحف البريطاني في لندن . .

على ان هذه البقايا نتف اكثرها محطم لا ينتفع به . اما أقدم اثر علمي بقي سالماً كاملاً الى هذا العهد ، فهو شريعة حمورابي . . فانها دونت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وقد رجحنا في كتابنا « العرب قبل الاسلام » ان دولة حمورابي عربية ، وانها اقدم دول العرب . . فاذا صح استدلالنا هناك ، كان اقدم الآثار العلمية الباقية كاملة عربي الفكر

ويلي المصريين والبابليين في التمدن القديم الفينيقيون في سوريا والحثيون فيها وفي آسيا الصغرى ، والفارسيون والهنود والصينيون وغيرهم . .

### اليونان

ظلت الآداب زاهرة في الشرق ، وهو وحده مبعث العلم والمعرفة والمدنية ، حتى كان تفهقره على مقتضى سنة العمران . . فانتقلت الرياسة منه الى الغرب ، واسبق الامم الغربية الى ذلك اليونان لانهم اقرب الى الشرق من سواهم . وعنهم أخذ الرومان وانشأوا التمدن الروماني . ولكل من هاتين الامتين كتب خاصة في تاريخ آدابها ، والمرجع في ذلك الى تاريخ آداب اللغة اليونانية فانها اساس آداب سائر لغات اوربا حتى الحديثة منها الى اليوم . ولما نشأت الدول الحديثة وتمدنت وظهر فيها العلماء والادباء واستقلت كل أمة بلغتها وآدابها ، صار لكل منها تاريخ خاص لآداب لسانها ، وقد ألف في آداب كل لغة منها عدة كتب وهي اشهى ما يقرأ من تواريخ تلك الامم

على ان الآداب اليونانية كانت ايضا اساسا لآداب أكثر الامم التي ظهرت بعد اليونان في الشرق ومن جملتهم العرب . فالتمدن الاسلامي مدين لآداب اليونان في أكثر العلوم الطبيعية ، وكذلك الفرس في نهضتهم أيام الاكاسرة

ثم ان الاداب العربية كانت أساسا لاداب كل أمة ظهرت في اثناء التمدن الاسلامى او بعده .. حتى في أوروبا ، فالافرنج في نهضتهم الاخيرة استعانوا على انشاء تمدنهم بما خلفه العرب من كتب العلم والفلسفة

فالعلم نشأ في الشرق وأثمر أولا في وادى النيل ووادى الفرات ، وانتشر منهم في سائر المشرق .. ثم انتقل الى الغرب ، فتناوله اليونان واستثمروه وعالجوه حتى صار خاصا بهم . ومنهم أخذه الرومان في الغرب والفرس والسرمان والعرب في الشرق . وانتقل من الرومان الى أمم أوروبا في الاجيال الوسطى وحفظ في الكنائس والاديار

أما في الشرق فانقل علم اليونان أخيرا الى المسلمين ، فدرسه وأضافوا اليه ما اقتبسوه من علوم الفرس والهند وتوسعوا في ذلك كله من عند أنفسهم . وقد ملأوا العالم مؤلفات وعلماء وأرصادا ومدارس ومكاتب في نحو ألف سنة . فلما نهضت أمم أوروبا لانشاء التمدن الحديث ، اقتبسوا كثيرا من آداب العرب ونقلوا مئات من كتبهم الى الستنتهم فكانت أساسا لتمدنهم الحديث

### ٣ - مصادر آداب اللغة بوجه عام

الأمم تتشابه بطبائعها ومداركها من أكثر الوجوه وان اختلفت في مواطنها ، ولذلك جاءت آدابها متشابهة (\*) ، في موضوعاتها ومصادرها ومناحيها وتأثيرها ، مع تباين في كل أمة تمتاز به عن سواها .. فأدب اللغة عند كل الأمم قديما وحديثا مؤلفة من الشعر والنثر . والشعر يقسم الى موضوعات كثيرة من الحماسة والفضل والفخر والرثاء والمدح ، والنثر يقسم الى التاريخ والادب والفقه والفلسفة والعلم على أنواعه . ولم تخل أمة من الشعراء والأخطباء والعلماء والفلاسفة على تفاسوت في الاجادة واختلاف في الاسلوب . ولو دونت الأمم القديمة آدابها لوجدت التشابه أكثر وضوحا ، ولكنهم لم يفعلوا .. فلم يتيسر للمحدثين العثور عند أكثرها على ما يصح جمعه ودرسه . وأقدم الأمم التي دونت تاريخ آدابها وعلومها على نحو مانحن فاعلون في هذا الكتاب اليونان ، فقد ألفوا في آداب اللغة اللاتينية ، ثم آداب كل لغة من اللغات الاوربية الحية . وجرؤا على مثل ذلك في تدوين آداب اللغات السامية ، فألفوا في آداب لغة الهند والفرس والسرمان والعرب

(\*) مرجع هذه الفكرة ان الادب في كل أمة انما هو تعبير النفس ، وحقائق النفس الانسانية في كل الناس مشتركة، ولذلك كانت آداب الأمم تتشابه ، وكان مايتخذ من قواعد في درس نوع معين من انواع الاداب صالحا لان يطبق على النوع الآخر ، اذ القسوى الداخلية للنفس الانسانية كلها من جنس واحد، ولولا ذلك ما امكن مصريا أن يفهم الادب الفرنسى ولا مستشرقا أن يفهم الادب العربى، وهكذا الاداب الاخرى



وإذا طالعت تواريخ آداب هذه اللغات اتضح لك وجه الشبه بينها ،  
 لكنك تجد لكل أمة خصائص في مشاعرها ومداركها تمتاز بها عن سواها . .  
 فاليونان يظهر من تاريخ آداب لسانهم أنهم يمتازون عن سواهم بسعة  
 التصور وقوة العارضة والجنوح الى الفلسفة . ويمتاز الرومان في  
 السياسة والنظام والتشريع . ويمتاز العرب بدقة الاحساس في نفوسهم  
 وسرعة الخاطر وسعة الخيال . ويمتاز الهنود باستغراقهم في الخيالات  
 والاهام . وقس على ذلك

وقد ترتب على هذا التفاوت في المواهب امتياز كل أمة بآداب أجادت  
 فيها وتناقلتها سائر الأمم عنها، كما تمتاز اليونان بالفلسفة والشعر القصصي  
 والتمثيل ، وعنهم أخذها سائر الأمم . وامتاز الرومان بوضع الشرائع  
 والنظم السياسية والاجتماعية التي هي أساس شرائع أوروبا ونظامها  
 الاجتماعى الى اليوم ، وامتاز الهنود بوضع القصص الخرافية على السنة  
 الحيوانات مثل كليلة ودمنة وعنهم أخذها سائر الناس . واما العرب  
 فقد ملأوا الدنيا شعرا وادبا وفقها وتاريخا وهم قنوة الناس فى المعاجم  
 العلمية والتاريخية وفلسفة التاريخ

وهكذا الأمم الاوربية الحديثة . . فان لكل منها مزية فى شىء من آداب  
 اللغة . فالفرنسيون أهل فصاحة وطلاقة فى الكلام والانشاء . . اشتهروا  
 بذلك من أقدم ازمانهم . قال يوليوس قيصر لما نزل بلادهم قبيل الميلاد .  
 « ان الفالين أهل ذوق فى الحرب والكلام » وأيد ذلك كثرة من ظهر فيهم  
 من الكتاب والمنشئين والخطباء فى الادب بالقياس الى سائر أمم أوروبا .  
 والامان يمتازون بأبحاثهم الفلسفية العويصة وتتبع الموضوعات الى أقصى  
 جزئياتها ونقدها وتوسعهم فى قواعد اللغة . أما الانجليز فيمتازون  
 بجنوحهم الى الحقيقة المحسوسة فى آرائهم فلا يبنون أبحاثهم الا على  
 الواقع ، وترى ذلك ظاهرا فى أعمالهم وأخلاقهم . والايطاليون معروفون  
 بتبريزهم فى الفنون الجميلة ، فهم شديدو التأثير بأعمال الطبيعة وظواهرها

على أن تفوق بعض الأمم فى بعض الآداب ، لا يمنع تشابه تلك الأمم فى  
 سائر الآداب . . ويحسن بنا قبل التقدم الى الكلام عن آداب اللغة العربية،  
 أن نذكر نمودجا من آداب اللغات الاخرى . وقد تقدم ان الأمم الشرقية  
 القديمة لم تجمع آدابها ، وليس لدينا منها ما يصح اتخاذه مثلا لنا .  
 والأمم المتمدنة الآن فى أوروبا ، وأمريكا ترجع آداب لغاتها الى اللغة اللاتينية  
 أى لغة الرومان . وهؤلاء اقتبسوا أكثر آدابهم عن اليونان . . فآداب  
 اللغة اليونانية خير مثال لآداب لغات العالم المتمدن ، لأنها أساسها كلها من  
 حيث الادب والشعر والفلسفة وسائر العلوم القديمة . وما من أدب أو  
 علم أو فلسفة فى اللغة الفرنسية أو الانجليزية أو الايطالية أو غيرها الا وله  
 أصل أو أساس فى اللغة اليونانية - وأكثر مؤلفات تلك الأمم ومنظومات  
 شعرائهم فى الاجيال الوسطى صور أو ظلال لما كان عند اليونان - وبالمثل

أمهن اللاتينية فان الانبياء في اللغة اللاتينية لفرجيل ، أما هي نسخة من  
اليانذة هوميروس ، وكذلك فردوس ملتن وجحيم دانتي وتلمسك فنيليون  
وغيرهم . .

فأفضل نموذج لآداب العالم المتمدن آداب اللغة اليونانية وهي أهمها  
جميعا ، ولها تاريخ طويل يرجع الى قرون عدة قبل الميلاد وهالك أقسامها:

### ٤ - آداب اللغة اليونانية (\*)

تقسم آداب هذه اللغة الى سبعة أدوار أو أطوار :

١ - العصر الخرافي : ويراد به أقدم أزمان الامة اليونانية ، ولم يبق  
منها الا القصص الخرافية عن الآلهة ونحوهم ، مما يسمى في اصطلاح  
الافرنج ميثلوجيا Mythology وهو يبدأ قبل زمن التاريخ وينتهي الى  
القرن التاسع قبل الميلاد ، واسماء رجاله وشعرائه خرافية

٢ - عصر الابطال والحروب : وهو يشمل القرنين التاسع والثامن  
( سنة ٩٠٠ - ٧٠٠ ق م ) وفيه ظهر أقدم الشعر الوصفي أو القصصي . .  
نعنى منظومات هوميروس في الياذة والوديسة ، وفيه جرت حروب طيبة  
وحصار طروادة الذي وصفه هوميروس في الياذته . ولم يبق من آداب  
هذا العصر غير الشعر القصصي ، ولم يعرف من شعرائه غير هوميروس  
وهسيود . أما هوميروس فهو أبو الشعراء ورب الشعر القصصي ، وقد  
عاش اسمه بالياذته التي نقلت الى سائر لغات العالم وبأودسته . اما  
هسيود فانه جاء بعد هوميروس وخلف شعرا في نشيدن احدهما الف  
بيت ، ذكر فيه أنساب الآلهة والآخر ثمانمائة بيت وصف فيه الطبيعة  
ويسمى « الاعمال والايام » ونسبوا اليه نشيدا ثالثا مؤلفا من أربعمائة  
بيت وصف به درع هركيل

٣ - العصر الثالث : ( سنة ٧٠٠ - ٥٠٠ ق م ) . وفيه تحضر اليونان  
وعهروا المدن ووضعوا الشرائع وأنشأوا المستعمرات حول البحر المتوسط  
والبحر الاسود واتسعت تجارتهم ، وقامت الفتن بينهم في التنازع على  
السلطان فقام مثل هذا التنازع في آداب لسانهم ونشأ الشعر التمثيلي  
واستقر في أثينا . وانتشر الشعر على الاجمال ونبع الشعراء في بلاد  
اليونان بأوروبا وآسيا وفي الجزائر وصقلية وفي اسبارطة وطيبة . وظهر  
فيها الشعر الغنائي أو الموسيقى وهو المعبر عن الشعور كالمديح والفخر  
والحماسة والغزل مثل الشعر العربي . ونبع في كل قوم أو بلد شاعر أو  
غير شاعر ينصر قومه أو يعبر عن شعائرهم . وتكاثر الشعراء واخذوا  
بتمادحون وبتهاجون ويتفاخرون كما كان العرب في الجاهلية يفعلون ،  
ولذلك سمو هذا العصر عصر الشعر الغنائي Lyric

(\*) اصلحنا هنا قليلا النص راجعين في ذلك الى كتب الادب اليوناني والى ما يصطلح  
عليه المترجمون اليوم في كتابة بعض الاعلام اليونانية

فمن شعراء هذا العصر الهجائيين ارشيلوك الفاروسى من اهل القرن السابع ق.م. ولم يبق من شعره الا نتف مبعثرة . وسيمونيد الامارغوسى كان معاصرا لارشيلوك ، ولم يبق من شعره الا ١٨ بيتا فى وصف المرأة . وهيبوتكس الافسى من اهل اواسط القرن السادس ق. م . . كان ظهوره فى آخر التنازع بين الاشراف والعامه ولم يعرف عنه الا القليل

ومن شعراء هذا العصر الحماسيين غالينوس الافسى وتيرتیه . ومن اصحاب السياسة صولون استخدم الشعر فى السياسة وهو مشهور . ومن اهل الهجاء والحكمة ثيوغنيس الميفارى نبغ فى سنة ٦٥ ق م ، وشعره ادبى حكى ولا يزال باقيا من منظومه الى الآن ١٢٠٠ بيت

واقدم شعراء الشعر الفنائى عندهم ترياندر ويقال انه هو الذى اخترع العود ذا السبعة الاوتار واسمه Lyre واليه ينسب هذا النوع من الشعر لانهم كانوا يفتنونه . وخلفه اريون والسيسى وسافو . ونبغ ايضا شواعر من تلامذته منهن ارينى . ومن قبيل الشعر الفنائى الشعر الدينى الذى كانوا يفتنونه فى الصلوات

واشهر شعراء اليونان فى الشعر الفنائى بندار فهو مثل هوميروس فى الشعر القصصى ، ولد سنة ٥٢٢ ق.م وله آثار كثيرة لاتزال باقية الى الآن ومنها قصائد مدح بها الظافرين كما كان يفعل المتنبى فى مدح سيف الدولة ، والاخلط فى مدح عبد الملك

وفى هذا العصر ظهر فيثاغورس الفيلسوف الرياضى المشهور وزينوفون وبرميندس وامبيدقليس وطاليس وانا كسميندر واناكساغورس وغيرهم  
٤ - العصر الذهبى أو الاثينى : ( سنة ٥٠٠ - ٣٢٣ ق.م ) نسبة الى اثينا لان اكثر ادباء هذا العصر نبغوا هناك ، وفيه نضج الشعر التمثيلى والفلسفة والخطابة وظهر التاريخ . واقدم شعراء التمثيل تسبس وفرينيكوس وبراتيناس واشهرهم اسكيلوس وسفوكلس ويوربيدس التمثيل المحزن ( تراجيدى ) وارستوفانس . واشهر مؤرخيه هيكتاس وهيرودوتس ابو التاريخ وتوسيديد . ومن الخطباء بريكليس والسبياد وكوراكس وتيسياس وبراتاغوراس وانثيفون واندوسيد وليكورغوس وهينريد وديناك وديموستين . ومن الفلاسفة سقراط وزينوفون وافلاطون وارسطو وثيوفراست

٥ - العصر الاسكندرى : ( ٣٢٣ - ١٤٦ ق.م ) وفيه انتقل العلم من اثينا الى الاسكندرية على عهد البطالسة ، فزهت هذه المدينة بالعلماء والفلاسفة . وكانت هى وحدها مسرح العلم ومبعث العلماء . ومن مشاهير هذا العصر فى الرياضيات اوقليدس وارخميدس . وفى التاريخ مانيثون . ومن الجغرافيين ديسيارك واراتوستين . ومن الشعراء المعلقين كليماك وابولونيوس الرودسى ويوفوريون . ومن شعراء التمثيل ليكوفرون وتيمون ومنيب وثيوكرت وشهرته ترجع الى شعره الرعوى . ومن الفلاسفة ليسيوس وابيكوروس

٦ - العصر اليوناني الروماني : ( ١٤٦ ق.م - ٥٥٠ ب.م ) وكانت بلاد اليونان قد سقطت وذهبت دولتها ودخلت في حوزة الرومان فذهب علمها وخملت قرائح أهلها - والذل يذهب بالقرائح - فضعفت آداب اللغة فيها . ولكن النصرانية أحدثت تغيراً في تلك الآداب فأدخلت فيها بعض الأساليب الشرقية . ومن مشاهير أدباء هذا العصر في التاريخ والادب بوليبس ولوسيدونيوس ونيقولاس وسترابو وديونيس وديودورس وبوسيفوس وبولتارخس وأريان وأبيسان وباوسانيس وهديان . وفي الشعر أرخياس وأبولودورس . ومن الفلاسفة فيلون وأناسيديمس وكريسوستوم وغيرهم . .

٧ - العصر البيزنطي : ( من سنة ٥٥٠ - ١٤٥٣ ب.م ) زهت فيه بيزانس ( القسطنطينية ) وكانت مركز الآداب اليونانية . وما زالت مرجع العالم اليوناني حتى فتحها العثمانيون سنة ١٤٥٣ م ، فانقضت دولة الروم وتشتت علماءها في أوربا . وكانوا في جملة من أعانها على نهضتها في إنشاء التمدن الحديث . ومن علماء هذا العصر هيميروس وتمستس وليبانيوس وجوليان وهليودورس وأشيل تايتوس وتريفيودور وجماعة كبيرة من رجال الكنيسة

هذه خلاصة تاريخ آداب اللغة اليونانية ، فقس عليها تواريخ آداب سائر اللغات الأوربية . . فانها كثيرة الشبه بها من حيث تناسق عصورها بالنظر الى نشوء العلوم فيها ، فان أقدم آدابها دائماً الشعر الديني يليه الشعر القصصي والتمثيلي فالغنائي ، ثم ينشأ الادب والخطابة والتاريخ وتضبط اللغة وقواعدها ثم الفلسفة والعلم الطبيعي ، ثم تستغرق الأمة في المبالغات والتفاصيل الخارجة عن المعقول ويقبل فيها الاستنباط وتبلى جودة الشعر وتضعف القرائح بالذل والتقهقر

### ٥ - آداب اللغة العربية وأقسامها

وإذا نظرنا الى آداب اللغة العربية واخوانها الساميات ، وأينها تنطبق على ما تقدم بوجه اجمالي . أما عند التفصيل ، فاننا نجد بين آداب هذه اللغات وتلك فرقا كالفرق بين طبائع الامتين . . فالشعر عند الساميين أقدم آدابهم لكن أكثره غنائي ، وأيسر فيه من الشعر القصصي الا نتف قليلة . أما التمثيل فيظهر لأول وهلة أنه بعيد عن آداب العرب ، وسترى أنه موجود فيها . . ولا غرو اذا امتازت اللغات الأوربية بالشعر القصصي والتمثيلي ، فان اللغة العربية واخوانها تمتاز بنوع من الآداب كبير الأهمية ليس منه في لغات الافرنج الا نتف نغني « الامثال » فانها جزء مهم من آداب اللغات السامية ولا سيما العربية والعبرانية ، وتندر في سواهما . .

وآداب اللغة العربية التي هي موضوع هذا الكتاب أغنى سائر الآداب السامية ، بل هي على الاجمال أغنى آداب سائر لغات العالم . . لأن الذين وضعوا آدابها في أثناء التمدن الاسلامي أخلطوا من أمم شتى جمعهم الاسلام

أو الدولة الإسلامية ، وفيهم العربى والفارسى والتركى والهندي والسورى والعراقى والمصرى والرومى والارمنى والبربرى والزنجى والصقلىبى وغيرهم . . . وكلهم تعربوا ونظموا الشعر العربى وألفوا الكتب العربية فى الادب والنحو والتاريخ والطب والعلم والفلسفة . فاحتوت آداب اللغة العربية بسبب ذلك على أحاسن القرائح وشتات الاخلاق والآداب والطبائع ، وأدخلوا فيها كثيرا من أساليب السننهم الاصلية بدون قصد أو تعمل

ويريد بتاريخ آداب اللغة العربية بسط ماتقلبت عليه اللغة وادابها من أقدم أزمانها الى الآن . . . فهى بهذا الاعتبار تقسم الى أطوار لكل منها شأن يمتاز عن سواه ، وقد لاحظنا فى تقسيم هذا التاريخ ما توالى على الأمة من الانقلابات السياسية أو الادبية وما كان من تأثير ذلك على المواهب والقرائح . . .

#### اقسام تاريخ آداب اللغة العربية

ويمكن تقسيم تاريخ آداب اللغة العربية حسب علومها وادابها أو حسب العصر التى توالى عليها . ونريد بتقسيمها حسب العلوم أن نستوفى الكلام فى كل علم على حدة من نشأته الى الآن ، على أن نبدأ بأقدمها ونترجى الى أحدثها فنبدأ بآداب الجاهلية ، فنذكر تاريخ الشعر مثلا وتراجم الشعراء من نشأته وما تقلب عليه من الأدوار فى الجاهلية والاسلام الى اليوم . ونفعل مثل ذلك فى الخطابة وغيرها من آداب الجاهلية ، وبالفقه والتفسير والادب والنحو واللغة وغيرها من الآداب الاسلامية . هكذا نفعل بالعلوم الدخيلة منذ دخولها وما تقلب عليها الى الآن . . .

أما تقسيمها حسب العصور ، فيراد به الكلام عن العلوم كلها معا فى كل عصر على حدة ، وهذا الذى اخترناه فى هذا الكتاب لانه يصور حالة العصور المختلفة وما يكون من تأثير السياسة وانقلاباتها فى العلم والادب . ولذلك فقد قسمنا تاريخ آداب اللغة العربية الى قسمين كبيرين يفصل بينهما أهم انقلاب أصاب العرب من أول عهد تاريخهم الى الآن . . . نعى ظهور الاسلام . فهى بهذا الاعتبار تقسم الى آداب اللغة قبل الاسلام وآدابها بعده . وقسمنا آدابها قبل الاسلام الى عصرين : عصر الجاهلية الاولى وعصر الجاهلية الثانية . وقسمنا تاريخها بعد الاسلام الى عصر أو أطوار تناسب انقلاباتها السياسية أو الاجتماعية وهى :

- |                     |                    |
|---------------------|--------------------|
| ١ - عصر صدر الاسلام | ٤ - العصر المفلولى |
| ٢ - العصر الاموى    | ٥ - العصر العثمانى |
| ٣ - العصر العباسى   | ٦ - العصر الحديث   |

وقسمنا العصر العباسى الى أطوار بحسب التقلبات السياسية كما ستراه فى مكانه . . .

# آداب اللغة قبل الإسلام

١ - العصر القديم أو الجاهلية الأولى (\*)

من قبل التاريخ الى القرن الخامس للميلاد

لم يتصد أحد للبحث في آداب اللغة العربية قبل زمن التاريخ لقلّة المواد المساعدة على ذلك ، ولاعتقادهم أن العرب حتى في الجاهلية الثانية قبل الإسلام كانوا غارقين في الفوضى والجهالة لاعمل لهم الا الغزو والنهب والحرب في بادية الحجاز والشام وفي نجد وغيرها من بلاد العرب . على أننا اذا نظرنا

(\*) اصاب المؤلف في تقسيم مصر الجاهلية الى فترتين : فترة الجاهلية الاولى وفترة الجاهلية الثانية ، وهي الجاهلية التي جاءنا عنها الشعر وهي لا تمتد الى أكثر من قرنين قبل الإسلام اما ما قبل ذلك ، فهو الجاهلية الاولى . غير أنه حين تحدث عن هذه الجاهلية القديمة ابعد في التاريخ الى عصر حمورابي البابلي وجعل لغة البابليين عربية . وفي هذا مخالفة لما اصطلح عليه علماء الساميات من تقسيم اللغات السامية تقسيماً لقسوما الى خمس أسر : أسرة اللغات الاكادية والبابلية والاشورية ، وأسرة اللغات الآرامية ، وأسرة اللغات الكنعانية مثل الفينيقية والعبرية ، وأسرة اللغات الحبشية ، ثم أسرة اللغات العربية ، وهي تنقسم قسمين عامين الى شمالية وجنوبية بينية واذن فحين يتحدث عن الجاهلية الاولى لآداب اللغات العربية ، ينبغي الا نتحدث عن جاهلية اللغات السامية الاخرى ، فلكل لغة سامية جاهليتها الخاصة. وقد كشفه الباحثون اللثام عن كثير من شؤون الجاهلية للغات العربية كما ونقصد الجاهلية القديمة ، بفضل النقوش الكثيرة التي وجدوها في اليمن على المعابد والعمد والنصب والاسوار والابراج والحصون ، ووجدوا ايضا نقوشا مختلفة في شمالي الحجاز بمنازل ثمود واللحيانين وعلى حدود الشام ..

وقسم العلماء هذه النقوش الى ثلاث مجموعات : مجموعة لهجات عربية جنوبية للممالك التي قامت في الجنوب منذ أواخر الألف الثاني ق . م وأهمها قتيان في الجنوب الغربي ومعين شماليها في الجوف وبعانها سبأ ، وامثلت حضرموت وظفار الى الشرق . وكان لهذه الممالك علاقات تجارية مع حوض بحر الروم ، واستطاعت أن تنهض بحضارة راقية على أساس التجارة والزراعة ، كما استطاعت معين ( ١٢٠٠ - ٧٠٠ ق م ) وسبأ ( ٧٥٠ - ١١٥ ق م ) أن تؤسسا لهما مستعمرات في الشمال بطريقهما الى حوض بحر الروم ليحميا قوافلها التجارية . وكان لسبأ نظام محكم في تدبير شؤون الزراعة بما أقامت من سدود أشهرها سد مأرب . وخلفت الدولة الحميرية ، دولة الاقيال والادواء التباينة ، سبأ . وقد أخذ الضعف يدب الى هذه الدولة بسبب سيطرة الرومان على الملاح في البحر الاحمر ، وغزاهم الاحباش غير مرة ، فضعفت امكانياتها ، وتخربت سدودها وعلى رأسها سد مأرب المشهور ، فتفرق اهلها وتناقت هجراتهم الى الشمال منذ القرن الثالث الميلادي وما لبثت أن استولت عليها وعلو بلادها سنة ٥٢٤ م ..

وهذه المجموعة الجنوبية بلغاتها ولهجاتها المختلفة من قتيانية ومعينة وسبئية وحميرية



الى لغتهم كما كانت فى عصر الجاهلية ، نستدل على أن هذه الامة كانت من أعرق الامم فى المدنية لانها من أرقى لغات العالم فى أساليبها ومعانيها وتراكيبها . . واللغة مرآة عقول أصحابها ومستودع آدابهم . فالتكلمون باللغة الفصحى كما جاءتنا فى القرآن والشعر الجاهلى والامثال ، لا يمكن أن يكون أصحابها دخلوا المدنية أو العلم من قرن الى قرنين فقط . . اذ لا يتأتى لغة من لغات المتوحشين أن تبلغ مبلغ لغات المتمدنين الا بتوالى الادهار ، فكيف باللغة العربية الدالة على سمو مدارك أصحابها وسعة تصورهم ودقة نظرهم كما سنبينه فى أماكنه

على أن الاكتشافات الاثرية أيدت هذا الرأى بما أظهرته من بقايا تمدن اليمن قبل الاسلام ببضعة عشر قرنا . ولم يظهر من تلك الاطلال الا الطفيف لأن ما عثروا عليه من الاحافير لا يذكر فى جانب ما بقى مدفونا فى الرمال . فضلا عما ظهر من فضل العرب واعراقهم فى المدنية والعلوم ، مما قرأوه من اثار بابل وآشور . نأذا صح أن دولة حمورابى التى تولت بابل وسائر العراق فى القرن العشرين قبل الميلاد عربية كما بينا ذلك فى كتابنا « العرب قبل الاسلام » (١) كان العرب من أسبق الامم الى المدنية ، فانهم أقدم من وصلتنا شرائعهم وقوانينهم . هذه شريعة حمورابى التى عثروا عليها فى بلاد السوس منقوشة بالحرف السمارى على مسلة من الحجر الاسود الصلب - سنها حمورابى فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، أى قبل شريعة موسى بثلاثة أو أربعة قرون . . وهى مؤلفة من ٢٨١ مادة تبحث فى طبقات الامة وحقوق المرأة وواجباتها والزواج والتبني والارث وغيره . .

تختلف اختلافا واضحا عن المجموعة الشمالية فى أصول قواعدها وألفاظها ، مما جعل بعض اللغويين العباسيين يقول : ما لسان حمير (يقصد هذا اللسان الجنوبي جميعه) بلساننا . أما المجموعة الثانية فهى مجموعة من لهجات للعربية الشمالية ، ولكنها كتبت بنفس القلم الذى كان يكتب به الجنوبيون وهو المسمى بالسندي ، ولذلك ميزها الباحثون من مجموعة أخرى شمالية كتبت بالخط النبطى الذى تطور الى خطنا أو قلمنا العربى المعروف . وقد وجدت نقوش المجموعة الثانية فى منازل لعمود شمالي الحجاز ، حيث كانوا يقيمون حول القرن الثامن ق . م ، وكذلك فى منازل اللحيانيين الذين خلفوهم ، وأيضاً فى انصاف بحوران جنوبى دمشق ، ومن ثم سميت هذه النقوش باسم الثمودية واللحيانية والصفوية ، أما المجموعة الثالثة فقد كتبت بنقوش آرامية نبطية ، وهى أحدث من النقوش السابقة ، اذ يرجع اقدمها الى القرن الثالث الميلادى . ومعروف ان النبط استطاعوا أن يقضوا على اللحيانيين فى القرن الرابع ق . م ويؤسسوا فى شمال الحجاز مملكة كانت حاضرتها البتراء ، وظلوا بها حتى قضى عليهم الرومان فى اوائل القرن الثانى الميلادى ، وقصتهم مع ملكتها الزباء مشهورة . كما قضوا على دولتهم الثانية فى تدمر فى أواخر القرن الثالث الميلادى وواضح مما قدمنا ان عرب الجنوب حين ضعفوا اتجهوا الى الشمال فى الحجاز ، وهذا نفسه ما حدث لعرب الشمال امام الرومان ، فكان الحجاز كانت تضم الارستقراطية العربية الثمودية شمالا وجنوبا ، واستطاعت مكة أن تزعم هذه الارستقراطية ، فتحولت اليها مفاتيح القوافل التجارية . والمظنون أن اليمنيين قبل هجرتهم الى الشمال فى عصر الدولة الحميرية كانت لهم جاليات فى محطات قوافلهم على طول الطريق التجارى الى الشام والعراق . وانظر فى تاريخ عرب الجنوب والشمال كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على وتاريخ العرب لفيليب حتى وما ذكره من مصادر مختلفة ، وانظر ايضا كلمات قتيبان ومعين وسبأ وحضرموت والنبط وعمود ولحيان فى دائرة المعارف الإسلامية . وأولرى

O'leary, Arabia before Mohammed

والحمورابييون أو عمالقة العراق أقدم من أنشأ المدارس لتعليم الصغار على نحو ما هو جار الآن . وقد كشفوا في آثار زيبارا أنقاض مدرسة لتعليم الاطفال . وهذه أول مرة سمعنا بمدرسة مثل هذه في التمدن القديم أى منذ أربعة آلاف سنة ، وكان فيها (رقم) أو أحجار منقوشة عليها دروس للاطفال والاحداث في الحساب والهجاء وجداول الضرب والمعجمات ونحوها . واكتشفوا كثيرا من الكتب والرسائل المنقوشة على الاحجار أو الرقيم وأكثرها لحمورابى وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية والارصاد الفلكية والنصوص التاريخية والادعية الدينية . ومن أكبر أدلة الرقى فى ذلك العهد أن المرأة كانت متمتعة بحريتها واستقلالها مثل أرقى نساء هذا التمدن وكن يمارسن المهن القلمية ، وانتظم جماعة منهن فى خدمة الدواوين والمصالح الامرية ..

فاذا صح أن هذه الدولة عربية ، كان العرب أسبق أمم الارض الى سن الشرائع وتنشيط العلم ، وأنهم بلغوا فى نظام الاجتماع مالم يبلغ اليه معاصروهم ، وأدركوا من الرقى الاجتماعى ما لا يزال بعض الامم المتعدنة فى هذا العصر بعيدين عنه ..

ونحن فى غنى عن التنبيه الى أن قولنا ان الدولة الحمورابية عربية ليس مثل قولنا « دولة الاسلام عربية » . واذا صححت عربية تلك ، فلا يستلزم أن تكون لغتها مثل لغة القرآن ولا أن عاداتها ودياناتها مثل ما لعرب قريش .. فان بين الدولتين نحو ٢٥ قرنا ، والامم تتغير عاداتها ولغاتها بتغير الاقاليم وتوالى العصور

ولا يقتصر فضل الحمورابييين او عمالقة العراق على ما شادوه فيما بين النهرين وما خلفوه هناك من آثار مدنيتهم وعلمهم ، فقد نشروا ادابهم وديانتهم وشريعتهم فى جزيرة العرب وخصوصا فى البقاع العامرة منها ومن جملتها اليمن ومدين والحجاز ..

ويوجد تشابه بين شريعة موسى وشريعة حمورابى كما بينا ذلك فى الهلال العدد الخامس سنة ١٣ اذ أتينا بنصوص متقابلة متشابهة فى الشريعتين ، وحمورابى قبل موسى بثمانمئة سنة

#### سفر أيوب

ومما يعد من قبيل آداب العرب فى ذلك العصر سفر أيوب ، والمرجح عند أهل التحقيق أن صاحب هذا السفر فى التوراة عربى الاصل . نظم ذلك الكتاب شعرا عربيا فى نحو القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح الحمورابييين من بين النهرين ، ثم ترجم الى العبرانية وعد من الاسفار المقدسة ، وضاع أصله العربى كما ضاع أصل كليلة ودمنة الفارسى . فاذا ثبتت عربية سفر أيوب كان العرب أسبق الامم الى قرض الشعر ، لانه نظم قبل الياذة هو ميروس نألف سنة وقبل مهاياراتة الهند بعدة قرون

## ٢ - الجاهلية الثانية

### أو العصر الجاهلي قبيل الاسلام

من القرن الخامس للميلاد الى ظهور الاسلام

ان الحكم على ما تقدم من احوال الجاهلية الاولى مبنى على الحدس والتخمين لاستفراقه في تقدم وضياع اخبار تلك الجزيرة بمرور الايام . ولعلمهم اذ نشطوا للحفر والتنقيب كشفوا الستار عن هذه الظنون

الفرق بين لغة الجاهلية الاولى والثانية (\*)

وعلى كل حال ان عرب ذلك العهد القديم يختلفون عن عرب عصر الجاهلية الثانية قبيل الاسلام لغة ودينا وأدبا وخلقاً . . فالحمورابيون كان أكثرهم أهل حضارة وتمدن يتوطنون المنازل والمدن . وأما عرب الجاهلية الثانية ، فأكثرهم أهل بادية ونجع . . وكانت لغة الحمورابين أقرب الى الاشورية منها الى العربية ، فلغة أيوب اذا كانت عربية نهي غير عربية مضر التي وصلت إلينا من عرب قريش وسائر الحجاز . وقد يكون الفرق بينهما كثيراً جداً ، أكثر من الفرق بين لغة القرآن ولغة عامة مصر أو الشام الآن . . لان أهل هذين الاقليمين قيدوا أنفسهم بالمحافظة على لغة القرآن وأساليبه ، فكلما ساقتهم طبيعة النشوة نحو التغيير أعادهم التقليد الى الاصل . ولولا ذلك لكان الفرق بين لغة عامتنا واللغة الفصحى أبعد من ذلك كثيراً

قس مقدار الفرق بين لغة مضر ولغة عمالقة العراق بالفرق الذي وجدوه بين لغة عرب الشام في أوائل القرن الرابع للميلاد مما قرأوه على قبر امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة وبين لغة مضر عند ظهور الاسلام (\*\*) وذلك أنهم عثروا في أطلال النمارة في حوران على حجر عليه كتابة عربية بالخط النبطي

(\*) اتخذ المؤلف هنا من لغة الحمورابين أو البابليين مثالا للغة الجاهلية الاولى عند العرب ، واشربنا قبلا الى ما في ذلك من خطأ، فلغة الحمورابين شعبة سامية حقا ، ولكنها من أسرة أخرى غير الاسرة العربية التي تتفرع فرعين كبيرين ، فرع جنوبي يمني وفرع شمالي مضرى ، والفرعان يختلفان اختلافات جوهرية في لغتهما . ووجدت في الشمال نقوش كتبت بخط المسند الجنوبي ، وهي النقوش الثمودية واللحائية والصفوية ، وهي أقدم نقوش لجاهلية العرب الشماليين الاولى وتمتاز بخصائص لغوية ونموية تدل على ان تطورا واسعا حدث في اللغة العربية الشمالية قبل ان تجرى على لسان امرئ القيس ونظرائه من شعراء الجاهلية الثانية . . وأقرب من هذه النقوش الى العربية المضرية النقوش النبطية التي وجدت منذ القرن الثالث الميلادي ، وهي نقش أم الجمال ، نبذة من أعمال حوران بالشام ، وتاريخه سنة ٢٧٠ م ونقش النمارة الذي ذكره المؤلف ثم نقش زيد ، وتقع في الجنوب الشرقي لحلب ، وتاريخه ١١١ م ونقش حران اللجا ، بجنوبي دمشق ، وتاريخه سنة ٥٦٨ م

(\*\*) جعل المؤلف الفرق بين لغة السمر الجاهلي او لغة مضر وبين لغة البابليين كالفرق بين هذه اللغة المضرية ولغة نقش النمارة ، والفرق بين البابلية وبين العربية كالفرق بين العربية والعبرية او الحبشية مثلا ، اما نقش النمارة فهو من العربية الشمالية وليس من أسرة سامية أخرى ، بل ليس من العربية الجنوبية . وكل ما يمكن ان يقال أنه يرجع الى عصر سابق على التطور النهائي للعربية الشمالية ، حين كانت خصائص هذه اللغة تتطور وتشكل وتسير نحو الكمال المنتظر

نقشت في أوائل القرن الرابع للميلاد أي قبل الاسلام بثلاثة صورتها .

١ - ملك الاسديين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي و  
 ٢ - يزجو (?) في حبيج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزرو  
 ٣ - الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه  
 ٤ - عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده  
 ٥ - ملك الاسديين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي و

كتابة عربية بخط نبطي على قبر امرئ  
 القيس بن عمرو سنة ٢٢٨ م

واليك نصها كما تقرأ ، كل سطر على حدة :

- ١ - تى نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر
  - ٢ - وملك الاسديين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي و
  - ٣ - يزجو (?) في حبيج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزرو
  - ٤ - الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه
  - ٥ - عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده
- هذا لسان عربي تشويبه صبغة آرامية يحتاج تفهمها الى ايضا  
 تفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى وهو :
- ١ - هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى
  - ٢ - وأخضع قبيلتى أسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليو
  - ٣ - الظفر الى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معدا واستعمه
  - ٤ - على القبائل وأنا بهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك
  - ٥ - الى اليوم ٠٠ توفى سنة ٢٢٣ فى يوم ١٧ أيلول ( سبت  
 بنوه للسعادة

وكان أهل الشام وحوران وما يليهما يؤرخون فى ذلك العهد -  
 البصرى نسبة الى بصرى عاصمة حوران ، وهو يبدأ بدخولها فى -  
 سنة ١٠٥ للميلاد . فاذا أضيفت الى ٢٢٣ كان المجموع ٣٢٨ كد  
 السنة التى توفى فيها هذا الملك

انظر الى الفرق بين الاصل وتفسيره ، والمدة بين هذين العد  
 قرون ، فكيف تكون وبينهما بضعة وعشرون قرنا ؟ والتغير طبيع  
 ثقة عملا بناموس التشوؤ . . اعتبر ذلك فى الفرق بين اللغة اللات

الاصلية وما تخلف عنها من الايطالية والاسبانية وبين اللغة الانجليزية القديمة والحديثة وغير ذلك

فآداب العرب فى جاهليتهم الثانية يراد بها آدابهم قبيل الاسلام وهم أهل بادية لا يقرأون ولا يكتبون . . وانما جمعت هذه الآداب بعد الاسلام بالاخذ عن الافواه كما سيأتى

### ٣ - درجة ارتقاء عقول العرب

وقد يتبادر الى الاذهان أن أولئك البدو كانوا أهل جهالة وهمجية لبعدهم عن المدن وانقطاعهم للغزو والحرب . . ولكن يظهر مما وصل الينا من أخبارهم أنهم كانوا كبار العقول أهل ذكاء ونباهة واختبار وحكمة . وأكثر معارفهم من ثمار قرائحهم ، وهى تدل على صفاء أذهانهم وصدق نظرهم فى الطبيعة وأحوال الانسان مما لا يقل عن نظر أعظم الفلاسفة . فان قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته :

رأيت المنايا خبَطَ عَشْوَاءَ من تصب تمته ومن تخطىء يعمّر فيهم رم  
رأيت سفاهَ الشيخ لا حلم بعده وأن الفتى بعد السفاهة يَحْتَلِمُ  
وأعلم ما فى اليومِ والأمس قبله ولكننى عن علمٍ ما فى غد عمى  
ومن لم يُصَانع فى أمورٍ كثيرة يضرّسُ بأنيابٍ ويوطأ بمنسَم  
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَفِرُّه ومن لا يتق الشتم يشتم  
ومن يصنع المعروف فى غير أهله يَعدُّ حمده ذماً عليه ويندم  
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يَعتفها يوماً من الدهر يسأم  
ومهما تكن عند امرىءٍ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم  
لا يقل شيئاً عن احكام اكابر الفلاسفة . . وأنك تجد كثيراً من أمثال ذلك فى اشعارهم ، كأن الشعر وصلهم ناضجاً بعد أن عولج قرونا متطاولة ذهبت أخبارها . . فهم لذلك يشكون من أن أسلافهم لم يتركوا لهم معنى لم يطرقيه كقول عنتره :

« هل غادر الشعراء من متردم »

وقول زهير :

ما أَرَانَا نَقُولُ إِلا مُعَارَاً أَوْ مُعَادَا من قولنا مَكْرُورَا

### ارتقاؤهم فى السياسة والعمران

على أنك اذا نظرت فى لغتهم تبين لك أن أصحابها من ارقى الامم سياسياً واجتماعياً وأن عرفناهم بدوا رحالة . . واللفظة دليل أخلاق

الامة ومراة آدابها وسائر أحوالها . ومن المقرر الثابت ان اللغة لا تتولد فيها كلمة الا للتعبير عن معنى حدث في أذهان أصحابها . . . فاذا وجدنا في لغة من اللغات أسما لنوع من اللباس ، نحكم حكما قاطعا بأن أصحابها عرفوه او لبسوه ، او نوعا من الاطعمة عرفنا انهم اكلوه . وبمكس ذلك خلوها من أسماء بعض الادوات ، فانه يدلنا على جهلهم اياها . .

وقس على ذلك الالفاظ المعنوية التي تدل على المعاني المجردة كالعواطف والفضائل ، فان وجودها في اللغة يدل على أن أصحابها عرفوا تلك العواطف والفضائل . وعانوها . . ولذلك كانت لغات الامم المتوحشة خالية من هذه الالفاظ وامثالها . .

واللغة العربية من اقنى لغات الأرض بالالفاظ العمرانية والسياسية . . ان فيها عشرات من الالفاظ لضروب الجماعات من الناس على اختلاف أغراض اجتماعهم : كالشعب ، والجماعة ، واللجنة ، والزرافة ، والسرب ، والكوكبة ، والقوم ، والنفر ، والشزيمة ، والعصابة . ومثلها لاماكن الاجتماع : كالمحفل ، والنادي ، والندوة ، والمآثم ، والمجلس ، والموسم ، والمدرس ، والمصطبة (١) وعشرة منها للتعبير عن فرق الجند : كالجريدة ، وأنسرية ، والكتيبة ، وغيرها . وفيها للقلم والورق عشرات من الاسماء والالقب كالملقاط ، واليراع ، والانبوية ، والاسل ، والجلفة للقلم ، والقرطاس ، والطرس ، والمهرق ، والرق ، والطلس ، والمجلة ، والصحيفة . . ولكل منها معنى خاص

ومن أنواع الكتب : القمطر : كتاب الاعمال ، المدرس : الصك ، الزبور ، الرقيم ، والسفر : الكتاب الكبير ، والضبار : الكتب بلا واحد ، الرهنامج : كتاب الطريق وهو الكتاب الذي يسلك به اربابنة البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها ، الوصيرة : الصك للسجلات ، وقس على ذلك

وقد عالجوا ألفاظ لغتهم معالجة الاستثمار فأكثروا فيها من المترادفات التي يدل عشرات أو مئات منها على معنى واحد أو معان متشابهة . وتوسعوا في مدلول اللفظ الواحد حتى تعددت معانيه . . فعندهم للفظ العين بضعة وعشرون معنى ، ومثلها أو أكثر منها للفظ العجوز . وعشرات من المعاني لالفاظ الخال والخمر والدين والركن والغرب والحر وغيرها . وأقل من ذلك لكثير من الالفاظ مما لا مثيل له في أرقى لغات البشر . وهو يدل على تصرف أصحاب هذه اللغة بالمعاني والمباني لخصب عقولهم وسعة مداركهم . .

#### ارتقاؤهم في التجارة والاقتصاد

ومما يدل على توسعهم في المسائل الاقتصادية كثرة الالفاظ الدالة على المال . . فان منها بضعة وعشرين اسما لكل منها معنى من المعاني الاقتصادية التي ترجع الى الاستثمار وغيره ، منها : التلاد : المال الموروث ، الركاز :

(١) لطائف اللغة ٦٤ و ١٠٨



المال المدفون ، الضمار : المال لا يرجى ، أطراف : المال المستحدث ، التالد : المال القديم ونحو ذلك من أسماء النقود وأنواعها من الذهب والفضة . وعندهم للذهب وحده أكثر من عشرين اسما كل منها لنوع منه . وفي اللغة العربية مئات من الالفاظ للدلالة على أنواع الارض والتربة والطين باختلاف الخصب والجذب ونحو ذلك . ومن الأدلة على توسعهم في التجارة والأسفار كثرة أسماء السفن عندهم ، وهي عشرات لكل منها معنى خاص لشكل خاص من السفن . ويلحق بذلك أسماء الرياح وهي تزيد على المائة ، ولكل منها معنى يدل على نوع الريح وجهتها كقولهم « اذا وقعت الريح بين الريحين فهي النكباء ، فاذا هبت من جهات مختلفة فهي المتناوحة ، فاذا ابتدأت بشدة فهي النافحة ، فاذا حركت الاغصان وقلعت الاشجار فهي الزعزاع » . وقس على ذلك سائر اسمائها ، وهي تدل على توسعهم في معرفة الظواهر الجوية . ومن هذا القبيل أسماء الطرق وأنواع البقاع وغيرها مما يطول بنا شرحه . ومن قبيل المواد التجارية الموازين ، فانها كثيرة . واعتبر ذلك في كثرة أسماء أدوات الصناعة وأواني الاطعمة والرياش والاثاث واللباس مما لا يكاد يحصر . وتجد منه امثلة كثيرة في المخصص وفتح اللغة ولطائف اللغة وغيرها . . .

#### تعقلهم وآراؤهم

ولك في أمثالهم والكنيات في عباراتهم وما نشأ عندهم من الفنون العقلية التي تحتاج الى تفكير كالأحاجي والأفاز وفتيا العرب أدلة أخرى على ارتفاع أذهانهم وسمو مداركهم . واعتبر ذلك أيضا في مذاهبهم في الوجود فانها تدل على تفكيرهم ، وقد كان فيهم من ذلك العهد البعيد من يقول بمذهب اللادرية . فكان جندب بن عمرو يقول « ان الخلق خالقا لا اعلم ما هو » وهو قول جماعة من فلاسفة اليونان واليه يذهب كثير من المفكرين في هذا العصر ولا يبعد ان العرب اقتبسوا ذلك وأمثاله من مخالطة بعض العلماء الوافدين عليهم أو في أثناء وفودهم على الشام أو العراق وفيهما العلماء والفلاسفة . ومن هذا القبيل قول الاعشى وكان نصرانيا :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولسى الملامة الرجال

وهو مذهب فلسفي يراد به رفع التبعة عن الانسان . والمظنون ان الاعشى أخذ ذلك من بعض العباديين بالبحيرة . .

وترى أقوالهم الماثورة لا تخلو من كناية وخيال شعري وصدق نظر في الامور ، كالأقوال المنسوبة الى اكرم بن صيفي وغيره من حكمائهم . ويؤيد ذلك أن المسلمين لما تمدنوا وأنشأوا العلوم جعلوا أساس علومهم اللسانية والادبية والاجتماعية آداب العرب الجاهلية ، وما زالوا في كثير منها مقصرين عن ادراك الشاؤ الذي بلغ اليه أولئك البدو عشراء الجمال وسكنة الصخور والرمال . فالشعراء والخطباء والكتاب وأهل الادب في الاسلام

عمدتهم في اتقان صناعتهم الرجوع الى ما كان منها قبل الاسلام . والاداب الجاهلية أساس الاداب الاسلامية في ابان التمدن الاسلامي ، كما كانت الاداب اليونانية والرومانية أساس الاداب العصرية في التمدن الحديث . .

وكان للعرب في جاهليتهم ألقاب يلقبون بها النابغين منهم ، كما كان لسائر الامم المتمدنة قديما وحديثا . فاذا نبغ أحدهم في الشعر سموه « الشاعر » ونسبوه الى قبيلته ، فقالوا « شاعر تميم » أو عامر أو نحو ذلك ، فيكون هذا اللقب مميذا له عن سواه وكذلك الخطيب . واذا أمتاز أحدهم بالحكمة والفصل في الخصومة سموه « الحكم » مثل عامر بن الظرب ونحوه . وكان لهم لقب لا يعطى الا لمن أحرز كل الاداب والفضائل ، وهو لفظ « الكامل » فكانوا يلقبون به الرجل اذا كان شاعرا شجاعا كاتبا سابحا راميا وهو يشسبه لقب « علامة » اليوم ولقب « فيلسوف » عند اليونان القدماء وقد لقبوا به أرسطو ، ولعل العرب أقتبسوه منهم

فبناء على ذلك لا ينبغي لنا أن نستخف بأداب العرب قبل الاسلام ونحسبها قاصرة على الشعر والخطابة واللغة بل هي أكثر من ذلك . ولكن أكثرها ضاع لانها لم تدون ، فذهبت بذهاب الحفاظ بالحروب واشتغال الناس بالاسلام . . فنستدل بما بقي على ما كان . .

#### ٤ - المرأة في الجاهلية

ومن أكبر الادلة على رقي العرب في جاهليتهم ارتقاء نسائهم . . فقد كان للمرأة عندهم رأى وأرادة ، وكانت صاحبة أنفة ورفعة وحزم . . فنبغ غير واحدة منهن في السياسة والحرب والادب والشعر والتجارة والصناعة ، ولا سيما في أوائل الاسلام على اثر ما حصل من النهضة في النفوس وانعقول . فاشتهرت جماعة منهن بمناقب رفيعة تضرب بها الامثال وأكثرها في المدينة مقر الخلافة الاسلامية في ذلك العهد

#### الشهيرات في الشجاعة

فألواتى اشتهرن في الجاهلية بالشجاعة وشدة البطش أو قوة النفس ، منهن سلمى بنت عمرو إحدى نساء بنى عدى النجار . . فانها كانت امرأة شريفة لا تتزوج الرجال الا وأمرها بيدها ، اذا رأت من الرجل شيئا تركته على ان الفسالب في نساء الجاهلية ، أن يخيرن قبيل الزواج فلا يزوج الرجل ابنته الا بعد أن يشاورها . . واشتهرت التيمييات من نساء قريش بحظوتهن عند رجالهن وكبرياتهن وقسوتهن عليهم . ناهيك بمن اشتهرن منهن بالبسالة في أثناء الغزوات . ففي معركة أحد وقع لواء قريش في ساحة القتال ، فلم يزل صريعا حتى أخذته امرأة منهم اسمها عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعتهم لهم فلاذوا بها . وفعلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان في تلك المعركة ما لم يفعله الرجال وهي تنشد في تحريض قومها على الثبات . ولما انتهت الواقعة ، خرجت مع النسوة تمار جثث الموتى فوجدت

بينها جثة حمزة عم النبي فمثلت بها .. ثم علت صخرة وانشدت أشعارا  
تفخر بالفوز على المسلمين ..

ونساء الجاهلية كن يصحبن الرجال الى ساحة القتال ، فيداوين  
الجرحى ويحملن قرب الماء . وممن اشتهرن بالشجاعة أم عمارة بنت كعب  
الانصارية ، وأم حكيم بنت الحارث ، والخنساء الشاعرة أخت صخر  
وغيرهن ..

### الشهيرات في الرأي والحزم

ونبغ في الرأي والحزم غير واحدة اشهرهن خديجة بنت خويلد ، وكانت  
عاقلة حازمة لبيبة ذات شرف ومال ، تنتقى من اشتهر من الرجال بالامانة  
والحزم فتستأجرهم بمالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم . ولما سمعت  
بشهرة الرسول - قبل الدعوة - بالامانة وكرم الاخلاق بعثت اليه ان يخرج  
في مالها تاجرا الى الشام وتعطيه افضل ما كانت تعطى غيره من الرجال .  
فلما نجح في تجارته ، عرضت عليه ان يتزوج بها فأجابها . وهى اول من  
أسلم ، وقد نشطته للقيام بالدعوة فكان لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد  
عليه أو تكذيب له فيحزنه ويخبرها به الا ثبتته وخففت عنه وهونت عليه  
.. وما زالت على ذلك حتى ماتت (١) وهل اكبر نفسا من الخنساء عندما  
حرضت اولادها على الثبات في واقعة القادسية ، فلما بلغها انهم قتلوا في  
سبيل الجهاد قالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم »

### الشهيرات في الشعر والادب

وكان للمرأة في الجاهلية شأن في الشعر والادب وسائر العلوم ، فنبغ  
منهن عدة شواعر اشهرهن الخنساء وخرنق ، ولهما اشعار مطبوعة ومنشورة  
على حدة .. وهناك عشرات من النساء الشواعر ، ذهبت أشعارهن  
الا قليلا جاءنا عرضا في بعض الاخبار .. منهن كبشعة أخت عمرو بن معدى  
كرب ، وجليلة بنت مرة امرأة كليب الفارس المشهور ، ولها فيه مراث لم  
ينظم أحسن منها ، وميسة بنت جابر امرأة حارثة بن بدر وقد رثت زوجها ،  
وأميمة امرأة ابن الدمينه فقد قالت شعرا في عتابه لم يقل في العتاب أحسن  
منه . وسيأتى خبر ذلك في ترجمته ، وغيرهن مما يطول شرحه . وكان أبو  
نواس يروى لستين شاعرة من العرب

وكان عندهم خطيبات ، اشتهر منهن هند بنت الخس وهى الزرقاء  
وجمعة بنت حابس . وكان فيهن طبيبات أشهرهن زينب طبيبة بنى أود  
كانت تعرف الطب وتعالج العين والجراح ، غير من كن يرافقن المحاربين  
ويضمدن الجراح في ساحة الحرب  
وهناك طبقة من النساء شغفن بالشعر وحفظنه للمذاكرة به في المجالس ،

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ص ٥٦ ج ٥

فان عائشة أم المؤمنين كانت تحفظ كل شعر لبيد . ومنهن من كان الشعراء يتقاضون اليها لتحكم في أيهما أشعر ، كما فعلت جندب زوجة امرئ القيس اذ حكمها زوجها بينه وبين علقمة الفحل ، فحكمت حكما يدل على ذكاء ومعرفة كما سيجيء في ترجمة علقمة

وهناك جماعة نبغن في صدر الاسلام وفيهن مناقب الجاهلية . . كن يعتقدن المجالس للمذاكرة في الشعر وانتقاده ، كما كانت تفعل سكينه بنت الحسين فانها كانت تجمع الشعراء اليها وتحادثهم وتنتقدهم ، وأخبارها مشهورة . وكذلك عائشة بنت طلحة ، وكانت أديبة عالمة ولها مجالس أدب وشعر . وكان في مكة امرأة جزلة اسمها خرقاء عندها سباطان من الاعراب تحدثهم وتناشدهم بلا رب ولا سوء ظن . ومثلها عمرة امرأة أبي دهبيل الشاعر ، فقد كانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر قبل أن يتزوجها ، ومن هناك عرفها وتزوجها

فاجتماع الرجال والنساء للمحادثة والمذاكرة على هذه الصورة بلا ريبة ولا سوء ظن ، لم يبلغ اليه الناس الا في الامم الراقية وفي أرقى جماعاتهم وبالجملة فالامة التي تكون هذه حال نساؤها وينبغ فيها مثل من تقدم ذكرهن في الشجاعة والادب والشعر والراى أمة راقية

### ٥ - أقسام آداب العرب قبل الاسلام

تقسم آداب العرب قبل الاسلام الى علوم عربية أصلية اقتضتها اللغة العربية وأساليبها وقرائح أهلها ونسبها العلوم العربية . . وعلوم رياضية وأخرى طبيعية ونحوها ، وأكثرها دخيل على هذه الصورة :

العلوم العربية	العلوم الطبيعية	العلوم الرياضية	ما وراء الطبيعة
اللغة	الطب	الفلك	الكهانة
الشعر	البيطرة والخيل	الميثولوجيا	العيافة
الخطابة	مهاب الرياح	التوقيت	القيافة
النسب			تعبير الرؤيا
الامثال			الزجر
الاخبار			الخط في الرمل
مجالس الادب			
الاسواق			

فالعلوم العربية الاصلية أهمها كلها . . وهي التي كانت مطمح طلاب الادب بعد الاسلام ولا تزال ، فان بلاغة الجاهلية وشعر الجاهلية وأمثال الجاهلية لا يزال الادباء يتحدونها وينسجون على منوالها الى اليوم . أما العلوم الطبيعية فتند حوروها بما أخذوه عن اليونان والفرس ، وكذلك الرياضيات . أما علوم ما وراء الطبيعة فبعضها انقرض كالكهانة والقيافة والزجر ، وبعضها تبدل وتقدم كتعبير الرؤيا وخط الرمل . فنقدم الكلام في الهم منها

# اللغة العربية

هى احدى اللغات السامية . ويريدون باللغات السامية اللغات التى كان يتفاهم بها أبناء سام - وهم فى اصطلاحهم أهل ما بين النهرين وجزيرة العرب والشام - أشهرها العربية والسريانية والعبرائية والفينيقية والاشورية والبابلية والحبشية . ولم يبق حيا منها الا العربية والحبشية والعبرائية والسريانية . والعربية أرقاها جميعا

واللغات السامية أخوات لا يعرف لهن أم ، وظن بعضهم ان اللغة البابلية أو الاشورية القديمة أمهن ، كما أن اللغة اللاتينية أم اللغات الاسبانية والاطالية والبرتغالية ولكن المحققين لا يؤيدون ذلك . والمعول عليه ان هذه اللغات السامية أخوات انقرضت أمهن قبل زمن التاريخ

## ١ - تاريخ اللغة العربية

البحث فى تاريخ اللغة على العموم يتناول اولا : النظر فى نشأتها منذ تكونها مع ما مر عليها من الاحوال قبل زمن التاريخ ، كتكون الافعال والاسماء والحروف وتولد صيغ الاشتقاق واساليب التعبير ونحو ذلك . والبحث فى هذا كله من شأن الفلسفة اللغوية ، وقد فصلناه فى كتابنا « الفلسفة اللغوية » . ثانيا : النظر فيما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط أصحابها بالامم الاخرى ، فاكتمست من لغاتهم الفاظا وتعبيرات جديدة كما يقبض أهلها من عادات تلك الامم واخلاقهم وآدابهم ما يوافق ذلك من تنوع معانى الالفاظ بتنوع الاحوال ، مع حدوث صيغ جديدة والفاظ جديدة . ثالثا : النظر فى تاريخ ما حوته اللغة من العلوم والآداب باختلاف العصور وهو « تاريخ آداب اللغة » وهذا التقسيم تقريبي اذ لا تجد حدا فاصلا بين هذه الاقسام

واذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من مظاهر الامة كالآداب أو اللغة أو الشرائع أو غيرها باعتبار ما مر بها من الاحوال فى أثناء نموها وارتقائها وتفرعها ، رأيتها تسير فى نموها سيرا خفيا لا يشعر به الا بعد انقضاء الزمن الطويل . ويتخلل ذلك انسير البطيء وثبات قوية تاتى دفعة واحدة ، فتغير الشؤون تغيرا ظاهرا وهو ما يعبرون عنه بالنهضة . وسبب تلك النهضات فى الغالب احتكاك الافكار بالاختلاط بين الامم على اثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط أو خوف . .

أو يكون سبب الاختلاط ظهور نبي أو متشرع أو فيلسوف كبير أو نبوغ قائد طماع يحمل الناس على الفتح والغزو أو أمثال ذلك من الانقلابات السياسية أو الاجتماعية . فتتحاك الأفكار وتتمازج الطباع ، فتتنوع العادات والأخلاق والاديان والآداب ، واللغة تابعة لكل ذلك بل هي الحافظة لآثار ذلك التغيير فتدخرها قرورنا بعد زوال تلك العادات أو الآداب أو الشرائع ، وإذا تبدل شيء منها حفظت آثار تبديله

فاللغة العربية تعرضت لهذه الطوارئ مثل سائر اللغات الحية ، وتقلبت على أحوال شتى ، فتنوعت الفاظها بالنحت والابدال والقلب ، ودخلها كثير من الالفاظ الاعجمية في عصر مختلفة قبل أن تدون وتضبط في أزمنة لم يدركها التاريخ . وإنما نستدل على ذلك من درس الفاظها ومقابلتها بأخواتها وغيرها

واللغة العربية التي نحن بصدها هي لغة الحجاز التي وصلت إلينا . وكانت قبل الاسلام لغات عدة تعرف بلغات القبائل ، وبينها اختلاف في النطق والترتيب كلفات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها كما هو مشهور . . وأقرب هذه اللغات شباها باللغة السامية الاصلية ابعدها عن الاختلاط . وبعكس ذلك القبائل التي كانت تختلط بالامم الاخرى كاهل الحجاز مما يلي الشام وخصوصا أهل مكة من قريش ، فقد كانوا أهل تجارة وسفر شمالا الى الشام والعراف ومصر وجنوبا الى بلاد اليمن وشرقا الى خليج فارس وما وراءه وغربا الى بلاد الحبشة

فضلا عما كان يجتمع حول الكعبة من الامم المختلفة وفيهم الفرس والانباط واليمنية والاحباش والمصريون ، غير الذين كانوا ينزحون اليها من جالية اليهود والنصارى . فدعا ذلك كله الى ارتقاء اللغة بما تولد فيها أو دخلها من الاشتقاقات والتراكيب مما لا مثيل له في اللغات الاخرى

وزاد ذلك الاقتباس خصوصا بالنهضة التي حدثت في القرنين الاول والثاني قبل الاسلام بنزول الحبشة والفرس في اليمن والحجاز على أثر استبداد ذى نواس ملك اليمن ، وكان يهوديا فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس للميلاد وخصوصا أهل نجران . . فطلب اليهم اعتناق اليهودية ، فلما ابوا قتلهم حرقا وذبحا . فاستنجد بعضهم بالحبشة ، فحمل الاحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حيناً ، وأذلوا ملوكها أعواما . ثم أنف احد امرائها « ذو يزن » فاستنجد الفرس على عهد كسرى أنو شروان ، فأنجده طمعا في الفتح ، فأخرج الاحباش من اليمن بعد أن ملكوها نحو سبعين سنة وكانوا في أثناء ذلك يترددون على الحجاز ، وحاولوا فتحه في أواسط القرن الخامس فجاءوا مكة بأقيالهم ورجالهم ولم يفلحوا ، واهتم أهل الحجاز بقدم الحبشة الى مكة حتى أرخوا به ، وهو عام الفيل . ولما فتح الفرس اليمن أقاموا فيها واختلطوا بأهلها بالمبايعة والزوجة وتوطنوا ، وكانوا يقدمون الى الحجاز ، وأهل الحجاز يترددون اليهم

## ٢ - ما دخلها من الالفاظ الاعجمية (\*)

غير ما طرأ عليها من التغيير والتبديل قبل زمن التاريخ فتكاثرت الفاظها ومشتقاتها ودخلها كثير من الالفاظ الاجنبية . وغير ما اقتبسته من التراكيب الغريبة ، ولكن اكثره ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز اصله . على اننا نستدل على تكاثر الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو اخواتها من امثال تلك الالفاظ . فذا رأينا لفظا في العربية ولم نر له شبيها في العبرانية أو السريانية أو الحبشية ، ترجح عندنا أنه دخيل فيها . واكثر ما يكون ذلك أسماء العقاقير أو الادوات أو المصنوعات أو المعادن أو نحوها مما يحمل الى بلاد العرب من بلاد الفرس أو الروم أو الهند أو غيرها ، ولم يكن للعرب معرفة به من قبل . أو في أسماء بعض المصطلحات الدينية أو الأدبية ، واكثر هذا منقول عن العبرانية أو الحبشية لأن اليهود والاحباش من اهل الكتاب

### الالفاظ الفارسية واليونانية

ويقال بالاجمال ان العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها ، ولذلك رأينا أئمة اللغة اذا أشكل عليهم أصل بعض الالفاظ الاعجمية عدوها فارسية . ومن أمثلة ما ذكره صاحب الزهر من الالفاظ الفارسية : « الكوز الجرة الابريق الطشت الخوان الطباق القصعة السكرجة السمور السنجاب التاقم الفنك الدلق الخز الديباج التاخج السندس السياقوت الفيروزج البلور الكعك الدرهم الجردق السميذ السكباج الزيرباج الاسفيداج الطهاج الفالوزج اللوزينج الجوزينج التفرينج الجلاب السكينجين الجلنجين الدارصيني القفل الكرويا الزنجيل الخولنجان القرفة النرجس البنفسج النسرين انخري السوسن المرزنجوش الياسمين الجلنار المسك العنبر الكافور الصندل القرنفل » وعندنا أن بعض هذه الالفاظ غير فارسي كما سترى ومما اقتبسوه من اليونانية واللاتينية الفردوس والقسطاس والبطاقة والقرسطون والقبان والاسطراب والقسطل والقنطار والبطريق والترياق والقنطرة وغيرها كثير

### الالفاظ الحبشية والعبرانية

واما ما نقلوه عن الحبشية فأكثره لا يدل على أصله لتغير شكله ، ولان الحبشية والعربية اختان تتشابه الالفاظ فيهما . والمشهور عند علماء العربية من الالفاظ المقتبسة من الحبشية ثلاثة : كفلين والمشكاة والهرج . لكننا لان شك في انهم اقتبسوا كثيرا غيرها وخصوصا فيما يتعلق بالمصطلحات الدينية من ذلك قولهم « المنبر » وهو عند العرب « مكان مرتفع في الجامع أو

(\*) راجع في هذا الموضوع كتاب التطور النحوي للغة العربية لبرجستراسر ( طبع مطبعة السماح ١٩٢٩ م ) ص ١٤٢ - ١٥٤ وهو سلسلة محاضرات القاها بجامعة القاهرة ، بحث فيها دخول الالفاظ الاجنبية الى العربية في الجاهلية بحثنا علميا دقيقا

الكنيسة يقف فيه الخطيب او الواعظ « وقد اشتقه صاحب القاموس من « نبر » أى ارتفع وفي ذلك الاشتقاق تكلف . وعندنا أنه منقول عن « منبر » من الحبشية أى كرسى أو مجلس أو عرش

ومن هذا القبيل لفظ « النفاق » وهو عند العرب « ستر الكفر فى القلب واطهار الايمان » وقد اشتقوه من « نفق » راج أو رغب فيه ، وليس بين المعنيين تناسب فاضطروا لتعليه الى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا « ومنه اشتقاق المناق فى الدين » وهو تكلف نحن فى غنى عنه اذا عرفنا ان « نفاق » فى الحبشية معناها الهرطقة أو البدعة أو الضلال فى الدين . وهى من التعبيرات النصرانية التى شاعت فى الحبشة بدخول النصرانية فيها وكذلك لفظ « الحوارى » اشتقه صاحب القاموس من « حار » بمعنى البياض وتال فى معنى الحوارى « انه سمي بذلك لخلوص نية الحواريين ونقاء سريرتهم أو لانهم كانوا يلبسون الثياب البيض » . والظاهر عندنا أن هذه اللفظة معرب حوارى فى الحبشية ومعناها فيها « الرسول » وهو المعنى المراد بها فى العربية تماما

وكذلك « برهان » اشتقها صاحب القاموس من « برهن » واشتقها غيره من « بره » بمعنى أقطع وأن النون زائدة فيها وهى فى الحبشية « برهان » أى النور أو الايضاح مشتقة من « بره » أى اتضح أو انار

. وقس على ذلك كثيرا من أمثاله كالمصحف . فانه حبشى من « صحف » أى كتب والمصحف الكتاب ٠٠ ناهيك بأسماء الحيوانات او النباتات أو نحوها فان « عنيسة » من أسماء الاسد عند العرب وهى الاسد بالحبشية

وقد أخذوا عن العبرانية كثيرا من الالفاظ السدنية كالحجج والكاهن والعاشوراء وغيرها ، وأكثرها نقل الى الصيغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى فى اللغتين لانهما شقيقتان ، ويضيق هذا المقام عن ايراد الامثلة

#### الالفاظ السنسكريتية

ولا ريب فى أن العرب اقتبسوا كثيرا من الالفاظ السنسكريتية ممن كان يخالطهم من الهنود فى أثناء الاسفار للتجارة أو الحج ، لان جزيرة العرب كانت واسطة الاتصال بين الشرق والغرب . فكل تجارات الهند المحمولة الى مصر أو الشام أو المغرب كانت تمر ببلاد العرب ، وكان للعرب فى حملها أو ترويجها شأن . وقد عثرنا فى السنسكريتية على الفاظ تشبه الفاظا عربية تغلب أن تكون سنسكريتية الاصل لخلو اخوات العربية من أمثالها كقولهم « صبح » و « بهاء » فانهما فى السنسكريتية بهذا اللفظ تماما ويدلان على الاشراق أو الاضاءة . ولا يعقل انهما مأخوذان عن العربية لان السنسكريتية دونت قبل العربية بزمان مديد . ونظن لفظ « سفينة » سنسكريتى الاصل أيضا وكذلك « ضياء » ولعلنا بزيادة درسنا اللغة السنسكريتية يتكشف لنا كثير من أمثال ذلك ٠٠

على أننا نرجح أن العرب اخذوا عن الهنود كثيرا من المصطلحات التجارية واسماء السفن وادواتها واسماء الحجارة الكريمة والعقاقير والاطياب مما



يحمل من بلاد الهند . والعرب يعدونها عربية أو يلحقونها بالالفاظ الفارسية نساها ، كالمسك مثلا ، فقد رأيت صاحب الزهر يعده فارسيا ، وهكذا يقون صاحب القاموس ، وهو في الحقيقة سنسكريتي ، ولفظه فيها « مشكاة » . وذكروا « انكافور » بين الالفاظ الفارسية وهو هندي على لغة أهل ملقا ولفظه عندهم « كابور » . وقد ذكروا أيضا أن القرنفل فارسي ، والغالب عندنا أنه سنسكريتي لان أصله من الهند ، وقس عليه

وفي كتابنا « تاريخ اللغة العربية » فصل ضاف في هذا الموضوع بينا فيه القاعدة في تعيين أصول الالفاظ الاعجمية ، واوردنا كثيرا من الالفاظ المنقولة للعربية من اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية والحشية ، وائمة اللغة يعدونها عربية ، وفصل آخر فيما لحق اللغة العربية من التفسير في الفاظها بمقابلتها بأخواتها : (١)

### ٣ - كيف كانت اللغة العربية لما جاء الاسلام ؟

ليس ما قدمناه واشرنا اليه من تاريخ تكون اللغة العربية وترقيها الا فذلكة مثلنا بها ذلك التاريخ . ولا يستطاع تفصيله وتعيين التقلبات التي مرت بها هذه اللغة قبل الاسلام ، اذ ليس لدينا أمثلة مدونة يرجع اليها أو يقاس عليها ، غير ما قدمناه مما وجدوه منقوشا على قبر امرئ القيس (\*\*) وهو لا يشقى غليلا . ولو أن أشعار أيوب كانت مدونة كما دوت الباذة هوميروس مثلا ، لاستخرجنا من المقابلة بين لغتها ولغة الجاهلية الثانية تاريخ تقلب الالفاظ والتعابير . . كما فعل اليونان في بيان الفروق بين لغة الاياداة ولغات ما دون بعدها . وكما فعلنا في تدوين تاريخ اللغة العربية بعد الاسلام ، وما تقلبت عليه من تبدل الالفاظ وتفرعها وتنوعها ودخول الالفاظ والتراكيب الاعجمية ، وما اخذته من كل لغة حسب الاطوار التي مرت بها (٢) وكما يفعل فلاسفة اللغة في رد اللغات الحية الاوربية الى أصولها اللاتينية والجرمانية واليونانية ومهما يكن من تاريخ اللغة العربية القديم ، فقد عرفناها عند ظهور الاسلام ناضجة وقد تفرعت الى لغات باختلاف الاصقاع والقبائل ، فدون المسلمون احدي تلك اللغات مع أمثلة من سائر اللغات على ما سنبينه

### ٤ - البلاد التي كان أهلها يتكلمون العربية قبل الاسلام

اذا نظرت الى الخريطة اليوم ، رأيت الناطقين بالعربية منتشرين في غربي البحر المتوسط وجنوبيه الى الشام والعراق وما بين النهرين وفي جزيرة العرب وفي مصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وعلى شواطئ البحر الاحمر وفي السودان وغيرها من اواسط افريقيا وعلى شواطئ افريقيا الشرقية وغيرها . . غير الذين يتعلمون العربية للمعاملات الدينية ، وهم

(١) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ١٠ - ٢١ طبعة ثانية  
 (\*\*\*) سبق أن ذكرنا في ص ٣٢ نقوشا أخرى عشر عليها المنقبون غير نقش امرئ القيس المذكور  
 (٢) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ٢٢ - ٦٣ طبعة ثانية

المسلمون في أكثر أنحاء المعمورة في فارس وخراسان وافغانستان وتركستان والهند والصين وجزائر الهند الشرقية وسائر البلاد التي دخلها الاسلام في القارات الخمس

اما قبل الاسلام ، فقد كانت اللغة العربية محصورة في جزيرة العرب وما يليها من مشارف الشام والعراق الى تدمر وفي بادية الجزيرة « بين النهرين » وفي جزيرة سينا وقليل بعدها في صحراء مصر الشرقية (١)

ويعسر تقدير احصاء العرب في ذلك العهد ، كما يعسر تقديره اليوم ، لاعتماد أولئك الأقوام على الرحلة والتنقل في البوادي . . ولكننا نحسبهم لا يزيدون على بضعة ملايين ، اكثرهم من اهل البادية متفرقون قبائل وعشائر وافخاذا وبطونا في الحجاز ونجد واليمن وتهامة وحضرموت وعمان والاحساء والبحرين وفي بادية الشام والعراق . يندر فيهم المتحضرون سكان المدن ، اذ لم يكن يومئذ من المدن العامرة في جزيرة العرب غير مكة والمدينة والطائف بالحجاز ، وصنعاء في اليمن وبعض المزارات في أواسط الجزيرة وبعض الثغور على الشواطئ

فالعمل في احصاء العرب على اهل البادية ، وكانوا ينقسمون حسب قبائلهم ، وكانت تلك القبائل مع كونها رحالة تنحصر رحلتها غالبا في بقعة من بقاع الجزيرة مالم يطرأ عليها طارئ يبعثها على الانتقال الى بقعة أخرى، كما اصاب قبائل عدنان في القرون الأولى قبيل الميلاد وبعده . . اذ كانت تقيم في تهامة ثم تفرقت فيها وفي الحجاز ونجد . وكانت القبائل القحطانية في اليمن ، تم انتشرت في سائر جزيرة العرب . ولكل انتقال سبب طبيعي أو سياسي أو غير ذلك مما يطول شرحه ، وقد فصلناه في كتابنا « العرب قبل الاسلام »

فلما جاء الاسلام كانت قبائل العرب البادية أكثرها في نجد وتهامة والحجاز والاحساء ومشارف الشام والعراق ومعظمها من العدنانية ، كما تجد ذلك مبينا في الخريطة . .

وبالقياس على ما نشاهده اليوم من تعدد لغات - أو لهجات - المتكلمين بالعربية في الشام والعراق ومصر والمغرب وما بينها من الاختلاف لفظيا وتركيبيا ، مع أن الاصل واحد فيها جميعا « لغة مضر » نعتقد أن لغات تلك القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض ويزداد الفرق بينها بزيادة البعد وباختلاف ما يجاورها من غير العرب . فلغات أواسط جزيرة العرب وإن بعدت الشقة بينها كانت أكثر تقاربا مما بينها وبين لغات اهل الشواطئ لاختلاط هؤلاء بالاعاجم على شواطئ خليج العجم والبحر الاحمر من جالية الفرس والهند والاحباش وغيرهم ، أو عند مشارف الشام لاختلاطهم بأهل المدن من السريان أو الزوم أو الانباط في الشام والعراق . ولما نهض المسلمون في صدر الاسلام لجمع اللغة . لاحظوا هذه الاعتبارات التماسا لاختيار احسن اللغات وبعدها عن العجمة . .

(١) راجع خريطة جزيرة العرب ص ١٠٤ من تاريخ العرب قبل الاسلام

## ٥ - فروع اللغة العربية

وإذا أمعنت النظر في الخريطة ، رأيت أكثر سكان اواسط جزيرة العرب من قبائل مضر ٠٠ واعظمتها يومئذ تميم في شرقي نجد ، وغطفان « عبس رذبيان » وسليم وغيرهما في نجد ، وارقاها قريش في مكة ، وكان من القبائل القحطانية هناك طيء في نجد ومذحج في أطراف الحجاز ٠ وأكثر السكان في الشمال الشرقي من ربيعة ، ومنهم بكر وتغلب في بادية العراق والجزيرة

فبلغت هذه القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض باختلاف اصولها ومساكنها ، وكان الاختلاف على معظمه بين لغات اليمن ولغات الحجاز ونجد أى بين جنوب الجزيرة وشمالها ٠ واحسن مثال للغات الجنوب ماخلفه الحميريون من الآثار بالحرف المسند ، واحسن مثال للغة الحجاز لغة القرآن وشعر الجاهلية، والفرق بين اللغتين كبير ٠ والعرب يسمون لغة قدماء اليمنيين « المسند » . ولبن أقام حول اليمن من العرب لغات لعلها فروع من لغة اليمن ٠ وكان لكل اقليم منها لسان يختلف عن السنة سائر الاقاليم وله اسم خاص يعترف به ، وهى :

- المسند : لغة في اليمن
- الزبور : لغة حضرموت وبعض اليمن
- الرشق : لغة عدن والجنند
- الحويل : لغة مهرة والشحر
- الزقزقة : لغة الاشعريين

هذا هو تقسيم العرب للغات اليمن (✱) ، ويرى العلماء اليوم ان بعضها غير عربى ولكن أكثرها ذهب ولا سبيل الى تحقيق ذلك  
أما لغات أهل الحجاز ونجد وسائر الشمال وهم العدنانيون ، فترجع الى أصل واحد يسمونه « الميين » وهو الباقي الى الآن ومنه لغة القرآن وقد تغلب على سائر اللسان وانتشر مع المسلمين في الارض

### اللسان الميين

فاللسان الميين كان يتكلمه عرب الشمال وهم قبائل كثيرة كما رأيت ، وبينها فروق في معانى الالفاظ ونطقها وفي أساليب التركيب . ولكن الاسلام ذهب بها جميعا الى لغة قريش « لغة القرآن » وما اختاره علماء اللغة من الفاظ القبائل الاخرى ، ولهم يبق من لغات هذه القبائل الى الآن الا أمثلة ذكرها علماء اللغة عرضا من باب العيوب وأكثرها في قبائل ربيعة ٠٠ مثال ذلك انهم كانوا يزيدون بعد ضمير المخاطب المفرد شيئا ، فيقولون عليكش وبكش بدلا من عليك وبك . وجاء في بعض الكتب أنهم يدلون الكاف شيئا ؛

(✱) يقسم علماء الساميات مجموعة اللغات العربية الجنوبية الى قتبانية ومعينية وسبئية وحميرية وحضرمية وما يتصل بها من مهريه وشحرية

فيقولون عيش بدل عليك .. وهي في الحالين غير الشين التي يدخلها عامة المصريين على الاستفهام

ومن بقايا لغات القبائل ان بنى تميم كانوا يلفظون الهمزة اذا وقعت في اول الكلمة عينا ، فيقولون في « أسلم » « عسلم » ويسمونها العنعة ، وكان الهذليون وهم قبيلة من مضر يجعلون الحاء عينا ويسمونها الفحفة .. ومنها العجمجة في قضاة وهي ان يجعلوا الياء المشددة جيما فيقولون في تميمي تميمج . والاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهي ان يقولوا انطى بدل اعطى . وعند بعض القبائل حروف لا توجد عند سواها كالحرف بين القاف والكاف في لغة تميم لعله كالکاف الفارسية . وذكر صاحب المزهرة أمثلة كثيرة من هذه العيوب (١)

ومن اللغات الشاذة التي تفيدنا في الرجوع الى أصل اللغة العربية، استعمال الذال للموصول بدل « الذي » فان بعض العرب ( قبيلة طي ) يقولون « فلان ذو سمعت به » أي الذي سمعت به ، وهو تركيب آرامي أو بابلي من بقايا القرابة بين العرب والحموريين . ومن هذا القبيل كسر اول فعل المضارع كما يفعل سريان هذه الايام ، فانه كان عاما في قبائل العرب الا في قریش واسد (٢) ولغات القبائل المنتشرة اليها ظلت بعد الاسلام مدة ، ثم أخذت تنقرض بالتدريج وحلت لغة قریش محلها .. ليس في جزيرة العرب فقط بل في كل بلد دخله الاسلام ..

على أن ما بعده أئمة اللغة عيوباً في لغات هذه القبائل ، إنما يصح تسميته بذلك بالنظر الى اللغة التي اختاروها لا بالنظر الى اللغة نفسها .. فان استعمال « ذو » للموصول لم يسموه عيباً الا لانه يخالف المألوف في لغة قریش ، ولو القود لفضلوه على « الذي » . وعلى كل حال فان علماء اللغة لما قاموا لجمع اللغة تخيروا من لغات تلك القبائل احسن ما فيها بالنظر الى اذواقهم ومألوفهم . وأكثر ما أخذوه من قيس و تميم واسد ، وسنعود الى ذلك عند الكلام عن جمع اللغة وتدوينها ..

(١) المزهرة ١٠٩ ج ١  
(٢) المزهرة ١٢٤ و ٢٥٢ ج ١

# مميزات اللغة العربية

للغة العربية كما وصلت اليها خصائص تميزها من سواها ، وتدلل على مبلغ عقول اصحابها من الرقى وان كانوا بادية راحلين ، وهذه هي مميزاتها :

## ١ - الاعراب

نعنى بالاعراب تغير أو اآخر الكلمات بتغير العوامل الداخلة عليها بالرفع والنصب والجر والسكون . واللغات الحية في العالم المتمدن الآن تعد بالعشرات ، ليس بينها من اللغات المعربة الا ثلاث : وهي العربية والحبشية ، واللغة الالمانية . والظاهر أن الاعراب من خصائص التمدن القديم ، لان لغات ذلك التمدن كان معظمها معربا ، كذلك كانت اللغات البابلية ( الاشورية ) والعربية واليونانية واللاتينية والسنسكريتية . واللغات التي تخلفت عن تلك الامهات جاءت خالية من حركات الاعراب . فاللغات التي تخلفت عن اللاتينية في أوربا وعن السنسكريتية في الهند وإيران غير معربة . وكذلك اللغات التي تخلفت عن اللغة البابلية وهي السريانية والكلدانية لم يبق فيها اعراب . ومثلها اللغات التي تخلفت عن اللغة العربية ، نعنى لغات العامة في الاصقاع العربية اليوم فانها غير معربة . . . . . كان الاعراب اذا ترك لمجارى الطبيعة لا يعيش في الرخاء طويلا ، وانما يعيش في البادية أو نحوها من أحوال الخشونة أو القوة . . . الا اذا أراد أصحابه تقييد لغتهم بالقواعد ، كما فعل العرب والامان . على أن اللغة العربية سارت سيرها الطبيعي على السنة العامة ، فذهب الاعراب منها

ومما يحسن قوله أن اللغات السامية القديمة على كثرتها ، اختص منها بالاعراب لغة بابل ( الاشورية ) واللغة العربية . ولعل في ذلك ما يدل على وحدة أصل العرب والحمورابيين ، وأن الامتين كانتا أمة واحدة تتكلم لسانا واحدا معربا . . . فتحضر الحمورابيون وظل العرب بادية ومنهم العمالقة . فلما تمدن الحمورابيون وركنوا الى الرخاء ، ذهب الاعراب من لسانهم وبقي في كتاباتهم المنقوشة ، كما أصاب العرب بعد قيام دولتهم وتقييد لغتهم ، فنشأ من بقايا البابليين أمة لغتها غير معربة هم السريان والكلدان . كما نشأ من العرب أقوام لا يعرفون كلامهم ، وهم عامة الشام ومصر وغيرهما من بلاد العرب ، وكان أجدادهم في البادية يعرفونه . . .

## ٢ - دقة التعبير

وتمتاز اللغة العربية بدقة التعبير بألفاظها وتراكيبها . . أما الالفاظ ففيها لكل معنى لفظ خاص ، وحتى أشباه المعاني أو فروعها وجزئياتها . وقد ذكرنا أمثلة من ذلك فيما تقدم . ومن أمثلة دقة التعبير فيها وجود الالفاظ لتأدية فروع المعاني أو جزئياتها ، فعندهم لكل ساعة من ساعات النهار اسم خاص به . فالساعة الأولى الذرور ، ثم اليزوغ ، ثم الضحى ، ثم الغزالة ، ثم الهاجرة ، ثم الزوال ، ثم العصر ، ثم الاصيل ، ثم الصبوب ، ثم الحدور ، ثم الغروب . ويقال فيها أيضا البكور ، ثم الشروق ، فالاشراق ، فالرأد ، فالضحى ، فالمتوع ، فالهاجرة ، فالاصيل ، فالعصر ، فالطفل ، فالحدور ، فالغروب

وعندهم اسم لكل ليلة من ليالي القمر . . وتجد للمعنى الواحد عدة الفاظ ، يعبر كل منها عن تنوع من تنوعات ذلك المعنى . . فلشعر مثلا أسماء عدة حسب منبته ، كالفروة لشعر معظم الرأس ، والناصية لشعر مقدم الرأس ، والنؤابة شعر مؤخرة الرأس ، والفرع شعر رأس المرأة ، والغديرة شعر ذؤابتها ، والدبب شعر وجهها الى غير ذلك . . وهو كثير . وقس عليه أسماء المعايب ، والغطش ، والجهر . ولكل منها معنى خاص مما لا مثيل له في ارقى لغات البشر قديما وحديثا

واعتبر ذلك تفرع معاني الافعال ، كتفرع فعل النظر الى : رمق ، ولمح ، وحجج ، وشفن ، وتوضح ، ورنأ ، واستكف ، واستشف . ومثلها فروع أفعال الجلوس والقيام والمشي والنوم وضروب الاصوات للحيوان والانسان وغير ذلك . وفي المخصص وفقه اللغة ألوف من هذه الأمثلة . ولا خلاف في أن ذلك من أدلة الارتقاء . . ناهيك بالمترادفات في الاوصاف ، وهي أكثر من أن تحصى . ولعل العربية أغنى اللغات في الالفاظ المعبرة عن المعاني المجردة وانفعالات العواطف . . ففيها لانواع الحب نحو عشرة ألفاظ ، ومثلها للبعض والحسد والطمع وغيرها

ومن وسائل دقة التعبير في العربية مزيدات الافعال ، فان صيغ المشاركة تعبر باللفظ الواحد عن معان لا يعبر عنها في اللغات الأخرى الا بعدة ألفاظ ، كقولنا تقائلوا وتقاضوا ، وهذه الصيغة خاصة بالعربية

## ٣ - الاعجاز والايجاز

لكل قوم اعجاز في لغتهم فيدلون بلفظه قليل على معنى كثير ، ولكن العرب أقدر على ذلك من سواهم ، لان لغتهم تساعدهم عليه وقد تعودوه وألفوه ، ومنه في القرآن والحديث والامثال وكتب الفقه والشرع والادب أمثلة كثيرة ، ومن هذا القبيل استعمال المجاز والكناية وسائر اساليب البديع ، فانها في العربية أرقى مما في سواها لانها لغة شعرية كثيرة الكنايات والاشارات يسهل فيها التعمية والالغاز . ولذلك رأيت في أخبار أهل البادية أمثلة كثيرة من هذا القبيل تدل على الذكاء وامتلاك ناصية اللغة ، كقول جاسوس

منهم وقع في أيدي الأعداء فحبسوه وألزموه أن يكتب كتابا إلى ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويوهمه بقله عددهم وأسلحتهم غشا وتغريرا . فكتب إلى الملك كتابا قال فيه :

« أما بعد فقد أحطت علما بالقوم وأصبحت مستريحا من السعي في تعرف أحوالهم ، واني قد استضعفتهم بالنسبة إليكم . وقد كنت أعهد في أخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في العاقبة، فقد تحققت أنكم الفئة الغالبة باذن الله . ولقد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك . ونصحت فدع ريبك . ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب إلى العدو فأرسلوه إلى الملك بعد ما اطلعوا عليه . فظن الملك لما أراد الكاتب ، وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع في الاسر فأصبح مستريحا من السعي ، وأنه رأهم أضعافنا واننا قليل بالنسبة لهم اذ مسح بآية « كم من فئة قليلة » . ولفتني إلى الأناة اذ جعلها عادة لي . وأراد قلب حروف الجملة الأخيرة ، فتكون : « كلهم عدو كبير عد فتحصن » (\*).

#### ٤ - المترادفات والاضداد

في كل لغة مترادفات أي عدة ألفاظ للمعنى الواحد ، ولكن العرب فاقوا في ذلك سائر أمم الأرض . . ففي لغتهم للسنة ٢٤ اسما وللنور ٢١ اسما وللظلام ٥٢ اسما وللشمس ٢٩ اسما وللسحاب ٥٠ وللمطر ٦٤ وللبر ٨٨ اسما وللماء ١٧٠ اسما وللبن ١٣ اسما وللعسل نحو ذلك وللخمر مئة اسم وللأسد ٣٥٠ اسما وللحية مئة اسم ومثل ذلك للجمل ، أما الناقة فأسماؤها ٢٥٥ اسما . وقس على ذلك أسماء الثور والفرس والحمار وغيرها من الحيوانات التي كانت مألوفة عند العرب ، وأسماء الأسلحة كالسيف والرمح وغيرها . . ناهيك بمترادف الصفات ، فعندهم للطويل ٩١ لفظا ، وللقصير ١٦٠ لفظا ، ونحو ذلك للشجاع والكريم والبخيل مما يضيق المقام عن استيفائه . .

وأسباب كثرة المترادفات في العربية متنوعة ، منها أن كثيرا من أسماء الحيوانات أصلها نعوت ثم صارت أسماء ، وبعضها مأخوذ عن لغة أخرى . فمن أسماء الأسد مثلا : الحطام ، والخطار ، والأصيد ، والشديد ، والراهب ، والمرهوب ، والمهوب ، والأغلب ، والأصهب ، والمجرب ، والباسل ، والميأس ، ونحوها ، وهي نعوت لطبائع الأسد وظواهره . ومن أسبابه عنبسة ، وهو اسمه بالحشية . وقد يكون السبب في زيادة المترادفات استعارة أسماء حيوانات أخرى للدلالة على هذا الحيوان يكون بها عن بعض طبائعه

ومن خصائص اللغة العربية أسماء الاضداد ، فان فيها مئات من الالفاظ

(\* هذه القصة بينة الانتحال ، وهي مع ذلك ليست قصة جاهلية فما فيها من إشارة إلى بعض آي الذكر الحكيم يجعلها - ان صحت - اسلامية وليست جاهلية

يدل كل منها على معنيين متضادين مثل قولهم « قعد » للقيام والجلوس  
 و « نضح » للعطش والرى و « ذاب » للسيولة والأجمود و « أهد » للاسراع  
 والابطاء « واقوى » للافتقار والاستغناء

#### ٥ - المعاني الكثيرة للفظ الواحد

ومن خصائصها أيضا دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة ، فمن الفاظها  
 نيف ومثنا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان ، ونيف ومئة ألفظ يدل الواحد  
 منها على أربعة ومثلها التي تدل على خمسة معان . وقس على ذلك ما يدل  
 على ستة معان فسبعة فثمانية فتسعة الى خمسة وعشرين معنى كالحميم .  
 ومما تزيد مدلولاته على ذلك « الخال » فانها تدل على ٢٧ معنى ولللفظ  
 « العين » ٣٥ معنى ولللفظ « العجوز » ٦٠ معنى

#### ٦ - السجع وغيره من أسباب سعة اللغة

ان كثرة المترادفات في اللغة العربية وتعداد المعاني للفظ الواحد جعلتها  
 وسعة التعبير وسهلت على أصحابها التسجيع . وكان التسجيع شائعا في  
 الجاهلية بلغة الكهان (\*) على أساليب يستقبحها أهل اللغة لغرابة الفاظها  
 وركاكة تركيبها

ومن نتائج سعتها اقتدار اصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب  
 بين عاطل ومهمل ومنقط او مشترك . وقد علمنا أن بعضهم كتب تفسير  
 القرآن بالفاظ ليس فيها حرف منقط . وهناك تراكيب يشترط فيها اذا  
 قرأ الاثنع لا تظهر لثغته لخلوها من الراء . وقد خطب وأصل بن عطاء خطة  
 طويلة أم يرد فيها حرف الراء ، وكان اذا قال شعرا لم يورد فيه حرف  
 الراء على الاطلاق (١) وذلك لا يتيسر في اللغات الافرنجية . وقد جرب  
 بعضهم كتابة أسطر بالالمانية بدون راء ، فلم يستطع ذلك الا بشق  
 النفس

#### ٧ - حكاية الاصوات

ومن خصائص اللغة العربية ان لافاظها وقعا على الاذن ، له تأثير موسيقى  
 يختلف شدة ولطافة باختلاف التراكيب فيؤثر في النفس تأثيرا خاصا سواء  
 كان نثرا او نظما . من امثلة الوقع الششديد ، وصف الاسد لابي زبيد  
 الظائي بين يدي عثمان بن عفان ، فقد قال وهو يصف خروج الاسد عليهم في

(\*) لم يكن السجع في الجاهلية خاصا بالكهان في نبوءاتهم ، بل كان شائعا في الخطابة  
 بين الخطباء . انظر الفصل الاول من كتابنا « الفن ومذاهبه في النثر العربي » وكلمة سجع  
 في دائرة المعارف الاسلامية



واد (\*) : « ف ضرب بيديه فأرهب وكشر ، فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة ، وفم اشدق كالغار الاخوق . ثم تمطى فأسرع بيديه وحفز وركبه برجليه حتى صار ظله مثليه . ثم ألقى فأقشعر ثم مثل فاكفهر ، ثم تجهم فازبأر فلا وذو (١) بيته في السماء ما اتقيناه الا بأخ لنا من فزارة . فان ضخم الجزارة فوقه ثم نقضه نقضة فقضقض متنيه فجعل يبلغ في دمه . فكممرت أصحابي فبعد لأى ما استقدموا فهجهجنا به فكر مقشعرا كان به شمما فاختلج رجلا أعجز ذا حوايا فنقضه نقضة تزايلت منها مفاصله . ثم همهم ففرقر ، ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ ، فوالله لأخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من شماله ويمينه . فأرعشت الايدي واصطكت الأرجل وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وشخصت العيون وتحققت الظنون وانخرلت المتون . . . »

فصاح به عثمان : « اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين »  
وحكايات الاصوات موجودة في سائر اللغات

## ٨ - الامثال

الامثال من آداب العرب المهمة لانها تجرى على السننهم مجرى الشعر . وهى عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح . قال ابو عبيد : « الامثال من حكمة العرب في الجاهلية والاسلام ، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها فى النطق بكناية بغير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه » (٢) والعرب تضمن اشعارها واقوالها الامثال والحكم فتزينها كقول ابي ذؤيب من قصيدة :

فلا تك كالثور الذى دفت له حديدة حثف ثم أمسى يثيرها (٣)

وبعضهم نظم القصائد كلها من الامثال كارجوزة ابي العتاهية التى سماها ذات الامثال (٤)

ولا تخلو أمة من الامثال المتوارثة فى الاعقاب . . . لكن العرب يمتازون بأمثالهم المبنية على الحوادث ، لان الامثال عندهم نوعان :

(\*) الغريب فى كلمة ابي زيد :  
أرهب : آثار الفبار . كثر عن . أشدق : من الشدق وهو سعة الفم .  
الاخوق : الواسع . حفز : دفع . ألقى : جلس مفترشا رجله ناصبا يديه . مثل : قام منتصبا . اكفهر : عيس . ازبأر : تنفس . الجزارة : الاطراف . وقص عنقه : كسرهما .  
نقضه : من نقض البناء أى هدمه . قضقض : مزق . ذمر : لام . لآى : ابطاء واحتباس .  
هجهج بالاسد : صاح . اختلج : جذب . الأعجز : السمين . ذا حوايا : ذا امعاء مستديرة يريد انه ضخم الجثة . همهم : ردد الزئير . فرقر : هدر . بربر : صاح .  
جرجر : ردد الصوت فى حنجرتة . اطت : أنت تعبا او حثينا . شخص بصره : فتسبح عينيه لا يطرف

(١) « ذو » يعنى « اللدى » فى لغة طيء .  
(٢) المزهر ٢٣٤ ج ١  
(٣) الاغانى ٦٣ ج ٦ (٤) الاغانى ١٤٣ ج ٢

١ - أمثال حكيمية كقولهم : الجار قبل الدار ، والحرب خدعة ، وأخطأ زاد العجول ، والعتاب قبل العقاب ، ونحوها مما تتناقله الناس في الاعقاب وترويه الامم بعضها عن بعض . واقدم مجموع لها امثال سليمان ، واكثر الامم اخذت عنها . . وهى عند العرب مقتبسة من التوراة وأمثال الهند والفرس والروم ، فضلا عما يروونه عن اسلافهم وحكامهم كآكثم بن صيفي وغيره ، وينسبون امثالا كثيرة الى لقمان . وهو من قدماء الحكماء ، يشبه شاعرا حكيما بنحو هذا الاسم عند اليونان **Aloman** من اهل القرن السابع قبل الميلاد وهو من اقدم من نظم الشعر الغنائى عندهم

٢ - الامثال المبنية على الحوادث وهى خاصة بهم ، لان الحوادث جرت لهم ، كقولهم : وافق شن طبقه ، وقطعت جهيزة قول كل خضيب ، والصيف ضيعت الكلب ، وسبق السيف العذل . وهم يؤثرون تلك الامثال عن قائلها ، وقد يروون عشرات من الامثال قالها الواحد في حادثة واحدة كما روى في حادثة الزباء وقصير وجذيمة الابرش (١) فذكروا أثناء هذه الحادثة عشرات من الاقوال ذهبت مثلا منها قول قصير « رأى فاتر وعدو حاضر » وقوله : « رأيت في الكن لا في الضح » و « ما ضل من تجرى به العصا » وقول الزباء « لأمر ما جدع قصير أنفه » و « بيدى لا بيد عمرو » ونحو ذلك . وهذه الامثال واشباهها كثيرة في أقوال الجاهلية

#### ٩ - كتب الامثال (\*)

وقد عنى العرب بجمع الامثال ، لانها من جملة ما احتاجوا اليه في تحقيق الفاظ اللغة . ذكر ابن النديم ان عبيد بن شربة من اهل اليمن الف كتابا في الامثال في خمسين ورقة بأواخر القرن الاول للهجرة ، وهو أول من شغل ذلك . وقد ضاع هذا الكتاب . واشتغل كثيرون من ادباء البصرة والكوفة في ابان التمدن الاسلامى بجمع امثال العرب منهم صحار العبدى كان معاصرا لابن شربة (٢) ويونس النحوى المتوفى سنة ١٨٢ هـ وأبو عبيدة سنة ٢١١ هـ وثعلب سنة ٢٩١ هـ وأبو عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٢٣ هـ والمفضل الضبى وأبو هلال العسكري ومحمد بن زياد الاعرابى ومحمد بن حبيب البغدادي وحمره الاصفهاني وغيرهم

وقد شرح هذه الكتب كثيرون وازدادوا اليها من الامثال الحادثة في الاسلام . وأهم هذه الكتب الباقية الى الان كتاب المستقصى للزمخشري ( توفى سنة ٥٣٨ هـ ) ومجمع الامثال للميداني ( توفى سنة ٥١٨ هـ ) . وفي مجمع الامثال نخبة ما احتوته كتب المتقدمين ، جمعه مؤلفه من نحو خمسين كتابا في الامثال ورتبه على حروف المعجم بعد أن اضاف اليه امثال المولدين . وهو أجمع كتاب في الامثال العربية وفيه شروح لطيفة ، وقد طبع مرارا بمصر والشام

(١) ابن الاثير ١٤٩ ج ١  
(٢) الفهرسته ٩٠  
(\*) انظر في الامثال الجاهلية « فجر الاسلام » لاحمد أمين ، والفصل الاول من كتابنا « الفن ومذاهبه في النثر العربى » و « الامثال في النثر العربى القديم » لعبد المجيد عابدين ، وكلمة « مثل » في دائرة المعارف الاسلامية.

وغيرهما . أما المستقصى للزمخشري ، فمنه نسخ خطية في مكتبة ليدن  
وفيينا والمتحف البريطاني وكوبرلي بالآستانة ودار الكتب المصرية . . .  
أما كتب الامثال الاصلية التي أخذ عنها الميداني ، والزمخشري فالباقي  
منها قليل أهمها كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام طبع في غوتنجن  
سنة ١٨٣٦ وامثال العرب للضبي طبع في الآستانة سنة ١٣٠٠ هـ وجمهرة  
الامثال لابي هلال العسكري طبعت في الهند سنة ١٣٠٧ وامثال لقمان طبعت  
مرارا في أوروبا ومصر منها طبعة في باريس سنة ١٨٤٧ مع ترجمة فرنسية .  
ونجد كثيرا من أمثال العرب في كتب الآمالى وكتب اللغة وكتب الادب  
ونحوها . . .

# الشعر في العصر الجاهلي

## ١ - ما هو الشعر ؟

الشعر من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة ، وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر . ومرجعها الى تصوير جمال الطبيعة ، فالحفر يصورها بارزة ، والرسم يصورها مسطحة بالاشكال والخطوط والالوان ، والشعر يصورها بالخيال ويعبر عن اعجابنا بها وارتياحنا اليها بالالفاظ . . فهو لغة النفس اوهو صور ظاهرة لحقائق غير ظاهرة . والموسيقى كالشعر . . هو يعبر عن جمال الطبيعة بالالفاظ والمعاني ، وهي تعبر عنه بالانغام والالحن ، وكلاهما في الاصل شيء واحد . .

هذا هو تعريف الشعر في حقيقته ، ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام المقفى الموزون فيحصرون حدوده بالالفاظ ، وهو تعريف للنظم لا للشعر . . . وبينهما فرق كبير ، اذ قد يكون الرجل شاعرا ولا يحسن النظم ، وقد يكون ناظما وليس في نظمه شعر . . وان كان الوزن والقافية يزيدان الشعر طلاوة ووقعا في النفس ، فالنظم هو القالب الذي يسبك فيه الشعر ، ويجوز سبكه في النثر

وقد تقدم ابن خلدون خطوة اخرى في تعريف الشعر ، فقال : « الشعر هو الكلام المبنى على الاستعارة والاوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروى مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على اساليب العرب المخصوصة به » فهو يجعل التقفية والوزن من شروط الشعر ، ويشترط ايضا استقلال كل بيت منها بفرضه . وهو تقييد لا باعث له اذ قد ترى في الكلام المنثور معاني تؤثر في نفسك تأثير الشعر ، وذلك كثير في كلامهم ، والحكم فيه للدوق . ومن اصعب الامور ان نعرف الشعر ونجعل له حدودا جامعة مانعة ، كما نعرف الصرف او النحو او الفلك او غيرها من العلوم والآداب . ولكنك اذا قرأت قولاً فيه خيال شعري ، تعرفت الشعارية فيه وشعرت بلذة ذلك التعرف وطربت له ، وقد يكون ذلك النثر قولاً وانما اطربك ما فيه من اساليب الكتابة او الاستعارة . . . فاذا سبكته في قالب شعري زاد رونقا وطلاوة ، فاذا غنيته على توقيع الالحن زدت طرباً به . فالوزن يزيد الشعر طلاوة من قبيل التوقيع الموسيقى في الالفاظ والحركات لا من قبيل المعنى

فاذا قرانا لبعضهم نثرا يصف به ذهوله في الحب ، فيقول : « اذا جئت دار الحبيب ليلا لحاجة لي التمسها ، فلا ادخل الدار حتى انسى ما جئت له » فهذا معنى شعري ترتاح اليه النفس ، لكن ارتياحها يكون اكثر اذا نظم ذلك المعنى شعرا كقول المجنون :

فيا ليلَ كم من حاجة لي مهمةٍ إذا جئتمكم بالليل لم أدْرِ ما هيا

ويكون وقعه في النفس اشد اذا غنى على لحن مطرب

وعلى ذلك فيدخل في الشعر كثير من اقوال العرب التي نعدها من قبيل الامثال أو الحكم الماثورة المبنية على الكناية كقولهم : المرء بأصغريه لا ببرديه ، وعاد الامر الى نصابه ، وصاحت عصافير بطنه ، ونحو ذلك

فالشعر بالمعنى لا بالوزن والقافية . . وقد رأينا بعض متقدمي العرب يرون هذا الرأي في تعريف الشعر ، فقد قال بعضهم : « الشعر كلام وأجوده أشعره » (١) ولم يقيده بالوزن ولا القافية . وقال آخر : «الشعر شيء تجيش به صدورنا ، فتتدفقه على السنتنا » (٢)

## ٢ - أنواع الشعر

العرب يقسمون الشعر الى الفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل والتشبيب وغيرها من الاغراض ، وهذه كلها في نظر الشاعر غير العربي نوع من أنواع الشعر يسمونه الشعر الفنائي أو الموسيقى ، لأن مرجعه الى التأثير على النفس تأثير الموسيقى

ويقسم الشعر عند الافرنج الى ثلاثة أنواع :

(١) الشعر القصصي Epique (٢) الشعر الفنائي Lyrique

(٣) الشعر التمثيلي Dramatique

### الشعر القصصي

فالشعر القصصي أقدمها ، وهو عبارة عن سرد الوقائع أو الحوادث في الشعر ( موزونا أو غير موزون ) على سبيل القصة ، وأكثرها دينية ، وأبطالها الآلهة ومعظم حوادثها عنهم وبهم . واذا تدبرت الشعر عند سائر الامم وجدته أقدم آدابها ، وأقدمه الديني المتعلق بالآلهة وأعمالهم كما في الياذة هوميروس عند اليونان وسها بهارتة الهند . ومن هذا القبيل بعض الاشعار العبرانية كسفر داود ونشيد الاناشيد فانها شعر ديني لكنها ليست من النوع القصصي بل من الموسيقى . . لان الشعر القصصي نادر في أشعار الساميين على الاجمال الا السريان ، فان القديس أفرام نظم شيئا منه ولعله اقتبسه من اليونان (٣)

(٢) البيان والتبيين ١٧٢ ج ٢

(١) الاغانى ١٢٤ ج ١٨ ، ٦٠ ج ٢١

(٣) Lit Syr. 20

أما العرب فيخالفون العبرانيين من حيث الشعر الدينى ، لانه لم يكن عندهم فى الجاهلية كما كان عند العبرانيين . ولا يعقل أنهم خالفوا اخوانهم فيه ، ولا بد من أنهم نظموا الاشعار . . خاطبوا بها هبل واللات والعزى وغيرها ، واستعطفوها وصلوا لها وتخشعوا أمامها ، ولكن منظوماتهم فى هذا الموضوع ضاعت فى ثنايا الاجيال لعدم تدوينها ولاشتغالهم عنها بالحماسة والفخر بسبب الحروب التى قامت بينهم قبيل الاسلام . فلما جاء الاسلام انصرف الرواة عن حفظها لانها وثنية والاسلام يحو ما كان قبله . فاكثفوا بتدوين اشعار الحماسة والفخر ، ولكن بقى من الاشعار الدينية أمثلة قليلة جاء ذكرها عرضا فى تراجم بعض الشعراء كأمية بن أبى الصلت وغيره

### الشعر الغنائى

قضى اليونان بضعة قرون وليس عندهم غير الشعر القصصى ، وفيه أخبار آلهتهم وحروبها وعلاقاتها بالبشر . ثم قالوا الشعر الغنائى وقد نضح عندهم نحو القرن السابع قبل الميلاد على أثر الحوادث السياسية والحروب التى قامت بين الاحزاب اليونانية وتغلب فيها الشعب على الاشراف كما تقدم . فهاج الظفر قرائحهم وأعقب ذلك النزاع بين الاسبارطيين ، والمسيثيين وبين يونان آسيا الصغرى وجيرانهم فذاقوا لذة التغلب ، فجاش فى صدور الشعراء احساس لم يتعودوه من قبل ، كما أصاب العرب الحجازيين على أثر خروجهم من سسلطة الحميرين ، ثم بما قام بينهم من النزاع والحروب فى القرون الاولى قبل الاسلام . . فانها أنطقتهم وحركت نفوسهم كما سيجىء

فأصبح اليونان فى القرن السابع قبل الميلاد أهل دولة وتمدن ورخاء ، فصاروا فى حاجة الى شعراء يحضونهم على الثبات فى الحرب او يمدحون بسانتهم . ويطرون أعمالهم ويصفون حضارتهم . . فظهر الشعر الغنائى أو الموسيقى وفيه المدح والهجاء والحماسة والفخر والثناء ، ووضعوا الاوزان الجديدة له . وطبيعى ان الظفر يبعث على المدح ، والموت يولد الرثاء ، والحب يستدعى النسيب والغزل . فصار ملوك اليونان وكبرأؤهم يقربون الشعراء الغنائيين لسماع المدح كما فعل العرب فى ابان دولتهم ، فكثرت الشعراء الغنائيون عندهم وأستاذهم بندار . وشاع الشعر الغنائى فيهم ، فاشتغلوا به عن الشعر القصصى . . كأنهم اشتغلوا باثارة العواطف والحث على الفضائل عن تقرير الحقائق وسرد الحوادث

### الشعر التمثيلى

ثم رأوا الكلام وحده لا يكفى لتحريك العواطف وتمثيل الفضائل ، فعمدوا الى تمثيلها للعيان بحوادث اخترعوها يؤدى سردا او تمثيلها الى مغزى ما يريدون . فبدلا من أن يمدح شاعرهم الشجاعة مثلا ويحجبها الى الابطال ببلاغة البيان الشعرى ، عمدوا الى نظم قصة تظهر فضل هذه المنقبة

يمثلونها على مشهد من الناس لتكون أوقع في النفس وأثبت في الدهن ،  
وسموا هذا النوع من الشعر « الشعر التمثيلي Drame »

ويراد بالشعر التمثيلي في أصل وضعه تمثيل الوقائع التي ترمى الى الموعظة او الحكمة سواء مثلت على المسرح أو لم تمثل (١) ، وفي الشعر القصصي شيء منه لان الياذة هوميروس لا تخلو من مشاهد تمثيلية . ولكن الشعراء بدأوا في نظمهم اولا بالشعر الخيالي التصويري المحض ، اذ هاج شاعريتهم التخشع للآلهة ، وكانوا يغنون لهم ويرقصون في غنائهم على توقيع الالحن ، فتصوروا الوزن من حركات الرقص ، وذلك أصل النظم عندهم . وكان اول منظوماتهم أقاصيص الآلهة وأعمالهم ، ثم تدرجوا الى وصف الواقع . فبدأوا بالعواطف يعبرون عنها بالشعر الغنائي . ثم عمدوا الى تمثيل الفضائل والردائل على المسارح للاستفادة منها وهو الشعر التمثيلي

### ٣ - هل عند العرب شعر تمثيلي ؟

قد رأيت أن الشعر التمثيلي هو الوجهة العملية من الشعر التي يراد بها تمثيل الفضائل او الردائل للعين . والعرب مثل سائر الساميين أكثر ميلا الى الخيال والتصور ، فلم يلتفتوا الى التمثيل او على الاقل لم نعثر بين ما وصلنا من آدابهم قبل الاسلام على شيء من الشعر التمثيلي على سبيل المحاوراة او التمثيل ، كما هو الحال عند اليونان او من أخذ عنهم . . فهل كان عندهم وفقد ؟

إذا أمعنا النظر فيما خلفه العرب من اخبارهم وآدابهم وجدناه لا يخلو من التمثيل بأعم معانيه وان لم يكن شعرا مجردا بل هو مزيج من الشعر والنثر . وقد وصل اليينا في قالب القصص والحقائق التاريخية ، لكن أكثرها في نظرنا موضوع او كان له أصل فوسعوه وطولوه ونمقوه ليكون عبرة او قدوة في الموقف المطلوب . وأكثر تلك القصص ترمى الى تمثيل الفضائل البدوية التي يقدسها العرب ، كالوفاء والضيافة والشجاعة والجوار والعفة والفروسية ونحوها تمثيلا يحببها الى الناس ويرغبهم فيها ، وجعلوا أبطالها رجالا من مشاهيرهم في تلك المناقب

فقصة حاتم الطائي التي ذبح فيها فرسه لضيفه وابتأؤه جياح أقرب الى أن تكون موضوعة أو مبالغا فيها للتحريض على السخاء . وقصة السمائل التي قتل فيها ابنه ولم يسلم الامانة المودعة عنده موضوعة او موسع فيها لتمثيل الوفاء . وأخبار العذريين في العفة أكثرها موضوع لترغيب الناس في العفة . وقد أجمع الرواة تقريبا على أن أخبار مجنون ليلى موضوعة أو يراد بها تمثيل العفة مع الثبات على الحب . . وهي تشبه من هذا القبيل رواية روميو وجولييت لشكسبير . وقس على ذلك أكثر ما يروونه من هذا النوع ، مثل حكاية حنظلة والنعمان بن المنذر . وهم يروونها عن عبيد بن ابرص أيضا ، كأن المراد المغزى وهو الترغيب في

الوفاء . ونسبة هذه الحوادث الى أشخاص معروفين في التاريخ لا يطعن في أن المراد بها التمثيل . وهذه قصة عنتره فان صاحبها شاعر شجاع معروف فوسعوا قصته وأضافوا اليها ما يرغب في الشجاعة ، والفروسية

اما السريانيون فالتمثيل غير أصلى في آدابهم ، وانما اتخذوه في جملة آدابهم الدينية من اليونان . وكانت منظوماتهم في أول أمرها بغير قافية ، ثم قفوها بعد الاسلام . فلعلهم اقتبسوا ذلك من العرب والخلاصة ان الشعر العربي أكثره من الشعر الفنائي ، وهو أرقى في العربية منه في سائر اللغات ، وليس في الدنيا أمة تضاهى العرب في كثرة الشعر والشعراء

#### أقدم منظومات العالم

المشهور أن الياذة هوميروس أقدم ديوان شعري ، لانه نظم نحو القرن التاسع قبل الميلاد وهو ١٤٠٠٠ بيت . ولكن هناك كتابين نظما نحو ذلك الزمن أو قبله : أحدهما الفيدا كتاب البراهمة وهو من قبيل الشعير الموسيقى ، ويقال انه نظم نحو القرن الثاني عشر ق . م وزبور داود نظم نحو القرن العاشر : ولعله عاصر صاحب الاليزاذة . وللمصريين القدماء منظومات ترتقى الى عهد رمسيس الثاني نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ولكن سفر أيوب أقدم من ذلك ببضعة قرون ، فاذا صح أنه عربي الاصل كان أقدم الآثار الشعرية الباقية الى الآن عربي الاصل

#### ٤ - كيف بدأ العرب ينظمون الشعر ؟

#### الشعر والغناء

يظهر ان الشعر والغناء من أصل واحد عند جميع الامم ، والشعر وضع أولا للتغنى به وانشاده للآلهة او الملوك ، ولذلك فاليونان والرومان يقولون « غنى شعرا » لا « نظم شعرا » أو « وضع شعرا » والعرب يقولون « أنشد شعرا » أو أنشد الشعر الفلاني أي غناه ، وقضى اليونان اجيالا لا يقولون الشعر الا انشادا . ولعل العرب كانوا كذلك في اقدم أحوالهم (\*) ، فنسبغ منهم جماعة يغنون شعرهم كما فعل الأعشى قبيل الاسلام ، فقد كان ينظم الشعر ويفنيه ، ولذلك سموه صناجة العرب . ومازال ذلك شأنهم بعد الاسلام ، فان الشاعر اذا جاء الخليفة او الامير بقصيدة أنشدها في حضرته وهو قائم ، فاذا لم يكن صوته رخيمًا او مسموعا اقتنى غلاما رخيم الصوت ، ينشد أشعاره . وللانشاد لحن مطرب ، وكان الرشيد يطرب للانشاد أكثر مما يطرب للغناء . واشتهر بعد الاسلام جماعة من الشعراء

(\*) أنظر في صلة الشعر الجاهلي بالفناء الفصل الثاني من كتابنا الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، والفصل الاول من كتاب فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية H.G. Farmer History of Arabic Music وقد نقله الى العربية حسين نصار



المغنين كالدرامي ، وسلامة واسحق الموصلي وغيرهم

والغالب آتهم بدأوا أولا بالسجع بلا وزن نحو ما وصل الينا من سجع الكهان ، وربما كان الكهان يفتونه توقيعا على القافية . ومن أمثلة سجعهم قولهم في الانواء (\*) : « اذا طلع السرطان استوى الزمان وحضرت الاوطان وتهادت الجيران . اذا طلع النجم يعني الثريا فالحر في حدم والشعب في حطم . اذا طلع الدبران توقدت الحزان وكرهت النيران ويبست الغدران ورمت بانفسها حيث شاءت الصبيان . اذا طلعت الهقعة تفوض الناس للقلعة ورجعوا عن النجعة واردفتها الهنعسة . اذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء وكنست الطباء وعرقت العلباء وطاب الخباء . اذا طلعت الذراع حسرت الشمس القناع واشتعلت في الأفق الشعاع وترقرق السراب بكل قاع . . » وهى طويلة

هذا هو السجع بقافية بلا وزن . وكان العرب يتساجعون اى يتذاكرون بالسجع . ولعلمهم وضعوا السجع اولا لتقييد علومهم أو ما يريدون حفظه كما في المثل المتقدم ذكره

أما النظم اى القياس بالمقاطع وهو الوزن ، فأبسطه الرجز وهو أقدم أوزان الشعر . . كل بيت منه ينفرد بقافية خاصة ، وهو كالسجع لكنه موزون . والرجز قديم عندهم ، يزعم العرب أن أول من قاله مضر بن نزار ، اذ سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول « وايداه وايداه » وكان من احسن خلق الله صوتا فأصفت الأبل اليه وجدت في السير ، فجعلت العرب مثالا لقوله « هايدا هايدا » يحدون بها الأبل . وقال آخرون أن الاصل في وضع الشعر الفناء . قالوا « وكان الكلام كله منشورا ، فاحتاجت العرب الى الفناء بمكارم أخلاقها وطيب أعرافها وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الامجاد وسمحاتها الاجواد لتَهز نفوسها الى الكرم ، وتدل أبناءها على حسن الشيم ، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين للكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لانهم شعروا به اى فطنوا له »

## ٥ - أصل وزن الشعر

والغالب في اعتقادنا ان الوزن مأخوذ في الاصل من توقيع سير الجمال في الصحراء ، وتقطيعه يوافق وقع خطاها . ويؤيد ذلك أن الرجز أول ما استعمله العرب لسوق الجمال وهو الحداء في اصطلاحهم ، وكأنه وضع لهذا الغرض لان العربى يقضى أكثر اوقاته في معاشرة جملة أو ناقته . . . وعندهم ضربان من الرجز : المشطور ، والمنهوك ، والمشطور هذا وزنه :

(\*) تفسير الكلمات الغريبة في النص : حضرت : سكنت ، حدم : اشتعال ، الدبران منزل للقم ، الحزان : جمع حزن ضد السهل ، الهنعسة : كوكبان بليان الهقعة في المجرة المعزاء : الارض الصلبة ، كنست الطباء : دخلت كناسها ومستترها من الشجر ، العلباء العصابة الممتدة في العنق ، وعرقت العلباء : خرجت بها قروح

دع المطايا تنسّم الجنوبا  
 حينها وما اشتكت لنعوبا  
 ما حملت إلا فتى كئيبا  
 لو ترك الشوق لنا قلوباً  
 إن لها لنبتاً عجيباً  
 يشهد أن قد فارقت حيباً  
 يسرّ مما أعلنت نصيباً  
 إذا لآثرنا بهنّ النيباً (١)  
 إن الغريب يسعد الغريباً

وهو يشبه بتوقيعه على مقاطعه مشى الجمال الهوبنا . ولو ركبت ناقه ومشت بك الهوبنا ، لرأيت مشيتها يشبه وزن هذا الشعر تماما . فكان العرب يحدونها به إذا أرادوا سيرها وتبدا . وربما كان شاعرهم عاشقا فيتذكر حبيبته وهو يسوق ناقته ، فيحدوها بأبيات على وزن الرجز . . كذلك فعل جميل بئينة وكان في سفر الى الحج مع مروان بن الحكم . . فطلب اليه مروان أن يسوق الجمال أى يحدوها فقال :

يا بشن حيي أو عدينا أو صلي وهويّني الأمر فوزرى واعجلى  
 بثين أيّنا ما أردت فافعلنى إنى لآتى ما أبأت مقتلى (٢)  
 فلم يقبل مروان أن يتغزل بالحدو وإنما يطلب الخلفاء والأمراء اذا ركبوا الأبل ان يحدوها الحادى برجز فى مدحهم . خرج عبد الملك يوما رائحا على نجيب ومعه حاد يحدوه بقوله :

يا أيها البكر (٣) الذى أراكنا عليك سهّل الأرض فى ممشاكا  
 ويحك هل تعلم من علاكا إن ابن مروان علا ذراكا  
 خليفة الله الذى امتطاكنا لم يعل بكراً مثل ما علاكا  
 اما اذا اراد الحادى أن تسرع الجمال فى السير ، حدا لها بالرجز المنهوك وهذا وزنه :

أعطيته ما سألا . حكّمته لو عدلا  
 قلبى به فى شغل لا مكلّ ذاك الشغلا  
 قيّده الحب كما قيّد راع جملا (٣)

واعتبر ذلك فى بحر الخبب من الشعر ، فانه يوافق فى توقيعه خبب الفرس أى ركضه وهذا وزنه (٤) :

أبكيت على طلكل طربا فشجاك وأحزنك الطلل

(١) النيب : النوق

(٢) أيا : استحل (٣) البكر : الفتى من الأبل (٤) العقد الفريد ١٦١ ج ٣  
 (\*) لم يستخدم بحر الخبب فى الجاهلية ، فهو بحر مستحدث ، استحدثه العباسيون ويسمى أيضا المتدارك

## أوزان الشعر

ثم وضعوا الأوزان والبحور حسب الاقتضاء كل منها لحال من الأحوال . . بعضها يوافق الشعر الحماسي والبعض الآخر يوافق الرثاء أو الفزل . . فالبحر الطويل يوافق نظم الشعر الحماسي ويوافق الوافر الفخر ، والرمل الحزن والفرح ويلائم السريع العواطف (\*) وقس على ذلك (١)

فالرجز أقدم أبحر الشعر ، وكان الشاعر يقول منه البيتين والثلاثة ونحو ذلك إذا حارب أو فاجر . ثم صاروا يطيلون النظم فيه . ويقال أن أول من أطاله الأغلبي العجلي على عهد النبي ثم رؤبة بن العجاج ، وتفنونوا في بحر الرجز فتعددت أوزانه ، واخترعوا أبحرا غيرها وصاروا ينظمون الأراجيز الطوال ويريدون بها مازادت أبياتها على عشرة (\*) (\*)

أما غير الرجز من أبحر الشعر ، فكانوا أولا ينظمون منه المقاطيع القصيرة عند الحاجة . . حتى إذا تحركت نفوس العرب بالحروب بعد استقلالها من اليمن كما سيجيء ، وظهر فيها الإبطال والفرسان ، احتاجوا إلى الشعر فأطالوا فيه ، فظهرت القصائد . وأول من أطالها المهلهل أخو كليب (\*) (\*) وأول قصيدة قالها في قتل أخيه المذكور . . فهو لم يفعل ذلك إلا بعد أن حركه طلب الثأر . وهو أول شاعر بلغت قصائده ثلاثين بيتا من الشعر واقتدى به سواه ، ثم كان للنظم تاريخ بعد الإسلام

## الإلحان

ولما وضعوا الأوزان صار للفناء عندهم الإلحان معينة (\*) (\*) (\*) فجعلوا لكل غناء أو لحن وزنا مخصوصا فصار عندهم للرثاء وزن وللحماسة آخر . فالنصب غناء الركبان والفتيان ويقال له الجنابي ، اشتقه رجل من كلب يقال له جناب وهو يخرج من أصل الطويل في العروض . والسناد هو الغناء ذو الترجيع الكثير النغمات . والهزج هو الغناء الخفيف الذي

### (١) الإلياذة العربية ٩٠

(\*) هذا الرأي لا يتمشى وحقيقة الموضوعات التي دارت فيها أبحر الشعر العربي قديما وحديثا ، فإن العرب لم يصطلحوا على تخصيص الأبحر بموضوعات معينة ، لكل بحر موضوعه الخاص ، بل جعلوا الموضوعات كلها شركة بين الأوزان يختار الشاعر منها ما يشاء لشعره في أي موضوع ينظم فيه

(\*) انظر في الرجز وتطوره وأشكاله كلمة رجز في دائرة المعارف الإسلامية وآلورد

Ahlwardt في مقدمته لديواني المجاج والرفيان

(\*) هذه الأولية غير يقينية ، وكل ما يمكن أن يقال هو أن قصائد المهلهل وغيره من قديما الجاهليين ، تدل كما قال جويدى في كتابه L'Arabie Anté-Islamique ص { على أنها ثمرة صناعة طويلة ، لم تزل تتكامل حتى أخذت هذا الشكل الذي نجده في العصر الجاهلي . وانظر كتابنا الفن ومداهبه في الشعر العربي ، الفصل الأول (\*) (\*) لم يصبح للغناء العربي الإلحان ذات مصطلحات معينة إلا في الإسلام ، حين اختلطت العرب بالأجانب وتأثروا بغنائهم وموسيقاهم . وحقا عرفوا في الجاهلية صورا مختلفة من الغناء ، ولكنها كانت أولية ، ولم تصبح فنا كاملا إلا في العصر الأموي . راجع تأريخ الموسيقى العربية ، وكتابنا الشعر الغنائي في المصادر الإسلامية ، الجزء الأول في المدينة الفصل الثاني

يرقصون عليه فيطرب ويستخف الحليم (١) وظلوا بعد الاسلام يختصون كل نحن بوزن (٢)

## ٦ - شاعرية العرب

ما قدمنا كان بداية النظم عند العرب على ما نظن .. وكان ذلك طبعاً في زمن بعيد لا يدرك أوله التاريخ ، ومهما يكن من سبب النظم فان العرب أقوى الأمم شاعرية وأقدرهم على النظم في الشعر الغنائي بلا خوف .. يدل ذلك على ذلك عدد شعرائهم وضروب شعرهم في قرن واحد وبعض القرن قبيل الهجرة ، ولذلك أسباب طبيعية أهمها :

اولاً - ان العربي بفطرته ذو نفس حساسة وشعور راق واريحية وانفة ، سريع الطرب ، سريع الغضب ، فيه بديهة وارتجال ، ومن كان هذا شأنه لا يلبث حين يجيش صدره بمعنى أن يلفظه لسانه .. ولذلك كان اكثر شعرهم غنائياً أو موسيقياً ، يعبرون به عن احساسهم ويصورون به شعورهم وهو يصدر عن أحد أربعة فواعل : الرغبة ، والرغبة ، والطرب ، والقلب ..

ثانياً - ان لغتهم شعرية لما فيها من أساليب الكناية والاستعارة ودقة التعبير ، وكثرة المترادفات مما يسهل وجود القافية .. فالعربي من أنطق الأمم ولغته أوسع اللغات ولفظها أدل من سائر الالفاظ وفيها الامثال والحكم .. ولغة شأن كبير في تسهيل النظم حتى على أبناء البلد الواحد والنسب الواحد . فالعرب مع اشتراكهم في الطبائع والحس ودقة الشعور والشاعرية ، يلاحظ ان الذين كانوا منهم يتكلمون غير لسان مضر ( المبين ) ثم ينظموا الشعر - فان هذا اللسان ويقال له لسان معد كان شائعاً في معظم الجزيرة العربية الا اليمن ومهرة وعمان . وقد انتشرت الشاعرية بين المتكلمين بهذا اللسان في الحجاز ونجد وان لم يكونوا عرباً ، حتى اليهود والعييد من الزنج والنوبة . واعتبر ذلك بعد الاسلام بانتشار اللغة العربية في الاقطار ، فقد نبغ فيها شعراء أصلهم من الروم والفرس والترك والبربر وغيرهم ، وذلك من تأثير اللسان ..

ثالثاً - صفاء جوهرهم وتفرغهم للتأمل في الطبيعة ، فان أهل الجو الصافي تكون أذهانهم صافية ، وخصوصاً اذا كانوا أهل خيال وتصور مثل العرب .. فيزيدهم الصفاء شاعرية ، ولا سيما اذا كانوا متفرغين للنظر في الوجود ومراقبة أحوال الطبيعة كما كان العرب في بداوتهم ، غير ما بعثهم على قول الشعر من المنافسات والحروب في أيامهم وغيرها كما سنفصله فيما يلي .

# نهضة الشعر في الجاهلية

## ١ - أسباب النهضة

قضى العرب أجيالا لا يعرف مقدارها الا الله وهم يقولون الشعر عند الحاجة مما لم يصل اليها خبره ، وانما وصل اليها بعض ما نظموا في النهضة الاخيرة قبيل الاسلام . والنهضة في الشعر او الادب او العلم تحدث على اثر انقلاب سياسى من فتح أو حرب أو نصر ، أو تغيير اجتماعى على أثر نكبة أو نازلة أو كل ما يثير العواطف . وهى قاعدة تشمل طبائع البشر فى كل زمان ومكان . . فالفنود القدماء لم ينظموا أناشيدهم السنسكريتية الا بعد ما لاقوه من الحروب والتنازع فى أثناء نزولهم الهند قبل الميلاد بأجيال . واليونان ما زالوا على الشعر القصصى وشعراؤهم قليلون ، حتى قامت الفتن بينهم وتحاربوا ، ثم حاربوا الفرس وغيرهم فنبغ فيهم الشعراء الغنائيون . وظل الرومان بعد تأسيس دولتهم نحو ٢٤٠ سنة فى جمود أدبى لم يظهر فيهم شاعر ، حتى كانت الحروب مع القرطاجيين فتفتقت قرائحهم وظهر فيهم الشعر . وقضت أمم أوروبا اجيالا فى القرون الوسطى وقرائحهم خامدة ، فلما خرجوا للحرب الصليبية وقاسوا ما قاسوه فيها ظهرت مواهبهم فى الشعر ونبغ فيهم شكسبير ودانتى وغيرهما . وترى أشعار الامة فى نهضتها صورة من صور أحوالها على أثر ذلك الانقلاب . . فان كانت هى الظاهرة فيه ، كثر شعرها الحماسى والفخرى ، واذا كانت المغلوبة كان شعرها أكثره فى الرثاء كما فعل اليهود بعد أسرهم فى بابل بمراثى أرمياء وغيره . والشعر يوجه الحب والحرب والموت

## ٢ - استقلال عرب الحجاز عن اليمن

والعرب شأنهم فى نهضتهم الشعرية قبل الاسلام مثل شئون سائر الامم . . ونريد بالعرب هنا بدو الحجاز ونجد وما جاورهما ، فكانوا قبل هذه النهضة ينظمون على قلة ولا نظنهم كانوا يجيدون النظم ، وهم تحت سيطرة الحميريين ملوك اليمن يخدمونهم فى نقل تجارتهم . وكانت دولة اليمن تستأجرهم فى حروبها كما يفعل أهل المدن اليوم بأهل البادية . وكانوا يؤدون لها الاتاوة « الخراج » وقد رسخ فى اعتقادهم عظمة تلك الدولة لما فيها من أسباب الحضارة ، فأصبحوا بتوالى الاجيال يعدون الاذعان لها فرضا . فلما رأوا ما أصابها فى حروبها مع الحبشة فى أواسط القرن الرابع

للميلاد ، اذ فتحها الاحباش بمساعدة قيصر الروم سنة ٣٤٥ م (١) تبين لهم عجزها عن حفظ سيادتها وذهبت هيبتها من قلوبهم . فأخذوا يفكرون في الخروج من سيطرتها والامساك عن دفع الاتاوة وأحسوا بالحاجة الى الاتحاد (\*)

وأول من كسر هذا القيد من قبائل العرب قبيلة ربيعة ، علي يد فارسها كليب الشجاع المشهور ، وكان معاصرا لزهير بن جناب الذي ولاء صاحب اليمن علي بكر وتغلب اكبر قبائل ربيعة . وكان زهير يتقاضى الاتاوة أو الخراج منهم في مقابل النجعة والكلأ والمرعى ، وكان يخرج في حاشيته لجمع الاتاوة فأصابهم في أثناء أمارته ضيق وأمحلت أرضهم فتأخروا عن الدفع ، فجاءهم زهير والح في مطالبتهم فشكوا عجزهم وابانوا عذرهم فلم يصغ لشكواهم ، ومنعهم النجعة والمرعى او يؤدوا ما عليهم ، فصبروا حتى كادت مواشيهم تهلك . وكانت هيبه الدولة قد ذهبت من نفوسهم ، فلما اصابهم ذلك الظلم شقوا عصا الطاعة ونقموا على زهير ورجاله فدمسوا رجلا منهم اسمه زيابة من بنى تيم الله وكان فاتكا ، وأوعزوا اليه أن يقتل زهيرا غدرا ولم يقدموا على مناوآته جهارا لئلا يستنجد بجنده . فاتاه زيابة وهو غائم وطعنه ورجع الى قومه واخبرهم انه قتله ، والحقيقة ان السيف مر بجانب البطن ولم يصب من زهير مقتلا . وعلم هذا انه سالم ، فلم يتحرك لئلا يجهز عليه . فلما انصرف زيابة أوعز زهير لمن معه ان يظهروا موته ويستأذنوا بكرا وتغلب في دفنه ، فلما أذنوا دفنوا ثيابا ملفوفة وفروا به مجددين الى قومهم . وجمع زهير الجموع ، وفي ذلك يقول ابن زيابة :

طعنة ما طعنت في غكس اللي ل زهيراً وقد توالى الخصوم  
حين تحمى له المواسم بكتر أين بكر وأين منها الحلوم  
خائنى السيف إذ طعنت زهيراً وهو سيف مضلل مشؤوم  
وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن وغزا بكرا وتغلب وقاتلهم قتلا شديداً انهزمت فيه بكر ، وقاتلت تغلب بعدها ، ثم انهزمت وأسر كليب ومهلل ابنا ربيعة وأخذت الاموال وكثرت القتلى في بنى تغلب ، وأسر جماعة من وجوههم وفرسانهم .

فعظم ذلك على قبائل ربيعة وتجمهروا وولوا عليهم ربيعة والد كليب ومهلل وخرجوا على زهير وانقذوا الاسيرين منه ودارت الايام وعاد زهير الى سطوته فوضع الاتاوة والخراج على بنى معد جميعا

(١) الحرب قبل الاسلام ١٢٧ وهذا هو الفتح الاول ثم كان الفتح الثانى سنة ٥٢٤ م (\*) اتخذ المؤلف من غزو الاحباش الاول لليمن والدولة الحميرية سنة ٣٤٥ م مبدءاً لانتهاة سيادة اليمنيين على بدو الحجاز ونجد . ويظهر أن هذا الرأى مبالغ فيه ، فقد ظلت للدولة الحميرية سيادة أو شبه سيادة على نجد والحجاز الى ان كان غزو الاحباش الثانى وقضاؤهم عليها في سنة ٥٢٤ م فاننا نجد مملكة كندة اليمنية في نجد تفقد سلطانها مع هذا التاريخ ، ويقتل امراؤها وعلى رأسهم حجر ابو امرىء القيس الشاعر المشهور . انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ، الجزء الثالث ، الفصل الرابع ، وتاريخ العرب لفيليب حتى الجزء الاول ص ١١٤ ، اما ما ذكره المؤلف عن زهير بن جناب وثورة ربيعة على اليمن فهو من باب القصص وليس له قيمة تاريخية

وفى أواخر القرن الخامس توفى ربيعة أمير تغلب ، فخلفه ابنه كليب وفى نفسه على اليمن ضفائن لما قاساه فى أسرهم . . فجمع معدا تحت لوائه أى ربيعة وقضاة ومضر وإياد ونزار وحاربوا اليمن فى معركة عرفت بيوم خزاز، فهزموهم واستقلوا عن سببهم . ولم يدفعوا اليهم أتاوة أو خراجا من ذلك الحين . ونظرت معد الى كليب نظرها الى منقذ عظيم ، فولوه الملك عليهم وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته . وكان ذلك آخر عهدهم بسطان اليمن

### ٣ - حروبهم فيما بينهم

واستقلال عرب الحجاز ونجد من سيطرة اليمن انقلاب سياسى ، هاج شاعريتهم وأيقظ ما فطروا عليه من عزة النفس وباء الضيم . . فأخذوا يختلفون فيما بينهم لان سيطرة اليمن كانت قد جمعهم قيودها . فلما أطلق سراهم تنازعوا ، فجرت بينهم حروب تعرف بأيام العرب قد فصلناها فى كتابنا « العرب قبل الاسلام » وأكثرها حدة واطولها مدة الوقائع بين بكر وتغلب ، وكلاهما من ربيعة وهى حرب البسوس بين مهلهل وجساس ، دام النزاع فيها أربعين سنة مات فى أثنائها الشيوخ وشاخ الشبان وشب الولدان ، وفى اثنتائها نبغ مهلهل أخو كليب وشهد تلك الحروب . وكان شاعرا مطبوعا فتوسط فى المصالحة بين التيبيلتين وله شأن فى تاريخ الشعر . . ناهيك بالحروب التى جرت بين قبائل مضر ، أشهرها أيام داحس والغبراء وغيرها

### ٤ - نهضة قريش (\*)

وقد انهض قريشا على الخصوص وأثار شاعريتهم وشجذ قرائعهم حروبهم مع الاحباش فى عام الفيل فى أواسط القرن الاول قبل الهجرة . . فان الاحباش لما فتحوا اليمن حملوا على مكة للاستيلاء على الكعبة . . وكانت سدانتها يومئذ الى عبد المطلب جد الرسول ، فجاء الاحباش بأقيالهم ورجالهم وعدتهم ، واهل مكة لم يتعودوا شيئا من ذلك لما للكعبة من المنزلة الرفيعة فى أنفس القبائل وغيرهم . فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يهددهم من الخطر واحسوا بافتقارهم الى الاتحاد لدفع الاجانب ، فدفعوا الاحباش وقد نهبته اذهانهم وأخذت مواهبهم فى الظهور . ومما يدل على شدة تأثير ذلك الهجوم فى نفوسهم انهم جعلوا يؤرخون به وهو عام الفيل وبعد عام الفيل حدثت حرب الفجار بين قريش وكنانة وقيس ، وكان لها

(\*) رجع المؤلف نهضة قريش الى الاحتكاكات الحربية واغفل الناحية الاقتصادية وما صار لها من مفاتيح القوافل التجارية التى كانت تجوب الحجاز ونجدا الى العراق وحوض بحر الروم محملة بمنتجات اليمن وافريقيا والهند ثم تعود بمنتجات الشمال الى الجنوب ، فان هذه التجارة وسعت من مدارك القوم وامكانياتهم العقلية والحضارية حتى ظن بعض الباحثين ان مكة كانت جمهورية لا تقل شأنًا عن جمهورية البندقية ، راجع لامنس Lamnens فى كتابه مكة La Mecque ص ١٧٥ واولرى O'leary فى كتابه جزيرة العرب قبل الاسلام Arabia Before Muhammed ص ١٨٢

تأثير كبير في نفوس القرشيين فساعدتهم على تلك النهضة فهذه الحروب والفتن أظهرت مواهب الرجال ، فتولدت طبقة من الحكماء وأخرى من الاسخياء ، وأخرى من الفرسان والشجعان ، وأيقظت الشاعرية الحماسية والفخرية . . . فنبغ منهم الشعراء على اختلاف القبائل والبطون ومدح الظافرين أو وصف بسالتهم أو التفاخر بالقبائل . ورافق ذلك تحاك القبائل وتقاربها أو تباعدها ، وتنبهت عاطفة الحب فظهر العشاق من الشعراء . ولذلك كانت منظومات هذه النهضة أكثرها في الفخر والحماسة على أثرواقعة من تلك الوقائع ، أو في وصف شوق أو حكمة أو موعظة أو مدح ظافر أو كريم كما ستراه في مكانه

#### ٥ - أقدم الشعراء

كل ما وصل إلينا من منظومات شعراء الجاهلية نظم بعد استقلال الحجازيين من سيطرة اليمن ، وما وصل إلينا من الشعر قبل ذلك قليل وهو نغم الحجازيين . وأقدم من وصلنا خبرهم من الشعراء أبو ذؤاد كان على خيل النعمان ، ولقيط شاعر جاهلي قديم ، وعلس بن جدن من حمير (\*) وخذيمة ابن نهد وزهير بن جناب الكلبي من قضاة وقد ظهرت قضاة قبل سائر قبائل عدنان ، ويقال أيضا ان حزين بن لوزان والربيع بن زياد وذا الاصبع العدواني من أقدم الشعراء (١) ويقولون ان أول من قال الشعر في نزار - وهي تشمل مضر وقضاة - عمرو بن قميئة من ربيعة (٢)

وللعلماء في أقدم الشعر العربي أقوال لا فائدة من إيرادها ، لان أكثرها مبنى على الوهم ولا سيما فيما يروونه للاباء الاولين من الشعر . . . حتى روى بعضهم اشعارا نسبها الى آدم ! وأدرك منه حالا من روى للتبابعة \* ويطعن في صحتها أن لغة التبابعة حميرية تختلف عن لغتنا كثيرا . وقد يرد على ذلك بأن الحميري قد يعرف العربية وينظم فيها ، لكن الغالب أنهم لم يفعلوا

#### ٦ - تنقل الشعر في الاقاليم

من التواعد الثابتة في علم الطبيعة ان للاقليم تأثيرا في اخلاق الناس وابدانهم ، فيختلفون صحة ونشاطا وبديهة وذكاء باختلاف الاقليم . ويقال على الاجمال ان أهل البادية أصفى ذهنا من سكان المدن ، وأهل البلاد الباردة أسرع حركة ونشاطا من أهل البلاد الحارة . وفي البلد الواحد يفضل أهل الجبال على أهل السهول نشاطا وصفاء ذهن

(\*) ذكر المؤلف فيما بعد أن لغة حمير تخالف لغة قريش وعرب الشمال وهذا هو الصحيح كما مر بنا في التعليقات ، واذن فهذا الشاعر الحميري لا يمكن أن يكون قد نظم شعرا في اللغة المضربة لأنها ليست لغته . والمؤلف يتابع في هذه الفكرة ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » ، اذ عقد في مقدمته فصلا عن أوائل الشعراء غير أن الفكرة التي اعتمد عليها هذا الفصل عند ابن قتيبة ، وعند ابن سلام من قبله في كتابه طبقات الشعراء غير صحيحة من الوجهة العلمية لان أوائل الشعراء الذين نظموا الشعر الجاهلي القديم طوأم الزمان

(١) المزهر ٢٣٧ ج ٢ والاغانى ١٦٣ ج ٢

(٢) الاغانى ١٦٣ ج ٢



شعراء نجد

وعلى هذا القياس فان سكان نجد اقوى بنية واصفى ذهنا من سائر سكان جزيرة العرب ، لانها بلاد جبلية هوائها نشيط ونسيمها عليل ، وقد تغزل بها العرب فقال قيس بن الملوح :

تَمَتَّحُ من شَمِيمِ عرارِ نَجْدٍ فما بعد العَشِيَّةِ من عرارِ  
وقال آخر :

سقى الله نَجْدًا والسلامُ على نجدِ . يا حبذا نَجْدٌ على القرب والبعد  
وفيها الارض التي حماها كليب وائل ، وافضى ذلك الى قتله ونشوب حرب البسوس . وفيها جبل عكاد (١) الذي لم تثبت العربية الفصيحة بعد تهادى الاجال الا بين اهله . وعندهم ان أفصح العرب أهل السروات ، وهي ثلاثة جبال مطلة على تهامة . . . وأهل نجد أقوى شاعرية من غيرهم من بلاد العرب . .

وبناء على اختلاف الامزجة باختلاف الاقاليم ، امتاز اهـل كل اقليم من بلاد العرب بباب من أبواب الشعر . . فاشتهر اهل الحجاز بالرقّة واكثر شعرهم الغزل (٢) ، كما اشتهر اهل نجد بالبلاغة (٣) وقد ذهبوا في الشعر كل مذهب . . واذا اُحصيت شعراء الجاهلية الذين بلغنا خبرهم بالنظر الى المواطن ، رأيت نحو خمسيهم من نجد والخمسين الثالث من الحجاز والرابع من اليمن والباقي من العراق وفئة قليلة من البحرين واليمامة وتهامة

## ٧ - تنقل الشعر في القبائل (\*)

ربيعة : اما من حيث القبائل فقد علمت مما تقدم ان ربيعة اول من نهض للاستقلال وهم اول من نبغ في الشعر . . وأهم قبائلهم وبطونهم بكر وتغلب وعبد القيس والنمر بن قاسط ويشمكر وعجل وضبيعة وشيبان وذهل وسدوس . وكانوا يقيمون قديما في اليمن ثم في نجد ، ثم نزحت بكر وتغلب وغيرهما نحو العراق . . فأقاموا في باديتها وفيما بين النهرين ، ونبغ منهم وهم في نجد المهلهل بن ربيعة

ومن شعراء ربيعة المرقش الاكبر وابن اخيه المرقش الاصغر . . والاكبر شاعر قديم يقال انه من ربيعة قبل خروجها من اليمن (٤) والمرقش الاصغر

(٣) الاغانى ٧٢ ج ١

(٢) الاغانى ٤٢ ج ٧

(١) جبل قرب زيد

(\*) يتابع المؤلف هنا ايضا نقاد العصر العباسى ومؤرخيه من مثل ابن سلام وابن قتيبة في زعمهم ان الشعر تنقل في القبائل ، فكان اولاً في ربيعة ، ثم تحول الى قيس ، ثم انتهى الى تميم . ونصوص الشعر الجاهلى تشهد بان القبائل الشمالية جميعها كانت تنظم الشعر في اول العصر الجاهلى ( فترة الجاهلية الثانية ) وكان يدور على كل لسان في ربيعة وقيس وتميم وغيرهم من قبائل العرب الشمالية ، فليس لقبيلة سبق واضح على قبيلة اخرى

(٤) الاغانى ١٩٠ ج ٥

عم طرفة بن العبد ، ومنهم سعد بن مالك وطرفة وعمرو بن قميئة المتقدم انه اقدم من قال الشعر من نزار ، والحارث بن حلزة والمتلمس حال طرفة والاعشى والمسيب بن علس وغيرهم من فحول شعراء الجاهلية . ولما انتقلت ربعة الى العراق زادتها مناظر ذلك الوادي سعة في الخيال

**قيس :** وتحول الشعر بعد ربعة الى قيس عيلان وكلاهما من مضر . وقيس قبيلة كبيرة من بطونها عيس وذبيان وغطفان وعدوان وهوازن وسليم وثقيف وعامر بن صعصعة ونمير وجعدة وقشير وعقيل . وتقيم هذه الأنبطون أو القبائل في نجد وأعلى الحجاز وقد نبغ منهم جماعة من فحول الشعراء ، فمنهم النابغة بن ذهير بن أبي سلمى وكعب ابنه ولييد والحطيئة والشماخ وخداش بن زهير وغيرهم . وعندهم أن أشعر قيس الملقبون من بني عامر والنسويون إلى أمهاتهم من غطفان (١)

**تميم :** ثم ظهر الشعر في تميم وهي قبيلة كبيرة من مضر أشهر بطونها وقبائلها مازن ومالك وسعد ودارم ويرويع وكعب ومجاشع وزرارة . وكانت تميم قديما تقيم في تهامة ، ثم نزحت في أواسط القرن الثاني قبل الهجرة نحو العراق واستقرت في باديته وما يليها جنوبا . ومن شعرائها المشاهير أوس بن حجر شاعر مضر في الجاهلية لم يتقدمه أحد حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه وكلاهما من قيس

وظهر الشعر بعد ذلك في بطون مدركة من مضر ، وهي هذيل وقريش وأسد وكنانة والدئل وغيرهم

كل هؤلاء من أهل البادية . أما المدن فانها قليلة في جزيرة العرب، وأهمها مكة والمدينة والطائف وقلما نبغ منها شعراء فحول ، وأشعر أهل المدن في الجاهلية على الاجمال حسان بن ثابت (٢)

### ٨ - عدد الشعراء بالنظر الى القبائل

واذا اعتبرت عدد شعراء الجاهلية بالنظر الى القبائل ، كانت قيس أكثرها شعراء ، تليها اليمن فربعة فمضر فقريش فقضاة فايد . وعدد الشعراء في الجاهلية لا يمكن حصره لاسباب سيأتي بيانها . ولكن الذين وصلتنا أخبارهم وأمثلة من أشعارهم يبلغون نحو ١٢٥ شاعرا ، يقسمون على هذه الصورة بالنظر الى القبائل

اسم القبيلة	عدد الشعراء	اسم القبيلة	عدد الشعراء
قيس	٣٠	قريش	١٠
اليمن ( القحطانية )	٢٣	قضاة	٤
ربيعة	٢١	أياد	٢
مضر	١٦	موال غير عرب	١
تميم	١٢		

والزيادة الايضاح نذكر أشهر البيطون التي تدخل تحت كل من هذه القبائل لتسهيل المراجعة على الباحث :

يدخل في قيس .

غطفان - ذبيان - عيس - هوزان - سعد - سليم - ثقيف - عامر -  
كلاب - جعدة - نمير - عقيل - قشير  
في ربيعة :

النمر بن قاسط - عبد القيس - بكن بن وائل - تغلب - يشكر - جشم  
- حنيفة - عجل - شيبان - سدوس - ذهل - ضبيعة  
في القحطانية :

طي - الاشعر - جذام - الازد - كندة - لخم - مذحج - خزاعة -  
همدان - غسان - الاوس والخزرج  
في تميم :

مازن - سعد - دارم - يربوع - مجاشع - بهدلة - مالك  
في قضاة :

جهينة - ضجعم - تنوخ - كلب  
في مدركة :

هديل - اسد - كنانة - قريش - الدئل  
في قريش :

هاشم - أمية - مخزوم - تيم - عدى - سهم - أسد - نوفل - زهرة  
- جمع

## ٩ - كثرة الشعر وتعدد الشعراء

رأيت فيما تقدم استعداد العرب الفطرى واقتدارهم على النظم ،  
لأن لغتهم شعرية بالفاظها وأساليبها ومعانيها . فلا عجب اذا تعدد شعراؤها  
وكثرت أشعارهم ، وان عسر علينا تقدير ذلك بالضبط لضيق أكثر  
ما خلفوه وذهاب أكثر الشعراء لعدم تدوين ذلك في الجاهلية ، واشتغال  
العرب عنه بالفتوح في صدر الاسلام . على أننا نكتفى بالاستدلال على كثرة  
ذلك بما وصل إلينا من أخبارهم ويؤخذ منها أن عرب الجاهلية نظموا  
في نهضتهم الاخيرة قبيل الاسلام ما لم يجتمع عند سواهم في الامم في عدة  
قرون ، وخصوصا في العصر الجاهلى . فالباذة هو ميروس وأوديسته هما  
معظم شعر جاهلية اليونان ، ولا يزيد عدد أبياتهما على ٣٠ ألف بيت ، وكذلك  
مهاباراتة الهنود ٢٠ ألف بيت ، وراماياتهم ٤٨ ألف بيت . وأما العرب فيؤخذ  
مما بلغنا من أخبارهم عما نظموا في نهضتهم الاخيرة قبل الاسلام انه بربو  
على أضعاف ذلك ، وهم بعدون منظوماتهم بالقصائد لا بالابيات ، وقد  
ذكروا أن أبا تمام صاحب كتاب الحماسة كان يحفظ من أشعار العرب

(الجاهلية) ١٤ ألف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع (١) وكان حماد الراوية يحفظ ٢٧ ألف قصيدة (٢) على كل حرف من حروف الهجاء ألف قصيدة . وكان الاصمعي يحفظ ١٦ ألف أرجوزة (٣) وكان أبو ضمضم يروي أشعارا لمائة شاعر كل منهم اسمه عمرو (٤) . ومع ما يظن في ذلك من المبالغة ، فإنه يدل على كثرة ما نظمها العرب من المنظومات . وخصوصا اذا اعتبرنا أن ما وصل الى رواة الشعر في الاسلام إنما هو بعض أشعار الجاهلية ، لأن كثيرين من رواة الشعر الجاهلي قتلوا في الفتوح الاسلامية . . فضعاف ما كان في محفوظهم من الاشعار ، قال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » (٥)

وزد على ذلك ان العرب نظموا الشعر الكثير وأبدعوا فيه ، وهم يكادون يكونون فوضى لا دولة لهم ولا جامعة ولا دين ولا شيء مما حمل اليونان او الهنود أو غيرهم على النظم ، وإنما اندفعوا اليه بفطرتهم . ولولا ذلك لتأخروا في النظم حتى قامت دولتهم ونضجت قرائنهم ، كما حدث للرومانيين . . . . . فان الشعر لم ينظم بلسانهم الا بعد تأسيس دولتهم ببضعة قرون . ولم يبلغ الشعر اللاتيني عصره الذهبي الا في أيام أوغسطس وطيباريوس نحو القرن الثامن من تأسيس رومية ( القرن الاول للميلاد ) ثم أخذ في التقهقر ، ويقال نحو ذلك في دول أوربا الحالية ، فان الشعر لم ينضج عندهم الا بعد نشوء دولهم وتقدمهم في العلم والادب

واذا تدبرت أولئك الجاهليين ، رأيت الشعر دخلا في كل عمل من أعمالهم موافقا لكل حركة من حركاتهم ، حتى يخيل لك أنهم كانوا لا ينطقون الا بالشعر وكان كل واحد منهم شاعرا أو يقول الشعر ولو قليلا ، حتى الملوك والامراء والفرسان والرجال والنساء والوجهاء والحكام والصعاليك والعيبد والصوص والمجائين من النصارى واليهود والوثنيين . وقد تسلسلت القريحة الشعرية في كثير من بيوتهم بالتوارث عدة أجيال . . فالنعمان بن بشير الانصارى من العريقين في الشعر خلفا عن سلف ، جده شاعر وأبوه وعمه شاعران وهو شاعر وأولاده شعراء (٦) ، وكذلك كعب بن مالك من شعراء الصحابة كان أبوه شاعرا وعمه قيس شاعرا وأبناء كعب وأحفاده كلهم شعراء (٧) وهكذا الكميث بن معروف وعبد يغوث بن صلاة ، وعندهم من بيوتات الشعر في الجاهلية عدد كبير ، منهم بيت أبي سلمى فقد كان أبو سلمى شاعرا وابنه زهير المشهور شاعر وله خؤولة في الشعر ، خاله بشامة ابن الغدير شاعر ، وكان ابنه كعب بن زهير وبجير شاعرين وجماعة من أبنائهما شعراء . وحسان بن ثابت تسلسل الشعر في أبنائه بضعة أجيال . . . . . وقس على ذلك شعراء العرب بعد الاسلام فمن بيوتاتهم بيت جرير ، فكان هو وأبوه وجدته شعراء ، وكذلك بنوه وأحفاده . ومنهم بيت رؤبة بن العجاج وبيت أبي حفصة وبيت أبي عيينة (٨) وغيرهم

(١) ابن خلكان ١٢٦ ج ١  
 (٢) ابن خلكان ١٢٦ ج ١ وطبقات الادباء ١٥١ (٤) الشعر والشعراء ٤  
 (٣) المزهر ٢٣٧ ج ٢  
 (٤) الاغانى ١٢٥ ج ١٤  
 (٥) العمدة ٢٣٥ ج ٢  
 (٦) ابن خلكان ١٢٦ ج ١  
 (٧) الاغانى ٢٧ ج ١٥  
 (٨)

على ان ما بلغنا من أسماء الشعراء هو القليل، اذ لم ينقل الرواة من اخبار شعراء العشائر الا الاشهر فضلا عما ضاع خبره . أما الشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرتهم وقبائلهم فأكثر من أن يحيط بهم الحصر او يقف من وراء عددهم واقف ، ولو قضى عمره في التنقيب عنهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال ، وحسبك أنه لم يستطع أحد من رواة الشعر أن يستوفى جمع أشعار قبيلة واحدة (١)

تم ان الشعراء الذين وصلت الينا اخبارهم على قلتهم ، لم يصلنا من اشعارهم الا بعضها ، وضاع سائرهما في إنشاء الفتوح الاسلامية لاشتغال الناس بالاسلام والحرب عن رواية الشعر وذهاب أكثر الرواة والحفاظ في الجهاد ، فلما عادوا بعد الفتوح الى الاشتغال بالادب واخذوا في جمع الشعر لم يجدوا منه الا القليل . ويؤيد ذلك أنك تسمع بالشاعر الفحل من شعرائهم وما له من الشهرة ، ثم لا تجد له من المنظوم ما يلائم تلك الشهرة . . فطرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص مع ما لهما من الشهرة الواسعة في الشعر ، لا نجد فيما رواه الرواة من أشعارهما ما يوازي تلك المنزلة (٢)

### ١ - طبقات الشعراء في الجاهلية

ومع ما قدمناه من ضياع أكثر اخبار الشعراء الجاهليين ومعظم اشعارهم، فان الذين عرفناهم يزيدون على مائة شاعر ، نبغوا في القرنين الاولين قبل الهجرة أور في الخامس والسادس للميلاد وأكثرهم من اهل القرن السادس . . وبعضهم عاش أعواما بعد الاسلام وهم المخضرمون . وقد تقدم احصاؤهم الاجمالي بالنظر الى مواطنهم وقبائلهم ، وبقي أن ننظر فيهم باعتبار طبقاتهم وباعتبار مناحيهم واغراضهم وأخلاقهم ومراتبهم

أما تقسيمهم الى طبقات فمن اصعب الامور ، وقد حاول ذلك غير واحد من ادباء المسلمين في ابان التمدن الاسلامي وتفاوتوا في تعيين الطبقات . . فاعتبراها بعضهم بالنظر الى الاجادة فقالوا : الشعراء أربع طبقات . .

(١) شاعر خنذيد وهو الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره

(٢) شاعر مفلق وهو الذي لا رواية له لكنه مجيد كالخنذيد

(٣) شاعر « فقط » وهو فوق الرديء بدرجة

(٤) شعور وهو لا شيء

وقسمهم آخرون الى شاعر مفلق ، وشاعر مطبق ، وشويعر ، وشعور . وقال بعضهم :

الشعراء فاعلمنَّ أربعة " فشاعر " يجترى ولا يجترى معه

وشاعر " يخوض وسنط المعمة " وشاعر لا تشتهي أن تسمعه

وشاعر " لا تستحي أن تصفه

ورويت هذه الابيات هكذا أيضا :

الشعراء فاعلمن<sup>١</sup> أربعه<sup>٢</sup> فشاعر<sup>٣</sup> لا يرتجى لمنفعه  
وشاعر ينشد وَاَسْطَ المعصه<sup>٤</sup> وشاعر آخر<sup>٥</sup> لا يجرى معه  
وشاعر يقال خَمَّر<sup>٦</sup> في دَعَه<sup>٧</sup> (١)

وقسمهم آخرون الى طبقات بما اشتهر من قصائدهم المنتقاة ،  
وانتخبوا سبع طبقات عدد كل منها سبعة شعراء « تقريبا »  
وفيهم نفر من شعراء صدر الاسلام ٠٠ أولهم أصحاب المعلقات ،  
يليه أصحاب الجمهرات ، فالمنتقيات ، فالذهبات ، فالمرائي ، فالمشوبات ،  
فالمحمت ، وهذه أسماء الشعراء مرتبة حسب ذلك مع الاشارة الى قبيلة  
الشاعر وبلده ، وبعضهم من شعراء العصر الاموى :

اسم الشاعر	قبيلته	بلده
عروة بن الورد	عبس	نجد
مهلهل بن ربيعة	تغلب	العراق
دريد بن الصمة	جشم	نجد
المتنخل الهذلي	هذيل	الحجاز

#### ٤ - أصحاب الذهبات

حسان بن ثابت	الانصار	يثرب
عبد الله بن رواحة	»	»
مالك بن العجلان	»	»
قيس بن الخطيم	»	»
أحيحة بن الجلاح	»	»
أبو قيس بن الاسلت	»	»
عمرو بن امرئ القيس		

#### ٥ - أصحاب المرائي

أبو ذؤيب الهذلي	هذيل	الحجاز
محمد بن كعب الفنوي	غنى	نجد
أعشى باهلة	باهلة	نجد
علقمة الحميري	حمير	اليمن
أبو زبيد الطائي	طى	نجد
متمم بن نويرة	يربوع	»
مالك بن النرب	تميم	العراق

اسم الشاعر	قبيلته	بلده
------------	--------	------

#### ١ - أصحاب المعلقات

امرؤ القيس	كندة	نجد
زهير بن أبى سلمى	مزينة	»
الناطقة الديباني	ذبيان	الحجاز
الاعشى	بكر	اليمامة
ليبيد بن ربيعة	عامر	نجد
عمرو بن كلثوم	نغلب	العراق
طرفه بن العبد	بكر	البحرين
عترة العبسي	عبس	نجد

#### ٢ - أصحاب الجمهرات

عبيد بن الابرس	أسد	نجد
عدى بن زيد	عباد	الحيرة
بشر بن أبى حازم	أسد	نجد
أمية بن أبى الصلت	نقيف	الطائف
خداش بن زهير	عامر	نجد
النمر بن توكب	عكل	»

#### ٣ - أصحاب المنتقيات

المسيب بن علس	بكر	العراق
المرثد الاصغر	ضبيعة	نجد
الملتس	بكر	البحرين

اسم الشاعر	قبيلته	بلده	اسم الشاعر	قبيلته	بلده
٦ - أصحاب المشروبات			٧ - أصحاب الملحقات		
نابغة حمدة	جعدة	نجد	الفرزدق	تميم	العراق
كعب بن زهير	مزينة	»	جرير	»	»
القطامي	غلب	العراق	الاخطل	تغلب	»
الحطيئة	عبس	نجد	عبيد الراعي	هوازن	الحجاز
الشماع بن ضرار	ذبيان	الحجاز	ذو الرمة	عبد مناة	اليامنة
عمرو بن أحمر	باهلة	نجد	الكميت	أسد	نجد
تميم بن مقبل	عامر	»	الطرماح بن حكيم	طى	»

جملة هذه القصائد ٤٩ قصيدة هي نخبة قصائد العرب في الجاهلية والاسلام ، وقد جمعها على هذا الترتيب أبو زيد القرشي في كتاب جمهرة اشعار العرب ، وقد طبع بمصر مشروحا . ولحمد بن سلام كتاب في طبقات الشعراء قد ضاع (\*\*) . ويظهر مما نقل عنه في الاغانى والمزهر وغيرهما أنه أوفى كتاب في هذا الموضوع . وقد رأينا فيما نقل عنه ذكر طبقة خامسة وسادسة ولا نعلم عمدته في ذلك التقسيم (\*\*\*)

### ١١ - تقسيمهم من حيث طبقاتهم

أما تقسيم الشعراء الى طبقات باعتبار الاجادة على الاجمال فأمر غير ميسور ، لان نقدة الشعر لم يتفقوا في هذا الموضوع . على أننا وقفنا على تقسيم لشعراء الجاهلية استخرجناه من كتاب طبقات الشعراء لاسكندر ابكار يوس المطبوع في بيروت ، ولم يذكر على من كان معوله فيه . واليك ذلك في جدول ، وذكرنا بجانب كل شاعر اسم قبيلته وبلده وسنة وفاته على التقريب

(\*\*) نشر هذا الكتاب ، وقد طبع أولا في لندن ، ثم طبع في مصر بدار المعارف طبعة علمية حققها محمود محمد شاكر

(\*\*) سلك ابن سلام فحول الشعراء في العصرين الجاهلي والاسلامي في عشر طبقات . وقد لاحظ في وضع الشعراء بهذه الطبقات كثرة شعر كل منهم ومدى معالجته للفنون المختلفة مع الجودة الفنية . انظر في ذلك كتابنا «النقد» في سلسلة فنون الادب العربي التي تصدرها دار المعارف ص ٤٤

## أ - شعراء الطبقة الاولى (١٠)

اسم الشاعر	نسبه	بلده	سنة الوفاة
امرؤ القيس الكندي	كندي	من أهل نجد	٥٢٩ م
أمية بن أبي الصلت	الثقفي	» الطائف	٦٢٢ م
بشر بن أبي حازم	الأسدي	» نجد	٥٣٠ م
الحارث بن حلزة	اليشكري	» العراق	٥٦٠ م
زهير بن أبي سلمى	الزوني	» نجد	٦٠٩ م
النايفه اللدياني	اللديباني	» الحجاز	٦٠٤ م
طرفة بن العبد	البيكري	» البحرين	٥٥٢ م
عبيد بن الأبرص	الأسدي	» نجد	٥٥٠ م
المهلهل عدى بن ربيعة	التغلبى	» العراق	٥٠٠ م
عدى بن زيد	المبادى	» الحيرة	٥٩٧ م
عمرو بن كلثوم	التغلبى	» الجزيرة	٥٧٠ م
عنتره بن شداد	العسبي	» نجد	٦١٥ م
ليبد بن ربيعة	العامري	» »	٤١ هـ
أعشى قيس	العسبي	» اليمامة	٦٢٩ م

## ب - شعراء الطبقة الثانية

أحيحة بن الجلاح	الأوسى	من أهل يثرب	٥٦١ م
أوس بن حجر	التميمي	» العراق	٦١٠ م
الاسود بن يعفر	الداوسى	» العراق	٦٠٠ م
البراقى بن روحان	التميمي	» العراق	٥٢٥ م
تماضر بنت عمرو الخنساء السلمة	العامري	» نجد	٦٤٦ م
تميم بن مقبل	القهمى	» تهامة	٥٣٠ م
تأبط شرا	الأزدي	» اليمن	٥١٠ م
الشتفري	العسبي	» نجد	أدرك الاسلام
الحطيئة	الضبيعى	» البحرين	٥٥٠ م
الملمس	الطائي	» نجد	٥٦٩ م
حاتم	البيكري	» العراق	٥٢٠ م
الحارث بن عباد			

(١٠) وضع المؤلف أمام كل شاعر سنة الوفاة ، وهى تقريبية ، وخاصة بالقياس الى شعراء العصر الجاهلى . وقد جمع فى هذا الشبث شعراء جاهليين واسلاميين ، وسيلذكر فيما بعد انه عمد الى نظم شعراء صدر الاسلام فى شعراء العصر الجاهلى ، وكأنه لاحظ ملاحظه ابن سلام فى كتابه « طبقات الشعراء » من أنهم تشأوا فى الجاهلية ، وخرج عليهم الاسلام وقد تكونت شاعريتهم ، فهم جاهليون شعرا وان كانوا مسلمين عقبه



سنة الوفاة	بلده	نسبه	اسم الشاعر
٥٤ هـ	من يثرب	الأنصاري	حسان بن ثابت
٥٢٠ م	» العراق	الأيادي	أبو ذؤاد
٥٧٠ م	» نجد	العامري	خداش بن زهير
٥٩٥ م	» نجد	السلمي	خفاف بن نديبة
٢٦ هـ	» الحجاز	الهللي	خويلد بن خالد
٨ هـ	» نجد	الجتيمي	دويد بن الصمة
٥٩٠ م	» نجد	العيسى	الربيع بن زياد
٥٠٠ م	» نجد	الضبيعي	المرقش الاصفر
أدرك الاسلام	» نجد	السعدي	المخيل ربعة بن مالك
٢٨ هـ	» نجد	الضبي	ربعة بن مفرم
٥٦٠ م	» الحجاز	الأوسي	السموئل بن غريض
٥٢٠ م	» تميم	التميمي	سلامة بن جندل
...٠	» أهل يثرب	الأوسي	أبو قيس بن الاسلت
٥٠٠ م	» الحجاز	الهللي	عامر بن حليس
٨ هـ	» يثرب	الأنصاري	عبد الله بن رواحة
أدرك الاسلام	» نجد	الجعدي	النايفة الجعدي
٥٩٦ م	» نجد	العبيسي	عروة الصماليك
٥٦١ م	» تميم	التميمي	علقمة بن عبدة
٤١ هـ	» نجد	الهاهلي	همرو بن أحمر
٥٧ هـ	» نجد	التميمي	عمرو بن الأهم
٥٢٨ م	» العراق	البكري	عمرو بن قميثة
٦١٢ م	» يثرب	الأوسي	قيس بن الخطيم
٢٤ هـ	» نجد	المزني	كعب بن زهير
أدرك الاسلام	» تميم	البرنوعي	مستم بن نويرة
٦٠٠ م	» الحجاز	الهللي	المنخل بن عويمر
٥٢٠ م	» العراق	العبيدي	المثقب العبيدي
٥٨٠ م	» العراق	البكري	المسيب بن علس
١٨ هـ	» نجد	السعدي	الشمخ بن ضار
٢٩ هـ	» تهامة	المزني	معن بن أوس
...٠	» العراق	البيشكري	المنخل بن الحارث
٢٥ هـ	» نجد	العكلي	النمر بن تولب

### ج - شعراء الطبقة الثالثة

أدرك الاسلام	من نجد	البكري	أمية الاسكر
٦١٠ م	» العراق	الطائي	أياس بن قبيصة

<u>سنة الوفاة.</u>	<u>بلده</u>	<u>نسبه</u>	<u>اسم الشاعر</u>
٥٩٠ م	من الحجاز	الأزدى	حاجز بن عوف
» ٦٠٠	» نجد	المرى	الحارث بن ظالم
» ٦٠٥	» تميم	السعدى	سليك بن السلكة
» ٥٦٠	» كلب	الكلبى	زهير بن جناب
٠٠٠	» نجد	النبهاني	زيد الخيل
م ٤٨٠	» أهل العراق.	العبدى	المزق العبدى
	» اليمامة	الزمانى	الفند الزمانى
١١ هـ	» نجد	العامرى	عامر بن الطقييل
١٦ هـ	» »	النلمى	العباس بن مرداس
م ٥٦٦	» اليمن.	النهدى	عبد الله بن العجلان
٢١ هـ	» »	الزبيدى	عمرو بن معدى كرب
٠٠٠	» نجد	العيسى	قيس بن زهير
م ٥٨٢	» تميم	الدارمى	لقيط بن زرارة
أدرك الاسلام	» »	الريومى	مالك بن نويرة
م ٥٧٠	» »	السعدى	المستوغر بن ربيعة
١٧ هـ	» »	الريومى	يزيد بن ورقاء

# خصائص الشعر الجاهلي

## ١ - تمثيل الطبيعة

فطر عرب الجاهلية على البساطة والبعد عن التصنع أو التعمل في كل شيء ، شأن أهل البادية ، لبعدهم عن شوائب المدنية . . فهم على الفطرة الطبيعية ، وعنوانها الصدق بكل معانيه ، ويدخل فيه استقلال الفكر والشجاعة الأدبية والصراحة في القول والعمل . فلا يتكفون في لباسهم ولا طعامهم ولا شرابهم ولا يتصنعون في كلامهم ، وإنما يقولون ما يخطر لهم ويصورونه كما يتمثل لمخيلتهم بلا تنميق أو تأنق . يدل ذلك على ذلك ما ظهر من حريتهم في أقوالهم في صدر الإسلام يوم كان أحدهم يخاطب الخليفة كما يخاطب سائر الناس ، وإذا رأى فيه عوجا انتقده في وجهه والخليفة لا يرى غرابة في انتقاده

أضف الى ذلك تعودهم الاستقلال في شؤونهم الشخصية ، ونفورهم من التقييد بشيء حتى المكان ، فانهم لا يتوطنون صقعا بل يجعلون منازلهم على ظهور ابلهم لا يحملون ضيما ولا يصيرون على ظلم . فتمكنت الحرية من طباعهم حتى ظهرت في أقوالهم وأفكارهم وفي أشعارهم . فاذا طرأ لهم خيال شعري صوروه كما يتخيل لهم ، خلافا لما تقتضيه الحضارة من التكلف وغيره من ثمار الذل والانكسار مما تراه في أقوال الشعراء ، بعد أن استبحر عمران الدولة وكثر المتلقون والمتكسبون بالنجعة والزلفى . أما الجاهليين فالقاعدة في النظم عندهم بيت شاعرهم وحكيمهم زهير بن أبي سلمى وهو :

وإن أشعرَ بيتٍ أنت قائله بيتٌ إذا أنشدته صدقا (١)

### وصف الحب

والبدوى إذا تيممه الحب وأراد التعبير عن شوقه وهيامه يصف ما يشعر به تماما ، فاذا سمعه متيم شعر مثل شعوره . . فهو لا يبالي بضعفه من الوجد حتى يزعم أنه صار خيالا أو طيفا كقول المتنبي : « لولا مخاطبتي اياك لم ترني » أو قول ابن الفارض : « ما له مما براه الشوق في » . ولا يبالي في بكائه وزفيره حتى يزعم أنه غرق في بحر دمه أو احترق بنار زفيره ، ولكنه يقول قول مجنون بنى عامر - وهو معدود من شعراء صدر الإسلام .

الكنه بدوى في طباعه . وان لم يصح ان المجنون اسم على مسمى كما  
سيأتى - فالشعر يعبر عنده عن تصور أهل البادية . ومما ينسب اليه  
قوله :

تذكرت ليلي والسنين الخواليا وأيام لا أعندي (١) على الدهر عاديا  
فما أشرف الأيتفاع إلا صباية ولا أنشد الأشعار إلا تداويا  
وعهدى بليلى وهى ذات موصلد (٢) ترد علينا بالعشى المواشيا  
فشب بنو ليلي وشب بنو ابنها وأعلاق ليلي فى فؤادى كما هيا  
إذا ما جلسنا مجلساً نستلذه تواسوا بنا حتى أمل مكانيا  
خلبلى لا والله لا أملك الذى قضى الله فى ليلي ولا ما قضى ليا  
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها فهلا بشيء غير ليلي ابتلايا  
وخبترتمانى ان تيماء منزل فهدى شهور الصيف عنا قد انقضت  
فيا رب سوا الحب بينى وبينها فمما سميّت عندى لها من سميثة  
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها من الناس إلا بل دمعى ردايا  
فأشهد عند الله انى أحبها فهذا لها عندى فما عندها ليا  
أعد الليالى ليلة بعد ليلة وقد عشت دهرأ لا أعدش الليالىا  
وأخرج من بين البيوت اعلى أحدت عنك النفس بالليل خاليا  
ومثل ذلك قول ابن الدمينه :

فديتك أعدائى كثير وشقتى بعيد وأشياعى إليك قليل  
وكنت إذا ما جئت جئت بعلة فأفنىت علائتى فكيف أقول  
فما كل يوم لى بأرضك حاجة ولا كل يوم لى إليك وصول  
فلا يسمع منحب هذه الايات وامثالها الا رأى الشاعر يعبر عن شعور  
صحيح

#### فى الرثاء

ويقال نحو ذلك فى سائر أغراضهم من الشعر ، فاذا رثى الجاهل ميتا  
لا يوهم القارىء أن السماء أطبقت على الارض ، وأن الشمس كسفت ،

(٢) الموصلد : الخدر

(١) اعدى : أعين

والدنيا لبست الحداد ، ونحو ذلك .. ولكنه يقول قول جليلة زوجة كليب  
برتيه ، وقد قتله أخوها جساس :

يا قتيلا قَوَّضَ الدهر به سَقَفَ بيتيَّ جميعاً من عِلِّ  
ورماني فقدَه من كَثَبِ رمية المِصْمِي به المستأصِلِ  
هدم البيت الذي استحدثته وسعى في هدم بيتي الأولِ  
مَسَّنِي فقد كليب بلغزنيَّ من ورائي ولظى مستقبلي  
ليس من ييكي ليومين كمن إنما ييكي ليومٍ ينجني  
يشتفي المدرك بالثأر وفي دَرَكي ثأري تَكُلُّ المَثَلِ  
ليته كان دماً فاحتلبوا بدلا منه دمي من أكتحلي

#### في الهجو

وإذا أراد أن يهجو ، فهجوه معقول بعيد عن البذاء والفحش . وعندهم  
أشد الهجاء أضعف وأصدق ، وما خرج من ذلك فهو قذف وافحاش . ومن  
أشد الهجاء عندهم قول زهير بن أبي سلمى في آل حصن على سبيل  
التشكك والتجاهل :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء  
فإن تكن النساء مخبات فحقوق لكل مُحَصَّنَةٍ هِداء (١)  
وذكروا ان النابغة سألت قومه بني ذبيان بعد واقعة حسي عما قالوه  
في عامر بن الطفيل فأنشدوه . فقال افحشتم على الرجل وهو شريف  
لا يقال له مثل ذلك ولكني سأقول ، ثم قال :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطية الجهل الشباب  
فكن كأبيك أو كأبي براء تصادفك الحكومة والصواب  
فلا يذهب بلبك طائشات من الخيلاء ليس لهن باب  
فإنك سوف تحلنم أو تنأهني إذا ما شبت أو شاب الغراب  
فإن تكن الفوارس يوم حسي أصابوا من لقائك ما أصابوا  
فما إن كان من سبب بعيد ولكن أدركوك وهم غضاب  
فلما بلغ عامرا ما قال النابغة شق عليه ، وقال : « ماهجاني أحد حتى  
هجانى النابغة .. جعلنى القوم رئيسا وجعلنى النابغة سفيها جاهلا  
وتهكم بي »

(١) العمدة ١٣٩ ج ٢ والهداء : زفاف العروس

ومن لطيف تجافيهم عن الهجو ، ما قاله صخر بن عمرو أخو الخنساء ،  
وقد أراد رثاء أخيه معاوية فقالوا له أهج قتلته ، فتعفف وقال :  
وقالوا ألا تهجو فوارسَ هاشم ومالي وإهداء الخنئى من شماليا  
فعبّر عن الهجو باهداء الخنئى وهو تعبير جميل  
وإذا تحمس الجاهلى أو تفاخر فلا يجعل قومه آلهة وسواهم آبالسة ،  
وانما يقول قول قريط بن أنيف من شعراء بلعنبر :

لو كنت من مازنٍ لم تستبجِ إبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان  
إذا لقم بنصرى معشرٌ خشنٌ عند الحفيظة إن ذو لثوةٍ لانا  
قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا.  
لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا.  
لكن قومى وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر فى شيء وإن هانا.  
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً ومن إساءة أهل السوء إحسانا  
كان ربك لم يخلق لخشيتته سواهم من جميع الناس إسانا  
فليت لى بهم قوما إذا ركبوا شكشوا الإغارة فرسانا وركبانا

### فى الوصف

وكانوا اذا وصفوا حادثة مثلوها بلا مغالاة فى المجاز والكناية كما يفعل  
المتأخرون ، وهذا وصف أبى ذؤيب لحرر الوحش وصائدتها ، كيف ترد  
الحرر وكيف يحتال الصياد فى صيدها ، قال (❖) :

فورَدْنُ والعِشوقُ مقعدَ رابىءِ الِ ضُرباءِ خلفِ النّجمِ لا يَتَلَعُ  
فشَرَعْنَ فى حَجَرَاتِ عَذْبِ بارِدِ حَصْبِ البِطاحِ تغيبُ فيه الأكرعُ  
فشربنَ ثم سمعنَ حسناً دونه شرفَ الحجابِ ورَيْبَ قرعٍ يَقْرَعُ

(❖) تفسير الغريب فى هذه الابيات والشاعر يتحدث فيها عن الوقت الذى وردت فيه الحرر  
لشرب ٠٠ العيوق : نجم ، والنجم : الثريا ويكون العيوق بازائه ، والضرباء : المقامرون على  
الفداح ، والرابىء : المراقب لثمارهم ، لا يتلع : لا يتقدم ولا يتأخر ، شرين : شربن ، حجرات :  
نواحي ، البطاح : الجوانب وبطن الأودية ، والحصب : الملى بالحصباء ، شرف الحجاب :  
مرتفع الحرة ، والحس : الصوت ٠ يقول ان الحرر سمعت ما يربها من صوت قوس أو وتر  
الصائد ، امترست : دنت ، والهادية : المتقدمة ، والجرحع : الغليظ ٠ يقول ان الحرر  
نكرت صوت الصائد فلزمت اتان حمارا خوفا ورهبة ٠ النحوص والمائط : الاتان ليس لها  
ولد ، ومنصمغ : منضم من الدم ، الاقرب : خواصر الحمار ، غيث الصائد : مد يده الى  
كنائنه لياخذ سهما ، صاعديا : سهما مرهفا ، مطحرا : بعيد الذهاب ، الكشع : ما بين الخاصرة  
الى الضلع ، ابدهن حوتفنن : اذان كلا منها حشفا ، الذماء : بقية الروح ، متجعجع : ساقط  
يتضرج فى دمه

فنكره فنفرن فامترست له هوجاء هادية وهاد جرّشع  
 فرمى فأنفذ من نحوص عائطٍ سهياً فخره ورشه متصمّع  
 فبدا له إقرباً هادٍ رائغاً عنه فعيث في الكنانة يرجع  
 فرمى فألحق صاعدياً مطحراً بالكشّح فاشتملت عليه الأضلع  
 فأبدّهن حتوفهن فهارب بذمائه أو بارك متجعجع  
 واذا وصف أحدهم حيواناً او مكاناً او امرأة تحدى تصوير الطبيعة كما  
 هي ولو اضطر الى ذكر بعض الاعضاء التي يعد ذكرها من قبيل البذاء .  
 يفعل ذلك لا تهتكاً وانما يصف الطبيعة كما هي على عادته في سائر الامور .  
 وأحسن الامثلة في وصف المرأة على النحو الذي تقدم قصيدة النابغة في  
 المتجرّدة التي مطلعها :

أمن آل ميّة رائح أو معتدى عجلانَ ذا زادٍ وغير مزوّد  
 وقصيدته اليتيمة في دعد ، ومطلعها :

هل بالطلول لسائل رَدثُ أم هل لها بتكلم عَهْدُ (١)  
 وهما مثل قصيدة سليمان الحكيم في وصف ملكة سبأ المعروفة بنشيد  
 الانشاد ، وهو مذهب جماعة من شعراء عصرنا وكتابه في أوروبا يمثلون  
 الطبيعة كما هي ، ويعرفون بأصحاب الحقيقة Realistes ومنهم زولا  
 وتولستوى

على ان الجاهليين لا تخلو أشعارهم من التشبيه والمجاز او الكناية ،  
 ولكنهم يفعلون ذلك بلباقة كقول عنتره يصف ذباب الروض :

وخلأ الذبابُ بها فلبس بيارحٍ غرداً كفعل الشارب المترثم  
 هزجاً يحكُّ ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجنم (\*)

## ٢ - البلاغة في التركيب

ان لغة الجاهلية على الاجمال لا تزال مثال البلاغة حتى الان لبعدها عن  
 مفاسد العجمة ، وهي معروفة بخلوها من الحشو وليس فيها من زخارف  
 المدينة كالبديع والجناس ولا المجاز او الكناية الا بقدر الملح من الطعام . اما  
 ما نجده في بعض اشعار الجاهلية من التعقيد ، فسببه غرابة بعض الالفاظ  
 على أفهامنا وبعد بعض التراكيب عن مالوفنا . ولا بد لمن يطالع تلك الاشعار

(١) نشرت هذه القصيدة في السنة ١٤ من الهلال ص ١٧٤ مع سبب نظمها  
 (\*) هزجا : مصوتنا ، الاجنم : مقطوع اليدين ، الزناد : حجران يضرب احدهما بالآخر  
 فتخرج منه النار

من تفهم الالفاظ والتعود على أساليبها ، فاذا فعل ذلك هان عليه فهمها . .  
فمن يقرأ قول امرئ القيس في قصيدته التي يصف بها الفراق وناقته  
وفرسه فيصل الى قوله :

وإنك لم تقطع لثبانة طالبٍ بمثل غدوٍّ أو رَواحٍ مؤوَّبٍ  
بأدماءٍ حرَّجوجٍ كأن قُتودها على أبلقِ الكشَّحين ليس بمُعربٍ

يجد غرابة في تركيب الالفاظ ولا يفهم المراد ، لكنه متى علم أن الادماء  
النساقة اشرب سوادها بياضاً ، والخرجوج الطويلة ، والقنود خشب  
الرحل ، وأبلق الكشَّحين حمار الوحش ، والمغرب الأبيض الوجه والاشفار  
وذلك عيب في اصطلاحهم ، أدرك مراد الشاعر من البيت الثاني وقس عليه  
سائر التفسير

ان البلاغة فطرية في عرب البادية شعرا ونثرا . . وكان العرب في صدر  
الاسلام يتمثلون بأقوال الاعراب المعاصرين لهم لما فيها من البلاغة والإيجاز  
السهل الممتع ، وقد نقل ابن عبد ربه طائفة حسنة منها في عدة صفحات.  
يباب كلام الاعراب في الجزء الثاني من كتابه « العقد الفريد » فليراجع هناك  
وفي سائر كتب الادب . فاذا طالعتها رأيت نفوسا كبيرة وعقولا راجحة لما  
فيها من الحكمة والموعظة وصدق النظر

على أنك تجد في كلام الاعرابي جفاء واغرابا وخشونة في اللفظ لتعوده.  
مخاطبة الابل (١) وليست الخشونة في شعراء الجاهلية على الاجمال . .  
وانما هي تكثر في أهل الجبال والبادية الوعرة الذين لم يخالطوا أهـل  
الحضارة مطلقا ، فيكون ذلك من تأثير البيئة . . فان شعر عدى بن زيد وهو  
جاهلي أسلس من شعر الفرزدق وجريز وهما اسلاميان ، للآزمة عدى  
الحضارة واستيطانه الريف وبعده عن جلالة البادية وجفاء الاعراب (٢)

على ان الشعر تختلف رفته وخبثونته باختلاف الفرض منه ، فشعر  
العاشق أرق من شعر الفارس ، وشعر الحضارة الطيف من شعر البداوة.

### ٣ - مذاهيبهم وأساليبهم

لا يتقيد الجاهلي في نظمه بمقدمة أو تمهيد كما يفعل غيره من شعراء  
المدنية بعد الاسلام من استهلال القصائد بالنسيب والفزل ونحوهما ، لكنه  
يصدر القصائد الطويلة غالبا بذكر المنازل والاطلال ويبكى على الطلول . .  
وذلك طبيعي عندهم لانهم أهل رحلة لا يقيمون في المكان حينما حتى ينزحوا  
عنه اما فرارا من عدو أو التماسا للمرعى أو الماء أو نحو ذلك ، كقول امرئ  
القيس : « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »  
وقوله : « الأعم صباحا ايها الطلل البالي »



أما المولدون أو المحدثون فإنهم يصدرون قصائد المدح وغيرها بذكر الحبيب والشوق والوجد والوصل ، وليس هناك حبيب ولا وجد كما سنبين ذلك . .

والجاهلي اذا عمد الى النظم في الفخر بدأ به أو ذكر المنازل وتخلص له . ويندر فيهم من يفعل غير ذلك كقصيدة عنتره الفخرية التي يبدأ فيها بذكر الصبا واللهو والغزل والاعين النجل في بيتين ، ثم يتخلص الى الفخر كقوله :

من لى برَدِّ الصَّبَا واللهو والغزل هيهات ما فات من أيامك الأوَّل  
طوى الجديدان ما قد كنت أنشره وأنكرتى ذواتُ الأعين النَّجْلِ  
وما ثنى الدهرُ عزمي عن مهاجمةٍ وخَوْضٍ معمعةٍ في السهل والجبل  
ولكن هذه القصيدة يغلب انها موضوعة بعد الاسلام

وقد يستهل الجاهلي شعره بمخاطبة خليله في بيت أو شطر ، ثم يستطرد الى الموضوع الذي بريده . . أو يبدأ بطلب الاخبار بدون ان يذكر الخليل ، كقول امرئ القيس قبيل وفاته في سفح جبل عسيب :

ألا أبلغ بنى حجر ابن عمرو وأبلغ ذلك الحرَّ الحديد  
بأنى قد هلكت بأرض قومٍ سحيقاً من دياركم بعيداً (١)  
وقوله بمكان آخر :

ألم يخبرك أن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجال (٢)  
وقد يتكلم بالمشى كأنه يخاطب اثنين كقول عبد يغوث :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم نفع ولا ليا  
ألم تعلمنا أن الملامة نفعها قليل وما لومى أخى من شماليا  
ومن مذاهبهم طرد الخيال وهو مذهب كثيرين منهم ، ولكن طرفه بن  
العبد اول من طرقة فقال :

فقل لخيال الحنظليَّة ينقلب اليها فإني واصل "حبيل من وصل" (٣)  
وفي مقدمة ابن خلدون أمثلة كثيرة من ابتداءات الجاهلية فى النظم ، من اراد التوسع فى الامثلة فليراجعها هناك ( صفحة ٥٠١ )

ولكن الغالب فى نظمهم ان يبدأوا بالفرض المراد رأسا ، فان كان فخرا  
فبالفخر ، حماسة فبالحماسة ، أو غزلا فبالغزل ، أو رثاء فبالرثاء .

(٢) شعراء النصرانية ١ والنختور : الخائن.

(١) شعراء النصرانية ٣٤

(٣) العمدة ١٠١ ج ٢

ومن مراثى المهلهل لأخيه كليب قصيدة مطلعها :

كليبُ لا خير في الدنيا ومن فيها ان أنت خكيتُها فيمن يخكيتُها (١)  
ومرثية أخرى مطلعها :

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً وقتيلاً من الأرقام كهلاً (٢)  
قتلتهُ ذُهْلٌ فليست براضٍ أو نُبيدَ الحين قيساً وذهلاً

وقس عليه غيره من الأرقام . . على أن بعضهم يستهل بالحكم ليتخلص  
للمدح أو الرثاء ، وبعضهم يتغزل أو يشبب وهم قليلون ، ولهم أسماء  
أناث يتغزلون بها يسمونها عرائس الشعر كقطام وهند ودعد وغيرهن

### { - أبواب الشعر عندهم

ان أبواب الشعر اليوم تعد بالعشرات ، ولم يكن منها في الجاهلية إلا  
الفخر والحماسة والتشبيب والمديح والهجاء . . وتفرع من المديح الرثاء  
وهو مدح الميت . والاصل في المديح والهجاء الدفاع عن القبيلة والظعن في  
أعدائها . . ذلك كان غرض الجاهليين من المديح والهجاء ، فأكثر مدحهم في  
قبائلهم ورؤسائها وفرسانها ليس على سبيل الاستجداء الا قليلاً ، وكانت  
قصائدهم في ذلك قصيرة . وقلما رثوا غير اخوتهم واخوانتهم أو أبنائهم أو  
بعض أهلهم مدفوعين بالشعور الطبيعي ، ولذلك كان لرثائهم وقع في النفس  
كقول تلك الاعرابية في رثاء ابنها :

من شاء بعدك فليمت	فعليك كنت أحاذرُ
كنت السواد لناظري	فعمى عليك الناظر
ليت المنازل والديا	ر حفائرٌ ومقابر
إني وغيري لا محا	لة حيث صرت لصائر

اما المدح فأمدح الجاهليين زهير والأعشى ، فمن امثلة مدح زهير بالكرم  
قوله :

أخى ثقةٍ لا تهلك الخمرُ ماله ولكنه قد يهلك المالَ نائله  
تراه إذا ما جئتُه متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله  
فمن مثلُ حصنٍ (٣) للحروب ومثله لإنكار ضميمٍ أو لخصمٍ يجادله  
وقد يبالغون ولكنهم لا يخرجون عن المعقول كقول زهير في هرم بن سنان:

(١) شعراء النصرانية ١٦٦ (٢) الأرقام : حى من تغلب  
(٣) حصن : من سادة بنى فزارة

لو كان يقعد فوق النجم من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا قوم "سنان" أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا إنس" إذا أمنوا حين إذ فرعوا مرزءون بهاليل" إذا جهدوا محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا وفس على ذلك سائر الأعراس . .

على أن في منظوماتهم كثيرا من الشعر الوصفى ، وأكثره في وصف حيواناتهم ومنازلهم وأدواتهم ، وفي وصف أخلاقهم ومناقبهم ومثالبهم ومفاخرهم ووقائعهم . وفيهم طبقة من الوصافين اشتهروا بوصف الخيل خاصة ، وآخرون بوصف الناقة أو حمار الوحش أو القطا أو غيرها ، وسنعود إلى تفصيل ذلك في مكانه

#### ٥ - التمثل بحيواناتهم وعاداتهم

قد صور عرب الجاهلية عاداتهم وحيواناتهم وأدواتهم في أشعارهم ، كما صورها المصريون والآشوريون واليونان والرومان على قصورهم ومعابدهم . وكما استخرج علماء الآثار عادات تلك الأمم وأخلاقها من آثارها المنقوشة أو المحفورة ، فالباحث في شعر الجاهلية يستخرج منه عادات العرب وأدابهم وأخلاقهم وطبائعهم وسائر أحوالهم . ولذلك قال ابن خلدون ، « ان الشعر ديوان علوم العرب وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصل يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم » ونزيد على ذلك « انه مستودع عاداتهم وأخلاقهم وأدواتهم وصنائعهم » وقد درس هذا الموضوع جرجى ينى الطرابلسي صاحب الباحث ، ونشر فيه مقالة ضافية في « المقتطف » سنة ١٣ و ١٥ بعنوان : « العرب قبل التاريخ » ودرسه أيضا محمد المويلحي وله مقالة في « رموز العرب وتخيلاتهم » نشرت في « المقتطف » سنة ١٩ استخرج فيها عاداتهم ومعتقداتهم من أشعارهم . .

والعرب يتغزلون بحيواناتهم ويتمثلون بها ، وخصوصا الناقة والفرس والقطا والحمام ، ويغلب فيهم ان يذكروا الحمام في الغزل ، والناقة في السفر ، والخيل في الحرب

#### ٦ - المفاخرة والمعاظمة والقارعة

كان العرب في جاهليتهم أهل اباة واستقلال وفخر ، فقامت المفاخرة بين قبائلهم وأحيانهم ، وأصبحوا يتنافسون في كل شيء حتى في المصائب وهي المعازمة . أشهرها معاظمة الخنساء وهند بنت عتبة ، فكانت الخنساء تأتي الموسم وتبكي أباهما وأخويها وقد سومت هودجها براية وتقول : « أنا أعظم العرب مصيبة » فأصيبت هند بنت عتبة المذكورة في واقعة بدر ، فقتل أبوها وعمها وأخوها فلما باغها قاتله الخنساء قالت : « أنا أعظم

العرب مصيبة » وأمرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ وقالت : « اقنونا جملي بجمل الخنساء » ففعلوا ، فلما تقاربنا تعارفنا وتعاطمنا نظما ونثرا (١)

فاذا كان هذا شأن التنافس بين عامة الناس ، فأحرى به أن يكون بين الشعراء . ومن أنواعه المقارعة على الاحساب كالتى جرت بين عامر ولبيد والاعشى من جهة ، وعلقمة والحطيئة وقتيان من بنى الاحوص من جهة أخرى . . وأخذوا يتناشدون في المقارعة في حديث طويل (٢)

ومن هذا القبيل المنازعة بين قبيلتين أيهما أشعر ، كما جرى بين عمر بن ابي ربيعة والفضل بن العباس اللهبى في المسجد الحرام . . فأخذ كل منهما يورد أشعارا لابناء قبيلته ، ويبرهن على أنها أحسن مما قاله الشعراء من القبيلة الاخرى (٣)

ولما جاء الاسلام ذهبت عصبية القبائل وصارت المفاخرة بين المهاجرين والانصار (٤) ، وعندهم أيضا المراجعة (٥) وهى المقارعة بالرجز ومنها المناشدة بالاشعار

#### ٧ - الأنفة والعفة

كان العربى في الجاهلية صاحب أنفة وشرف يأبى الضيم ويفار على العرض ، اذا قال فعل واذا وعد وفى واذا اضطر الى رهن فى أمر عظيم رهن قوسه . . ولا قيمة للقوس بنفسها ، ولكنها عندهم شرف الرجل فهو قائم بما رهنها له مهما كلفه (٦)

ولم يكن أشد منهم غيرة على العرض ، وفى أخبارهم ما لا يحصى من الدفاع عن المرأة وعرضها ، وكثيرا ما نشبت الحرب فى هذا السبيل . وقد كان سبب الحرب التى قتل فيها زهير بن جديمة العيسى ، ان ابنه شأسا اغتسل بجانب أبيات لبنى غنى بماء لبنى عامر فنأداه رجل غنى أن يستتر فلم يحفل به فرماه بسهم فقتله ، وجر ذلك الى حرب قتل فيها زهير المذكور وغيره

وكانوا يفتخرون بالعفة خلافا لما صارت اليه طبائعهم حين امتزجوا بالموالى من الامم الاجنبية . وتمثيلا للفرق بين الحالين ، قابل ما قاله عنتره بما قاله أبو نواس الفارسى . . قال عنتره :

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها  
وقال أبو نواس :

(٢) الاغانى ٥٥ ج ١٥  
(٤) الاغانى ١١٢ ج ١٥  
(٦) المقدم الفريد ٥٢ ج ٣

(١) الاغانى ٣٥ ج ٤  
(٣) الاغانى ٨ ج ١٥  
(٥) الاغانى ١٠٠ ج ٧

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل  
والباعث والناس قد رقدوا حتى أتيت حليلة البعل

ولذلك قل التهتك في تغزلهم . وبعض القبائل تمد الغزل رذيلة ، (١)  
وتجد ذلك ظاهرا في أشعارهم .. فالجاهل متعفف بألفاظه وأخلاقه بعيد  
عن الفحش في القول او السباب الا ما يرى به تمثيل الطبيعة كما تقدم

#### ٨ - لا يستجدون

الجاهلي لاينظم التماسا للعطاء وانما ينظم لداع يحركه ، اما دفاعا عن  
مرض ، او تحمسا لحرب ، او تشكيا من الفراق ، او بكاء على فقيد ، او  
بحو ذلك . وقد يمدح ولكن مدحه يكون على الغالب شكرا على صنيع  
لاستدرارا لجائزة ، كما صار اليه الشعراء في الاسلام بالتقرب والتزلف .  
وكان موضوع مدائح الجاهليين شيوخهم وامراءهم ، كهرم بن سنان ، وعامر  
ابن الظرب ، والقرع بن حابس ، وربيعة بن مخاشن وغيرهم

فقد مدح زهير هرم بن سنان ومدح غيره لا للاستجداء . على أن بعضهم  
انشجع بشعره ، وأول من فعل ذلك الاعشى .. ونظم بعض الجاهليين في  
مدح المناذرة او الفساسنة او بعض أمرائهم . وأشهر المداحين في الجاهلية  
الاعشى والربيع بن زياد والنايفة الذبياني والنخل اليشكري وأبو  
زيد الطائي ومعن بن أوس وزهير بن أبي سلمى والحطيئة . وسنأتي على  
أخبارهم في أماكنها

#### ٩ - منزلة الشاعر في الجاهلية

كان للقبيلة عدة شعراء ، تقدم واحدا منهم تسميه شاعر القبيلة . وهي  
تهتم باعداد الشاعر ، كما تهتم باعداد القائد والخطيب .. فيقال ان قائد  
القبيلة الفلانية فلان وقارسها فلان وشاعرها فلان (٢) لان الشعراء حماة  
الاعراض وحفظة الاثار ونقلة الاخبار . وربما فضلوا نبوغ الشاعر فيهم على  
نبوغ الفارس ، ولذلك كانوا اذا نبغ فيهم شاعر من قبيلة .. أتت القبائل  
الآخري فهنأتها به وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما  
يصنعن في الاعراس ، وتتباشر الرجال والولدان لاعتقادهم أنه حماية  
لأعراضهم ودفاع عن أحسابهم وتخليد لآثرهم وأشادة لذكورهم (٣) . وفي  
الواقع أن ما بقي لنا من أخبار عرب الجاهلية وآدابهم وعلومهم وأخلاقهم ،  
أما هو منقول عن أشعارهم

وكانوا يتخذون الشعراء واسطة في الاسترضاء او الاستعطاف او يجعلونهم  
وسيلة لآثارة الحروب ، فيكون الشاعر لسان حال القبيلة يعبر عن غرضها

(٢) الاغانى ١٤٦ ج ٤

(١) الاغانى ١١١ ج ٧

(٣) الزهر ٢٣٦ ج ٣

وينطق بلسانها شأن الصحف الرسمية اليوم . فان الصحيفة الرسمية اذا قالت قولاً ، علم الناس ان الحكومة تريده . وهذا هو سبب ما كان يظهر من تأثير الشعر في السياسة . ولذلك فالقبيلة مطالبة برعاية شاعرها والقيام بما يحتاج اليه واكرامه وتقديمه

ولم يكونوا يقدمون الشاعر لانه يدافع عنهم فقط ، ولكنهم كانوا يجلون الشعر نفسه لما كان له من الوقع في نفوسهم . . يدل على ذلك تعليق التعليقات بأستار الكعبة اجلالاً لها (١) وستعود الى ذلك

### ١٠ - تأثير الشعر في نفوس العرب

قد علمت مما تقدم ان طبيعة العرب شعرية ، لانهم ذوو نفوس حساسة وشعور دقيق تقعدهم الكلمة وتقيمهم ، شأن صاحب الفروسية والنجدة المعسر عنهما عند الافرنج بالشفاليرى . وكان العرب على الاجمال أهل حافظة اذا أعجبهم البيت حفظوه وتناقلوه . . فيشيع على ألسنتهم كبارا وصغابرا ويتحدثون به في انديتهم ومجتمعاتهم . فاذا كان هجوا سقط القول فيه ، واذا كان مدحا اشتهر اسمه . ولكن الهجو كان غالبا عليهم ، وقد وفق بعض الشعراء الى شيوع اشعارهم لخفتها . وكان الاعشى من أسير الناس شعرا ، وكذلك زهير والنايفه وامروء القيس

فالقبيلة اذا هجاها شاعر فحل ، حط الهجو منها خصوصا اذا كان الهجو مطابقا للواقع ، والا رد شاعرها عنها فتعود الى مقامها . وليس في العرب قبيلة الا هجيت ، فمن القبائل التي لم يؤثر الهجو فيها قبائل تميم وبكر وائل وأسد وأمثالها . ومن القبائل التي اثر فيها الهجاء مع مقامها في الشجاعة احياء من قيس منهم غنى وبأهله ومحارب واهياء من أد بن طابخة منهم تميم وعكل وغيرهما . وهناك قبائل كان حظها من الشعراء الدبح ، كبنى مخزوم من قريش

وكانت القبيلة اذا مدحت فاخرت سائر القبائل لا سيما اذا كان مادحها من غير ابناءها . ونحكي ان شعراء تميم كانوا يذكرون قيسا بالمدح والاعجاب ، فافتخرت قيس على تميم . وما زالت تميم منكسة رؤوسها حتى قام لبيد العامري وهو من قيس ، فذكر تميما في شعره وأطراها وفعل ذلك شاعر آخر من قيس ، فتكلمت عند ذاك تميم وافتخرت (٢)

ومن أمثلة تأثير هجو الشعراء في القبائل شعر حط من قدر الحيطات وهم بطن من تميم ، فقال الشاعر فيهم :

وأيت الحمير من شر المطايا كما الحبطات شر بني تميم  
وهل أهلك ظليم البراجم الا قول الشاعر :

انز أبا نأ ففحة لدارم كما الظلئيم ففحة (١) البراجم  
وقد أهلك بنى العجلان قول الشاعر :

إذا الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل  
قبيلته لا يقدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل  
ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراء عن كل منهل (٢)

ويشبه ذلك بيت جرير فى بنى نمر من عامر بن صعصعة فى الدولة  
الأموية ، فانه جعل كل نمري اذا سئل عن نسبه قال انه عامرى ، وهذا هو  
البيت :

فغض الطرف إنك من نمر فلا كعباً بلغت ولا كلاباً  
وبعكس ذلك ما اصاب بنى أنف الناقة من الرفعة ، فقد كان الرجل  
منهم اذا سئل عن نسبه قال من بنى قريع وهو نسب آخر لهم ، حتى قال  
الحطيئة فيهم :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذئبا  
فأصبحوا يفاخرون بقبيلتهم ..

على ان الشعراء لم يكونوا يعتمدون هجاء غير القبائل الظاهرة النابها ،  
فسلمت القبائل الخاملة من هجومهم . وشأنهم فى ذلك مثل شأن الصحف  
السياسية فى البلاد الاجنبية . فان الاحزاب يهجمها انجياز احدى الصحف  
المهمة الى جانبها ، كما كان يهجم القبيلة او الجماعة فى الجاهلية ان ينصرها  
شاعر مشهور فتبدل له ما يريد فى سبيل نصرتها . ولذلك فان الاعشى لما  
رقد على الرسول ومدحه ، فبلغ ابا سفيان ذلك ، جمع رجال قريش وقال  
لهم : « والله لئن اتى محمداً واتبعه ليضرم عليكم نيران العرب بشعره  
فأجمعوا له مائة من الابل » ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده (٣)

وكان لشعر الاعشى تأثير كبير فى النفوس ، ويحكى من هذا القبيل ان  
رجلاً من كلاب اسمه المحلق كان له ثلاث بنات لم يزوجهن ، وكان معسراً .  
وجاء الاعشى يقصد مكة فسمعت امرأة المحلق به ، فحثت زوجها ان يدعوها  
للضيافة قبل سواه ويذبح له لانه اذا قال شعراً شاع . فدعاه المحلق ونحر  
له ناقة ، وبالغت المرأة فى اكرامه وكرام رفاقه وكان فى عصاة قيسيه .  
فلما جرى الشراب فى عروقه سأل المحلق عن عياله فشكا له حال بناته ،  
ولما وافى سوق عكاظ أنشد قصيدة مطلعها :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق ومابى من سقم ومابى معشوق

(٢) البيان والتبيين ١٦٩ ج ٢

(١) الفحة : السوا

(٣) الاغانى ٨٦ ج ٨

ثم تخلص الى مدح المحلق واطرائه في السخاء وكرم الاخلاق والناس يسمعون ، فلما فرغ من الانشاد انسل الناس الى المحلق يهتئونه وهرع الاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه يخطبون بناته ، فلم تمس منهن واحدة الا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف (١) ، وكذلك فعل سكين الدارمي في أنفاق الخمر السود (٢) ، ومن شدة تأثرهم بالشعر ان الشاعر ربما لقب بلفظ ورد في بيت من اشعاره كما لقب المرقش والنابغة والمخرق وافنون وغيرهم (٣) حتى في الغناء ، فان السامع ربما تأثر من معنى الشعر أكثر من نغمه

### ١١ - أشعر شعراء الجاهلية

ما برح العرب منذ صدر الاسلام مختلفين فيمن هو أشعر شعرائهم، ولهم في ذلك اقوال كثيرة . . على ان تقسيم الشعراء الى طبقات قد يعد حكما اجماليا في ذلك . ويستدل منه ان أصحاب المعلقات هم أشعر الشعراء في حكمهم ، وأشعر هؤلاء ثلاثة : امرؤ القيس ، وزهير بن أبي سلمى ، والنابغة . وقد اجمعوا تقريبا على تفضيلهم ، وانما اختلفوا فيمن هو أشعرهم اختلفا كثيرا . . قال أبو عبيدة : « أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، فان قال قائل ان امرأ القيس ليس من أهل نجد فلعمرى ان هذه الديار التي ذكرها في شعره ديار بني اسد بن خزيمة . وفي الطبقة الثانية الاعشى وأبيد وطرفة » . وقبل ان الفرزدق قال : « امرؤ القيس أشعر الناس » ، وقال جرير : « النابغة أشعر الناس » ، وقال الاخطل : « الاعشى أشعر الناس » ، وقال ابن احمر : « زهير أشعر الناس » ، وقال ذو الرمة : « لبيد اشعر الناس » ، وقال ابن مقبل : « طرفة أشعر الناس » ، وقال الكمي : « عمرو بن كلثوم أشعر الناس » والقول الراجح ما قال أبو عبيدة : « امرؤ القيس ، ثم زهير ، والنابغة ، والاعشى ، ولبيد ، وعمرو ، وطرفة »

على اننا نرى في الحكم على شاعر انه أشعر أهل زمانه على الاطلاق حيفا، اذ قد ينفرد كل شاعر بمزية تفضله على سواه . . فيجيد شاعر في انحماسة ، وآخر في المديح ، أو الفزل ، أو غير ذلك من أغراض الشعر . وعلى ذلك قالوا : « أشعر الشعراء أربعة : زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وعنترة اذا غضب »

والذي عليه الاكثرون في وصف أصحاب المعلقات ، ان امرأ القيس صاحب النصيب الاوفر في الشعر . . لان الشعر في تعبيرهم كان جملا فنحرا ، فأخذ امرؤ القيس رأسه . وان زهيرا يمتاز بأنه لا يعاقل بين كلامين ولا يتبع وحتى الكلام ولا يمدح احدا بغير ما فيه ، ولشعره ديباجة ان شئت قلت شهد ان مسسته ذاب ، (٤) وأن النابغة أوضح الشعراء معنى وأبعدهم

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ٢٩ ج ٣  
(٤) جمهرة أشعار العرب ٢٥

(١) المدة ٢٥ ج ١  
(٣) لطائف المعارف ١٧



غاية وأكثرهم فائدة . وان الاعشى امدحهم لملوك واوصفهم للخمر وأقدرهم شعرا وأحسنهم قريبا . وان لييدا أقلهم لفوا وعمرو بن كلثوم أعزهم نفسا وأكثرهم امتناعا واجودهم واحدة . وطرفة اشعرهم اذ بلغ مع حداثة سنه ما بلغ القوم في طول اعمارهم

### ١٢ - رواية الشعر

من عادة العرب في رواية الشعر ، أنهم كانوا في أيام الجاهلية اذا نبغ الشاعر صحبه رجل يروى له أشعاره . ويفلب في الراوية أن يكون مرشحا للشاعرية ، كأنه تلميذ يتدرب على يد استاذ يأخذ عنه . وكان اعتمادهم في الجاهلية على الحفظ ، لانهم لم يكونوا يكتبون . . فكان كثير عزة راوية جميل بثينة ، وجميل راوية هدية بن خشرم ، وهدية راوية الحطيئة ، والحطيئة راوية زهير وابنه (١) . وكان الراوية في الجاهلية وأوائل الاسلام يروى للشاعر الواحد ويصحبه وينشد له ، ويعجب به اعجاب التلميذ بأستاذه ، ويناضل عنه ويفضله على سواه

وليست هذه العادة خاصة بالعرب ، فان اليونان القدماء كان عندهم أناس يروون الشعر وغيره ويسمون واحدهم Rhapsodist ، أشهرهم في القديم رواية الياذة . . على أن بعض الادباء أهل الذكاء من العرب ، كان يروى الشعر بدون التخصص بشاعر دون آخر . . وانما كان يفعل ذلك وغبه في الادب والعلم . افقد كان في القديم أربعة من قريش كانوا رواية الناس للشعار وعلماءهم بالانساب والاخبار ، وهم : مخزومة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر ابن عبد الله بن عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل بن أبى طالب . وكان عقيل أكثرهم ذكرا لمثالب الناس . . فعادوه لذلك وقالوا فيه وحمقوه حتى ألف بعض الاعداء فيه الاحاديث

### ١٣ - شعراء الجاهلية من حيث اغراضهم

تقدم ما للشعر الجاهلى من الخصائص التى يمتاز بها على الاجمال ، ولكن هذه الخصائص تختلف باختلاف اغراض الشعراء . . وينقسم الشعراء من هذا الوجه الى مجاميع ، لكل منها غرض أو أسلوب أو منحى خاص . وستوخى في تقسيمهم غير ما نراه في كتب القدماء ، فنقسم الشعراء بالنظر الى اغراضهم فى النظم

وقد علمت أن الشعراء الجاهليين الذين بلغتنا أخبارهم نحو مائة شاعر وبعض المائة من القبائل على اختلاف أصولها . . وكلهم عرب الا واحدا كان عبدا لبنى الحسحاس وهو أعجمى . فلا عجب اذا خلص الشعر الجاهلى من العجمة لفظا وتركيبيا ، خلافا لما آلت اليه حال الشعراء بعد الاسلام اذ

نبغ فيهم طبقة من الموالي غير العرب ، كما سيجيء . فالشعراء الجاهليون كلهم عرب ، وأكثرهم من عدنان كما تقدم . . ومعظمهم أهل بادية ورحلة متشابهون في أخلاقهم وأغراضهم ، وأهمها في القرنين الأخيرين قبل الإسلام : الحرب فيما بينهم ، يوم كان البدوي يبيت وسيفه أو رمحه ضجيجاً ، كأنه يتحفز للنهوض في الصباح للغزو التماساً للرزق أو الفخر أو للثأر . فيقضي أيامه في الحرب أو يتأهب للحرب ، والشاعر لسان حال قبيلته أو امرأة أخلاقها وآدابها . فلذلك كان أكثر شعراء الجاهلية من أهل الحرب الفرسان الشجعان ، وقد اشتهر جماعة منهم في وقائع مشهورة نظموا فيها قصائد الحماسة والفخر . وإذا اعتبرنا عدد شعراء الجاهلية مائة ، كان نصفهم من الفرسان وأهل الحرب ، وأكثر أشعارهم في الحماسة والفخر . . وبينهم طائفة من الملوك والأمراء ، أى كانت لهم الرياسة في قبائلهم وهى أكبر المناصب السياسية في ذلك العصر . ومنهم طائفة من الحكماء وأهل التعقل والعلم والحكمة . وطائفة أخرى من العشاق التيمين الذين هاج العشق شاعريتهم . وآخرون يدخلون في صف الفرسان ، لكنهم يختصون بصفة مشتركة هى العدو والغزو ، ويسمونهم الصعاليك . ومنهم طائفة تجمعها طبيعة الهجو ففيهم ميل الى المهاجة . وآخرون اقتصوا بوصف الخيل وغيرهم بالغناء . ومن الشعراء من يجمعهم المذهب ، وأخيراً النساء الشواعر ، وهناك طائفة لا تدخل في إحدى هذه الطبقات

فهذا تقسيم الشعر من حيث أغراض الناظمين وطبائعهم ومراتبهم ، لكن علماء الشعر تعودوا تقديم أصحاب المعلقات على سواهم وهم مختلفون غرضاً ووجهة متشابهين قوة وشاعرية ، فنجعلهم في باب على حدة . وعليه فتكون طبقات الشعراء الجاهليين من حيث أغراضهم ومراتبهم ١٣ طبقة ، وهذه هى مع عدد الشعراء من كل طبقة :

عدد الشعراء	عدد الشعراء
٤ النساء الشواعر	١٠ أصحاب المعلقات
٤ الهجاءون	١٤ الشعراء الامراء
٤ الوصافون للخيل	٢٨ الشعراء الفرسان
١ الموالي	٤ الشعراء الحكماء
٣٦ سائر الشعراء	٨ العشاق
	٧ الصعاليك
	١ المغنسون
١٢١ المجموع	

هؤلاء شعراء الجاهلية وعددهم ١٢١ شاعراً ، وليس هم كل من قال شعراً في الجاهلية ، إذ لم يوجد بينهم ذكى لم يقل الشعر لانه كان سجية في العرب كما تقدم . وانما وصلنا من أخبار أولئك نخبتهم وأشعرهم ، ولم نذكر كل من وصلنا أخبارهم وانما اخترنا أكثرهم شعراً وأقواهم شاعرية . والافى ديوان الحماسة وجمهرة أشعار العرب والمفضليات وأشعار الهذليين

والاغاني وسائر كتب الادب واللغة أسماء مئات من الشعراء لم يصلنا من أقوالهم الا بيت أو بضعة أبيات  
ومن الذين اخترنا ذكرهم نفر أدرك الاسلام وعاش في أيام الراشدين ، وقد عددناه جاهليا لانه نشأ على طبائع الجاهلية وأما المؤرخون فيسمونهم مخضرمين

### لكل طبقة مزية

ولكل طائفة من هؤلاء الشعراء صبغة في أشعارهم حسب غرضها .. فالشعراء الامراء أو الملوك تمتاز أشعارهم بأنفة الملك وعزه ، فيفتخرون بالسيادة أكثر من السيف والرمح والقبيلة .. فمن أقوال أحدهم وهو الافوه الاودي :

معاشر<sup>١</sup> ما بنوا مجدداً لقومهم<sup>٢</sup> وإن بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا  
ويعد هذا البيت من حكمة العرب . وإذا مدحوا لا نجد في مدحهم تزلفاً أو استجداء ، وإنما يكون للشكر على خدمة سلفت كقول امرئ القيس بمدح بنى ثعل :

فأبلغ معداً والعباد وطيباً وكندة أنى شاكر لبني ثعل<sup>٣</sup>  
وترى في تشابيههم عند الوصف ذكر آنية الترف الذى يالفها الملوك والامراء ، فامرؤ القيس لما أراد وصف عين فرسه شبهها بالمرآة وهى من آنية الترف عندهم ، قال :

وعين<sup>٤</sup> كمرآة الصناعات تديرها المحجرها من النصف المنقّب (\*)

ووصف بعض حمر الوحش ، فشبه ألوانها بأنواع الوشى الجميلة . ولما وصف قروحه شبهها بنقش الخواتم

ولا يخلو شعر الامراء من ذكر المجد السالف ، ويشيرون الى مواليتهم وأعوانهم وغير ذلك مما ستراه في مكانه

ويقال نحو ذلك في شعراء سائر الطبقات ، فان كلا منها تختص بأسلوب أو بشيء يميزها عن الطبقات الاخرى .. فشعر العشاق المتيمن أكثره فى التشبيب وشكوى الغرام والهجران . وشعر الحكماء أكثره حكم وعظات وغير . ولا يمنع ذلك أن يشترك الشاعر فى غير غرض من هذه الأغراض % أى أن يكون متحمسا وحكيما وعاشقا وغير ذلك .. فان كثيرين من الفرسان عشقوا وهاموا ، وإنما جعلناهم من طبقة الفرسان لقلبة ذلك عليهم

(\*) الصناعات : الحاذقة ومرآتها تكون نظيفة صافية ، والنصف : الخمر ، والمنقّب : الذى ينتقّب به

وقد آن لنا أن نصف أشهر هؤلاء الشعراء وأشعرهم وفيهم الكثير من الشعر والمقل ، وبعضهم نظموا كثيرا ، ولم يصلنا من أشعارهم الا القليل ولا فائدة لطالب تاريخ آداب اللغة من إيراد تراجم هؤلاء . . وإنما نختص بالوصف الشعراء الذين كانوا قدوة لسواهم أو خلفوا آثارا يمكن الحصول عليها ومطالعتها . . ونكتفى في الآخرين بذكر المآخذ التي يمكن الرجوع إليها في مطالعة أخبارهم لمن أراد

# أشهر شعراء الجاهلية

## ١ - أصحاب المعلقات

اختلف الرواة في عدد المعلقات وأصحابها ، فأبو زيد القرظي صاحب  
جمهرة اشعار العرب يجعلهم ثمانية كما رأيت . . وهم امرؤ القيس ،  
وزهير والنابغة ، والاعشى ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم وطرفة ، وعنترة (❦) .  
ولكن الزوزني جعل المعلقات سبعا ، ليس بين أصحابها النابغة ولا الاعشى ،  
وأضاف الحارث بن حلزة . وأضاف أبو زكريا التبريزي فوق ذلك قصيدة  
عبيد بن الأبرص ، فصارت المعلقات وملحقاتها عشرة . . هذه أسماء  
أصحابها :

امرؤ القيس - النابغة - زهير - طرفة بن العبد - لبيد - عنترة -  
عمرو بن كلثوم - الحارث بن حلزة - الاعشى - عبيد بن الأبرص  
وذكر أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ، وهو شارح المعلقات ،  
أنها سبع وأن بعضهم أضاف إليها قصيدتي النابغة والاعشى وأن لم يعهما  
من المعلقات . وذكر ابن خلدون سبعة من أصحاب المعلقات فيهم علقمة  
ابن عبده (١) لكنه لم يعين معلقته ، وسنأتي هنا على ترجمة كل من نسبت  
ليه معلقة معينة . . فان الشاعرية نجتمعهم جميعا

### هل علقته المعلقات بالكعبة ؟

اختلف أصحاب الاخبار في شأن هذه المعلقات في الجاهلية ، فقال بعضهم  
أن العرب بلغ من تعظيمهم إياها أن علقوها بأستار الكعبة ، وأنكر بعضهم  
ذلك واكبروه . وأقدم المنكرين أبو جعفر النحاس النحوي المتقدم ذكره ،  
فقد قال في شرحه المعلقات بالنسخة الخطية الموجودة منه في مكتبة برلين  
ما نصه : « واختلفوا في جمع هذه القصائد السبع ، وقيل ان العرب كان  
أكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون الأشعار . . فإذا استحسن الملك قصيدة  
قال علقوها وأثبتوها في خزائني . فاما قول من قال انها علقته في الكعبة  
فلا يعرفه أحد من الرواة . وأصلح ما قيل في هذا « ان حمادا الراوية لما

(❦) أكبر الظن أن صاحب الجمهرة أسقط عنترة من أصحاب المعلقات وجعله من أصحاب  
الجمهرات ، لان كل مجموعة عنده تشتمل على سبعة من الشعراء فقط . ويظهر أن فصله من  
أصحاب الجمهرات والحاقه بأصحاب المعلقات من عمل النساخ للكتاب قبل أن يطبع  
(١) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١

رأى زهد الناس في الشعر جمع هذه السبع وحضهم عليها ، وقال لهم هذه هي المشهورات . . فسميت القصائد المشهورة « وتقل ذلك عنه ابن الأنباري فقال : « وهو (حماد) الذي جمع السبع الطوال ، هكذا ذكره أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة » فهو يستغرب مخالفة النحاس لما ذكره الناس

والاكثرون يذهبون الى أنها علفت في الكعبة . وهذا ابن عبد ربه كان معاصرا للنحاس المذكور وتوفي قبله ( سنة ٣٢٨ هـ ) قال : « وقد بلغ من كلف العرب به ( بالشعر ) وتفضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد ميزتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة ، فمنه يقال مذهبة امرؤ القيس ، ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع ، وقد يقال لها المعلقات » (١) وأيد ذلك كثيرون في عصور مختلفة ، منهم ابن رشيق صاحب كتاب العمدة وهو من أكبر نقدة الشعر ، قال : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال مذهبة فلان اذا كانت أجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل : بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزانته » (٢) فترى أن ابن رشيق أميل الى القول بتعليقها لأنه ينسب القول بذلك الى « غير واحد من العلماء » ويضعف الرأي الآخر بقوله « وقيل »

أما ابن خلدون فإنه يقطع بتعليقها ولا يذكر سواه ، وهذا قوله : « حتى انتهوا ( أي العرب ) الى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة بن شداد ، وطرفة بن العبد ، وعلقمة بن عبدة ، والاعشى ، وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع » (٣)

وقد وافقهم أكثر العلماء والباحثين في هذا الموضوع ، وإنما استأنف انكار ذلك بعض المستشرقين من الأفرنج وواقفهم بعض كتابنا رغبة في الجديد من كل شيء

وأى غرابة في تعليقها وتعظيمها بعدما علمنا من تأثير الشعر في نفوس العرب وتعظيمهم لأصحابه ؟ أما الحجة التي أراد النحاس ان يضعف بها القول بتعليقها فهي غير وجيهة ، لأنه قال : « ان حمادا رأى زهد الناس بالشعر الخ » والحقيقة أن الناس لم يكونوا راغبين في الشعر مثل رغبتهم في أيامه . ألم يكن الخلفاء يستقدمون حمادا هذا من العراق الى الشام ليسألوه عن بيت من قاله أو قيم قيل ؟ . . واليك تراجم أصحاب المعلقات ومن يلحق بهم

(٣) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١

(٢) العمدة ٦١ ج ١

(١) العقد الفريد ٩٣ ج ٣

## ١ - امرؤ القيس بن حجر

توفى نحو سنة ٥٤٠ م

هو أشهر شعراء الجاهلية وأشرفهم أصلاً وأرفعهم منزلة ، يتصل نسبه بملوك كندة (كندة) ، وهم في قول العرب بطن من كهلان . وكانوا يقيمون في البحرين والمشقر ، ثم أجلوا عنهما إلى منازل كندة في حضرموت ، وإليها ينسبون . أقاموا هناك دهراً يتولون بعض مناصب الدولة على عهد التبابعة الحميريين ، وقد ضاع أكثر أخبارهم . وأقدم من عرفت أخباره منهم حجر بن عمرو . آكل المرار جد جد امرئ القيس الشاعر . ونزح حجر إلى نجد ونزل بطن عاقل في أوائل القرن الخامس للميلاد ، وكان للخميين (المناذرة) قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ولا سيما بلاد بكر بن وائل ، وهم يومئذ بنجد . فنهض البكريون معه لمحاربة اللخمين واستقلوا عن سلطانهم ، فاجتمعت كلمتهم على تعظيمه وملكوه عليهم حتى توفى بأواسط القرن الخامس للميلاد فخلفه ابنه عمرو بن حجر . فلما مات خلفه ابنه الحارث بن عمرو . وفي أيامه فتح الاحباش اليمن فضعف شأن دولته ، فوجه مطامعه نحو اللخمين في الحيرة ، وكان يحسداهم لتقريبهم من الاكاسرة . واغتنم تغير كسرى قباد على المنذر بن ماء السماء بسبب المزدكية وتقرب اليه ، فوافقه وولاه الحيرة مكان المنذر . فعظم الحارث في نظر القبائل وجعلوا يتقربون اليه بالطاعة وسألوه أن يولى عليهم من أراد . وكان له أربعة أولاد أقام كلا منهم حاكماً على بعض القبائل ، ومنهم حجر ! بن الحارث والد امرئ القيس تولى على بنى أسد وغطفان

ثم انقلب الامر على الحارث بعد موت قباد لان أنوشروان ابنه وافق المنذر وعزل الحارث ففر . وطمع فيه المنذر فطارده حتى قتله ، وجعل يفسد بين أولاده بالتحاسد حتى تحاربوا فقتل اثنان منهم وبقي اثنان : هما حجر ووالد امرئ القيس ومعد يكره أمير قيس . ورأى بنو أسد تضعف دولة كندة ، فاجتمعوا على خلاف ملكهم حجر وأمسكوا عن أداء الاتاة فحاربهم فقتلوه . .

وكان امرؤ القيس عند مقتل أبيه غائباً (كندة) ، فلما علم بقتله رجع وهو يعتقد عجزه عن الأخذ بثأره لان عدوه قوى . وعلم أيضاً أن ذلك العدو اذا عرف مقره قبض عليه . ففضى برهة من الدهر وهو يتجول متنكراً في اليمن ونجد والحجاز يستجير القبائل ، فلم يجره أحد حتى أتى السموءل صاحب حصن الابلق فاستجاره فأجاره ، فاستودعه أدراعه وأمتعته وهو لا يرى من

(\*) أنظر في كندة وملوكها آباء امرئ القيس تاريخ العرب ( مطول ) لفيليب حتى ، الجزء الاول وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٣ ص ٢١٥ ، وأوليندر Olinder في ملوك كندة (\*\*\*) هكذا يقول ابن الكلبي في روايته لقتل حجر أبي امرئ القيس ، كما جاء في ترجمته بكتاب الاغانى ، وتذهب رواية أوثق من روايته إلى أن امرأ القيس كان حاضراً مقتل أبيه . راجع الاغانى ( طبع دار الكتب المصرية ) ج ٩ ص ٨٥ وما بعدها

يستنصره على أعدائه إلا قيصر الروم . لان ملوك الحيرة عمال الفرس  
نصروا أعداءه على جارى عادة العرب فى ذلك العهد ، اذا تظلموا من احدى  
هاتين الدولتين استنصروا الاخرى . ولم يكن لامرئ القيس سبيل الى  
القيصر فوسط الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب النفوذ عند قيصر الروم  
يومئذ وطلب منه أن يوصله اليه ففعل ، فسار امرؤ القيس الى القيصر .  
ويقول العرب ان القيصر بعد أن أجاب دعوته وسمع مدائح وشى به أحد  
بنى أسد أعدائه ، وقال للقيصر : « ان امرأ القيس شتمك » فصصدق  
الوشاية ، وألبس الشاعر حلة مسمومة قتلتة . ولا نعرف سما يفعل هذا  
الفعل . وعلى كل حال ان امرأ القيس قتل ولم ينل أربا

وجاء فى شعراء النصرانية بعد ذكر موت امرئ القيس بالجدرى ما نصه :  
« وذكر فى كتاب قديم مخطوط أن ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرئ  
القيس أمر بأن ينحت له تمثال وينصب على ضريحه . ففعلوا ، وكان تمثال  
امرئ القيس هناك الى أيام المأمون ، وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك  
لما دخل بلاد الروم ليغزو الصائفة »

#### شعر امرئ القيس

وكان امرؤ القيس قوى الشعاعرية ولولا ذلك لم يقل الشعر ، لان الملوك  
كانوا قبله يأنفون من قوله . ولكنه كان مطبوعا عليه يقوله وأبوه حتى ،  
وكتيرا ما زجره وهو يعصاه حتى اضطر أبوه أن يعده عنه . فلم يبالي بل  
جعل يجول فى الاحياء مع بعض الاخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب  
وبكر بن وائل ، فاذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح  
لمن معه فى كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه  
وشرب الخمر وسقاهم وغنته قياته . ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير  
ثم ينتقل عنه الى غيره

فلما أتاه نعى أبيه كان بدمون من أرض اليمن ، فغضب غضبا شديدا ،  
وغضبه أهاج شاعريته . وأسفاره فى البلاد زادت اختباره . ولعله جاء  
بلاد الروم قبل سفرته الاخيرة ، والأسفار توسع الخيال الشعري ، واذا  
عاشر الناس وخالطهم اطلع على آدابهم واستفاد معانى جديدة أو تتفتق  
فريخته فتستنبط صورا جديدة ، وذلك من الاسباب التى جعلت امرأ القيس  
يسبق الى أشياء فى الشعر لم تكن معروفة قبله وتبعه الشعراء فيها

واذا أمعنت النظر فيما استنبطه من المعانى والاسباب ، رأيتها من  
ثمار الاسفار وسعة الاطلاع . فمنها استيقاف الصبح فى الديار كقوله :  
« قفا نيك الخ » فانه طبيعى فيمن قضى معظم حياته فى توديع ديار واستقبال  
ديار . وقد كان الوفا ، اذا أقام فى المكان ألفه واذا عاش الرجل كلف به

ومنها دقة وصفه واجادته على الخصوص فى وصف الفرس والناقة .  
وهذا طبعا من ثمار الاسفار لانه كان يقضى الساعات والايام على فرسه



لا شيء يشغله عنه مع تعلقه به ، لانه أكبر مساعد له على النجاة في فراره من أعدائه ، ولذلك لا تكاد تقرأ له قصيدة الا وجدت فيها أبياتا يصف بها فرسه أو ناقته . وقد فتقت الاسفار والمعاشرة فريحته لاستنبياط المعاني أو اقتباسها ، فمن ذلك قوله في قصيدته البائية التي يصف بها الفراق وناقته وفرسه مطلعها : (✽)

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائن

سككن ضحياً بين حزمي شعبي

ولكن القارئ لا يستأنس بالمعنى الا بعد أن يتعرف الالفاظ الغريبة ، وعند ذلك يرى وصفا بديعا لم يأت الشعراء بأحسن منه كقوله في وصف الفرس :

وقد أعتدى قبل الشروق بسابح أقب كيعفور الفلاة محتب  
بمنجرد قيد الأوابد لاحه طراد الهوادي كل شأو مغرب  
له أيتلا ظبي وساقا نعامة وصهوة عير قائم فوق مرقب  
ويخطو على صم صلاب كأنها حجارة غيل وارسات بطحلب  
نه كفّل كالدعص لبده الندى إلى حارك مثل الغبيط المذاب  
وعين كمرآة الصنناع تديرها لمحجرها من النصف المنقب  
له أذنان تعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسطر برنب

روصف الفرس كثير في شعره ، فليراجع في ديوانه . وقد أجاد في سائر ضروب الوصف ، وله قصيدة في وصف المطر وأخرى في الوصف على الاجمال مطلعها :

(✽) الغريب في هذا البيت والابيات التالية له من نفس القصيدة - ضحيا : أوائل الضحى ، حزمي : الحزم : الحسزن والارض الغليظة ، شعبي : ماء لتميم ، السابح : الفرس ، أقب : ضامر ، اليعفور : الظبي ، محتب : معوج اليدين - وذلك أقوى فيه وفي الفرس إذ يساعدهما على العدو - منجرد : قصير الشعر ، الأوابد : جمع أبدة وهي الوحش ، وقيدها : تتقيد به ولا تستطيع خلاصا منه ، ولاحه ، أضمره وأهزله ، طراد : مطاردة ، الهوادي ، السوابق ، الشأو : الجري ، مغرب : بعيد - ايتلا : خاضرتا ، والصهوة : الظهر ، العير : الحمار ، والمرقب : المكان المرتفع - الغيل هنا : الماء الجاري ، وارسات : مصفرة كلون ألوزس ، والطحلب : خضرة تملو سطح الماء - الكفل : العجز ، الدعص : الكتيب الصغير المستدير - لبده : قواه وجعله صلبا ، الى حارك : مع حارك والحارك : أعلى الكاهل - والغبيط : الرجل - والمذاب : الواسع ، الصنناع : المرأة الحاذقة ، ومرآتها نظيفة صافية لانها شديدة العناية بها - المحجر : ما دار بالعين - والنصيف : الخمار - المنقب : الذي ينتقب به - العتق : الاصالة والجودة - السسامتين : الاذنين - المذعورة : البقرة من الوحش ، تدع ، فترهف السمح خوفا من الصائد - الربرب : قطيع الوحش

ألا انعم صباحاً أيها الربيع فانطلق

وحدثت حديث الركب إن شئت واصلق

ومع ما فى شعره وسائر أشعار الجاهلية من اللفظ الغريب ، فقد امتاز امرؤ القيس برقة الالفاظ ولطف التشبيه كقوله :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً  
لدى وكرها العناب والحشيف البالى (\*)

وقوله :

كأن عيون الوحش حول قباينا

وأرحلنا الجزع الذى لم يتقّب

وقوله :

كأنى غداةً البين لما تحمّلوا لدى سمّراتِ الحى ناقفٍ حنظلٍ  
وقد أجاد فى وصفه الفرس بقوله:

مِكرٌ مِقرٌ مقبلٌ مدبرٌ معاً كجلمود صخرٍ حطه السيلُ من عكلٍ  
وله أبيات كثيرة جرت مجرى الامثال على ألسنة الناس ، واتخذ الشعراء بعضها قواعد لنظمهم ، وهو أول من رقق المعانى . ومما بلغ حد النهاية فى الرقة واللفظ قوله :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهنميك فى أعشار قلبٍ مقتتلٍ  
وهو أول من وصف النساء بالظباء والمها ، وشبه الخيل بالعقبان ، والعصى ، وفرق بين النسيب وسواه فى القصيدة ، وقرب ماخذ الكلام فقيده الاويد وأجاد الاستعارة والتشبيه (١) ومن تشببهه وهو مما يتغنى به :

وثغرٍ أغرٍ شتيت الثنايا لذيذ المقبل والمبتسم  
وما ذقته غير ظنٍّ به وبالظن يقضى عليك الحكم  
ويقال ان امرأ القيس أول ما شهب بالنساء ، شهب بأبيات مطلعها :

(\*) الغريب فى هذا البيت والايات التالية : العناب : ثمر أحمر ، والحشيف : التمر اليابس ، والجزع خرز يمانى فيه خطوط سود وبيض - تحمّلوا : ارتحلوا ، سمّرات : جمع سمرة . ضرب من شجر البادية ، وناقف الحنظل الذى يشقه ليستخرج ما فيه فتسيل ماقيه - أعشار : قطع - شتيت : معلق ، الثنايا : الاسنان - الجمّة : مجتمع شعر الرأس - الرجل : الشعر بين السبوطه والجعوذه - والاقب : الضامر

عهدتني ناشئاً ذا غِرْرَةٍ خَجَلِ الجُمَّةِ ذا بطنٍ اقبٍ (١)  
 وله محاوره شعريه فى أوابد العرب مع عبید بن الابرس، أولها قول عبید:  
 «ما حية» مَيِّتة قامت بميتتها درداء ما أنبتت سنا وأخراسا  
 فأجابه امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تُسْقَى فى سنا بلها فأخرجت° بعد طول المكث أكدا سا  
 وهى طويلة

#### معلقته وسبب نظمها

أما معلقته فقد نظمها فى وصف واقعة جرت له مع حبيته وابنة عمه  
 عنيزة بنت شرحبيل اذ حظر عليه لقاءها ، ولعلمهم منعه منها لما كان من  
 رغبته فى الشعر ° أما هو فكان ينتهز الفرص لملاقاتها °° فاغتنم فرصة  
 ظعن الحى ، وكانوا اذا ظعنوا مشى الرجال أولا ثم النساء ، فتخلف امرؤ القيس  
 عن الرجال وتربص حتى طعنت النساء ، وكان فى طريق الطاعنين غدیر  
 يسمى دارة جلجل فى منازل كندة بنجد ° فسبقهن امرؤ القيس الى الغدير  
 وفيهن عنيزة ، فنزعن ثيابهن ونزلن فى الماء فيرز هو من مخبئه وجمع الثياب  
 وجلس عليها وحلف : لا يعطى الواحدة منهن ثيابها الا اذا خرجت اليه عارية ،  
 فخرجن وبقيت عنيزة وأقسمت عليه أن يعدل عن شرطه ، فأبى وألح  
 عليها أن تخرج فخرجت ، ثم دفع اليها ثيابها فلبستها واجتمع النسوة  
 عليه ، وأخذن يعنفنه وقلن له : « انك أخرتنا عن الحى وجوعتنا » ، فقال :  
 « سأعقر لكن راحلتى تأكلن منها » فعقرها وأتى بالحطب ، وجعلن يشوين  
 اللحم حتى سبعن ° وكان معه ركوة فيها خمر فسقاهن منها °° فلما  
 ارتحلن حملن أمتعته على رواجلهن وبقي هو لا مركب له ، فقال لعنيزة :  
 « لا بد لك من أن تحملينى » وساعده صواحبها على طلبه فحملته على مقدم  
 هودجها ، فجعل يدخل رأسه فى الهودج يقبلها ويحادثها ثم نظم معلقته  
 ومطلعها :

قِفَا نَبِكٍ من ذكرى حبيبٍ ومنزل

بسِقْطِ اللّوَى بين الدخول فحومل

وصف بها ما تقدم أحسن وصف ، وهى مدرجة مع سائر المعلقات فى  
 كتاب ، شرح عدة شروح

أما سائر أشعاره فانها جمعت فى ديوان منه نسخة خطية فى دار الكتب  
 المصرية ، وقد طبع فى باريس سنة ١٨٣٧ وفى غيرها وقد شرحه البطلوسى

النحوى المتوفى سنة ٤٩٤ هـ وطبع الشرح بمصر سنة ١٢٨٢ هـ (\*) وللنحاس شرح للمعلقة طبع فى هال سنة ١٨٧٦

وقد ترجمت معلقته الى اللغة الروسية وطبعت مع الاصل العربى فى بطرسبورج سنة ١٨٨٥ بعناية موركوس

وتجد كثيرا من أشعار امرىء القيس وأخباره فى كتاب الاغانى ٦٢ ج ٨ و ١٩ ج ٢ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٧ ، وفى شرح المعلقات ، وفى كتاب الشعراء الستة الجاهليين طبع لندن سنة ١٨٧٠ ، وخزانة الادب ٥٣٢ ج ٣ وفى شعراء النصرانية صفحة ٦ وفى جمهرة أشعار العرب ٣٩ وفى أكثر كتب الادب والتاريخ (\*)

## ٢ - زهير بن أبى سلمى

توفى نحو سنة ٦١٥ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء ، وهم : امرؤ القيس وزهير والنابغة ، وانما اختلفوا فى تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه . وكما امتاز امرؤ القيس باستنباط الافكار والاساليب وتلطيف المعانى ، فقد امتاز زهير بما فى نظمه من الحكمة البالغة وكثرة الامثال مع القدرة على المدح ، وهو لا يعاظل فى الكلام ويتجنب وحشيته ولا يمدح أحدا الا بما فيه ، وكثيرون يفضلونه على صاحبيه ، ويقولون انه احسنهم شعرا وأبعدهم عن سخف ، واجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من الالفاظ

وهو من مزينة احدى قبائل مضر ، وكان يقيم هو وأبوه وولده فى منازل بنى عبد الله بن عطفان بالحجاز من نجد . وأول من نزل هناك منهم أبوه أبو سلمى لانه تزوج امرأة من بنى قهر بن مرة من ذبيان بن غطفان فولدت له زهيراً ، وتزوج زهير امرأة من سحيم بن مرة ، ولذلك كان زهير يذكر فى شعرد بنى مرة وغطفان ويمدحهما . وكان لزهير اخلاق عالية ونفس كبيرة مع سعة صدر وحلم . . فرقع القوم منزلته وجعلوه سيداً . وكثر ماله واتسعت ثروته ، وكان مع ذلك عريقاً فى الشاعرية فكان أبوه شاعرا وكذلك خاله واختاه وابناه . وكان لشعره تأثير كبير فى نفوس العرب وكان مقرباً من أمراء ذبيان وخصوصاً هرم بن سنان والحارث بن عوف . وأول قصيدة نظمها فى مدحها معلقته المشهورة التى مطلعها :

أَمِنْ أُمَّ أَوْ فِي دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْ مَانَةَ الدَّرَجِاجِ فَالْتَلِّمْ

(\*) بجانب هذه الطبعات طبع أيضا ديوان امرىء القيس فى مصر بتحقيق حسن السندوبى ، وفى مجموعة مختار الشعر الجاهلى لمصطفى السقا ، وطبع فى بعباى بالهند سنة ١٩١٣ ، وفى الشام مع ديوانى طرفة وزهير

(\*) وانظر أيضا كتاب الموشح للمرزبانى ص ٢٧ والمؤتلف للامدى ، ومعاهد التنصيص للمباسبى ، وشرح العيون لابن نباتة (طبعة بولاق) ص ١٨١ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦ - ٩ : وابن بدرود طبعة دوزى ص ١١٧ - ١٢٠ ، وطبقات الشعراء لابن سلام فى مواضع متفرقة ، واعجاز القرآن للباقلانى ، وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٣ ص ٢٥٢ ، وفى الادب الجاهلى لطف حسين ، ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ج ١

قالها على أثر مكرمة أتياها بحقن الدماء بين عيس وذبيان (١) ثم مدح هرما بقصائد كثيرة حتى حلف هرم ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا سلم عليه إلا أعطاه عبدا أو وليدة أو فرسا . فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه فأصبح إذا رآه في ملاء من الناس قال : « عموا صباحا غير هرم . . . وخيركم استثنيت » وقال عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم : « أنشدني بعض مدح زهير أباك » فأشده ، فقال عمر : « انه كان ليحسن فيكم القول » فقال « ونحن والله كنا نحسن له العطاء » ، فقال عمر : « قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم » ومدح زهير أيضا سنان بن ابي حارثة المري وحسن بن حذيفة بن بدر وغيرهما ومما قاله في مدح هرم ، ولم يسبقه اليه أحد قوله :

قد جعل المبتغون الخيرَ في هرمٍ والسائلون الى أبوابه طرقتا  
من يلقَ يوماً على علائته هرما يلق السماحة منه والتدنى خلقا  
يطلب شأواً امرأين قدما حسبا بذءا الملوكة وبذءا هذه الشوقا (\*)  
هو الجواد فإن يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثلُه لحقا  
أو يسبقاه على ما كان من مهلٍ ما قدما من صالح سبنا  
ومن بليغ مدحه قوله في مدح حصن بن حذيفة بعد ان استهل بوصف  
الصيد ثم تخلص الى المدح في قصيدة طويلة جئنا بمثال منها في فصل  
سابق من هذا الكتاب ، وتجد أمثلة من نظمه في أماكن أخرى منه  
ويؤخذ من بعض أقواله أنه كان مؤمنا بالبعث ، كقوله :

يؤخرُ فيودعُ في كتاب فيدخرُ ليوم الحساب أو يعجلُ فينتقم  
ومما يدل على تعقله وحنكته وسعة صدره حكمه في معلقته التي نقلنا  
بعضها في الصفحات الأولى من هذا الكتاب . وقد جمع خلاصة التقاضي في  
بيت واحد وهو :

وإن الحقَّ مقطعه ثلاثٌ يمينٌ أو نِصارٌ أو جِلاءٌ

فزهير يمتاز بمدحياته وحكمياته وبلاغته . وقد جمعت أشعاره في  
ديوان شرحه نعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ ومنه نسخة خطية في دار الكتب  
المصرية (\*\*\*) ، وقد طبع سنة ١٣٢٣ هـ وشرحه الشنتمري المعروف بالأعلم  
المتوفى سنة ٤٧٦ هـ . وقد طبع هذا الشرح في لندن سنة ١٣٠٦ هـ ، وله  
شروح أخرى ضاعت أو لم نقف عليها ، وكتب ديروف Dyroff الألماني

(١) الاغانى ١٤٩ ج ٩

(\*) الشأو : الغاية ، وامرأين : أبيه وجهه ، والسوق : الناس غير الملوكة  
(\*\*) نشرت دار الكتب المصرية رواية نعلب للديوان التي ذكرها المؤلف ، وقد طبع الديوان  
أيضا في مجموعة العقد الثمين لالورد ، وفي مجموعة مختار الشعر الجاهلي للسقا ، ومع ديواني  
طرافة ، امرئ القيس في الشام

كتابا بالالمانية في زهير وأشعاره ، وما لم ينشر منها طبع في منشسن سنة ١٨٩٢

وقد جمعت أخباره وأقواله في كتاب الاغانى ٤٨ و ١٤٦ ج ٩ وفي ديوان الشعراء الستة الجاهليين ، وخزانه الادب ٣٧٥ ج ١ والشعر والشعراء ٥٧ (\*\*) وجمعت معلقته مع سائر المعلقات وفي الجمهرة ص ٤٧ ، وقد شرحها كثيرون منهم النحاس المتقدم ذكره وهو أهم شروحها . وقد نشره الدكتور هوسهر الالمانى سنة ١٩٠٥ في برلين مع مقدمة المانية مفيدة

### ٣ - النابغة النيبانى

توفى سنة ٦٠٤ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء واسمه زياد بن معاوية من ذبيان من قيس . وهو من الاشراف الذين غض الشعر منهم كما غض من امرىء القيس . وكان يفد على النعمان صاحب الحيرة فيمدحه ، فوقعت العداوة بينه وبين المنخل الشاعر ، فوشى به الى النعمان . فهرب النابغة الى بنى غسان ونزل بعمرو بن الحارث الاصغر ملك الغساسنة فمدحه . ومازال مقيما عنده حتى مات عمرو وخلفه النعمان اخوه ، فمكث معه حتى اصطلح مع النعمان صاحب الحيرة فعاد اليه

وكان يفد على صاحب الحيرة ايضا حسان بن ثابت الانصارى ، ولكن النابغة كان مقدما على الجميع . فجمع من عطايا النعمان صاحب الحيرة ثروة طائلة وصار يأكل ويشرب فى آنية الفضة والذهب . وله منزلة كبرى عند شعراء عصره ، فاذا جاء سوق عكاظ ضربوا له قبة من جلد وجاء الشعراء ينشدون أشعارهم . وأول من أنشده ذات مرة الاعشى ثم حسان ثم الخنساء ، وهذا شرف لم ينله أحد من الشعراء سواه

ويمتاز النابغة عن صاحبيه بأنه احسنهم ديباجة شعر واكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا ، فكان شعره كلام ليس فيه تكلف . وذلك ظاهر فى كل أقواله حتى جرى كثيرا منها مجرى الامثال ، واقتبس الشعراء كثيرا من أقواله منها :

ثَبَّنتُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ  
تمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان ، وقوله :

فَلَوْ كَفَيْتِ الْيَمِينَ بِعَعْتِكَ خَوْنًا لِأَفْرَدتِ الْيَمِينَ مِنَ الشَّمَالِ  
أخذه المثقب العبدى فقال :

(\*) انظر أيضا شرح شواهد المعنى للسبوطى ص ٤٨ ، وطبقات الشعراء لابن سلام ، ومهاهد التنصيص للعباسى ، والوشح للمرزبانى ص ٤٥ وخاص الخاص للشعالى ص ٧٥ ، وكتابه الاعجاز والابجاز ص ٣٧ ، وشعراء النصرانية لشيخو ٥١٠ - ٥٩٥ ، وفى الادب الجاهلى لطف حسين ، وتاريخ الادب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمة لكارلو ناليو طبع دار المعارف ص ٦٢ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

ولو أنى تخالفنى شمالي بنصرٍ لم تصاحبها يمينى  
وقوله :

فحملتني ذنبَ امرىءٍ وتركنه  
كذى العرِّ يَكْوَى غيره وهو راتعٌ  
أخذه الكميت فقال :

ولا أكوى الصحاحَ براتعاتٍ بهن العرِّ قبلى ماكويِنَا  
وقوله :

واستبق وُدَّكَ للصديق ولا تكن قَسْبًا يعرضُ بغاربٍ ملحاحاً (\*)  
أخذه ابن ميادة فقال :

ما إن ألح على الاخوان أسألهم ، كما يلحُ بعضُ الغاربِ القَسْبُ  
ومما يتمثل به من شعره قوله :

لو أنها عرضتْ لأشمطَ راهبٍ  
عَبَدَ الإلهَ صَرُورَةَ المتعبِّدِ (\*\*)

لرنا لبهجتها وحسن حديثها  
ولخاله رَشْدًا وإن لم يرْشُدِ  
أخذه ربيعة بن مقروم الضبى فقال :

لو أنها عرضتْ لأشمطَ راهبٍ  
فى رأسٍ مُثْرِفَةٍ الذُرَى يَتَبَسَّلُ

لرنا لبهجتها وحسن حديثها  
ولهم من ناموسه يتنزَّلُ  
ومما يتمثل به أيضا من شعره :

ومن عصاك فعاقبه معاقبة  
تَنهَى الظَّلومَ ولا تقعد على ضمدٍ (\*\*\*)

وقال فى العفة وهو أحسن ما قيل فيها :

(\*) القتب : الرجل ، والغارب : الكاهل أو ما بين السنام والعنق  
(\*\*) الأشمط : الذى خالط شعره الشب ، والصرورة : الذى لا ذنب له  
(\*\*\*) الضمد : الحقد

رَقاق النعمال طَيِّبٌ حُجْرَاتِهِمْ  
يَحْيَوْنَ بِالرِيحَانِ يَوْمَ السَّبَّاسِ (\*)

أخذه عدى بن زيد فقال :

أَجَلٌ إِنْ اللَّهُ قَدْ فَضَلَكُمْ فَوْقَ مَنْ أَحْكَى بِصَلْبٍ وَإِزَارٍ  
فَالصَّبِّ الحَسْبُ وَالإِزَارُ العَفَافُ ، وَفِي أَمْثَالِهِمْ : أَصْدَقُ مِنْ قِطَاةٍ - قَالَ  
النَّابِغَةُ :

تَدْعُو قِطَاً وَبِهَا تُدْعَى إِذَا نُسِبَتْ

يَا حُسْنَهَا حِينَ تَدْعُوهَا فَتَنْتَسِبُ

وذلك لانها تلفظ باسمها . أخذه أبو نواس فقال : « أَصْدَقُ مِنْ قَوْلِ  
قِطَاةٍ قِطَاً »

وقد مدح النابغة النعمان وعمرو بن هند من أصحاب الحيرة ، وعمرو  
ابن الحارث الغساني وأخاه النعمان ووائل بن الحلاج الكلبي وهجا ابن زرعة  
ورثى واعتذر وفاخر . ولكن الشعر الوصفي قليل في منظومه الا القصيدة  
التي نظمها في وصف المتجردة زوجة النعمان صاحب الحيرة وقد تقدم  
مطلعها . ومن قوله في وصفها : (\*\*\*)

نَظَرْتُ بِمَقْلَةٍ شَادِنٍ مَتْرِبٍ أَحْوَى أَحَمَّ المَقْلَتَيْنِ مَقْلَدِ  
وَالنَّظْمُ فِي سَلَكٍ يَزِينُ نَحْرَهَا ذَهَبٌ تَوْقَدُ كَالشَّهَابِ المَوْقَدِ  
صَفْرَاءُ كَالسَّيْرَاءِ أَكْمَلِ خَلْقِهَا كَالغُصْنِ فِي غُلُوَائِهِ المَتَاوُدِ  
قَامَتْ تَرَاوِي بَيْنَ سِجْفَى كِلْتَا كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالأَسْعَدِ  
أَوْ دُرَّةً صَدْفِيَّةً غَوَّاصِهَا بَهَجٌ مَتَى يَرَاهَا يَهْلُ وَيَسْجُدُ  
أَوْ دَمِيَّةً مِنْ مَرْمَرٍ مَرْفُوعَةٍ بَنِيْتُ بِأَجْرٍ يَثَادُ وَقَرَمَدِ  
سَقَطَ التَّصْيِيفُ وَلَمْ تَرُدْ إِسْقَامَهُ فَتَنَّاوَلْتَهُ وَاتَّقَتْنَا بِالأَيْدِ  
بِمُخْضَبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بِنَانَهُ عَنَّمُ يَكَادُ مِنَ اللِّطَافَةِ يُعَقِّدُ

(\*) يصف في هذا البيت الفسائنة بالترف والنعيم ، والحجرات : الاوساط ، ويريد  
بطبيها العفة والشرف . يوم السباسب : يوم الشعانين

(\*\*) الغريب في الابيات : الشادن : الطيب الصغير ، المترب ، المحبوس في البيت ، أحوى :  
فيه حمرة الى سواد . أم : أسود ، ومقلد : قلد بالخطى وزين - السباسب : ثوب من حرير فيه  
خطوط ، وغلواء الخشن : ارتفاعه ، المتأود : المثني ، السجف : الستر ، الاسعد : برج الحمل  
- يهل : يرفع صوته بالتكبير - تشاد : تبني وتطلي ، والقرمد : خزف مطبوخ - التصيف :  
الجمار ، المخضب هنا : الكف ، والرخص : اللين ، البنان : الاصابع ، المنع ، شجر لين  
الاغصان أو ثمر أحمر مستطيل كالاصابع



وهى طويلة وفيها أبيات لابلق نشرها ، ولكنه وصف فيها الطبيعة كما هى عادة الجاهليين فى تمثيل الواقع ، وكما فعل سليمان الحكيم فى نشيد الانشاد . ومن احسن شعره معلقته التى مطلعها :

عوجوا فحيثوا لتعلم دمنة الدار ماذا تحيئون من ثوى وأحجار  
وهى ستون بيتا ذكرها صاحب جمهرة أشعار العرب

وللنابغة ديوان مطبوع غير مرة ، وشرح منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، وقد ترجمه الى الفرنسية وطبعه مع الاصل العربى المسمى ديرنبرج فى المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٦٨ ، وصدر كتاب اسمه التوضيح والبيان لأشعار نابغة ذبيان طبع بمصر (\*)

وأخباره متفرقة فى الاغانى ١٦٢ ج ٩ والشعر والشعراء ٧٠ و ١٢٦ والجمهرة ٥٢ وفى دواوين الشعراء الستة الجاهليين وفى شرح المعلقات وسائر كتب الادب (\*\*\*)

#### ٤ - أعشى قيس

توفى سنة ٦٢٩ م

اسمه ميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل من زبيعة ، وهو أحد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم . والبعض يقدمونه على سائرهم اذا طرب ، كما يتقدم امرؤ القيس اذا غضب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب (١) ويحتج الذين يقدمونه بكثرة طواله الجياد وتصرفه فى المديح والهجاء وسائر فنون الشعر مما ليس لسواه . ويقال انه أول من سأل بشعره وانتجع به اقاصى البلاد ، وكان يفنى به فسموه صناجة العرب ، وقد تقدم انه قدرى المذهب لقوله :

استأثر الله بالوفاء وبال عدل وولئى الملامة الرجال

ويظن انه اخذ ذلك من نصارى الحيرة . وهو الذى زوج بنات المعلق بأبيات قالها فيه . ولم يكن يمدح قوما الا رفعمهم ، ولم يهج قوما الا وضعهم ، لانه من أسير الناس شعرا وأعظمهم فيه حظا (٢) وله منافرة مع

(\*) طبع ديوان النابغة أيضا مع الشعراء الستة فى مصر بشرح البطليموس ، وفى مجموعة مختار الشعر الجاهلى للسقا ، ونشر فى بيروت مع مجموعة دواوين أخرى باسم خمسة دواوين العرب : النابغة وعروة بن الورد والفزذق وحاتم طى وعلمة الفحل ، وهو مطبوع بين شعراء النصرانية بعناية سنخو . وعثر ديرنبرج بعد نشرته التى ذكرها المؤلف للديوان على مخطوطة جديدة ، ووجد بها زيادات فاصدر بها ملحقا سنة ١٨٩٩ ، وفى دار الكتب المصرية غير مخطوطة من الديوان

(\*\*) وأنظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام والموشح للدرزبانى ص ٣٨ وتاريخ ابن عساکر ٤٢٤/٥ وشرح شواهد المعنى للسيوطى ص ٢٨ ، وفى الادب الجاهلى لطلح حسين ، وتاريخ الالاداب العربية لتالينو ص ٦٩ - ٧١ ودائرة المعارف الاسلامة وما بها من مراجع

(٢) العمدة ١٤٦ ج ٢

(١) الاغانى ٧٧ ج ٨

علقمة الفحل . ويمتاز الأعشى عن معظم شعراء الجاهلية بوصف الخمر ،  
اذ قلّ فيهم من ذكره واما هو فقد وصفها بقوله :

وأدكنَ عاتقِ جَحَلٍ رِبْحَلٍ صَبَحَتْ بِرَاحَةٍ شَرِّ بَاكِراما (\*) ؛  
من اللأئي حُمَلن على المطايا كريح المسك تستلُّ الزشاما  
وقوله :

من خَمَرٍ عاتقة قد أتى لختامها حولٌ تسلُّ غُمامة المزكوم .  
وقد ادرك الرسول ووفد عليه فمدحه بقصيدة مطلعها :

ألم تغتمضْ عيناك ليلة أرمدًا وعادك ما عاد السليمَ المسهدا  
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مَهْددا (١) ؛  
وفيها يقول لناقته :

فأليت لا أرثي لها من كلاله ولا من حقا حتى تزور محمدا  
نبيُّ يرى ما لا ترون وذكره أغارَ لعمرى في البلاد وأنجدنا  
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم ثراحى وتلقى من فواضله يناد  
فلما علم أبو سفيان بذلك حرض قومه على ارضائه بالرجوع خوفا من ان  
يسلم فينصر الرسول بشعره على قريش ، فجعلوا له مائة من الابل فأخذها  
ورجع . وله معلقة مطلعها :

ما بكاء الكبير في الأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي (٢) ؛

وللأعشى ديوان خط في دار الكتب المصرية . وله قصيدتان ترجمتا الى  
الالمانية ترجمهما المستشرق الالمانى « جابر Geyer » الاولى المعلقة المتقدم  
ذكرها ، والثانية اولها : « ودع هريرة ان الركب مرتحل » وقد عنى  
بشرحها مطولا حتى بلغت صفحات شرح الاولى وحدها ٢٢٣ صفحة .  
وللمستشرق المذكور ولع خاص بشعر الأعشى وهو يطبع ديوانه عن  
النسخة الوحيدة الكاملة الموجودة فى الاسكوريال (\*\*\*)

وتجد أخبار الأعشى وأشعاره فى الاغانى ٥٢ ج ١٥ و ١٦٠ ج ١٦ و ٧٧

(\*) الادكن : المائل الى السواد ، والعاتق : القديم ، جحل : سقاء واسع ، ربحل :  
نختم

(١) مهدهد : صاحبة الأعشى  
(\*\*) اعتمد حابر فى نشره لديوان الامتى على نصت مخطوطات ، وقد نشره سنة ١٩٢٨ بعد  
جهود قام بها فى هذا السبيل لمدة أربعين عاما ، وأضاف اليه ملحقاتين : ملحقا بما وجدته  
من شعر الأعشى فى كتب الادب والتاريخ ، وملحقا بأشعار من سموها باسم الأعشى وهم  
كثيرون - وطبع محمد حسين الديوان بمصر ممتدا على هذه النشرة

ح ٨ و ١٤٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ١٣٥ والجمهرة ٥٦ وغيرها وفي سيرة الرسول ومعجم البلدان (\*) وفي سائر كتب الادب

### ٥ - لبید بن ربیعة

توفي سنة ٦٦٢ م

هو لبید بن ربیعة العامري ( من قيس ) وكان من اشراف الشعراء المجيدين والفرسان المعمرين . يقال انه عمر ١٤٥ سنة عاش معظمها في الجاهلية ، وقد أدرك الاسلام وأسلم وهاجر وحسن اسلامه ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب ، فأقام بها حتى مات في أوائل خلافة معاوية . فكان عمره ١٤٥ سنة منها ٩٠ في الجاهلية . وكانت الشاعرية ظاهرة في عينيه منذ صباه . ذكروا أن النابغة رآه وهو غلام جاء مع اعمامه الى النعمان ابن المنذر فتوسم فيه الشاعرية ، فسأل عنه ففسبوه ، فقال له : « يا غلام ان عينيك لعينا شاعر ، أفترض من الشعر شيئاً ؟ » قال : « نعم يا عم » قال : « فأنشدني » فأنشده قوله : « ألم ترجع على الدمن الخوالي أليخ » فقال له : « يا غلام أنت أشعر بنى عامر زدي » فأنشده قوله : « ظل لخولة في الرسيس قديم » . فضرب بيده على جبينه ، وقال : « اذهب فأنت اشعر قيس كلها »

وأكثر شعره في الجاهلية لان الخلفاء الراشدين شغلوا الناس عن الشعر بالقرآن ، ذكروا أن عمر بن الخطاب بعث الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يقول له : « استنشد من قبلك من شعراء مصر ما قالوا في الاسلام » فأرسل الى الاغلب الراجز العجلي ، فقال له أنشدني ، فقال :

أرجزاً تريد أم قصيدا لقد طلبت هينا موجوداً

ثم أرسل الى لبید ، فقال : « أنشدني ما قلته في الاسلام » فكتب سورة المقررة في صحيفة ، ثم أتى بها وقال : أبدلني الله هذا في الاسلام مكان الشعر » فكتب المغيرة بذلك الى عمر ، فنقص من عطاء الاغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبید (١)

فمعظم ما يروونه من شعره قيل في الجاهلية . وكان من أجود العرب ، ويقال انه آلى على نفسه في الجاهلية أن لا تهب صبا الا أطمع ، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم . فهبت الصبا يوما والوليد بن عقبة في الكوفة ، فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ، ثم قال : « ان أتحاكم لبید بن ربیعة قد نذر في الجاهلية أن لا تهب صبا الا أطمع ، وهذا يوم من أيامه قد هبت صبا فأعينوه ، وأنا أول من فعل »

(\*) أنظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام ، في مواضع متفرقة ، والمؤتلف للأصمدي ، والموشح للمرزباني ص ٤٩ ومعاهد التنصيص وشرح شواهد المعنى للسيوطي ، وشعراء النصرانية للويس شيخو ، وكتاب في الادب الجاهلي لطف حسين ، وتاريخ الادب العربية للنابليو ص ٧١ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائة بكرة ، وكتب إليه بأبيات قالها :  
 أرى الجزائرَ يشحذُ شفرتيه إذا هبتَ رياحُ أبي عَقِيلِ  
 أشم الأنفَ أصبِدُ عامري طويلُ الباع كالسيف الصقيلِ  
 ونفى ابن الجعفرى بحلقتيهِ على العلاتِ والمالِ القليلِ  
 ينحز الكُوم إذ سجت علي ذبولُ صبا تجاذب بالأصيل (١)  
 فلما بلغت أبياته ليبدأ قال لابنته : « أجيبه فلعمري لقد عشت برهة  
 وما أعيا بجواب شاعر » فقالت ابنته :

إذا هبت رياح أبي عَقِيلِ دعونا عند هبَّتِها أنوليدا  
 أشم الأنفَ أروعَ عَشْمِيًّا أعان على مروءته ليبدأ  
 بأمثال الهضاب كأن ركبُ عليها من بنى حامٍ قعودا  
 أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها فأطعمنا الشريدا  
 فعُدْ إن الكريم له معادٌ وظنى لا أبا لك أن تعودا  
 فقال لها ليبدأ : « قد أحسنت لولا انك استطعمته » ، فقالت : « ان الملوك  
 لا يستحي من مسألتهم » ، فقال : « وانت يابنية في هذه أشعر »  
 ومما يستجد من قوله قصيدة مطلعها :

ألا كلُّ شيء ما خلا الله بالملِكِ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ  
 ويقال انه لم يقل في الاسلام الا بيتا واحدا ، هو :  
 الحمد لله أن لم يأتني أجى حتى لبست من الإسلام سربالا  
 أما معلقته فمطلعها :

عَفَّتِ الديارُ محلها فمقامها بمنى تأبكد غولها فرجامها  
 وقد جمعت أشعاره في ديوان طبع في فينا للمرة الاولى سنة ١٨٨٠ بعناية  
 يوسف ضياء الدين الخالدي ، ثم ترجمت هذه الطبعة الى الالمانية مع  
 تعليقات بالمقابلة على نسخ خطية في ستراسبورج وليدن مع ترجمة حياة  
 الشاعر بعناية « هوبر Huber » وطبع في ليدين سنة ١٨٩١ . وله سيرة  
 بالالمانية بقلم المستشرق هوبر المذكور طبعت في ليدين سنة ١٨٨٧ وأخرى  
 « لكريمر Kremer » طبعت في فينا سنة ١٨٨١ ، وأخباره في الاغاني  
 ٩٣ ج ١٤ و ١٣٧ ج ١٥ والشعر والشعراء ١٤٨ والمستطرف ٤٣ ج ٢  
 والجمهرة ٦٣ ، وغيرها من كتب الادب (\*)

(١) الكوم : القطعة من الابل  
 (\*) وانظر في لبيد الموشح للمرزبانى ص ٧١ وكتب طبقات الصحابة مثل الاصابة ج ٦ ص  
 ٤ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٦٠ ونيكلسون Nicholson في كتابه التاريخ الادبى للعرب :  
 A literary History of the Arabs ص ١١٩ - ١٢١ وتاريخ الادب العربية لنانيلون ص ٦٢  
 وفي الادب الجاهلى لطفه حسن ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

## ٦ - عمرو بن كلثوم

توفى سنة ٦٠٠ م

هو من قبيلة تغلب ، وأمه ليلي بنت المهلهل أخى كليب المشهور ، فهو حفيد المهلهل . واشتهرت أمه ليلي بالانفة وعظم النفس تفاخرا بأبيها . وساد عمرو بن كلثوم قومه تغلب وهو فى الخامسة عشرة ، وقد عمر طويلا ، وكان اعز الناس نفسا واكثرهم امتناعا وأنفة ، وكان شاعرا مطبوعا اشتهر بمعلقته التى مطلعها :

ألا هبى بصَحْنِكَ فاصْبِحينا ولا تُبْقِ خَمورَ الأَثَدَ رَيْنَا

وهى حماسية فخرية يقال انها كانت تزيد على ألف بيت وانما وصل الينا بعضها . وقد نظمها غضبا لامه وقبيلته من عمرو بن هند صاحب الحيرة . وكان عمرو هذا معجبا بنفسه ، فقال يوما للندماء : « هل تعلمون احدا من العرب تأنف أمه من خدمة أمى ؟ » فقالوا : « نعم . . أم عمرو ابن كلثوم » قال : « ولم ؟ » قالوا : « لان اباه المهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب بن وائل أعز العرب ، وبعلمها كلثوم بن مالك أفرس العرب ، وابنها عمرو وهو سيد قومه »

فأرسل عمرو بن هند صاحب الحيرة الى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويسأله أن يزير امه أمه . فأقبل ابن كلثوم من الجزيرة الى الحيرة فى جماعة من بنى تغلب ، وأقبلت ليلي بنت مهلهل فى ظمن من بنى تغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه ، فضربه فيما بين الحيرة والفرات ، وأرسل الى وجوه أهل مملكته فحضروا فى وجوه بنى تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند فى رواقه ، ودخلت ليلي وهند فى قبة من جانب الرواق ، وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحى الخدم اذا دعا بالطرف وتستخدم ليلي . فدعا عمرو بمائدة ، ثم دعا بالطرف . فقالت هند : « ناوليني يا ليلي ذلك الطبق » فقالت ليلي : « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » فأعدت عليها وألحت ، فصاحت ليلي : « وا ذلاه يا لتغلب » فسمعها عمرو ابن كلثوم ، فثار الدم فى وجهه ، ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشر فى عينيه . فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند ونادى فى بنى تغلب فانتهبوا ما فى الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة

فجاشت نفس ابن كلثوم وحمى غضبه وأخذته الانفة والنخوة ، فنظم معلقته او لعلة نظم بعضها فى ذلك الحين ، ثم اتمها فى حادثة اخرى جرت له مع عمرو بن هند المذكور على اثر خلاف جرى بين قومه التغلبيين واخوانهم البكريين وتفاضوا الى عمرو هذا . وكان قد أصلح بينهما بعد حرب البسوس وشرط عليهما شروطا اذا اختصما . فلما جأوه للمقاضاة كان ابن كلثوم سيد تغلب والنعمان بن هرم سيد بكر . وجرى بين الاميرين جدال بين يدى صاحب الحيرة . وكان هذا يؤثر تغلبا على بكر فطرد ابن هرم ، فتهض ابن كلثوم وأنشد معلقته ، وكان حاضرا هناك الحارث بن

حلزة من بكر وائل فأنشد معلقته كما سيجيء . فالغالب أن ابن كلثوم نظم معلقته على مرتين في حادثة أمه وهذه الحادثة . ولذلك رأيت فيها إشارة الى كليهما وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه في سوق عكاظ فأنشدها في موسم مكة ، وكان بنو تغلب يعظمونها ويرونها صغارهم وكبارهم لما حوتله من الفخر والحماسة مع جزالتها وسهولة حفظها . فقد استهلها بذكر الخمر ووصف شاربها وتأثيرها ، وهذا قليل في شعر الجاهلية كما تقدم . ثم وصف ليلي نحو وصف النابغة المتجردة ، ثم خاطب عمرو بن هند وافتخر بنفسه وأهله ، وأشار الى ما أراد ابن هند من احتقار والدته ، وذكر واقعة لهم في ذي أراط فازوا بها وايدعوا ، ثم تخصص الى الفخر في أبيات هذا بعضها :

وقد علم القبائل غير فخر	إذا قَبَبَ بأبطحها بئنا
بأنا العاصمون إذا أطعنا	وأنا العارمون إذا عصينا
وأنا المنعمون إذا قدرنا	وأنا المهلكون إذا آتينا
وأنا الحاكمون بما أردنا	وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون لما سخطنا	وأنا الآخذون لما هويننا
وأنا الطالبون إذا تقمنا	وأنا الضاربون إذا ابتلينا
وأنا النازلون بكل ثغر	يخاف النازلون به المتوننا
وئشرب إن وردنا الماء صفوا	ويشرب غيرنا كدراً وطينا

وليس لعمرو بن كلثوم ديوان معروف . ولكن اشعاره متفرقة في الاغانى . ١٨١ ج ٩ وفي الشعر والشعراء ١١٧ والجمهرة ٧٤ وشعراء النصرانية ١٩٧ وشرح القصائد العشر ١٠٨ وفي معجم البلدان وديوان الحماسة وغيرها (\*)

### ٧ - الحارث بن حلزة اليشكري

توفي سنة ٥٨٠ م

هو من بكر وائل ، وقد اشتهر بين أهل العراق . وكان به وضع أى برص ، وهو قليل النظم وانما اشتهر بمعلقته وهى قصيدة واحدة كما اشتهر بمثلها عمرو بن كلثوم وطرفه بن العبد الآتى ذكره . وقد تقدم أن الحارث كان في وفد البكرين الذين اتوا عمرو بن هند وخطيبهم النعمان بن هرم . فلما غضب ابن هند عليه وأوشك أن يقضى لبنى تغلب ، قال الحارث

(\*) انظر أيضاً طبقات الشعراء لابن سلام ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦١ وفي الادب الجاهلى لطف حسين . وقد طبع ديوان عمرو بن كلثوم مع ديوان الحارث بن حلزة في مجلة المشرق ص ٥٩١ - ٦١١ من السنة العشرين ١٩٢٢ . وراجع أيضاً الشعراء الفرسان لبطرس البستاني

ابن حلزة لقومه : « انى قد قلت خطبة فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه . . فرواهما اناسا منهم ، فلما قاموا بين يدي الملك لم يرضه انشادهم » ، فقال : « انى لا ارى أحدا يقوم بها مقامى لكنى اكره ان اكلم الملك من وراء سبعة ستور ، وينضح أثرى بالماء اذا انصرفت عنه » . وكانوا يفعلون ذلك بمن فيه برص ، وقيل بل كان ابن هند يفعل ذلك لعظم سلطانه ولا ينظر الى أحد به سوء . ثم خاف ابن حلزة على قومه وقال : « انا محتمل ذلك واقرب من الملك » فقيل لعمرو بن هند : « ان به وضحا » فأمر ان تمد بينه وبين الحارث سبعة ستور . فجعلت ، فلما نظر عمرو بن كلثوم قال للملك : « أهذا يناطقنى وهو لا يطبق صدر راحلته » فأجابه الملك حتى أفحمه . وانشد الحارث قصيدته التى مطلعها :

أذتتنا بيئتها أسماءُ ربِّه ثاوٍ يَمكُشُ منه الشَّواءُ

وكانت هند أم عمرو صاحب الحيرة تسمع ، فقالت : تالله ما رايت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور » فقال الملك : « ارفعوا سترا وادنوا الحارث » حتى اذا ازيلت الستور السبعة أقعده الملك قريبا مثله وبالغ في اكرامه ، وضرب بالحارث المثل بالفخر ، فقيل : « أفخر من الحارث بن حلزة » وخصوصا لانهم يزعمون انه قالها ارتجالا ، وذلك بعيد لانه ذكر فيها عدة من أيام العرب عبر بعضها بنى تغلب تصرىحا وعرض بعضها بعمرو بن هند ، فهى من قبيل الملاحم في وصف الوقائع وللحارث غير معلقته أبيات قليلة منشورة مع أخباره في الاغانى ١٧٧ ج ٩ ، وشرح القصائد العشر ١٢٥ والشعر والشعراء ٩٦ وشعراء النصرانية ٤١٦ ، وفي سائر كتب الادب (\*)

### ٨ - طرفة بن العبد

توفى سنة ٥٠٠ م

هو ابو عمرو طرفة بن العبد من بكر وائل من ربيعة ابن اخت جرير ابن عبد المسيح المعروف بالتملس ، وقد نبغ في الشعر منذ حداثة حتى صار يعد من الطبقة الاولى وتوفى صغير السن . ومع كونه من المقلين فان اشعاره كانت معول اصحاب اللغة في الاستشهاد ، وكان في صباه عاكفا على الملاهى يعاقر الخمر وينفق ماله عليها ، ولكن مكانه في قومه جعله جريئاملى الهجاء ، ومات ابوه وهو صغير فأبى اعمامه ان يقسموا ماله وظلموه حقا لآله وردة ، فنظم في هجائهم قصيدة ابدع فيها مطلعها :

ما تنظرون بحق وردةٍ فكُم صَعْرُ البنون ورهطُ وردةٍ غيبُ  
واشتهر في الاكثر بمعلقته . . ويقال فى سبب نظمها ان اخاه معبدا كانت

(\*) انظر فى الحارث أيضا ، طبقات الشعراء لابن سلام ، والمفضليات رقم ٢٥ ، ٦٢ ومعجم الأديبى ، وقد طبع ديوانه كما مر مع ديوان عمرو بن كلثوم ، وانظر تاريخ الادب العربية اتاليين ص ٦٠ وفى الادب الجاهلى لطف حسين

له ابل ضلّت فذهب أخوه طرفه الى ابن عمه مالك ليعينه فى طلبها فلامه .  
وانتهره ، وقال : « فرطت فيها ثم أقبلت تتعب فى طلبها » فهأجت قريحة .  
طرفه ، فقال معلقته التى مطلعها :

لخولة أطلالٍ بِبِرْقَةٍ تُهَمِّدُ تلوَحُ كباقي الوَشْمِ فى ظاهر اليدِ

وفىها يشبه حدوج حبيته بالسفن السابحة فى الماء ، ثم يصف ناقته .  
وصفا جميلا يوهمك لأول وهلة انه يصف حبيته . ولكنك لا تلبث ان  
ترى وصفه الدقيق لكل عضو من أعضائها حتى ذيلها ، ثم ينتقل الى  
الحكم والموعظة ثم العتاب يعاتب ابن عمه على تعنيفه ، ويأسف لانه لا يقدر  
أن يرد تعنيفه لمقامه عنده

ولطرفة حديث مع عمرو بن هند صاحب الحيرة والمتلمس الشاعر كان  
سببا فى قتله . وذلك أن طرفه كان فى صباه معجبا بنفسه يتخلج فى مشيته .  
فمشى تلك المشية مرة بين يدي عمرو بن هند فنظر اليه نظرة كادت تبثله  
من مجلسه . وكان المتلمس حاضرا ، فلما قاما قال له المتلمس : « يا طرفه .  
انى أخاف عليك من نظرتك اليك » فقال طرفه : « كلا » ثم انه كتب لهما  
كتابين الى المكعب ، وكان عامله على البحرين وعمان ، فخرجا من عنده  
وسارا حتى اذا هبطا بأرض قريبة من الحيرة رأيا فيها شيخا دار بينهما .  
وبينه كلام نبه المتلمس الى ما قد يكون فى الكتاب الذى يحمله من الاذى .  
ولم يكن يعرف القراءة فاذا هو بـغلام من أهل الحيرة يسقى غنما له من  
نهر الحيرة ، فقال له المتلمس : « يا غلام أتقرأ ؟ » قال : « نعم » .  
قال : « اقرأ هذه » فاذا فيها « باسمك اللهم من عمرو بن هند الى المكعب  
اذا اتاك كتابى هذا من المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا » فألقى  
المتلمس الصحيفة فى النهر ، وقال : « يا طرفه معك والله مثلها » فقال :  
« كلا ما كان ليكتب لى مثل ذلك » ثم أتى طرفه الى المكعب ، فقطع يديه  
ورجله ودفنه حيا ، ف ضرب المثل بصحيفة المتلمس لمن يسمى فى حنقه  
بنفسه

وقد جمعت أشعار طرفه فى ديوان طبع بشالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ مع  
ترجمة فرنسية بعناية « سلكسن » . وتجد أخبار طرفه مع بعض أقواله .  
متفرقة فى الاغانى وفى شرح المعلقات وأمثال الميدانى وحياة الحيوان للدميرى  
٢٠٩ ج ٢ والجمهرة ٨٣ وفى ديوان الشعراء الستة الجاهلين وخزانة الادب  
١٤٤ ج ١ والشعر والشعراء ٨٨ وفى شرح القصائد العشر ٣٠ وفى الحماسة .  
وغيرها . وفى المجلة الآسيوية الفرنسية Journal Asiatique لسنة ١٨٤١ مقالة .  
عنه وعن المتلمس (\*)

(\*) أنظر فى طرفه أيضا طبقات الشعراء لابن سلام ، والموشح للمرزبانى ص ٥٧ وتاريخ الاداب .  
العربية لنالينو ص ٦٨ وفى الادب الجاهلى لطفه حسين ، ودائرة المعارف الاسلامية . وقد طبع  
ديوانه طبعة أخرى غير التى أشار اليها المؤلف فى العقد الثمين ، وأيضا فى مجموعة مصطفى  
السقا



## ٩ - عنتره بن شداد العبسي

توفي سنة ٦١٥ م

هو عنتره بن شداد من قبيلة عبس من قيس ، وهو من الشعراء الفرسان . الشجعان ، وعشيق فهأجت شاعريته واتسع خياله . وأخباره مدونة في قصته المشهورة ، لكن أكثرها موضوع من قبيل القصص الروائية . أما عنتره فلا شك في وجوده ، وله حروب وأشعار . والصحيح من خبره أن أمه زبيبة كانت حبشية فلما أنجبت ابنها وظهرت مواهبه اعترف به أبوه وألحقه بنسبه على اصطلاحهم في ذلك العصر

وهو أحد أغربة العرب ، ممن أمهاتهم أماء وهم ثلاثة : عنتره وخفاف بن عمير والسليك بن السلكة . وشهد عنتره حرب داحس والغبراء وهو شاب ووقعت ملاحاة بينه وبين بنى عبس فى ابل أخذها من حليف لهم اقتتلوا عليها . وحدثت حروب بين جديلة وثعل ، وكان عنتره مع جديلة فنصرهم فانصرفوا فشكته ثعل الى غطفان . ووقائع كثيرة بشتبه فيها الصحيح بالموضوع وهم فى اختلاف فى سبب قتله . وأحب عبلة بنت عمه وهو يذكرها فى أكثر أشعاره

ولعنتره أشعار كثيرة تدخل فى ديوان كبير ، والرواة مختلفون فيما هو له وما هو موضوع . ومما هو ثابت له المعلقة التى مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهشم

ويقال فى سبب نظمها أنه جلس يوما فى مجلس بعدما كان قد ابلى . واعترف به أبوه واعتقه ، فسأبه رجل من بنى عبس ذكر سواده وأمه وأخوته . فسبه عنتره وقخر عليه ، وقال فيما قال له : « انى لاحضر البأس وأوفى المغنم وأعف عند المسئلة وأجود بما ملكت يدي وأفصل الخطة الصماء » قال له الرجل : « انا اشعر منك » قال : « ستعلم ذلك » فقال عنتره يذكر قتل معاوية بن نزال وهى أول كلمة قالها

فبدأ يذكر الديار ديار عبلة . وخاطبها يشكو البعد والغرام ، ثم استأنف . الفخر والحماسة . وأكثر الرواة ينكرون ان يكون مطلع المعلقة له ومنهم الاصمعى وابن الاعرابى ، وكلهم يقولون ان أول المعلقة الحقيقى :

يا دار عبلة بالجِواءِ تكلمى وعمى صباحا دار عبلة واسلمى .  
ومن غرر القصائد المنسوبة اليه قصيدة يذكر فيها واقعة يوم الفروق .  
مطلعها :

ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخوالي

وصف فيها الواقعة وافتخر . . وله قصيدة فخمة يتوعد بها النعمان . ويفتخر بقومه كلها حكم وحماسة مطلعها :

لا يحمل الحقد من تلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب  
وفي هذا البيت من الحكمة البالغة ما ليس بعده غاية . ومن أقواله قصيدة  
يهدد بها عمارة والربيع ابني زياد العبسي معرضاً بذكر قومهما مطلعها :  
لغير العلامنى القلا والتجنب ولولا العلامنت فى العيش أرب  
وغير هذه شئ كثير يراجع فى ديوانه وفيه معان لم يسبق إليها ، منها  
قوله :

وخلا الذبابُ بها فليس يبارح غرداً كفعل الشارب المترنم  
هزجاً يحكُّ ذراعه بذراعه فعل المكبُّ على الزناد الأجدم  
وقوله :

وإذا شريت فانتى مسنهلك مالى وعرضى وافرٌ لم يكتلم  
وإذا صحوت فما أقصّر عن تدى وكما علمت شمالمى وتكرمى  
ومن ذلك قوله :

انى امرؤ من خير عبس متصباً شطرى وأحمى سائرى بالمتصل  
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفت خيراً من معم محول  
يقول النصف من نسبي شريف فى خير عبس وأحمى النصف الآخر وهو  
نسبه فى السودان بالسيف فأشرفه أيضاً ، ومن أحسن شعره قوله :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل  
فأجبتها إن المنية مهل لا بد أن أسقى بذاك المنهل  
فأقتنى حياءك لا أبالك واعلمى أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل  
إن المنية لو تمثلت مثلت مثلى إذا نزلوا بضنك المنزل  
ومن افراطه قوله :

وأنا المنية فى المواطن كلها والطعن منى سابق الآجال  
وفى هذه يفخر بأخواله من السودان اذ يقول :

إنى لتعرف فى الحروب مواطنى فى آل عبس مشهدى وفعالى  
منهم أبى حقاً فهم لى والد والأم من جام فهم أخوالى  
وأشعار عنتره كلها واردة فى قصته وقد أفردها بعضهم فى ديوان على  
حدة ، وطبع فى بيروت بغير تحقيق فيما هو له وما لى له (\*\*) قصيدته

(\*) هذا المطلع بعنه للتريف الرضى فى قصيدة مشهورة له  
(\*\*) طبع ديوان عنتره أيضاً فى مجموعة العقد الثمين لالورد ، ومجموعة مختار الشعر  
الجاهلى لمطفى السقا

وردت أخباره في الاغانى ١٤٨ ج ٧ والشعر والشعراء ١٣٠. وشعراء النصرانية ٧٩٤ والجمهرة ٩٢ وخزانة الادب ٦٢ ج ١ والعقد الفريد ٣٤ ج ١ وشرح القصائد العشر ٩٠ وترجمنا له في السنة الخامسة من الهلال . وللمستشرق الالماني توربكي Thorbecke كتاب بشأنه طبع في هيدلبرج سنة ١٨٦٨ (\*)

### قصة عنتره

أما قصته فقد اختلفوا في واضعها ، ويظهر أنها وضعت بالتدريج ومعنى ذلك أنهم توسعوا فيها وأضافوا اليها زيادات على مر التاريخ حتى بلغت ماهى عليه الان . وكان من عادة المسلمين في صدر الاسلام أن ستنهضوا هم الجند للحرب بتلاوة أخبار الشجعان وفرسانهم الجاهليين ، وقد رأيناهم يفعلون ذلك في القرن الاول للهجرة في زمن الحجاج بن يوسف سنة ٧٧ في الواقعة التي قتل فيها شبيب عتاب بن ورقاء . ذكر ابن الاثير ان عتابا سار في أصحابه قبل المعركة يحرضهم على القتال ويقص عليهم ، ثم قال : « ابن القصاص ؟ » فلم يجبه أحد ، فقال : « ابن من يروى شعر عنتره ؟ » فلم يجبه أحد الخ

فكانوا أولا يروون أشعار عنتره للحماسة ، ثم صاروا يجمعون أخباره وأحاديثه ويتناقلونها رواية عن الاصمعي وهي تتسع حتى جمعت بمصر في أواخر القرن الرابع للهجرة في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي . وقد جاء في سبب جمعها وتدوينها ان رجلا اسمه الشيخ يوسف بن اسماعيل كان يتصل بالعزيز بالله . . فاتفق ان حدثت ربة في دار العزيز ، لهجت الناس بها في المنازل والأسواق فسأه العزيز ذلك ، وأشار على الشيخ يوسف المذكور ان يطرف الناس بما عساه ان يشغلهم عن هذا الحديث

وكان الشيخ يوسف هذا واسع الرواية في اخبار العرب كثير النوادر والاحاديث ، وكان قد أخذ روايات شتى عن أبي عبيدة وابن هشام وجهينة الاخبار والاصمعي وغيرهم من الرواة ، فأخذ يكتب قصة عنتره ويوزعها في الناس فأعجبوا بها واشتغلوا عن سواها . ومن تطفه في الحيلة أنه قسمها الى ٧٢ كتابا والتزم في اخر كل كتاب ان يقطع الكلام في حادث مهم يشناق القارىء والسامع الى الوقوف على تمامه . . فلا يفتر عن طلب الكتاب الذي يليه ، فاذا وقف عليه انتهى به مثل ما انتهى في الاول وهكذا الى نهاية القصة . وقد أثبت في هذه الكتب ما ورد من أشعار العرب المذكورين فيها ، ولكن تداول النساخين الجهلاء للقصة أفسد روايتها . . والقصة مشهورة ومطبوعة مرارا

(\*) انظر أيضا في عنتره تاريخ الاداب العربية لنانيو ص ٦١ ودائرة المعارف الاسلامية . وقد كتب آلورد بحثا في صحة أشعاره

## ١٠ - عبيد بن الأبرص الاسدي

توفي سنة ٥٥٥ م

هو من بني أسد من مضر من شعراء الطبقة الاولى قديم الذكر عظيم الشهرة ، لكن الباقي من شعره أقل من شهرته ، وكان عبيد لا يقول الشعر في صباه . وذكروا في سبب ما بعثه على النظم انه كان ضيق الرزق قليل المال ، فأقبل ذات يوم بغنم له ومعه اخته ماوية ليوردا غنمهما . فمنعه رجل من مالك وجبهه . . فانطلق حزينا مهموما ثم ابتهل الى الله : ان كان فلان ظلمنى ورومانى بالبهتان فأدلنى منه وانصرنى عليه . ووضع رأسه فنام ، فرأى في المنام ان رجلا اتاه بكبة من شعر القاها في فيه ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز ، واستمر بعد ذلك ينظم الشعر حتى صار شاعر بنى أسد غير مدافع ، فنظم قصيدته البائية وهى التى تعد من المعلقات مطلعها :

أفقرَ من أهله مَلْحوبٌ فالتَطْبِيَّاتُ فالذُّثوبُ

وهى ٤٨ بيتا نشرها التبريزى ملحقة بالمعلقات السبع مع قصيدتى الاعشى والنابغة فى شرح القصائد العشر . وهو معدود من اصحاب المجمعرات عند صاحب جمهرة اشعار العرب ، وجمهرته عنده هى نفس هذه المعلقة مع بعض التغيير (١)

وفى أيامه كان حجر بن الحارث الكندى والد امرىء القيس ملكا على بنى أسد كما تقدم ، وكان عبيد ينادمه فنظم فيه قصائد من جملتها قصيدة يغنى بها ، مطلعها :

طاف الخيالُ علينا ليلةَ الوادى من أمِّ عمرو ولم يلمم ببيعاد

وأبى بنو أسد مرة ان يدفعوا الاتاوة لحجر وقتلوا رسله ، فغضب وحاربهم واستباح اموالهم واخرجهم الى تهامة وحبس بعض ساداتهم وفيهم عبيد بن الأبرص . . فذهب منهم وفد اليه ، وجاء عبيد فوقف وأنشد قصيدة جاء فيها :

وَمَنَعَتْهُمْ نَجْدًا فَقَدْ حَلَّشُوا عَلَى وَجَلٍ تِهَاءَ كَهْ  
بَرِمَتْ بَنُو أَسَدٍ كَمَا بَرِمَتْ بِيضَتِهَا الْحَمَامَةُ  
جَعَلَتْ لَهَا عَوْدِينَ مِنْ نَشْمٍ وَأَخْرَجَتْ مِنْ ثَمَامَةٍ (٢)  
مهما تركت تركت عفوا أو قتلت فلا ملامه  
أنت المليك عليهم وهم العبيد الى القيامه  
ذلتوا لسوطك مثل ما ذل الأشيقر ذو الخزامه (٣)

(١) الجمهرة ١٠٠ (٢) النشم : شجر ، والثمامة : نبت  
(٣) الأشيقر : الاحمر من الابل ، والخزامه : حلقة من شعر تجعل فى أنف البعير

فأطلق حجر سبيلهم • ثم ثارت أسد ثانية عليه وقتلوه كما ذكرنا في ترجمة امرئ القيس • وغضب امرؤ القيس ولم يقبل منهم دية أبيه ووعدهم فقال عبيد قصيدة مطلعها :

يا إذا المخوفنا بقتل أييه اذلالا وحيئنا  
وزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذبا وميننا

وعمر عبيد طويلا حتى قتله المنذر بن ماء السماء في حديث، خلاصته أن المنذر قتل نديمين أله من بنى أسد وهو غضبان ، فلما أصبح ندم فبنى على قبريهما ضريحين سماهما الغريين وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما هناك ، أحدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس • فأول من يطلع عليه في يوم النعيم يعطيه مائة من الإبل وأول من يطلع عليه في يوم البؤس يقتله ويطلق بدمه الغريين . فاتفق لعبيد أن أتاه في يوم بؤسه فقتله . وهذا الحديث يشبه ما ذكروه عن حنظلة والنعمان ، لكن حادثة حنظلة تمثل الوفاء أحسن تمثيل اذ يطلق النعمان حنظلة بضمانة على أن يفيب سنة ثم يعود ليقتل ، فلما حان الوقت جاء وسأله النعمان عما حمله على المجيء بعد أن نجا بنفسه ، فقال : « الوفاء »

فلعل الاصل فيها قصة عبيد فزاد عليها العسرب وعد حنظلة ووفاء ليمثلوا بها الوفاء على نحو ما كما يفعل اليونان في الروايات التمثيلية ، وقد أشرنا الى ذلك قبلا

ومن أحاسن شعر عبيد ، قصيدته الدالية التي مطلعها :

لمن ذمته أقوت بحرمة صرغد تلوح كعنوان الكتاب المجدد

ولعبيد ديوان تحت الطبع على يد لجنة تذكاري جيب بانجلترا مع ديوان عامر بن الطفيل بتصحيح المستشرق لایل Lyall (\*)

وتجد اخبار عبيد في الاغانى ٨٤ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٤٣ وشعراء النصرانية ٥٩٦ والجمهرة ١٠٠ وفي مجمع الامثال للميداني ومعجم البلدان والعمدة ومعجم البكري وغيرها (\*\*)

#### الملاحظات والمستشرقون

وقد عنى غير واحد بشرح الملاحظات وان اختلفوا في عددها كما تقدم • وعنى جماعة من علماء اوربا المستشرقين بترجمتها • وأشهر من فعل ذلك منهم وأيم جونس W. Jones الانجليزى فقد نشرها مع ترجمة

(\*) نشر لایل الديوانين مع بحث طريف عن الشعراء  
(\*\*) انظر أيضا في عبيد أمالي القالي ج ٣ ص ١٩٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٩٢ ، وفي الادب الجاهلى لطف حسين ، وتاريخ الادب العربية لالينو ص ٦٧ ومقدمة لایل لديوانه

وشرح في لندن سنة ١٧٨٣ ، وإبل Abel النمساوي ترجمها إلى  
النمساوية ونشرها مع الاصل العربي في برلين سنة ١٨٩١ . ثم جنسن  
Johnson الانجليزي ترجمها الى الانجليزية ونشرها في لندن سنة ١٨٩٤ ،  
مع مقدمة للشيخ فيض الابهي . وقد كتب عنها وعن غيرها من شعير  
الجاهلية لایل Lyall المذكور كتابا طبع في لندن سنة ١٨٨٥ ونولدكي  
Nœldeke الالمانى وغيرهما

# الشعراء الأماراء

الشعراء من الملوك والامراء بضعة عشر شاعرا ، منهم اثنان من أصحاب المعلقات هما امرؤ القيس وعمرو بن كلثوم وقد ترجمنا لهما ، واليك من بقى :

## ١ - الافوه الاودى

توفى سنة ٥٧٠ م

هو صلاة بن عمرو من اود ، وينتهى نسبة الى مدحج من قبائل اليمن . وكان سيد قومه وقائدهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، والعرب تعده من حكمائها ، وله قصيدة دالية تدل على حكمة وصدق نظر منها قوله : (\*)

ان النجاة اذا ما كنت ذا بصيرٍ من أجفة الغى إبعاد  
والخير تزداد منه ما لقيت به والشريك من قك ما زاد  
والبيت لا يثبتنى الا له عمد ولا عماد اذا لم ترس أوتاد  
فان تجمّع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا  
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهّاهم سادوا  
تلقى الأمور بأهل الرأى ماصلحت فان تولوا فبالأشرار تنقاد  
اذا تولى سراة الناس أمرهم نمت على ذلك أمر القوم فازدادوا  
ومن حماسياته قوله :

نقاتل أقواما فنسبى نساءهم ولم يرك ذو عزٍ لنسوتنا حجلا  
نقود ونأبى أن نقساد ولا ترى لقوم علينا فى مكارمهم فضلا  
وانا بطاء المشى عند نساءنا كما قيّدت بالصيف نجدية بزلا

(\*) الغريب فى آيات الافوه الاودى - الاحة : من أجمع النازر - السراة : الاشراف والسادة - الحجل : الخلل - البزل : جمع بازل وهو البعير المسن

وقد جمعت أقواله في الاغانى ٤٤ ج ١١ وشعراء النضراية ٧٠ والشعر والشعراء ١١٠ وله أبيات متفرقة في كتب الادب ونحوها وليس له ديوان مجموع (\*)

## ٢ - المهلهل بن ربيعة

توفى نحو سنة ٥٣١ م

هو عدى بن ربيعة التغلبى أخو كليب من نجد من الطبقة الاولى ، وهو خال امرئ القيس الشاعر الملك . وكان المهلهل فصيحاً شديداً البأس في الحروب ، وقد شهد حرب يوم السلان مع أخيه كليب ، وأبلى بلاءً حسناً . وكان المهلهل في أول أمره صاحب لهو كثير الحادثة للنساء ، فسماه أخوه كليب « زير النساء » أى جليسهن ، ولم يكن يرجو منه خيراً . فلما قتل كليب فى أمر البسوس المشهور (١) كان المهلهل يعاقر الخمر ، فهجاه مقتل أخيه وذهب الى قومه واستحثهم على الاخذ بالثأر . وجز شعره وقصر ثوبه ، وهجر النساء وترك الغزل ، وحرّم القمار والشراب ، ونهض للحرب ، وما أشبه عمله هذا بعمل ابن أخته امرئ القيس . ولعل هذا ورث الشعارية من خاله لان كليهما وصاف ومستنيط . وطالت الحروب بين بكر وتغلب نحو أربعين سنة كان النصر فيها سجالاتاً ثم تصافوا واصطلحوا

وكان المهلهل فى أثناء ذلك يقول الشعر على مقتضيات الاحوال بين فخر وحماسة وغيرهما . . فمن ذلك قوله يوم علم بمقتل أخيه وجاء الى قومه فرأى النساء يبكين ، فقال : « استبتقين للبكاء عيوننا الى آخر الابد » وقال وهو أول شعره :

كنا نغار على العواتق أن ترى بالأمس خارجةً عن الأوطان  
فخرجن حين ثوى كليب حُسراً مستيقناتٍ بعده بهوان  
فترى الكواعب كالظباء عوادلاً إذ حان مصرعه من الأكفان  
يخمشن من أدم الوجوه حواسراً من بعده ويعدن بالأزمان  
متسلبات تكدهن وقد ورى أجوافهن بحرقه ووراني  
ثم تخلص الى الرثاء والوعيد بالثأر . ومن مرثيه فى أخيه قوله من قصيدة :

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها أن أت خلقتها فيمن يخلّيها

(\*) طبع ديوان الافوه بمصر فى مجموعة الطرائف الادبية سنة ١٩٣٧ ، وراجع الامالى للقالى ج ٢ ص ٢٢٨ : وسقط اللالى ٢٦٥ . ٨٤٤ . والعينى ج ١ ص ٤٢١ وانظر تاريخ الاداب العربية لئالينو ص ٦٤

(١) اقرأ تفصيله فى كتابنا « العرب قبل الاسلام » صفحة ٢٣٢



كليبٌ أى فتى عزٌّ ومسكرمة تحت السقائف اذ يعلوك سافيتها  
 نعى النعاة كليباً لى فقلت لهم مادت بنا الأرض أم مادت رواسيها  
 ليت السماء على من تحتها وقعت وانشقت الأرض فانجابت بمن فيها  
 ومن أقواله قصيدته الممدودة من المنتقيات ومطلعها :

حككت ركاب البغى من وأثل في رهط جسسٍ تقال الوسوق  
 والعرب تسميها الداهية . وقد وضع القصاصون قصة حماسية بطلها  
 المهلهل تعرف بقصة الزير ، كما وضعوا قصة عنتره ولكنها متأخرة وعبارتها  
 أقرب الى العامية . وللمهلهل ذكر فى تاريخ الشعر العربى فانه أول من  
 طول قصائده كما تقدم

وقد جمعت أشعاره فى ديوان ، وهو أقدم شاعر جمع له ديوان ولم يصل  
 الينا هذا الديوان . ولكن بعض المعاصرين جمع له ديوانا أخذه من أقواله  
 فى كتب الادب وغيرها ولم تقف عليه . ولكنك تجد معظم أشعاره فى الاغانى  
 ١٤٨ ج ٤ وخزانة الادب ٣٠٠ ج ١ والشعر والشعراء ١٦٤ والجمهرة  
 ١٦٥ وفى تاريخ ابن الاثير ومعجم ياقوت ومعجم البكرى وشعراء النصرانية  
 ١٦٠ وفى ديوان الحماسة وغيرها (\*\*)

### ٣ - عبد يفيوث

توفى سنة ٥٨٠ م

هو عبد يفيوث بن صلاة من بنى الحارث بن كعب من كهلان . كان فارسا  
 سيدا لقومه ، وكان قائدهم فى يوم الكلاب الثانى الى بنى تميم وقد أسر يومئذ  
 وقتل . وهو عريق فى الشعاعرية ونبغ من أهله غير شاعر وكلهم فحول .  
 وأحسن شعره قصيدة قالها وهو يتأهب للموت ، وكان قد أسر وشهد  
 لسانه بنسعة ، وخبروه فى الطريقة التى يريد أن يقتل بها فقال :  
 « اسقونى الخمر ودعونى أنح على نفسى » فسقوه وقطعوا له عرق الاكحل  
 وتركوه ودمه ينزف ومعه ابناه ، فجعلوا يلومانه على ما أركبهما من المشاق  
 فنظم هذه القصيدة ومطلعها :

ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا فما لكما فى اللوم نفع ولا ليا  
 ومنها قوله : (\*\*\*)

(\*\*) راجع ترجمة له فى امالى القالى ج ٢ ص ١٣٠ . وانظر الموشح للمرزيانى ص ٧٤  
 وكتاب فى الادب الجاهلى وتاريخ الادب العربية لالينو ص ٥٣  
 (\*\*\*) الغريب فى هذه الابيات : النسعة : سير يضفر من جلد - اسجج : سهل ويسر  
 فى الامر - حربه ماله : سلبه اياه - الرماء : جمع راع ، العزبين : جمع معزب وهو  
 المنتضى بابله ، المتالى : الأبل - الجزور : البعير الذى يجزر ويذبح - المطية هنا :  
 الناقة ، والشرب : جمع شارب ، وأصدع : اشق ، والقينة : المغنية ، يقول انه كان  
 ينجر جزوره للشرب ويشق قميصه او رداءه للمغنيين ، فيعطى كلا قطعة - وعادية أى  
 وفرس عادية تسبح فى الارض سبحا ، سوم الجراد أى تمرر الجراد فى السرعة ،  
 وزعتها : كفتها ، العوالى : الرماح - أسبا : اشترى الخمر ، والروى : الملتىء ،  
 والابسار : الذين يضربون القداح فى القمار

أقول وقد شدوا لساني بنسعةٍ أمعشرَ تيمٍ أطلقوا عن لساني  
 أمعشر تيمٍ قد ملكتم فأسججواً فان أخطاكم لم يكن من بوانيا  
 فان تقتلونى تقتلوا بى سيدا وان تطلقونى تحربونى بماليا  
 أحقا عباد الله أن لست سامعا نشيد الرعاء المعز بين المتاليا  
 وقد كنت نحر الجزور ومعمل ال مطي وأمضى حيث لا حى ماضيا  
 وأنحر للشرب الكرام مطيتى وأصدع بين القينتين ردائيا  
 وعادية سؤم الجراد وزعتها بكفى وقد أنحوا الى العوانيا  
 كأتى لم أركب جوادا ولم أقل لخيلى كرى نقتسى عن رجاليا  
 ولم أسبأ الرقى الروى ولم أقل لأيسار صدق: أعظموا ضوء ناريا  
 وأخباره فى الاغانى ٧٣ ج ١٥ وخزانة الادب ٣١٧ ج ١ وشعراء النصرانية  
 ٧٥ والكامل لابن الاثير ومعجم البلدان وغيرها (\*)

#### ٤ - زهير بن جناب

توفى سنة ٥٠٠ م

هو زهير بن جناب الكلبى من قضاة ، وهو من مشاهير امراء العرب فى  
 الجاهلية . ولد فى اخر القرن الرابع للميلاد وعمر طويلا ربما بلغ عمره ١٥٠  
 سنة ، وله حروب كثيرة مع قبائل العرب وتولى الامارة على بكر وتغاب  
 لصاحب اليمن ، وما زال عليهم حتى حاواوا الاستقلال من اليمن كما تقدم  
 ولما كبر زهير وشاخ ثقلت همته وكف بصره ، وظل مع ذلك مقديما عند  
 ملوك اليمن والشام . وكان الغساسنة يستشيرونه حتى توفى نحو سنة  
 ٥٠٠ . وهو من أقدم الشعراء وأجودهم ولم يصلنا من شعره الا القليل . هذه  
 أمثلة منه فى الحماسة (\*\*\*)

أبى قومنا أن بفلوا الحق فانتهاوا اليه وأنياب من الحرب تحرق  
 فجاءوا الى رجراجة مستمزة يكاد المرنئى نحوها الطرف يصعق  
 دروع وأرماع بأيدى أعزة وموضونة مما أفاد مخرق  
 وخيل جعلناها دخيل كرامة عتقارا ليوم الحرب تحفى وتغبق  
 فما برحوا حتى تركنا رئيسهم يعفقر فيه المضرخى المذلق

(\*) انظر ايضا ذيل الامالى ص ١٣٣ والمفضليات رقم ٣٠  
 (\*\*\*) الغريب فى الابيات التالية: الرجراجة: الجماعة الكثيفة ، مستمزة: متميزة  
 من القبط ، أو مستمرة من المرة أى تطلبها - الموضونة: الدروع ، ومحرق: لقب غير  
 ملك من ملوك المناذرة ، يقال كان يحرق العرب ، وكان تلك كانت عادة لهم فى بعض  
 حروبهم أن يحرقوا الاسرى - تغبق هنا: تشد عليها السروج - المضرخى: الضمر  
 العظيم ، المذلق: المحدد نابه

ويقال انه صاحب البيت المشهور :  
 اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام  
 وجاءت اخباره في الاغانى ١٧ ج ٣ والشعر والشعراء ٢٢٣ وشعراء  
 النصرانية ٢٠٥ وأمثال الميداني وغيرها (\*\*)

### ٥ - عامر بن الطفيل العامري

توفى سنة ٦٢٣ م

هو ابن عم لبيد الشاعر ، وكان فارس قيس وسيدهم . وكان عقيما  
 لا يولد له ، ومن جيد شعره في الحماسة قوله :  
 وما الأرض الا قيس عيَّلان أهلها لهم ساحتها سهلها وحزومها  
 وقد نال آفاق السموات مجدنا لنا الضحو من افاقها وغيومها  
 ومن قوله في الفخر :

فانى وان كنت ابن فارس عامر وسيدها المشهور في كل موكب  
 فما سؤددتني عامر من وراثته ابي الله ان أسمو بأم ولا أب  
 ولكنني أحى حماها وأتقى أذاها وأرمى من رماها بمنكب

ولعامر المذكور ديوان أخذت في نشره لجنة تذكاري جيب الانجليزية مع  
 ديوان عبيد بن الابرص بعناية المستشرق لايل Lyall (\*\*) وله أخبار  
 في الشعر والشعراء ١٩١ والأغانى ٤٦ ج ١٠ وخزانة الادب ٤٩٢ ج ٣ (\*\*\*)

### ٦ - ابو قيس بن الاسلت

هو عامر بن جشم من الاوس وهو سيدهم أسندوا اليه حروبهم  
 وجعلوه رئيسا عليهم في حرب يوم بغاث ، فقام فيها خير قيام . ومن شعره  
 قوله في امرأة خفرة :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن اتيانهن فتعذُر  
 وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفُر

(\*) أنظر ايضا ابن الاثير الجزء الاول وتاريخ ابي الفداء والى المرتضى ( طبعة الحلبي ج  
 أول ص ٢٢٨ والمعبرين طبع ليدن ص ٢٦ ولانسن في كتابه Le Berceau de l'Islam  
 وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٥ ص ١١٣

(\*\*) طبع لايل الديوانين كما مر بنا . وقدم لكل من الشاعرين بمقدمة طريفة

(\*\*\*) وأنظر ايضا الخزانة ج ١ ص ٤٧٣ - ٤٧٤ ، والمؤتلف ص ١٥٤ ، ومعجم  
 الرزباني ص ٢٢٢ والمفضليات رقم ١٠٦ ، ١٠٧ والاصمعيات رقم ٧٧ ، ٧٨ ، وشرح  
 النقائض لابن الانباري طبع لايل في يوم فيف الريح ٤٦٩ - ٤٧٢ ، ويوم شعب جبللة  
 ٦٥٤ - ٦٧٨ ، وسيرة ابن هشام والشعراء الفرسان لبطرس البستاني ، ودائرة المعارف  
 الاسلامية

وهو من أصحاب المذاهب ومطلع مذهبه :  
 قالت ولم تقصد لقول الخنئ مهلا فقد أبلغت أسمى  
 وأخباره في الاغانى ١٦٠ ج ١٥ والجمهرة ١٢٦ (\*)

### ٧ - الحصين بن الحمام

توفى سنة ٦٢١ م

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة سيد بنى سهم بن مرة من قيس ، وكان  
 يعرف بمناجع الضيم . وأحسن ما وصل إلينا من أقواله قصيدة حماسية  
 فخرية قالها على أثر نصر في موضع يقال له دارة موضوع ، مطلعها :  
 جَزَى اللهُ أَفْنَاءَ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا بَدَارَةَ مَوْضِعٍ عَقُوقًا وَمَأْتِمًا  
 وهى من جملة المفضليات التى اختارها المفضل الضبى . اخباره في  
 الاغانى ١٢٣ ج ١٢ والشعر والشعراء ٤١٠ وشعراء النصرانية ٧٣٣ والسيرة  
 النبوية لابن هشام والحماسة والعمدة (\*\*\*)

### ٨ - قيس بن عاصم

من تميم ويكنى أبا على ، وهو شاعر فارس شجاع حكيم كثير الغارات  
 مظفر فى غزواته ، أدرك الجاهلية والاسلام وساد فيهما . وهو أحد من  
 وأد بناته فى الجاهلية ، وله حديث عن احدى بناته يؤثر فى النفس (١) وكان  
 مشهورا بالكرم لا يستطيع الاكل وحده . ومن نظمه فى ذلك قوله وقد جاءته  
 امرأته بالطعام :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالكٍ ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد  
 اذا ما صنعت الزاد فالتمسى نه أكىلا فانى لست آكله وحسدى  
 أخوا طارقا أو جارا بيت فانى أخاف ملامات الأحاديث من بعدى  
 وانى لعبد الضيف من غير ذلة وما بى إلا تلك من شيم العبد  
 وعنه يروون وصية أوصى بها أولاده ، ضرب لهم فيها مثل الاتحاد بالرمح  
 اذا ضمت معا يعسر كسرهما واذا تفرقت كسرت  
 وأخبار قيس فى الاغانى ١٤٩/ج ١٢ وخزانة الادب ٤٢٨ ج ٣ والمستطرف

(\*) أنظر أيضا الاصابة لابن حجر ج ٧ ص ١٥٧ وابن الاثير الجزء الاول ، والمفضليات  
 رقم ٧٥ ، والبيان والتبيين فى مواضع متفرقة ( أنظر الفهرس )  
 (\*\*\*) أنظر أيضا كتاب طبقات الشعراء لابن سلام ، والاستيعاب لابن عبد البر ، وأسد  
 الشابة لابن الاثير ، والاصابة لابن حجر  
 (١) افراه فى الاغانى ١٥٠ ج ١٢

٩٧ ج ١ والعقد الفريد ١٦٤ ج ١ (\*)

ومن الشعراء الامراء ايضا :

٩ - ورقاء بن زهير الغطفاني سيد بنى عبس . ترجمته فى الاغانى ٨

ج ١١

١٠ - حجر بن عمرو والد امرىء القيس . ترجمته فى شعراء النصرانية

ص ١

١١ - أمية بن الاسكر التيمى ( مضر ) ترجمته فى الاغانى ١٥٦ ج ١٨

١٢ - منظور بن زبان سيد فزارة وقائدهم . ترجمته فى الاغانى ٥٥

ج ١١

١٣ - الاخشن بن شهاب من سادات تغلب . ترجمته فى شعراء النصرانية

١٨٤

١٤ - دريد بن الصمة ( توفى سنة ٦٣٠ ) من هوازن سيد جشم ، وهو

من اصحاب المنتقيات ، ترجمته فى الاغانى ٢ ج ٩ ، والشعر والشعراء ٤٧٠ ،

وشعراء النصرانية ٧٥٢ ، وأنجمرة ١١٧

وقد ذكرنا بجانب كل واحد من هؤلاء المأخذ الذى يمكن الرجوع اليه فى

مطالعة خبره أو أمثلة من شعره ، ولهم أخبار وأشعار أيضا فى سائر كتب

الادب . . وخصوصا الشعر والشعراء والحماسة

(\*) انظر ايضا فى قيس امل المرتضى طبعة الحسلب. ج ١ ص ١٠٧ - ١١٤ ، ٥٩٢ ، ج ٢ ص ١٦١ ، ٢٨٦ والحماسة لابي تمام وعبون الاخبار لابن قتيبة ج اول ص ٢٨٦ وكتب تراجم الصحابة والسيرة النبوية لابن هشام والبيان والتبيين والكامل للمبرد فى مواضع متفرقة . وقد نسبت الابيات الروية له الى حاتم . انظر حماسة ابي تمام ، وراجع الشعراء الفرسان للبستاني

## الشعراء الفرسان

هم أكثر شعراء الجاهلية لان الفروسية والحرب من طبائع أهل البادية ، وقل من الشعراء من لم يركب أو يغز . ولكننا اخصصنا في هذا الفصل من غلبت عليهم الفروسية ، وفيهم الفرسان المشهورون وغير المشهورين . وهم نحو ٤٠ فارسا ، لو أردنا ايراد تراجمهم لاستغرق ذلك مكانا كبيرا مع قلة الحاجة الى التفصيل في هذا المقام . فنكتفي بذكر الأشهر منهم او من كان له ديوان محفوظ يمكن الرجوع اليه ، ونكتفي فيمن بقى منهم بذكر المتأخذ التي يمكن الرجوع اليها في مطالعة أخبارهم ، وهاك تراجم الأشهر :

### ١ - أبو محجن الثقفي

توفي سنة ٦٥٠ م

هو فارس شجاع ينسب الى ثقيف، وكان مولعا بالشراب ، وقد ادرك الاسلام فهو مخضرم ، وحبسه سعد بن أبي وقاص لشرب الخمر . وانفق بعد قليل أن المسلمين أصابهم جهد في القادسية ، وكان عند أم ولد لسعد المذكور ، فهاجت حماسته ونظم هذه الابيات :

كفى حزننا أن تطعن الخيل بالقنا وأترك مشدودا على وثاقيا  
إذا قمت عتاني الحديد وغلقت مغاليق من دوني تصم المناديا  
وقد كنت ذا أهل كثير واخوة فقد تركوني واحدا لا أخا لييا  
هلم سلاحي لا أبا لك انني أرى الحرب لا تزدد الا تماديا  
ثم احتالت أم ولد سعد المذكورة في اطلاق سراحه . ومن قوله في حب الخمر :

إذا مت فادفني الى جنب كربة تروى عظامي بعد موتي عروقتها  
ولا تدفني بالفلاة فاني أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

ولأبي محجن ديوان شعر مطبوع في لندن سنة ١٨٨٧ ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية . وأخباره متفرقة في الشعر والشعراء ٢٥١ .

وخزانة الادب ٥٥٣ ج ٣ ، وفى الاغانى وغيره (\*)

## ٢ - الاغلب العجلى

توفى سنة ٦٤٣ م

هو الاغلب بن عمرو من جشم من بنى عجل من ربيعة . وهو أحد المعمرين فى الجاهلية ، وادرك الاسلام وأسلم . وكان فى جملة من توجه الى الكوفة مع سعد بن أبى وقاص ، ومات فى واقعة لها ولد سنة ٢١ هـ ، وهو أول من رجز الارجيز الطوال . . . فقد كان العرب ينشدون الرجز فى الحرب والحداء والمفاخرة فيأتون منه بأبيات يسيرة . ثم جاء الاغلب فكان أول من قصد الرجز وأطاله ثم سلك الناس طريقته . والاسلام لم يمنعه من انظم كما منع لبيدا ، وقد تقدم خبر ذلك فى ترجمة لبيد . ولم نقف له على شعر أو خبر غير ما فى الاغانى ١٦٤ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ٣٨٩ : وخزانة الادب ٣٣٣ ج ١

## ٣ - حاتم الطائى

توفى سنة ٥٠٦ م

هو حاتم بن عبد الله من قبيلة طى ويكنى أبا سفانة . وهو من أجواد العرب وله أخبار فى السخاء مشهورة حتى جرى ذكره مجرى الامثال ، فيقال : « أجود من حاتم طى » وكانت والدته من أسخى الناس حتى اضطرت اخوتها ان يحجروا على أموالها خوفا من تبذيرها . وكانت ابنته سفانة سخية ايضا ، فكان أبوها يعطيها القطعة بعد القطعة من ابله فتهبها للناس . وكان حاتم مع ذلك شاعرا وشجاعا ، ويشبه جوده شعره . واذا قاتل غلب ، واذا غنم انهب ، واذا سابق سبق . وكان اذا أهل الشهر الاصم الذى كانت مضر تعظمه فى الجاهلية وتنحرف له ، ينحرف فى كل يوم عشرة من الابل فيطعم الناس . وكانت الشعراء تفد عليه كالحطيئة وبشر بن أبى خازم . ويروون عن سخاء حاتم وقائع يغلب أن تكون موضوعة أو مبالغاً فيها ، لتمثيل فضيلة السخاء وتحبيبها الى الناس من قبيل الشعر التمثيلى وقد أشرنا الى ذلك فى كلامنا عن أقسام الشعر عند اليونان . ومن أقواله فى السخاء :

أماوى قد طال التجنب والهجر وقد غدرتنى فى طلابكم الغدر  
أماوى ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكري  
أماوى انى لا أقول لسائل اذا جاء يوما حل فى مالنا النذر

(\*) انظر فى ابى محجن ايضا طبقات الشعراء لابن سلام والبيان والتبيين طبع لجنة التأليف ج ٣ ص ٢٣٨ وعيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢٨ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٤٠ ج ١

أماوىء اما مانعء فمببئنء واما عطاءء لا ينهنه الزجر  
 أماوى ما يعنى الشراءء عن الفتى اذ حشرجت نفسء وضاق بها الصدر  
 وقوله :

اذا كان بعض المال ربنا لأهله فانى بحمد الله مالى معبئء  
 اخذه ابن يعفر فقال :

ذرىنى آكن للمال ربنا ولا يكن لىء المال ربناء تحمدى غبئه غدا  
 أرىنى جوادا مات هزءلا لعلى أرى ما ترىنىء أو بخيلا مخلصا  
 ويستحسن له قوله :

ألا أبلغا وءهمء بن عمرو رسالةء فانك أنت المرءء بالخير أجدرء  
 رأيتك أدنى من أناسء قرابةء وغيرك منهم كنت أجبو وأنصر  
 اذا ما أتى يومء يفرق بيننا بموتء فكن أنت الذى يتأخر

ولحاتم ديوان مطبوع فى لندن سنة ١٨٧٢ بعناية المرحوم رزق الله حسونء  
 وطبع أيضا فى بيروت . وأخباره منثورة فى الاغانى ٩٦ ج ١٦ ، والشعر  
 وأنشعراء ١٢٣ ، وخزانة الادب ٤٩٤ ج ١ ، والمسئطرف ١٣٧ ج ١ ،  
 والعقد الفريد ٨١ ج ١ ، وشعراء النصرانية ٩٨ (\*)

#### ٤ - زيد الخيل

هو زيد بن مهلهل من طىء ، وكان رجلا جسيما طويلا جميلا فارسا  
 مغوارا مظفرا شجاعا بعيد الصيت فى الجاهليةء ، وأدرك الاسلام ووفد على  
 النبىء . . فسر به ولقبه وقرظه وسماه زيد الخير . وهو شاعر مقل لانه  
 انما كان يقول الشعر فى مفاخراته ومغازيه واياديه عند من مر عليه وأحسن  
 فى قراه اليه . وقد سمى زيد الخيل لكثرة خيله يوم لم يكن لسواه من  
 العرب الا الفرس والفرسانء ، فكانت له خيل كثيرة . . منها المسماة  
 المعروفة التى ذكرها فى شعره وهى ستة : الهطال والكميت والورد وكامل  
 ودوول ولاحق . وله فى كل منها شعر وكان له ثلاثة بنين كلهم شاعرء ، وأكثر

(\*) وانظر أيضا مروج الذهب للمعمودى طبعة باريس ج ٣ ص ٢٢٧ ، وذبل الامالى  
 للقائلء ص ١٥٤ ، وتاريخ دمشق لابن عساکر ج ٣ ص ٤٢٤ والبيان والتبيين فى مواضع  
 متفرقةء ، وكذلك حماسة ابن تمام . والمظنون انه عاش بعد منتصف القرن السادس  
 للمسيح وربما لحق القرن السابع . اذ يقال ان ابنته وصفته للنبى صلى الله عليه  
 وسلم . وانظر تاريخ الاداب العربية لثالبينو ص ٦٤ ، والشعراء الفرسان لبطرس  
 البستانيء ، ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٢٦ ج ١



أشعاره في الحماسة والفخر وذكر المواقع والظعن والضرب كقوله : (\*)

أنا لنكثر في قيسٍ وقائنا وفي تميمٍ وهذا الحي من أسدٍ  
وعامر بن طفيل قد نحوت له صدر القناة بماضي الحد مطرد  
لما أحس بأن الورد مدرته وصارما وربيط الجأش ذاليد  
نادى الي بسلمٍ بعد ما أخذت منه المنية بالحيزوم واللغند  
ولو تصبر لي حتى أخالطه أسعرته طعنة كالنار بالزند  
وجرت بينه وبين بعض القبائل معركة اسر فيها الحطيئة الشاعر فحبسه  
وضيق عليه ، وقال في ذلك :

أقول لعبدى جرولٍ اذ أسرته أثبني ولا يغررك أنك شاعر  
أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي له المكرمات والشهي والمآثر  
وقومي رعوس الناس والرأس قائد اذا الحرب شبها الأكف المساعر  
فلست اذا ما الموت حوذر ورده وأترع حوضاه وحمج ناظر  
بوقافة يخشى الحتوف تهيبا يباعدني عنها من القب ضامر  
ولكنني أغشى الحتوف بصعدتي مجاهرة ان الكريم يجاعر  
واروى سناني من دماء عزيزة على أهلها اذ لا تترجى الأياصر

ولا نعرف لزيد الخيل ديوانا مجموعا ولكن أخباره منشورة في الاغانى ٤٧  
ج ١٦ ، والشعر والشعراء ١٥٦ ، والدميرى ٢٠١ ج ١ ، وخزانة الادب  
٤٨٨ ج ٢ (\*\*\*)

### ٥ - سلامة بن جندل التميمي

توفي سنة ٦٠٨ م

هو شاعر جليل من قدماء الشعراء ، وكان من فرسان تميم المدودين  
وأخوه أحمر مثله . شعره سلس يستشهد به أهل اللغة لتأنته ، وكان

(\*) القريب في الإبيات الآتية والأخرى التي عليها : نحوت له : قصدت له ، مطرد :  
متسق - الورد : اسم قرس له ، وذو ليد : الأسد يشبه نفسه به - الحيزوم : الصدر ،  
واللغد هنا : الحلق . اللهم : العطايا - شب : أوقد ، والمساعر : جمع مسعر وهو  
التمود على ابتداء الحرب ، التحميمج : شدة النظر مع فتح العينين وإدارة الحدقة فرما  
ورعبا - القب : وسط المعركة ، والضاير : الجواد - الصعدة : القناة - الأياصر :  
القرابات والعهود

(\*\*) وأنظر في زيد الخيل السيرة النبوية لابن هشام (الفهرس) وكتب طبقات الصحابة  
مثل الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٣٤ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٤١ وذيل الامالى ص ٢٤ ،  
وراجع الشعراء الفرسان للبستاني

معاصرا لعمر و بن هند صاحب الحيرة والنعمان ابي قابوس وله فيهما  
اشعار . ومن أحسن شعره قصيدته التي مطلعها :

يا دارَ أسماءَ بالعلياء من اضمٍ بين الدكادك من قوٍّ فَمَعصوبٍ (\*)  
كانت لنا مرة دارا فغيرها مرّ الرياح بساقى الشربِ مجلوب  
وترى أمثلة من شعره في كتاب الشعر والشعراء ١٤٧ ، وشعراء النصرانية  
٤٨٦ ، وخزانة الادب ٨٦ ج ٢ ، ومعجم البلدان (\*\*\*)

### ٦ - علقمة الفحل

هو علقمة بن عبدة من تميم ، وكان معاصرا لامرئ القيس وينازعه  
اشعر . وتحاكما الى أم جندب زوجة امرئ القيس ، فقالت لهما انظما  
قصيدتين من وزن واحد وقافية واحدة تصفان بها الخيل (\*\*\*)  
فنظم امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :

خليلىّ مَثْرَبًا بى على أم جندبٍ لِنِقْضِ لَباناتِ الفؤادِ المعذبِ  
ونظم علقمة قصيدة مطلعها :

ذهبتَ من الهجران في كلِّ مذهبٍ ولم يك حقاك كلِّ هذا التجشبِ  
وأشدها القصيدتين فحكمت لعلقمة ، لان امرأ القيس قال فى وصف  
سرعة الفرس :

فللسوط ألهوب وللساق دربةٌ وللزجر منه وقع أهوج مَنعِبٍ (١)  
وقال علقمة :

فأدر كهنٌ ثانيًا من عنانهِ يمرُّ كمرِّ الرائحِ المتحلِّبِ  
ومرجع حكمها الى أن امرأ القيس أجهد فرسه بسوطه وساقه ، أما  
علقمة فان فرسه أدرك طريدته وهو ثان عنانهِ . فغضب امرؤ القيس  
وطلق امرأته فتزوجها علقمة  
ومن جيد شعره قوله :

(\*) الدكادك : القطع من الرمل والارض النليظة ، وضم وقو ومعصوب من منازل تميم  
(\*\*) وأنظر الفضلات رقم ٢٢ ، والاصمعيات ( طبع دار المسارف ) رقم ٤٢ ، والكامل  
للبريد وجمهرة اشعار العرب ، وطبقات الشعراء لابن سلام حيث وضعه فى الطبقة  
الساوية مع الحصين بن الحمام والمتلمس والمسبب بن علس . وقد طبع ديوانه فى بيروت  
(\*\*\*) يظن ان هذه القصة منتحلة ، وبالتالي يظن ان قصيدتى الشاعرين  
المتصلتين بها منتحلتان أيضا . وممن تشكك فيها من القدماء ابن المعتز . انظر الموشح  
للمرتزبانى فى ترجمة امرئ القيس  
(١) الالهوب : شدة جرى الفرس ومثله الدرّة ، والاهوج : الاحمق ، والمتعب :

الذى يمد عنقه فى الجرى

فان تسألوني بالنساء فإنتى بصير" بأدواء النساء طيبب  
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودّه ن نصيب  
يُردن ثراء المال حيث علمته وشرخ الشباب عندهن عجيب

ولعلمة ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٨٦٧ مع تعاليق بعناية البرت  
سوسين Socin وطبع في بيروت في بضع عشرة صفحة ( \* ) . وله  
أخبار متفرقة في خزنة الأدب، ٥٦٥ ج ١ ، والأغاني ١٢٨ ج ٧ ، وشعراء  
النصرانية ٤٩٨ ، والشعر والشعراء ١٠٧ ، والعمدة وسائر كتب  
الادب (\*\*\*)

### ٧ - عمرو بن معدى كرب

توفي سنة ٦٤٣ م

هو من زييد من مذحج ( كهلان ) فارس من فرسان اليمن أو هو فارس  
اليمن ويقدمونه على زيد الخيل في البأس ، وقد أدرك الإسلام وأسلم  
وجاهد حتى مات في آخر خلافة عمر بن الخطاب . وهو ممن يصدق عن  
نفسه في شعره فلا يفاخر بالمال . ومن ذلك قوله (\*\*\*)

ولقد أجمع رجلتي بها حذر الموت واني لفسرور  
ولقد أعطفها كأهية حين للنفس من الموت هرير  
كل ما ذلك مني خلق وبكل أنا في الروع جدير

ومن اشعاره الذاهبة مذهب الامثال قوله :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع  
وصله بالزمام فكل أمر سما لك أو سموت له ولوع

وأخباره في الأغاني ٢٥ ج ١٤ ، والشعر والشعراء ٢١٩ ، وخزنة الادب  
٤٢٥ ج ١ ، والمستطرف ١٧٩ ج ١ (\*\*\*)

(\*) وطبع الديوان أيضا في مجموعة المقدم الثمين لالورد ، ومجموعة السقا « مختار  
الشعر الجاهلي » ، وطبع أيضا في الجزائر  
(\*\*) وانظر الفضليات رقم ١١٩ ، ١٢٠ ، والاشفاق لابن دريد وشرح الانباري ٧٧٢  
وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة مع طرفة وعبيد بن الابرض وعدي بن زيد  
(\*\*\*) الغريب في الابيات : الفرور : كثير الهرب والفرار ، اعطف هنا : اكر ، يقول  
ان الكر والفر من عادتى في الحرب ، والهرير : الصياح . وما في الشطر الاول من البيت  
الثالث زائدة  
(\*\*\*\*) انظر أيضا الاضعيات رقم ٣٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، وديوان الحماسة « الفيرس »  
والاشفاق ٢٤٥ ومجموع المرزبانى ٢٠٨ وذيل الامالى ص ١٤٥ والسقط ٧٤ والعينى جزء  
اول ص ٣٧٩ وكتب طبقات الصحابة مثل الاستيعاب واسبغ الغابة والاصابة

## ٨ - قيس بن الخطيم

توفى سنة ٦١٢ م

هو شاعر فارس من الاوس ، اعتدى رجل من الخزرج على أبيه وهو غلام فقتله ، وعلم ان جده قتله رجل من عبد القيس . . فلما عرف موضع ثاره لم يزل يلتمس غرة من قاتل ابيه وجده في المواسم ، فظفر بقاتل ابيه في يثرب فقتله وظفر بقاتل جده في ذى المجاز ، ولكنه رآه في ركب عظيم فاستنجد خدّاش بن زهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا القاتل ، فطعنه قيس بحربة قتلته وفر . فأراد رهط الرجل ان يتبعوه فمنعهم بنو عامر ، وفي ذلك يقول قيس : (\*)

ثأرتُ عدينا والخطيم فلم أضعُ ولايةً أشياخٍ جعلت ازاءها  
ضربتُ بذي الزنجيين ربقة مالك فأبّت بنفسي قد أصبتُ شفاءها  
وسامحنى فيها ابن عمرو بن عامر خدّاش فآدئى نعمةً وأفادها  
طعنتُ ابن عبد القيس طعنةً ثأرتُ لها نفذ لولا الشعاع أضاءها  
ملكْتُ بها كفى فأنهرتُ فتتقها يرى قائم من دونها ما وراءها  
وهو معدود من اصحاب المذاهب ، ومطلع مذهبه :

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب لبعرة وكحشا غير موقف راكب  
تبدعتُ لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجب منها وكضنتُ بحاجب  
ومن أقواله في الفخر :

ونحن الفوارس يوم الريب مع قد علموا كيف قرّسانها  
ولقيس بن الخطيم ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية (\*\*\*) .  
وله أخبار متفرقة في كتب الادب وخصوصا الاقاني ١٥٩ ج ٢ والجمهرة  
١٢٣ (\*\*\*)

## سائر الشعراء الفرسان

ومن الشعراء الفرسان أيضا طائفة ، أخبارهم قليلة أو ليس لهم دواوين

(\*) النريب في هذه الابيات : عدى أبوه والخطيم جده - الزج : الحديدية في أسفل الرمح ، والربقة هنا : موضع العروة - سامحنى : تابعنى وحمائى ، وخدّاش : هو خدّاش بن زهير العيسى ، وأفاء : أنعم وأدى - النفذ : الخرق والثقب ، والشعاع : حمرة الدم ، ملكت : شددت ، أنهرت : أوسعت . اطراد : تابع ، المذاهب : جمع مذهب وهو جلد به خطوط مذهبية  
(\*\*) طبع ديوان قيس في ليبسيك  
(\*\*\*) وأنظر الاصمعيات رقم ٦٨ ، وطبقات الشعراء لابن سلام وديوان الحماسة  
لابى تمام والخزانة ج ٣ ص ١٦٨

محفوظة ، فنكتفى بذكر المصادر التي يمكن الرجوع إليها في تراجمهم — وأخبارهم :

<u>اسماء المصادر</u>	<u>اسم الشاعر</u>
الاغاني ١١٩ ج ١٣	٩ - أحيحة بن الجلاح ( توفي سنة ٥٦١ م ) من الاوس ومن أصحاب المدهيات
شعراء النصرانية ٢٦٨	١٠ - جحدر بن ضبيعة من بكر وائل ( ٥٣٠ )
» » ١٩٢ والشعر والشعراء ٢٤٨	١١ - أفنون هو صريم بن معشر من تغلب
» » ٢٥٦	١٢ - بسطام بن قيس التميمي من بكر
» » ١٨٨	١٣ - جابر بن حنى التغلبي ( ٥٦٤ )
الاغاني ٥٣ ج ١٢	١٤ - الحارث بن الطفيل وقد على كسرى
الاغاني ١٣٩ ح ١٦ وخزانة الادب ٨١ ج ٢	١٥ - خفاف بن ندبة السلمى من قيس
الاغاني ٢ ج ٣ وخزانة الادب ٤٠٨ ج ٢	١٦ - ذو الاصبع العدواني ( ٦٠٢ )
وشعراء النصرانية ٦٢٥	
الاغاني ٢٠ ج ١٦ وشعراء النصرانية ٧٨٧	١٧ - الربيع بن زياد العبسى ( ٥٩٠ )
الاغاني ١٥٦ ج ١٩	١٨ - زهير التميمي من أشراف مازن
شعراء النصرانية ١٧٠	١٩ - الحارث بن عباد من بكر بن وائل
الاغاني ٢٠ ج ٢٠	٢٠ - صخر بن عبد الله من هذيل
الشعر والشعراء ١٦٦ ج و ٤٦٧ والاغاني	٢١ - العباس بن مرداس وأخوه سراقه
٦٤ ج ١٣ وخزانة الادب ٧٣ ج ١	
الاغاني ١٦٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٤٥٦	٢٢ - عبدة بن الطبيب تميم
الاغاني ١٧١ ج ١١ وشعراء النصرانية ٤٢٥	٢٣ - سويد بن أبي كاهل يشكر
والشعر والشعراء ٢٥٠	
الاغاني ٢٢ ج ٢٠	٢٤ - عمرو بن العجلان هذيل
الاغاني ١٤٣ ج ٢٠ وخزانة الادب ٥٨	٢٥ - الفند الزماني ( ٥٣٠ ) بكر
ج ٢ وشعراء النصرانية ٢٤١	
الاغاني ٦٦ ج ١٤ وابن خلكان ١٧٢ ج ٢	٢٦ - متمم بن نويرة من أصحاب المرائي
والشعر والشعراء ١٩٢ وخزانة الادب	
٢٣٦ ج ١ والجمهرة ١٤١	
خزانة الادب ١٠١ ج ٣	٢٧ - نبيه بن الحجاج قريش
الخزانة ٦٢١ ج ٣ وشعراء النصرانية ٧٤٦	٢٨ - كعب بن سعد الغنوي قيس

# الشعراء الحكماء

نريد بالحكماء من الشعراء الذين كان لهم علم غير الشعر وكانت لهم  
حكمة وقد دخل بعضهم في طبقة الشعراء الامراء وفي أصحاب المملكات  
كالافوه الاودي وزهير بن ابي سلمى . ونحن ذاكرون فيما يلي من غلبت  
فيه الحكمة على سواها مع الشاعرية

## ١ - أمية بن أبي الصلت

توفي سنة ٦٢٤ م .

يتصل نسبه بثقيف ، وكان عالماً بغير العربية على ما يظهر . . فاطلع على  
كتب القدماء وخصوصا التوراة وقد أورد في شعره الفاظ غريبة لم تكن  
العرب تعرفها . وكان يسمى الله في بعض أشعاره « السلطيط » وفي بعضها  
« الثغور » فربما اقتبسهما من الحبشة او صاغهما على صيغ تلك اللغة .  
فلاجاش يسمون الله في اللغة الامهرية « أغزا بهر » فلعلها كانت قبلا  
أقرب الى لفظ الثغور . والسلطيط نظنها صيغة من تلك اللغة صاغ عليها  
اسما من السلطنة (١)

وكان أمية مفطورا على التدين ، فلقى في تجارته الى الشام بعض أهل  
الدين ، فزهده في الدنيا ولبس المسوح وتعبد . وقد ذكر ابراهيم واسماعيل  
والحنيفية ووصف الجنة والنار في شعره وحرمة الخمر وشك في الاوثان  
وطمع في النبوة . وكان العرب ينتظرون نبيا يهديهم ، فكان يرجو أن يكون  
هو . فلما ظهر النبي أسقط في يده ، وقال : « انما كنت أرجو أن أكونه »  
ولكنه ما أنفك يختلف الى الاديرة والكنائس يجالس الرهبان  
والقسوس حتى غلب على ظن البعض أنه مسيحي ، ومن قوله وفيه  
فلسفة :

الحمد لله مُمَسَّانَا وَمُصَبِّحَنَا بِالْخَيْرِ صَبَّحْنَا رَبِّي وَمَسَّانَا  
رَبُّهُ الْحَنِيفَةَ لَمْ تَنْفَدْ خَزَائِنَهَا مَمْلُوءَةً طَبَّقَ الْآفَاقَ سُلْطَانَا  
أَلَا نَبِيُّنَا مَتَا فَيَجْبِرُنَا مَا بَعْدَ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مَحْيَانَا

(١) راجع ترجمة أمية بن أبي الصلت مطولة في « الهلال » السنة التاسعة

بينا يَرْبُّبُنَا آبَاؤُنَا هَلَكُوا وَيِنَمَا نَقْتَنِي الْأَوْلَادَ أَقْتَنَا  
وقد علمنا لو أنَّ العلمَ ينقصنا أنْ سوفَ يَلْحَقَ آخِرَانَا بِأَوْلَانَا  
وله قصيدة يصف بها الله وملائكته مطلعها :

لك الحمد والنعماء والملك ربُّنا فلا شيءَ أعلى منك مجداً وأمجداً  
وبعد ان يصف العزة الالهية ومجلسها يصف الملائكة بقوله :

ملائكةٌ أقدامهم تحت عرشه بكفِّيه لولا الله ككثوا وأبلدوا  
قيام على الأقدام عاين تحتَه فرائصهم من شدة الخوف ترعدُ  
وسبَّطُ صفوف ينظرون قضاءه يُصيخونُ بالأسماع للوحي رُكَّدُ  
أمينُ لوحى القدس جبريل فيهمُ وميكالُ ذو الروح القوى المسدَّدُ  
وحرَّاسُ أبواب السماوات دونهم قيامٌ عليها بالمقاليد رُصَّدُ  
وله عدة قصائد في حوادث التوراة كخراب سدود وقصة اسحق  
وابراهيم . وله قصيدة معدودة في المجهرات مطلعها :

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزيب اذ تحلُّ بها قطينا  
وفي أشعاره معان وأساليب لم تكن العرب تعرفها اخذها من كتب غيره  
وادخلها في شعره (١)

واخباره في الاغانى ١٨٦ ج ٣ و ٣ ج ٨ و ٧١ ج ١٦ والدمري ٢١٥٤ ج ٢  
وخزانة الادب ١١٩ ج ١ وشعراء النصرانية ٢١٩ والعمدة وغيرها (\*)

## ٢ - ورقة بن نوفل

توفى سنة ٥٩٢ م

هو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى من قریش . وهو أحد من  
اعتزل الاوثان في الجاهلية وقرأ الكتب وامتنع عن أكل ذبائح الاوثان .  
وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني وقد شاخ وكف بصره . وله  
ذكر في السيرة النبوية عندما سمع الرسول جبريل يكلمه وجاء خديجة

(١) الاغانى ١٨٧ ج ٣ .  
(\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وكتاب الحيوان للجاحظ في مواضع متفرقة ،  
وكتاب البدء للمقدسى ، والسيرة النبوية لابن هشام ، والموشح للمرزباني وديوان  
الحماسة ولهيار بحث في شعره نشره في المجلة الآسيوية ج ١٠ قسم ٤ (١٩٠٤) ص ١٢٥  
والظنون انه حمل عليه أكثر ما ينسب اليه من شعر ، وخاصة ما يشبه منه الواد التي  
ذكرها القصاص في تفسير القرآن الكريم - وراجع دائرة المعارف الإسلامية ، وتاريخ  
الاداب العربية لتالينو ص ٧٧ وفي الادب الجاهلي لطف حسين ، وتاريخ العرب قبل الاسلام  
لجواد على ج ٥ ص ٣٧٨ وما بعدها ، وقد طبع ديوانه في لبيسك سنة ١٩١١ وبه ثبت  
بمصادره وطبعت مجموعة اخرى له في بيروت سنة ١٩٢٤

امراته خائفاً ، فسألت ورقة وهو ابن عمها (١) عما رآه الرسول فقال :  
« انه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى وانه لنبي هذه الامة »  
وله اشعار كان يغنى بها المغنون في صدر الاسلام منها قوله :

ولقد غزوتُ الحىَّ يَخْشَى أهله بعد الهدؤٍ وبعدهما سقط التدى  
فلتلك لذاتُ الشباب قضيتها عنى فسائلُ بعضهم ماذا قضى  
ومن شعره فى التوحيد والدين قصيدة مطلعها :  
لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلت لهم أنا النذير فلا يغرركمُ أحدُ  
وقصيدة أخرى مطلعها :

رشدتَ وأنعمتَ ابنَ عمرو وانما تجنبتَ تكثورا من النار حاميا  
وتجد شيئا من أخباره فى السيرة النبوية لابن هشام ٧٦ و ٨٠ ج ١ ،  
والاغاني ١٣ ج ٣ ، وشعراء النصرانية ٦١٦ ، والسيرة الحلبية ٢٥٦ ج ١ ،  
ومعجم البلدان

### ٣ - زيد بن عمرو

توفى سنة ٦٢٠ م

هو أيضا من عبد العزى من قريش ، وقد اعتزل الاوثان مثل ورقة ،  
وكان يقول : « يا معشر قريش ايرسل الله قطر السماء ويثبت يقل الارض  
ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحوها لغير الله ؟ » . فأخرجه القرشيون  
من مكة ، ومنعوه أن يدخلها . وكان أشدهم عليه الخطاب بن نفيل والد  
عمر . وكان قد تخلف عن عبادة الاوثان أربعة من قريش هم : ورقة وزيد  
المذكوران ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، فاجتمع هؤلاء  
وتواطأوا على رفض الوثنية ، وعلى أن يضربوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية  
دين ابراهيم . فلما أجمع زيد على الخروج منعه الخطاب عمه وعاتبه على  
فراق دين آبائه . ثم خرج سائحا ويقال انه قتل فى الشام ، وله اشعار فى  
التدين منها :

وأسلمتُ وجهى لمن أسلمتُ له الأرض تحمل صخرا ثقلا  
دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا  
وأسلمتُ وجهى لمن أسلمت له المزنُ تحمل عذبا زلالا  
إذا هى سقيت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجلا  
وتجد أخباره فى الاغاني ١٥ ج ٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام  
٧٦ ج ١ ، وشعراء النصرانية ٦١٩ ، وخزانة الادب ٩٩ ج ٣ (\*)

(١) ابن هشام ٨١ ج ١  
(\*) انظر ابن سعد ج أول قسم أول ص ١٠٥ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من  
مراجع وجواد على ج ٥ ص ٣٧٥



## ٤ - قيس بن ساعدة

توفي سنة ٦٠٠ م

هو من ابياد يعدونه من الخطباء ، ولكنه كان خطيب العرب وشاعرها  
وحكيمها في عصره . وهو أسقف من نجران ، والمشهور أنه أول من علا  
على شرف وخطب عليه ، وأول من قال : « أما بعد » . وينسبون اليه  
قوله : « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » . وقد أدركه الرسول  
ورآه في عكاظ فكان يروى عنه كلاما سمعه منه . وكان فصيحاً يضرب  
المثل بفصاحته . وكان يفد على قيصر زائراً فيكرمه ويعظمه ، ولكنه كان  
زاهداً في الدنيا ينظر اليها نظر الفلاسفة فلا يرغب في البقاء فيها كما يؤخذ  
من خطبته التي قالها في عكاظ ورواها أبو بكر الصديق وهي مشهورة ،  
ختمها بقوله :

في الذهبين الأولين      بين من القرون لنا بصائر  
لما رأيت موارد      للموت ليس لها مصادر  
ورأيت قومي نحوها      يمضي الأصغر والأكابر  
لا يرجع الماضي ولا      يبقى من الباقيين غابر  
أيقنت أنني لا محالة      حيث صار القوم صائر

ولعل الذي زهده في الدنيا وكرهها اليه المصيبة التي انتابته بفقد  
أخوين كانا يعبدان الله معه ، فماتا ودفنهما معا وشق عليه مصابه بهما  
فكان يتردد على قبريهما ويندبهما ، ومن قوله في قصيدة : (\*)

خليلي هباً طالما قد رقدتما أجده كما لا تقضيان كراكما  
ألم تعلمنا أنني بسمعان مفرد" وما لي فيها من خليل سواكما  
أقيم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالي أو يجيب صدأكما  
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما كأن الذي يسقى العنقار سقاكما

وله أشعار كثيرة ضاع معظمها وله أقوال جرت مجرى الامثال وجمعت  
في كتاب شعراء النصرانية ٢١١ وفي الاغانى ٤١ ج ١٤ وخزانة الادب ٢٦٧  
ج ١ وغيرها من كتب الادب والتاريخ والبيان (\*)

(\*) روى أبو الفرج في كتاب الاغانى ج ١٤ ص ٤٠ روايات مختلفة في نسبة هذه  
الابيات ، فهي تنسب الى قيس او الى عيسى بن قدامة الاسدي او الى الحزين بن  
الحارث أحد بني عامر او أحد الكوفيين ، وقد خرج في بحث للحجساج الى الديلم ،  
والكوى : النوم ، والعنقار : الخمر  
(\*\*) انظر أيضا البيان والتبيين للجاحظ في مواضع متفرقة ، وامالى القالى ج ٢  
ص ٣٩ ودائرة المعارف الاسلامية وجواد على ج ٥ ص ٢٧١

# الشعراء العشاق

قل من الشعراء من لم يحرك قلبه الحب ، وإذا لم يحركه كان شعره جافا قاسيا . ولذلك فالعشاق من الشعراء كثيرون ، ومنهم في الجاهلية طائفة كبيرة : فعنترة عشق عبلة ، والمخبل السعدي عشق الميلاء ، وحاتم الطائي عشق ماوية ، والمرقس الأكبر عشق أسماء ، والنمر بن توبل عشق جمرة ، وسحيم عبد بنى الحسحاس عشق عميرة (١) ، غير الذين اشتهروا في صدر الإسلام من آل عذرة وغيرهم . وسيأتى ذكرهم عند كلامنا عن الشعر والشعراء في أيام الامويين

والحب يحرك الشاعرية ويشحد القريحة - وخصوصا مع الغيرة. ليس للشعر فقط ، بل في كل ما يفتقر الى خيال . وبين الشعراء الفرسان الذين ترجمنا لهم غير واحد من المحيين ، وكذلك في سائر الطبقات . لكننا خصصنا هذا الباب فيمن لم يكن له باعث على النظم غير العشق ، وكان أكثر شعره أو كله في معشوقته . وهذه الطبقة كانت قليلة قبل الإسلام لاشتغال القوم بالحرب عن سواها ، ولأن بعض القبائل كانت تحرم الغزل على الاطلاق

ثم تكاثرت الشعراء العشاق بعد الإسلام لانتشار التسرى وركون القوم الى الرخاء ، حتى اذا نضج التمدن الاسلامي ودخلت العناصر الاجنبية تحول ذلك الى التهتك والتخنت كما سيبيء . أما في الجاهلية ، فالشعراء المتيمون يعدون على الاصابع ، أشهرهم :

## ١ - المرقس الأكبر

توفي سنة ٥٥٢ م

اسمه عوف بن سعد بن مالك من بكر وأئل ، وهو من الشعراء المقدمين . ويمتاز عن أكثر شعراء الجاهلية بأنه كان يعرف الكتابة لان أباه دفعه وأخاه حرملة الى نصراني من أهل الحيرة علمهما الخط . ويندر في أهل الجاهلية من فعل ذلك خصوصا الشعراء ، فان معولهم في حفظ أشعارهم على الرواة . ويختلف عن أكثر شعراء الجاهلية بأنه مات متيما . وسبب موته انه كان يهوى ابنة عم له اسمها أسماء عشقها وهو غلام ،

فقال له عمه : « لا أزوجك حتى تعرف بالبأس » فسافر المرقش في طلب العلاء ، وأصيب عمه في أثناء غيابه بضيق فأتاه رجل من بني مراد أطمعه بالمال فزوجه أسماء على مائة من الإبل . فلما عاد المرقش أخفوا خبر الزواج عنه . ثم اكتشف خبره ، فركب في طلب ذلك المرادى مع صديق له من غفيلة ، فمرض في الطريق فنزلا كهفا في أسفل نجران ، وهى أرض مراد ومعه صديقه الغفيلية وامراته ، وسمعهما يتأمران على تركه يأسا من شفائه . فاخلس فرصة كتب فيها على مؤخر الرحل هذه الآيات :

يا صاحبي تلبثنا لا تعججلا ان الرواح رهين أن لا تعذلا  
يا راكبا اما عرضت فبلغن أنس بن سعد ان لقيت وحرملا  
لله دركما ودر أيكما ان أفلت العبدان حتى يقتلا  
من مبلغ الأقبام أن مرقشا أضحي على الأصحاب عبئا متهلا  
وكانما ترد السباع بشيلوهم ، اذ غاب جمع بنى ضبيعة منهلا

ورائيا بعض الآيات ينسب الى المهلهل ايضا . وانطلق الغفيلي حتى أتى أهله وأخبرهم أن المرقش مات ، ولكن أخاه حرملة قرأ ما على الرحل ، فشك في صدق الرجل واستنطقه فاعترف له بالحقيقة فركب في طلبه . فلما بلغ الكهف اخبر أن المرقش علم وهو هناك بوجود أسماء وزوجها ، فاحتال حتى حمل اليهما في حديث طويل ولم يطل مكثه فمات عندهما . وقال في موته شعرا مطلعته :

سرى ليلا خيال من سلمي فأرقني وأصحابي هجود  
وهو من أصحاب المنتقيات . . وله اقوال في الحماسة يصف بها بعض المعارك وأخرى في الفخر . ومن أحسن شعره في الحماسة قصيدته التي استهلها بذكر حبيبته :

أمن آل أسماء الطلول الدوارس تخطط فيها الطير ، قفر بسابس  
ثم تخلص الى وصف خروجه وسفره . وقصيدة أخرى في وصف الطلول ونجائب الإبل وغيرها . واتصل المرقش الأكبر بالحارث بن أبي شمر الغساني ، ونادمه سنة ٥٢٤ وملهه

وترى أشعاره وأخباره في الاغانى ١٨٩ ج ٥ ، والشعر والشعراء ١٠٢ ، وشعراء النصرانية ٢٨٢ ، وخزانة الادب ٥١٤ ج ٣ ، والجمهرة ١١٢ ، وغيرها من كتب الادب (\*)

(\*) وانظر له ١٤ قصيدة ومقطوعة في المفضليات وقد اشتهرت من بينها ذات الرقم ٥٤ لانها لا تجرى على مروض الخليل ، وله مقطوعات أخرى في الاغانى (طبع بولاق) ج ٧ ص ١٩٢ ، ج ١٠ ص ١٢٨ وانظر أيضا معجم الرزباني ٢٠١ ودائرة المعارف الاسلامية.

## ٢ - عبد الله بن عجلان

توفي سنة ٥٦٦ م

هو من نهد من قضاة شاعر متيم قتلته الحب ، وكان له زوجة يقال لها  
هند طلقها لانها لم تلد له فتزوجها غيره ، ثم ندم على ذلك ومات أسفا  
عليها . وكان سيديا في قومه وابن سيد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بنى  
نهد مالا ، وكان يجدر بنا ادخاله في جملة الشعراء الامراء لولا تغلب  
العشق عليه . ومن أقواله فيها :

فارت هندا طائعا فندمت عند فراقها  
فالعين تذكري دمة كالدرد من آماقها  
متحلبا فوق الرداء يجول من رقاقها  
خود رداح طفلة ما الفحش من أخلاقها  
ولقد ألد حديثها وأسر عند عناقها

والله أخبار وأشعار جمعت في الاغانى ١٠٢ ج ١٩ ، والشعر  
والشعراء ٤٤٩ (\*)

## ٣ - عروة بن حزام العنري

توفي سنة ٣٠ هـ «١»

هو من الشعراء التميميين الذين ادركوا الاسلام . وقد قتلهم الهوى ،  
لا يعرف له شعر الا في عفرات بنت عمه . وتشبيهه بها وكان قد خطبها من  
أبيها فوعده ثم زوجها لغيره . فآثر ذلك في مزاجه فضعف واضطرب حتى  
ظنوا فيه الخبل وأصابه هزال ، فرآه ابن مكحول عراف اليمامة فجالسه  
وسأله عما به وهل هو خبل أو جنون ؟ فقال له عروة : « هل لك علم  
بالاوجاع ؟ » قال : « نعم » فأنشأ يقول :

وما بى من خبل ولا بى جنة ولكن عمى يا أخى كذوب  
أقول لعراف اليمامة داونى فانك ان داويتنى لطيب  
فواكبدا أمسبت رماتا كأنما يلذعها بالموقدات طيب  
عشيقة لا عفرات منك بعيدة فتسلو ولا عفرات منك قريب  
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا وما عقتبتها في الرياح جنوب

(\*) ويراجع تزيين الاسواق لداود الانطاكى ٧٦ وديوان الحماسة لابی تمام ، انظر

وانى لتغشاني لذكراك هزة لها بين جلدى والعظام ديب

وقال يخاطب صديقين له رافقاه :

متى تكشفنا عنى القميص تبينا بى الضرب من عفراء يا فتيان  
 اذا تريا لحمًا قليلا وأعظما رقاقا وقلبا دائم الخفقان  
 جعلت لعرفاء اليمامة حكمه وعرفاء حجر ان هما شفياني  
 فما تركا من حيلة يعرفانها ولا شربة الا وقد سسقياني  
 ورشا على وجهى من الماء ساعة وقاما مع العوداد يتدراى  
 وقال شفاك الله والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

وتجد أخباره فى الاغانى ١٥٢ ج ٢٠ ، وفوات الوفيات ٣٣ ج ٢ ،  
 والشعر والشعراء ٣٩٤ ، وخزانة الادب ٥٣٤ ج ١ (\*)

#### ٤ - مالك بن الصمصامة

هو من جملة كان يهوى جنوب بنت محصن الجعدى فمنعه اخوها منها،  
 وكان مالك شاعرا فارسا شجاعا جميلا فبلغه ان اخاها اقسام اذا تعرض  
 مالك لاخته اسره وجز ناصيته فقال :

وما الحلق بعد الأسر شر بقية من الصد والهجران وهى قريب  
 ألا أيها الساقى الذى بل دلتوه بقران يسقى هل عليك رقيب  
 أحقا عباد الله أن لست خارجا ولا والجا الا على رقيب  
 ولا زائرا وحدى ولا فى جماعة من الناس الا قيل أنت مريب  
 وهل ريبة فى أن تحين نجية الى الفها أو أن يحين نجيب

وله أشعار أخرى فى الاغانى ٨٣ ج ١٩

#### ٥ - مسافر بن ابى عمرو

هو من قريش ، كان سيدا جوادا احب هندنا بنت عتبة التى تزوجها  
 أبو سفيان بعد ذلك . وهى أم معاوية واخوته فخطبها مسافر وهو ذو ثروة  
 فلم تقبله ، فلما بلغه زواجها بأبى سفيان اعتل ومات وله فيها أشعار .  
 واخباره فى الاغانى ٤٨ ج ٨

(\*) انظر أيضا خزانة الادب ج ٣ ص ٦١٥ وذيل الامالى للقائى ص ١٥٩ ، وامالى  
 المرتضى (طبعة الحلبي) ج ١ ص ٤٥٦ ولعروة ديوان مخطوط بدار الكتب المصرية

- ومن الشعراء الجاهليين المتيمين :
- منظور بن زيان من فزارة كان عاشقا، وهو من الامراء أيضا وقد تقدم ذكره
  - مسعود بن خراشة من تميم ، وهو من المخضرمين
  - عنتره العبسي ، وقد تقدمت ترجمته

# الشعراء الصعاليك

هم طائفة من الشعراء اشتهروا بالعدو والاغارة على القبائل للنهب ، أشهرهم :

## ١ - الشنفرى

توفى سنة ٥١٠ م

هو من الاواس بن الحجر من الازد شاعر من اهل اليمن معدود في العدائين الذين لا تلحقهم الخيل ، منهم هذا ، وسليك بن السلكة ، وعمرو ابن براقه ، وأسيّد بن جابر ، وتأبط شرا . ويقال أن الشنفرى حلف ليقتلن مائة رجل من بنى سلامان فقتل تسعة وتسعين ، فاحتالوا عليه فأمسكه رجل منهم عداء هو أسيّد بن جابر ثم قتله ، فمز به رجل منهم فركل جمجمته . . فدخلت شظية منها في رجله فمات ، فتمت القتلّى مائة . وللشنفرى أشعار في الفخر والحماسة أشهرها لاميته المعروفة بلامية العرب ومطلعها : (❖)

أقيموا بنى أمى صدورَ مطيكم فانى الى قوم سواكم لأمنيـل

وقصيدة اختارها صاحب المفضليات مطلعها : (❖❖)

ألام أم عمرو أجمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها اذ توكت

وقد عنى الاستاذ المستشرق ردهوس Redhouse بترتيب لامية العرب وترجمتها الى الانجليزية ، وقد طبعت فى المجلة الاسيوية الانجليزية سنة ١٨٨١ وترجمها الى الالمانية ريس Reuss فى المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٥٣

واخبار الشنفرى مفرقة فى الاغانى ٨٧ ج ٢١ ، والشعر والشعراء ١٨ ، وخزانة الادب ١٦ ج ٢ ، والمفضليات وغيرها (❖❖❖)

(❖) اشتهرت هذه اللامية بشروحا ، وأقدم رواية لها فى ذيل الامالى للقالى ص ٢٠٨ وقد زعم ان خلفا الاحمر هو الذى صنعها ونحلها الشنفرى (❖❖) أجمعت : عزمت امرها ، واستقلت : ارتحلت (❖❖❖) وأنظر أيضا حماسة أبى تمام وكتاب المغالين لابن جيب واماالى القالى ج ١ ص ١٥٧ والدليل كما قدمنا وتاريخ الاداب العربية لتالينو ص ٥٧ ودائرة المعارف الاسلامية والشعراء الفرسان للبستاني وقد طبع ديوانه فى مجموعة الطرائف الادبية بالقاهرة

## ٢ - نابط شرا

توفي سنة ٥٢٠ م

هو ثابت بن جابر من فهم من قيس كان أسمع العرب وابصرهم وأكيدهم، وكان أعدى رجل، ينظر إلى الظباء فينتقى على نظره أسمئها، ثم يعدو خلفه فلا يفوته. وله أخبار كثيرة يضيق عنها هذا المكان. ومن شعره في وصف الغول: (\*)

ألا من مبلغٍ فتيسانَ فهِمَّ بما لا قيتُ عند رَحَى بِيْطَانِ  
بأني قد لقيت الغول تهوى بسهبٍ كالصحيفة صحصحان  
فقلت لها كلانا نضوؤُ أينِ أخو سفرٍ فخلّني لى مكاني  
فشدتْ شدّةً نحوى فأهوى لها كفتى بمصقول يماني  
فأضربها بلا دهشٍ فخرتْ صريعاً لليدين وللجيران  
فقلتُ ثنّ قلت لها رويدا مكانك اننى ثبت الجنان  
فلم أنفك متكنا عليها لأنظر مُصباحا ماذا أتاني  
إذا عينان في رأس قبيح كراس الهرِّ مشقوق اللسان  
وساقا مُخدجٍ وشوأة كلب وثوب من عباءٍ أو شينان

وأخبره في الاغانى ٢٠٩ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ١٧٤ ، وخزانة الادب ٦٦ ج ١ ، وكتب عنه بور Baur بالالمانية مقالة في سيرة حياته وشعره في المجلة الشرقية الالمانية سنة ١٨٥٦ (\*)

## ٣ - السليك بن السلكة

توفي سنة ٦٥٠ م

هو من تميم ، أمه أمة سوداء . وكان من عاداته اذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه . فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل اغار . وكان أدل من قطاة يجيء حتى يقف على البيضة . وكان لا يغير على مضر وانما يغير على اليمن ، فاذا لم يمكنه ذلك اغار على ربيعة . ويعسده

(\*) الغريب في هذه الابيات : رحى بطن : اسم موضع . السهب : الفلاة . الصحصحان : الارض المستوية . النضو : المهزول . الين : التعب . المصقول اليماني : السيف . الجران : مقدم العنق ، وخرت لليدين وللجران : سقطت على الارض . المخدج : ناقص الخلق . الشوأة : الاطراف . الشنان جمع شن وهو القرية البالية . (\*) وانظر قطعاً مختلفة له في حماسة أبي تمام ، والتبريزي على هذه الحماسة ، وحماسة ابن الشجري ، وشرح شواهد الغنى ص ١٩ ، ٤٣ ، ٨٢ ، ومروج الذهب للمسنودي طبعة باريس ج ٣ ص ٣١٠ ، وامجاز القرآن للباقلاني ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٥٧ والشعراء الفرسان للبهستاني



المفضل الضبي من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم . وكان ادل .  
الناس بالارض وأعلمهم بمسالكها ، وله اخبار كثيرة مذهشة . ومن شعره .  
على اثر غزوة رابحة :

بكي صرد<sup>١</sup> لما رأى الحي<sup>٢</sup> أعرضت مهامه<sup>٣</sup> رمل<sup>٤</sup> دونهم<sup>٥</sup> وسهوب<sup>٦</sup>  
فقلت له لا تبك عينك انها قضية<sup>٧</sup> ما يقضى لها ، فتوب<sup>٨</sup>  
سيكفيك فقد الحي<sup>٩</sup> لحم مقده<sup>١٠</sup> دوما قدور<sup>١١</sup> في الجفان مشوب<sup>١٢</sup>  
ألم تر أن الدهر لوان لونه وطوران بشر<sup>١٣</sup> مرة وكذوب<sup>١٤</sup>  
فما ذر<sup>١٥</sup> قرن الشمس حتى أريته مصاد<sup>١٦</sup> المنايا والغبار يثوب .  
وأخباره في الاغانى ١٣٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٢١٣

#### ٤ - عروة بن الورد

توفى سنة ٥٩٦ م

هو من عبس ، وكان شاعرا فارسا وصلوكا مقدما . وكان يلقب عروة .  
الصعاليك لانه كان كالرئيس عليهم يجمعهم ويقوم بأمرهم اذا أخفقوا في .  
غزواتهم ويعولهم اذا لم يكن عندهم معاش . وكان لشعره تأثير في نفوس  
قبيلته . سئل الحطيئة كيف كنتم في حربكم ؟ قال : « كنا الف حازم » .  
ف قيل وكيف ذلك ؟ قال : « كان فينا قيس بن زهير وكان حازما وكنا  
لا نعصيه وكنا نقدم اقدام عنتره ونأتم بشعر عروة بن الورد وننقاد لامر  
الربيع بن زياد » . ومن شعر عروة قوله : (\*)

وانى امرؤ<sup>١</sup> عافى انائى<sup>٢</sup> شركة<sup>٣</sup> وأنت امرؤ عافى انائك<sup>٤</sup> واحدا<sup>٥</sup>  
أنهزأ<sup>٦</sup> منى أن سممت<sup>٧</sup> وأن ترى بجسمى<sup>٨</sup> شحوب<sup>٩</sup> الحق<sup>١٠</sup> والحق<sup>١١</sup> شجاهد .  
أفرق<sup>١٢</sup> جسمى في جسوم<sup>١٣</sup> كثيرة وأحسو<sup>١٤</sup> قراح<sup>١٥</sup> الماء ، والماء<sup>١٦</sup> بارد  
ومن قوله في الاقدام :

دعيني للغنى أسعى فانى رأيت الناس شرهم<sup>١</sup> الفقير<sup>٢</sup>  
ومن ذلك قوله :

لعل<sup>١</sup> ارتيادى في البلاد وبتغيتى<sup>٢</sup> وشدتى<sup>٣</sup> حيازيم<sup>٤</sup> المطية<sup>٥</sup> بالرحل<sup>٦</sup>  
سيديعنى<sup>٧</sup> يوما الى رب هجمة<sup>٨</sup> يدافع عنها بالعقوق<sup>٩</sup> وبالبخل<sup>١٠</sup>

(\*) الغريب في هذه الابيات : العافى : طالب المعروف ، يقول عروة لصاحبه انه يأكل .  
معى جماعة يشاركوننى فى انائى ، وانت تأكل وحنك ، فعافى انائك واحد - ويريد بالحق .  
حقوق القبيلة عليه - الماء القراح : الذى لا يخالطه لبن أو غيره

والهجمة من الإبل مازاد على الأربعين . وله قصيدة تعد من المنتقيات  
مطلعها :

أقلنى على اللوم يا ابنة منذر ونامى فان لم تشتهى النوم فاسهرى  
ذرينى أطولف° فى البلاد لعننى أخليك أو أغنيك عن سوء محضرى  
فترى الهمة والنشاط والاقدام ظاهرة فى كل اقواله

ولعروة ديوان طبع فى غوتنجن سنة ١٨٦٤ مع ترجمة ألمانية وشروح  
لنولدكى وطبع أيضا فى بيروت . وله أشعار متفرقة فى الاغانى ١٩٠ ج ٢ ،  
والشعر والشعراء ٤٢٥ وشعراء النصرانية ٨٨٣ والجمهرة (\*\*) ١١٤ وكتب  
بوشر Boucher الفرنسى مقالة عنه وعن ذى الاصبع العدوانى فى المجلة  
الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٦٧

ومن الشعراء الصعاليك :

٥ - حاجز الازدى ( ٥٧٠ ) كان يسبق الخيل . ترجمته فى الاغانى  
٤٩ ج ١٢

٦ - قيس بن الحدادية الازدى . ترجمته فى الاغانى ٢ ج ١٣

٧ - ابو الطمحان القينى من قضاة مخضرم . ترجمته فى الاغانى ١٣٠ ج  
١١. والشعر والشعراء ٩٢٩ وخزانة الادب ٤٢٨ ج ٣

#### شعراء اليهود

لا يتجاوز شعراء اليهود فى الجاهلية عدد أصابع اليد الواحدة أشهرهم:

#### ١ - السموال بن غريص بن عاديا

توفى سنة ٥٦٠ م

ويلحقون نسبه بالكاهن هرون أخى موسى . وهو صاحب حصن الابلق  
بتيماء ويضرب المثل بوفائه . وحديثه مع امرئ القيس الشاعر ودروعه  
أشهر من أن يذكر حتى يتبادر الى الذهن ان العرب وضعوا ذلك الحديث  
أو بالقوا فيه على سبيل التمثيل ترغيبا فى الوفاء فان الطبيعة تأبى على  
الرجل أن يضحى بابنه فى سبيل الوفاء . ولا نقول ان ذلك مستحيل لكنه  
بعيد الحدوث وقد أشرنا الى ذلك قبلا . وكانت العرب تنزل بالسموال  
فيضيفها واشتهر بقصيدته الفخرية التى مطلعها : (\*\*\*)

(\*\*) وانظر حماسة ابي تمام والتبريزى ، والكامل للمبرد « راجع الفهارس » وديوانه  
مطبوع فى الجزائر بشرح ابن السكيت وفى مصر  
(\*\*) تنسب هذه القصيدة الى عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى ، ولعل ذلك هو  
الاصح والاقرب الى الصواب . انظر شرح التبريزى على ديوان الحماسة

إذا المرء لم يدّ نَس من اللؤم عرضة فكلش رداءٍ يرتديه جميل

وقد خمسها غير واحد أشهرهم صفي الدين الحلبي

وللسموال ديوان شعر طبع في بيروت سنة ١٩٠٩ وله أخبار في الاغانى  
٩٨ ج ١٩ و ١٢ ج ٣ و ٨٧ ج ٦ و ٣٧ ج ٩ والمستطرف ١٦٢ ج ١ والشعر  
والشعراء ٤٥ والمشرق مجلد ٩ و ١٠ و ١٢ (\*)

ومن الشعراء اليهود (\*\*) أيضا :

- ٢ - أوس بن دنى من قريظة ترجمته في الاغانى ٩٤ ج ١٩
- ٣ - الربيع بن أبى الحقيق من رؤساء قريظة ترجمته في الاغانى ١٦ ج ٢١
- ٤ - كعب بن الاشرف من النضير له مناقضات . ترجمته في الاغانى  
١٠٦ ج ١٩

---

(\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام، البيان والتبيين في مواضع متفرقة او امانى  
القالى ج ١ ص ٢٧٢ ودائرة المعارف الاسلامية  
(\*\*) عنيت طائفة من المستشرقين بالبحث فى يهود جزيرة العرب قبل الاسلام وجمع  
اشعارهم ، مثل مرجليوث و نولدكى وفرانز دلش وليفى دلافيدا . انظر تاريخ الاداب  
العربية لتالينو ص ٥٦ وراجع فيهم طبقات الشعراء لابن سلام

## النساء الشواعر

قد ذكرنا ما كان من رقى المرأة في الجاهلية وعزة نفسها وذكائها، والشعر لا ينمو ويزهر الا في ظل العز والارتقاء . ويندر نبوغ الشعراء البلقاء في أمة ذليلة .. فظهر في الجاهلية عدة شواعر جاء ذكر عشرات منهن في الحماسة وغيرها ، وذكرنا أسماء بعضهن فيما تقدم . وهالك تراجم أشهرهن :

### ١ - الخنساء

توفيت سنة ٦٤٦ م

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة سليم ( قيس ) من أهل نجد . وقد أجمع رواة الشعر على انه لم تقم امرأة في العرب قبلها ولا بعدها أشعر منها . وقد أنشدت شعرها النابغة في عكاظ ، فأعجب به وقال لها : « لولا ان هذا الاعمى أنشدنى قبلك ( يعنى الاعشى ) لفضلتك على شعراء هذا الموسم » على ان اكثر قولها في رثاء أخيها صخر ، وكان قد قتل في واقعة يوم الكلاب من أيام العرب ودفن في أرض سليم . فأخذت تنظم فيه المراثي كأن الحزن اثار شاعريتها . وقد أدركت الخنساء الاسلام وهي عجوز ولها أربعة اولاد ، فشهدت حرب القادسية وحرضت اولادها على الثبات في القتال . فلما حمى الوطيس تقدموا واحدا واحدا ينشدون انرجز يذكرون فيه وصية والدتهم حتى قتلوا عن آخرهم . فلما بلغها الخبر ، قالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم »

ومن اشعارها في رثاء صخر أخيها قولها :

ألا ما لعينيك أم مالها لقد أخضَل الدمعُ سربالها  
أبعد ابن عمرو من آل الشَّريدِ د حَكَتْ به الأرض أثقالها  
فان تك مَثْرَةً أودتْ به فقد كان يكثر تَقْتالها  
سأحمل نفسي على خطيئة فاما عليها وإما لها  
فان تصبر النفس تَلَقَّ السرورَ وان تجزع النفس أشقى لها

والخنساء ديوان شعر كبير طبع في بيروت مشروحا سنة ١٨٨٨ ، وفيه مراثي لستين شاعرة ، وترجم الى الفرنسية وطبع سنة ١٨٨٩ ، ولها

أخبار كثيرة متفرقة بالاغاني ٦٤ و ١٣٦ ج ١٣ و ٣٤ ج ٤ ، وخزانة الادب  
٢٠٨ ج ١ ، والشعر والشعراء ١٩٧ (\*)

## ٢ - خرتق بنت بدر بن هفان

توفيت سنة ٥٧٠ م

هي أخت طرفة بن العبد لأمه ، ولها أشعار كثيرة في أخيها وزوجها لم  
يصلنا منها الا بضعة ، وخمسون بيتا جمعت في ديوان ، منه نسخة خطية في  
دار الكتب المصرية . وقد طبعت أخبارها وأشعارها في شعراء النصرانية  
٣٢١ ، وأفردت في ديوان على حدة طبع في بيروت . ولها أخبار في خزانة  
الادب ٣٠٦ ج ٢

## ٣ - ليلى العفيفة

توفيت سنة ٤٨٣ م

هي بنت لكيز من ربيعة من أقدم الشعراء ، وكانت تامة الحسن كثيرة  
الادب . ولها شعر حسن نشر بعضه في كتاب شعراء النصرانية ١٤٨

## ٤ - جلييلة بنت مرة

توفيت سنة ٥٢٨ م

هي أخت جساس الشيباني قاتل كليب بن ربيعة . وهي أيضا زوجة  
كليب المقتول ، فلما قتل زوجها رحلت من بيته وشمنت بها أخت كليب  
فأجابتها بشعر مطلعته :

يا ابنة الأقبام ان لمت فلا تعجلى باللوم حتى تسألني  
وتجد أخبارها في شعراء النصرانية ٢٥٢ ، والاغاني ١٥١ ج ٤

(\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وديوان الحماسة لابي تمام ، والكامل ،  
والبيان والتبيين وأماله المرتضى ، وتاريخ الطبري طبع ليدن ج ١ ص ١٩٠٥ وقد درس  
شيخو وجبريلى Gabrieli ورودوناكس Rhodckanakis أشعارها . . . انظر تاريخ الادب  
العربية لنالينو ص ٦٥ وانظر دائرة المعارف الاسلامية في مادة الخنساء . . . وقد طبع ديوانها  
ايضا بالقاهرة

# الشعراء الرجاءون

لا تكاد تجد في شعراء الجاهلية شاعرا يتوخى الهجو فيفرد له قولا ، وانما كان هجوهم يأتي في أثناء مفاخراتهم وحماسياتهم . ولكن ظهرت طبقة من الهجائيين في أواخر عصر الجاهلية ، وأكثرهم من المخضرمين الذين ادركوا الاسلام . . منهم الحطيئة العبسي ، وحسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير السهمي ، فأفردنا لهم هذا الفصل

## ١ - الحطيئة

هو جرول بن اوس من بنى عبس من فحول الشعراء ومقدميهم وفصحائهم ، متين الشعر شرود القافية متصرف في جميع الفنون من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك كله . ولكنه كان ذا شر وسفه ، دنىء النفس لا رأى له ، وانما يساق الى مايرجو منه مصلحة فينتمى الى كل واحدة من القبائل اذا غضب من غيرها . فاذا غضب من بنى عبس ، قال انه من بنى ذهل والعكس بالعكس . لكنه كان شديد الهجاء يخاف العرب لسانه ويسترضونه بالمال خوفا من شره . وكان يعتمد تخويف الناس بالهجو استدرارا لاموالهم بما يعبر عنه الافرنج اليوم بقولهم chantage وذلك نادر في طباع أهل الجاهلية

وكان اذا نزل مدينة أو نجما دب الخوف في أهله ، وأرصدوا له العطايا خوفا من لسانه ، وهو يبالي في الطمع كثيرا . . ذكروا انه نزل المدينة مرة فهدى أشرافها بعضهم الى بعض فقالوا : « قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظن فيحقق ، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله فان أعطاه جهد نفسه بهرها ( فوق ماتستطيع ) وان حرمه هجاه » فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيئا معدا يجمعونه بينهم . . فكان أهل البيت من قريش والانصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين من الدنانير حتى جمعوا له أربعمائة دينار وظنوا انهم قد أغنوه فأتوه ، فقالوا له : « هذه صلة آل فلان ، وهذه صلة آل فلان ، وهذه صلة آل فلان » فأخذها فظنوا أنهم قد كفوه عن المسئلة ، فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام مانلا ينادى : « من يحملنى على بقلين » . . هكذا كان يفعل مع كل قوم ينزل فيهم والا سلقهم بهجوه

وأكثر هجوه الذي وصل إلينا في الزبرقان وبغيض . وكان الزبرقان من عمال عمر بن الخطاب ، وقد عرف شدة وطأة الحطيئة فأحب أن يقربه فدعاه إليه وأنزله في قومه ، وضمن له مؤونة عياله على أن يستصفي له مدحه . وكان بغيض بن عامر من بنى أنف الناقة وأخوته وأهله ينازعون الزبرقان الشرف . فأغتموا استهانة أم شذرة أم الزبرقان مرة بالحطيئة ودعوه إليهم ، وفي مقدمتهم بغيض هذا وعلقمة بن هوذة . فسار معهم وضربوا له قبة بكل طناب من أطناها جلة ( وعاء تمر ) هجرية ، وأراحوا عليه بلهم وأكثروا من التمر واللبن وبالغوا في إكرامه ، فمدحهم بالبيت المشهور الذي رفع رعو سهم وهو :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم<sup>\*</sup> ومن يسوئى بأنف الناقة الذئب<sup>\*</sup>  
ثم جاء الزبرقان يطلب الحطيئة منهم لانه جاره فأبوا وتنازعوا . ثم اتفقوا على أن يخبروه في الذهاب الى أحد الحيين فاختر بغيضا ، فرجع الزبرقان مغضبا فحرض بغيض الحطيئة على هجوه ففعل . ومن قوله يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض : (\* )

والله ما معشر<sup>\*</sup> لاموا امرأ<sup>\*</sup> جنبا في آل لأى بن شماس بأكياس<sup>\*</sup>  
ما كان ذئب<sup>\*</sup> بغيض<sup>\*</sup> لا أبا لكم<sup>\*</sup> في بأس<sup>\*</sup> جاء يحدو آخر<sup>\*</sup> الناس  
وقد مدحتكم<sup>\*</sup> عمدا لأرشدكم<sup>\*</sup> كيما يكون لكم متحى<sup>\*</sup> وامراسى  
لما بدا لى<sup>\*</sup> منكم عيب<sup>\*</sup> أنفسكم<sup>\*</sup> ولم يكن لجراحي فيكم<sup>\*</sup> آسى  
أزمت<sup>\*</sup> يكأسا مينا من نوالكم<sup>\*</sup> ولن يترى طاردا للحر<sup>\*</sup> كالياس  
جار<sup>\*</sup> لقوم أطلوا هون<sup>\*</sup> منزله وغادروه مقيما بين أرماس  
مكثوا قراه<sup>\*</sup> وهرته<sup>\*</sup> كلابهم<sup>\*</sup> وجرحوه بأنياب<sup>\*</sup> وأضراس  
دع<sup>\*</sup> المكارم لا ترحل<sup>\*</sup> لبتعتها<sup>\*</sup> واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى  
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه<sup>\*</sup> لا يذهب العرف<sup>\*</sup> بين الله والناس

وشكاه الناس لعمر بن الخطاب فسجنه ، فكتب إليه من السجن أياتا يشكو إليه حال أهله بسبب سجنه منها :

ماذا تقول لأفراخ<sup>\*</sup> بنى مراح<sup>\*</sup> حمر الحواصل لاماء<sup>\*</sup> ولا شجر

(\* ) الغريب في هذه الابيات : الجنب هنا : القريب في آل لاي : أى في مدحهم . أكياس : جمع كيس وهو الذكى . التبح : الاستقاء من البئر . الامراس : وضع جبل البشر في البكرة : يقول انه مدح الزبرقان وقومه قبل أن يتحول الى بغيض وقومه ، آسى : طيب ، الهون : الذلة ، الارماس : القبور ، القرى : الضيافة ، وهرته كلابهم : نسخته ، وهو كناية عن بخلهم ، الطاعم هنا : الطوم ، الكاسى : المكسر أى انه لا يعطى ولا يكسو أحدا

ألقيت كاسِبِهِمْ في قَعْرٍ مَظْلَمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلامَ اللهِ يا عَمْرُ  
ثم أخرجَه من السجْنِ وهددَه بِقَاطِعِ لسانِه وأذنيه فتوسط له بعض  
الصحابِة ، فاطلقه وأوصاه أن يكف لسانه عن الهجو . وبلغ من شغف  
الخطيئة بالهجو أنه هجا أمه وأباه وهجا نفسه . . فمما هجا به أمه قوله :  
أَغْرٍ بِالْأَلا إِذا اسْتودعتِ سِراً وكانونا على المتحدِّثينا (\*)  
جزاك اللهُ شِرا من عَجَسوزٍ ولَقَمَّاكَ العقوق من البينا  
وقال لابيهِ :

لِحَاكَ اللهُ ثم لِحَاكَ حَقًّا أبا ولِحَاكَ من عَمٍّ وخِمالٍ  
فنعَم الشَّيخُ أنتَ لَدَى المَخازِي وبئسَ الشَّيخُ أنتَ لَدَى المعالي  
جمعتَ اللُّؤمَ لا حِيَّاكَ رَبِي وَأبوابَ السَّفاهةِ والضلالِ  
وقال لنفسه :

أَبَتْ شَفَتَايَ اليَوْمَ الا تَكَلِّمًا بسوءٍ فما أدري لمن أنا قائِلُهُ  
أرى لِي وَجها شوَّهَهُ اللهُ خَلَقَهُ فِقَبِّحَ من وَجهِهِ وَقَبِّحَ حامِلُهُ  
وهو من أصحابِ المشروباتِ ومطلعِ مشوبته :

نَأْتِكَ أَمَامَةً الا سِوَالاً وَأَبصرتَ مِنْها بَعينِ خيالاً  
وللخطيئة اشعار كثيرة جمعت في ديوان طبع في ليبسك سنة ١٨٩٣ ،  
وفي مصر وببيروت مع شروح . وله شرح خطي في دار الكتب المصرية .  
وأخباره في الشعر والشعراء ١٨٠ ، وفي الاغانى ٤٣ ج ٢ و ٣٩ ج ١٦ ، وفي  
العقد الفريد ٨٠ ج ١ و ١١١ ج ٣ ، وفي المستطرف ١٣٩ ج ١ ، وخزانة  
الادب ٤٠٩ ج ١ ، والجمهرة ١٥٣ (\*\*) (\*)

## ٢ - حسان بن ثابت

توفي سنة ٥٤ هـ

هو من الخزرج من أهل المدينة ، وقد عاصر الجاهلية والاسلام . . فهو  
من المخضرمين . واشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة ،  
وله مع النابغة الذبياني أحاديث . واختص بعد الاسلام بمدح النبي والدفاع  
عنه ، وهو يعد أشعر أهل المدن في ذلك العصر . وكان شديد الهجاء حتى

(\*) الغريال : التميم ، والكانون : النقييل  
(\*\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، الكامل ، والبيان والتبيين في مواضع  
متفرقة ، والاستشاق ، وزهر الاداب ج ١ ص ١٩ ، وتاريخ أبي الفدا ج ١ ص ٢٧٥ ،  
ودائرة المعارف الاسلامية مادة الخطيئة



فيل لو مزج البحر بشعره لمزجه . قال أبو عبيد: « فضل حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي ( ص ) في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام » . ومن شعره في الجاهلية قوله يمدح قبيلة ابن الابهيم الفسائي :

أولاد جَفْنَةَ عند قبر أبيهم<sup>\*</sup> قبر ابن مارية<sup>\*</sup> الكريم<sup>\*</sup> المفضل<sup>\*</sup>  
يَسْتَقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بَرَدَى يَصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ  
يُتَعَشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبَلِ  
يُبِضُّ الْوَجْوهَ كَرِيمَةً<sup>\*</sup> أَحْسَابِهِمْ شَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

اما في الاسلام ، فكان حسان في جملة من اسلم وأخذ يناصر الرسول . ولم يكن رجل حرب فنصره بلسانه ، وكان الرسول يسر به ويستنشده الأشعار في الدفاع عن المسلمين اذا هجاهم حاج من المشركين أو غيرهم . وقد حمله الرسول على ذلك ليرد عنه هجو الهاجين . . فقد كان يهجو الرسول والمسلمين ثلاثة من قريش هم : عبد الله بن الزبعرى ، وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلى بن ابي طالب: « أهج عنا القوم الذين قد هجونا » فقال على : « ان اذن لى رسول الله فعلت » فقال رجل : « يا رسول الله ائذن لعلى كى يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا » قال : « ليس هناك أو ليس عنده ذلك » ثم قال : « ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم ان ينصروه بالسنتهم ؟ » فقال حسان بن ثابت : « انا لها » وأخذ بطرف لسانه وقال : « والله ما يسرنى به مقول بين بصرى وصنعاء » قال : « كيف تهجوهم وانا منهم » فقال : « انى اسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين » فكان يهجوهم ثلاثة من الانصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والايام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب . وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر . . فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة . . فلما أسلموا وفقهوا الاسلام ، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ومن أمثلة دفاعه عن الرسول ان وقدما من تميم جاءوا الرسول وهم سبعون أو ثمانون رجلا فيهم خيرة الشعراء من تميم . . وفيهم الزبرقان بن بدر ، فأنشد الزبرقان قصيدة فخر فأمر الرسول حسانا أن يجيبهم فقال :

ان الذوائب من فِهر<sup>\*</sup> واخوتهم<sup>\*</sup> قد بَيَّنَّوْا سِنَّةً<sup>\*</sup> للناس تَبَّعَ<sup>\*</sup>  
يرضى بها كل<sup>\*</sup> من كانت سريرته تَقْوَى<sup>\*</sup> الاله وبالأمر الذى شرعوا  
قوم<sup>\*</sup> اذا حاربوا ضَرَّوْا<sup>\*</sup> عدوهم<sup>\*</sup> أو حاولوا النفع فى أشياهم<sup>\*</sup> ففعلوا  
سجية<sup>\*</sup> تلك منهم غير<sup>\*</sup> مُحَدِّثَةٍ<sup>\*</sup> ان الخلائق فاعلم<sup>\*</sup> شررها<sup>\*</sup> البِدَع<sup>\*</sup>

لا يَرِقَعُ الناسُ ما أوهتْ أَكْفَثُهُمْ عند الرقاع ولا يوهون ما رقعوا  
 ان كان في الناس سَبَّاقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تَبَعَ  
 أعفنة ذكرت في الوحي عَفَّتْهُمْ لا يطمعون ولا يَزُرِي بهم طمع  
 يَسْمُون للحرب تبدو وهي كالحة اذا الزعانف من أظفارها خشعوا  
 لا يفرحون اذا نالوا عدوهم وان أصيبوا فلا خور ولا جَزَعُ  
 الى أن قال :

أكرم بقوم رسول الله قائلهم اذا تفرقت الأهواء والشبيح  
 وانهم أفضل الأحياء كلهم ان جد بالناس جد القول أو شمعوا (\*)  
 وهو من أصحاب المذاهب ومطلع مذهبه :

لعمريك الخير حقا لساننا على لساني في الخطوب ولا يدي  
 وقد جمعت أشعاره في ديوان وطبع في الهند وتونس ، ثم طبعته لجنة  
 تذكاري في انجلترا سنة ١٩١٠ ، وضبطته على النسخ الخطية الموجودة  
 في مكاتب لندن وبرلين وباريس وبطرسبورج بعد الاطلاع على النسخ  
 المطبوعة المتقدم ذكرها

وتجد أخباره في الشعر والشعراء ١٧٠ ، والاغاني ٢ ج ٤ ، و ١٦٩ ج  
 ٨ ، و ١٦٩ ج ١٠ ، و ١٥٠ ج ١٣ ، و ٢ ج ١٤ ، وخزانة الادب ١١١ ج  
 ١ ، والجمهرة ١٢١ ، وفي السنة السادسة من الهلال ٤٨٢ (\*)

### ٣ - عبد الرحمن بن الحكم

هو أخو مروان بن الحكم الذي تولى الخلافة في الدولة الاموية ، وأفضت  
 بعده الى أولاده وأحفاده . وكان عبد الرحمن هذا يهاجى عبد الرحمن بن  
 حسان بن ثابت ، الاول يدافع عن قريش وبنى أمية ، والثاني عن الانصار .  
 وقد هجا ابن الحكم اخاه الحارث لانه ذهب في غزوة ولم يفلح ، فقال فبه  
 أبياتا منها :

كفاك الغزوة اذا أحجمت عنه حدث السن مقبل الشباب  
 فليتك حبضة ذهبت ضللا وليتك عند منقطع السحاب

(\*) شمعوا : مزحوا

(\*\*) وأنظر طبقات الشعراء لابن سلام والسيرة النبوية لابن هشام ، وتاريخ الطبري  
 فهرس كل منهما « والموشح للمزنيان والبيسان والتبيين ( الفهرس ) ودواوين  
 الحماسة ، وتجد من شعره مقتطفات كثيرة في كتبه الادب المختلفة ، وانظر ترجمته في  
 دائرة المعارف الاسلامية

وهجا أخاه مروان فضلا عن هجوه الانصار وغيرهم  
وتجد أخباره في ذلك مدونة في الأغاني ٧٢ ج ١٢ و ١٥٠ ج ١٣  
ومن الشعراء الهجائين أيضا :  
{ - عبد الله بن الزبيرى : هو أحد شعراء قريش المعدودين لكنه كان  
هجاء فأكثر من هجو المسلمين وحرص عليهم كفار قريش . ثم أسلم فقبل  
اسلامه وتجد أخباره في الأغاني ١١ ج ١٤ (\*)

---

(\*) وراجع ديوان الحماسة لابی تمام ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٢٤٨ ، وانظر فهرس  
السيرة النبوية لابن هشام

## الشعراء الوصافون للخيل

قد رأيت وصفا كثيرا في أشعار من تقدم ذكرهم ، وخصوصا أصحاب المعلقات ولا سيما امرأ القيس . ولكننا نريد أن نضمن هذا الباب الشعراء الذين اشتهروا بوصف الخيل دون سواها ، وهم ثلاثة ، نضيف اليهم شاعرا اشتهر بوصف الحمير وهم :

### ١ - أبو دؤاد الأيادي

هو من أقدم شعراء الجاهلية ، وأكثر أشعاره في وصف الخيل وله أشعار في المدح والفخر ومن قوله في وصف الفرس : (\*)

ولقد أعتدى يدافع ركني أحوذي ذو مِيعَةٍ اضريجٍ  
مِخْلَطٍ مِزِيلٍ مِكرٌ مِفرٌ مِنتَفِحٌ مِطْرَحٌ سِبوَحٌ خِروجٌ  
سَلْهَبٌ سَرْحَبٌ كَأَن رَمَاحاً حَمَلْتَهُ وَفِي السَّرَاةِ دُمُوجٌ (١)  
وليس له ديوان معروف ، ولكن أخباره في الاغانى ٩٥ ج ١٥ و ٤٧ ج ٢ ،  
والشعر والشعراء ١٢٠ (\*\*\*)

### ٢ - طفيل الغنوى

هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلي من الفحول المعدودين ، ومن أشعار شعراء قيس ، ومن أوصف العرب للخيل حتى سموه طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، وهو يدخل وصفها في كل باب من شعره . ومن قوله : (\*\*\*)

(\*) الغريب في هذه الابيات : الاحوذى : الطارد السريع السير من الخيل ، وذو مِيعَةٍ : ذو فتوة ، والاضريج : الجواد ، مِخْلَطٌ مِزِيلٌ : يخالط الامور ويزيلها أى يفارقها ، مِنتَفِحٌ : يدخل في كل شيء ، مِطْرَحٌ : بعيد النظر ، سَلْهَبٌ : طويل ومثلها سرحب ، والسراة : الظهر ، دُمُوجٌ : انتظام واتساق

(\*\*) وله قصيدتان في الاصمعيات رقم ٦٥ ، ٦٦ وانظر في اخباره وأشعاره شواهد الفن للسيوطى ١٢٤ والمعنى ج ٢ ص ٣٩١ : اللالىء والخزانة ج ٣ ص ٤٣٨ ، ج ٤ ص ١٩٠ (\*\*\*) الغريب في ابیات طفيل الغنوى : مواوير : جمع عوارى وهو الضعيف الجبان ، والردي : الموت . أرسان : جمع رسن وهو الحبل ، والجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس قصر الشعر وذلك أجود فيه ، والبادىء : الخير اولا : والمعقب ، الخير ثانيا ، تلد : نسيل ، ومن غرير واشيب اى فى هؤلاء القوم الفزاة الشيب والثلبان

بخیلٍ إذا قيل اركبوا لم یقتل لهم عواویرٌ یخشون الردی أين نركب  
ولكن یجاب المستغیث وخیلهم علیها حماة بالمنية تضرب  
ومن قوله فی وصف بیته :

وأطنابه أرسانٌ جرودٍ كأنها صدورُ القنا من بادئٍ ومعقبٍ  
نصبتُ علی قومٍ تدرشُ رماحهم عروقَ الأعادی من غریرٍ وأشیب  
ولطفیل الفنوی دیوان تحت الطبع بنفقة لجنة تذكار جیب الانجليزية  
مع دیوان الطرماح بن حکیم بعناية المستشرق كرنكو Krenkow وأخباره  
فی الاغانی ٨٨ ج ١٤ ، والشعر والشعراء ٢٧٥ (\*)

### ٣ - النابغة الجعدی

هو غیر النابغة الذبیانی ، وهو من جعده ( قبی ) مخضرم قال الشعر فی  
الجاهلیة ، وسکت دهرًا ثم نبغ فی الاسلام . یرقال مع ذلك انه كان أسن  
من الذبیانی . وهو ممن فکر فی الجاهلیة فانکر الخمر والمسكر وهجر الازام  
والاوثان . وكان مغلبا اذا هوجی غلب ، وله مهاجاة مع لیلی الاخیلیة  
وغیرها . ویقول علماء الشعر فی وصف شعره : « خمار یواف ومطرف  
بالاف » یریدون ان یبین أشعاره تفاوتًا کبیرا . ومن قوله فی وصف  
الفرس :

كان مقطبٌ شراسیفه إلى طرف القتب فالمنقب (١)  
لظمن بثرس شدید الصتال من خشب الجوز لم یثقب

وله قصیدة جمعها أبو زید مع المشوبات فی جمهرة أشعار العرب ، یصف  
بها حاله منذ كان عند المنذر ، وكيف سار الى الرسول وأسلم ، ووصف  
ناقته وفرسه وبعض المواقع وغیر ذلك مطلعها :

خلیلی عوجا ساعةً وتهجرتا ولوما علی ما أحدث الدهر أو ذرًا  
وللنابغة الجعدی أخبار متفرقة فی الاغانی ١٢٨ ج ٤ ، والشعر والشعراء  
١٥٨ ، وجمهرة أشعار العرب ١٤٥ ، وفی خزانة الادب ٥١٢ ج ١ (\*\*\*)

(\*) طبع الديوان كما قدمنا فی سنة ١٩٢٧ ، وانظر فی طفیل ایضا الاشتقاق ١٦٥ ،  
والمؤتلف ١١٤٧ ، ١٨٤ والاختصاص ٣٢٧ ، والعینی ج ٣ ص ٢٤ والخزانة ج ٣ ص ٦٤٢  
والحماسة لابن تمام وشرح التبریزی  
(١) الشراسيف : اطراف الاضلاع ، المنقب : وسط البطن ، والقنب : الرجل  
(\*\*) وانظر ایضا طبقات الشعراء لابن سلام حیث جمعه فی الطبقة السبانیة من  
الشعراء الجاهلیین ، ومعجم الرزبانی ٣٢١ ، والبوشخ ٦٤ ، والمؤتلف ١٩١ ، والمعرین ٦٤ ،  
وأمالی المرتضی ج ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٩ ، واللالی ٢٤٧ ، والاستیعاب ٢٢٠ ، واسد الفسابة  
ج ٥ ، والاصابة ج ٦ ، والسیرة النبویة لابن هشام

## ٤ - الشماخ بن ضرار

ويدخل في هذا الباب الشماخ بن ضرار الديباني ، فإنه وصاف للحمير وهو مخضرم ، ويقولون ان الحطيئة كتب في وصيته : « ابلغوا الشماخ أنه اشعر غطفان كلها » وقد أجمع علماء الشعر على أنه اوصف الشعراء للحمير ، وأوصفهم للقوس ، وأرجزهم على البديهة . وكان فيه ميل الى الهجاء حتى انه يهجو أهله وضيغه . وقد يصح عده من الشعراء الهجائيين ، ولكن الوصف غالب عليه . ومن وصفه القوس ، قوله : ( ※ )

وذاق فأعطنته من اللّين جانباً كفى ولها أن يغرّق السهمَ حأجزاً  
إذا أتبضّ الرامون عنها ترنمت ترثم ثكلى أوجعتها الجنائز

وهذان البيتان من قصيدة عدها أبو زيد من المشوبات ومطلعها :

عفا بطنٌ قوٌّ من سليمي فعالزٌ فذاتُ الصفا فالمشرفات التّواشيزُ

وقد جمعت أشعار الشماخ في ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ( ※ ) ، وله أخبار متفرقة في الاغانى ١٠١ ج ٨ ، والشعر والشعراء ١٧٧ ، وخزانة الادب ٥٢٦ ج ١ ، والجمهرة ١٥٤

ومن وصاف الخيل أيضا سلامة بن جندل وقد ترجمنا له مع الشعراء الفرسان ، وفاتنا ان نذكر هناك ان له ديوانا طبع في بيروت

## الشعراء الموالى

## ١ - عبد بنى الحسحاس

ليس فيمن وصلنا خبرهم من الجاهليين شاعر من الموالى أو العبيد الا عبد بنى الحسحاس ، وهو حبشي واسمه سحيم . كان مطبوعا على الشعر ، اشتراه بنو الحسحاس وهم بطن من أسد ، ومن نظمه قوله :

أشعارُ عبد بنى الحسحاس قمن له عند الفخار مقام الأصل والورق  
إن كنتُ عبداً فنفسى حرّةٌ كرمًا أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخلق

وذكروا ان صاحبه كان اسمه مالكا جاء به لبيعه لعثمان بن عفان ،

( ※ ) الغريب في هذه الابيات : البيت الاول يصف القوس بانها وسط بين اللينة والتشديدة ، انبض القوس : حركها ليرمي عنها ، تو وعالز وذات الصفا : مواضع ، المشرفات والتواشير : المرتفعات

( ※ ) طبع ديوان الشماخ بمصر وانظر فيه طبقات الشعراء لابن سلام والمؤلف ١٢٨ وديوان الحماسة واللالى ٥٨ والاشتقاق ١٧٤ وسيرة ابن هشام وكتب طبقات الصحابة والموشح للمرزباني

فقال : « لا حاجة لى به اذ الشاعر لا حريم له ، ان شبع تشيب بنساء اهله وان جاع هجاهم » فاشتراه غيره فلما رحل قال فى طريقه :

أشوقاً ولما تمض لى غير ليلةٍ فكيف إذا سار المطىٰ بنا شهراً  
وما كنت أخشى مالكا أن يبيعنى بشيءٍ ولو أمستُ أناملته صِفراً  
أخوكم ومولى مالكم وحليفكم ومن قد ثوىٰ فيكم وعاشركم دهرًا

فلما بلغهم شعره هذا رثوا له فاستردوه ، فكان يشيب بنسائهم ،  
ويفحش غاية الفحش ، فقتلوه . وأخباره فى الاغانى ٢ ج ٢٠ ، والشعر  
والشعراء ٢٤١ (\*)

---

(\*) والنظر الخزانة ج اول ص ٢٧٢ ، والبيان والتبيين ج اول ص ٧١ ، وقد طبعت  
دار الكتب المصرية ديوانه

# سائر الشعراء الجاهليين

بقيت طائفة من شعراء الجاهلية لا يدخلون في باب من الابواب التي تقدمت ، وان كانت تلك الابواب كثيرا ما تختلط اغراضها . . اذ لا يتفق ان يستقل شاعر أو بضعة شعراء بالحكم أو الفخر أو الوصف أو الهجاء دون سواه . ولكننا جمعنا المتقاربين في بعض تلك الاغراض ليسهل تعليقهم بالذاكرة ، وبقي جماعة منهم لا يجتمعون في باب . . وهم كثيرون نكتفي بذكر أشهرهم وخصوصا الذين لهم آثار باقية يمكن الحصول عليها وهم :

## ١ - ابن الدمينة (\*)

هو عبد الله بن عبيد الله احد بنى عامر من خثعم وأمه الدمينة من سلول - اشتهر بحديث امرأته حمادة - وذلك انه بلغه أن بعض احواله من سلول يأتيها خلصة ، فرصده حتى اتاها فقتله وقتلها . على أنه قبل أن يقتل الرجل منعه عن المجيء اليها ففضب واراد أن ينتقم منه ، فنظم قصيدة يصف بها المرأة وصف من تفحص بدنها . . فذهب ابن الدمينة الى امراته وسألها : « كيف عرف ذلك فيك ؟ » قالت : « وصفته له النساء » ففضب وقال : « والله ان لم تمكنيني منه لاقتلنك » فبعثت اليه وواعدته . وكان زوجها كامنا له . . فقام وقتله ضغطا على كبده حتى يخفى جريمته . لكن أهله تحققوا فعلته . وعشق في اثناء ذلك امرأة من قومه أسمها أميمة وهام بها ، فلما وصلتته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ثم زارها فقالت هذه الابيات :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم  
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضا أرمي وأنت سليم  
فلو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم  
فأجابها بمثل عتابها وهو الطف أساليب العتاب : (\*)

(\*) اخطأ المؤلف في عد ابن الدمينة من شعراء الجاهلية ، فهو اسلامي  
(\*\*) الغريب في هذه الابيات : الحزازة : رجوع في القلب او هو الوجع ، وكليسم : مجروح دلج الرى : السير بالليل ، وجون : سود ، والجلهتين : موضع ، جنوم : راقدة ، يقول انه كان يركب الخطر بالليل والطيور ساكنة في اغصانها ، الحفظة : اغصبه ، كظيم : غاضب



وأنت التي قَطَعْتَ قَلْبِي حَزَازَةً وَقَرَّحْتَ قَرَحَ الْقَلْبِ فَهَوَ كَلِيمٌ  
 وَأنت التي كَلَّفْتَنِي دَلَجَ الشَّرَى وَجَوْنَ الْقَطَا بِالْجَلْهَيْتَيْنِ جِثُومٌ  
 وَأنت التي أَحْفَظْتِ قَوْمِي فَكَلِّهِمْ بَعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمٌ  
 ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عنده . وهذه الابيات تغنى بها المسلمون  
 اجيالا ، واليه تنسب الابيات المشهورة :

ولى كبدٌ مقروحةٌ منٌ يبعنى بها كبداً ليست بذات قروح  
 ولا بن الدمينه ديوان شعر منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية . وله  
 اخبار في الاغانى ١٥١ ج ١٥ والشعر والشعراء ٤٥٨ ( \* )

## ٢ - أوس بن حجر

هو من نمر أحد بطون تميم من فحول الشعراء الجاهليين ، يقرنه بعضهم  
 بالحطيئة وبالنايفة . قالوا : كان أوس شاعر مضر كلها حتى حل مكانه  
 النايفة وزهير ، فأصبح شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع . وكان غزلا  
 مغرما بالنساء فخرج في سفر ، وبينما هو في أرض بنى أسد سير على ناقته  
 ليلا صرغته فانددت فخذه ، فظل في مكانه لا يستطيع انتقالا حتى خرجت  
 بنات الحى يجتنبين الكماة . . فبصرن بالناقاة ورأين أوسا ملقى ففزعن ،  
 فنادى احداهن وسألها عن من هي ، فقالت : « خليمة بنت فضالة » وكان  
 يعرف أباهما ، فدفع اليها حجرا وقال : « اعطى هذا الى أبيك ، وقولى له  
 أن هذا قروك السلام » فمضت وبلغت ما قاله فأتى فضالة فاحتمله الى  
 بيته وعالجه ، فنظم فيه أوس مدائح كثيرة وأحب ابنته ونظم فيها ، ثم  
 توفى فضالة فرثاه أحسن الرثاء ، منه قوله : ( \* \* )

آيتها النفسُ أجملَى جَزَعَا إن الذى تحذرين قد وقعا  
 إن الذى جَمَعَ السِماحةَ والذِ جِدةَ والحِزمَ والقُوَى جَمِعا  
 المُخْلِفُ المُتَلَفُ المرزَأُ لم يُمْتَعِ بضعفٍ ولم يمت طبعَا  
 أو دى وهل تنفع الإِشاحةُ من شىءٍ لمن قد يحاول النزعا

ولاوس بن حجر ديوان طبع في فيناعم ترجمة المانية سنة ١٨٩٢ بعناية  
 المستشرق جاير Geyer وعليه تمليقات . وأخباره في الاغانى ١٠ ج ١٠ ،

( \* ) طبع ديوان ابن الدمينه بالقاهرة وانظر حماسة ابى تمام في مواضع متفرقة ،  
 والبيان والتبيين « ومعاهد التنصيص ج اول واللاى ١٣٦ وامالى المرتضى « الفهرس »  
 ودائرة المعارف الإسلامية .

( \* \* ) الغريب في هذه الابيات : جمع في اخر البيت الثانى : مات ، المرأ : المصاب  
 في ماله لكثرة ما يوجد به ، يمتع : يصاب ، الطبع بكسر الباء : الدنس اللثيم ،  
 الإِشاحة : الجِد في طلب الامر ، النزوع : النزوع في طلب الحاجة

والشعر والشعراء ٩٩ ، وخزانه الادب ٢٣٥ ج ٢ (\*)

### ٣ - التلمس

توفي سنة ٥٨٠ هـ

هو جرير بن عبد المسيح من ضبيعة ( ربيعة ) وهو خال طرفة بن العبد ، واليه تنسب صحيفة التلمس كما مر في حديثه مع طرفة وعمرو ابن هند صاحب الحيرة . ولهذه الحكاية مثال في تاريخ قدماء اليونان تعزى الى بيلروفت ( ١ ) فلما علم التلمس بفحوى الصحيفة كما تقدم في ترجمة طرفة رماها في النهر قرب الحيرة وهرب الى الشام ولحق بملوك آل غسان ، ونظم في ذلك قصيدة ذكر فيها نجاته ، وكان قد استحث طرفه على رمي ورقته بقوله : (\*\*\*)

لَقِيَ الصَّحِيفَةَ لَا أَبَا لِكَ إِنَّهُ يَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَيَاءِ النَّقْرَسَ  
فلما بلغه انه قتل بها قال :

عصاني فما لاقى الرشاد وإنما تَسَيِّبَنَّ من أمر الغوى عواقبه  
فأصبح محمولاً على آلة الرمدى تمجُّ نجيع الجوف منه ترائبه  
ونظم في هجو عمرو بن هند قصيدة طويلة هني من خيرة شعره  
مطلعها :

يا آل بكرٍ ألا لله أمكم طال الثواء وثوب العجز ملبوس  
وأقام التلمس في حوران عند الغساسنة الى وفاته . ومن قوله وفيه  
افراط في الفخر من قصيدة عاتب بها خاله الحارث اليشكري :

أحارثُ إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لايمس دم<sup>١</sup> دما  
يريد أن دماءهم تمتاز عن دماء غيرهم أو تأبى الامتزاج بها ، ومنها :

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميئه فتقو<sup>٢</sup>ما  
لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علكم الانسان إلا ليعلمنا  
ولو غير أخوالي أرادوا تقيصتى جعلت لهم فوق العرائن ميسما

(\*) وانظر في أوس الموشح للمرزياني ومصادر جابر ناشر ديوانه ويذكر الجاحظ في الجزء السادس من الحيوان ان شعره اختلط بشعر شريح بن اوس وراجع دائرة المعارف الاسلامية وكتاب في الادب الجاهلي لطله حسين (١) شعراء النصرانية ٣٣٠

(\*\*) الفريب في ابيات التلمس : الحياء : العطاء ، النقرس : مرض يصيبه المفاصل .  
نمج : تلفظ ، والنجيع : الدم السائل ، تساط : تخطط ، تزايلن : افترقن وتمايزن ،  
سعر خده : أماله كبراً ، العرائن : جمع عرنين وهو اول الانف ، والميسم : العلامة ،  
الستعمل : الطريق ، والقذف الجعيد ، والعيس الابل

،ومما يتمثل به من شعره قوله :

وأعلم علم حق غير ظنٍ وتقوى الله من خير العتاد  
لحفظ المال أيسر من بُعاه وضرب في البلاد بغير زادٍ  
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير على الفساد  
وهو من اصحاب المنتقيات ومطلع قصيدته :

كم دون مبيّة من مستعملٍ قد فِ ومن فلاةٍ بها تستودع العيسُ  
وقد جمع شعر المتلمس في ديوان منه نسختان خطيتان في دار الكتب  
المصرية وأخباره في الاغانى ١٢٠ ج ٢١ ، والشعر والشعراء ٨٥ ، وحياة  
الحيوان للدميري ٢٠٩ ج ٢ ، وابن خلكان ١٩٩ ج ٢ ، والجمهرة ١١٣ ،  
وشعراء النصرانية ٣٣ ، والحماسة وشرحها ، ومعجم البلدان ، ولسان  
العرب ، وغيرها (\*)

#### ٤ - المثقب العبدى

توفى سنة ٥٨٧ م

هو عائد بن محسن بن ثعلبة من ربيعة ، وكان فى جملة الذين كانوا  
يترددون على عمرو بن هند ويمدحونه وله فيه قصائد . وله فى وصف  
راحلته قصيدة مطلعها :

هل عند عانٍ لفؤادٍ صدٍ من ههّلةٍ فى اليوم أوفى غدٍ (\*\*\*)  
وله قصيدة يمدح بها عمرا المذكور مطلعها :

أفأظم قبيل بينك ودّجيني ومكّعتك ما سألت كأن تبينى  
ومما سبق اليه وأخذ عنه قوله من هذه القصيدة فى وصف ناقته :

كأن مواقع الثغفات منها معرّسٌ باكرات الورودِ جُونِ  
الباكرات القطا . فأخذ هذا المعنى عنه ذو الرمة والطرماح  
وله قصيدة منها البيت المشهور :

حسن قول نعم من بعد لا وقبيح قول لا بعد نعم

(\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام والبيان والتبيين والخزانة ج ٢ ص ٧٣ ،  
والأولف ص ٧١ والاضمعيات والموشح للعرزبانى والعينى فى شرح الشواهد الكبرى  
ومعجم البلدان ج ٧ ص ٢٠٨ واماى المرتضى ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٥ ودائرة المعارف الاسلامية  
وقد طبع ديوانه

(\*\*) الغرب فى ابيات المثقب : عان : من العناء ، صد : عطشان ، تبينى : من البين  
أى البعد . الثغفات : مواصل اللراعين والمضدين من باطن وهى التى على الارض منها  
إذا بركت ، والجون : السود ، المعرّس : مكان النزول آخر الليل ، وباكرات الورود :  
القطا بيكرن بالورود الى الماء . شبه ما مس من الارض من ناقته بتعريس القطا فى منازلها

وللمثقب ديوان حوى شعره مع شروح منه نسخة خطية في دار الكتب  
المصرية واخباره فى الشعر والشعراء ٢٣٣ وخزانة الادب ج ٤ ،  
وشعراء النصرانية ٤٠٠ (\*)

### ٥ - المنخل اليشكرى

توفى سنة ٥٩٧ م

هو المنخل بن عبيد من يشكر من بكر وائل ( ربعة ) شاعر مقل كان.  
ينادم النعمان مع النابغة الذبياني ، ولكن النعمان كان يؤثر شعر النابغة  
على شعره ، فسعى المنخل بالنابغة وأوغر صدر النعمان عليه حتى هم  
بقتله فهرب النابغة وخلا المنخل بمجالسته . ثم اتهمه النعمان بامرأته وأمر  
بقتله فقتل ، ويقال انه دفن حيا . والعرب تضرب المثل به كما تضربه  
بمن هلك منهم ولم يعلم خبره . ومن مشهور شعره أبيات من قصيدة له  
فى الفخر مطلعها :

إن كنت عاذلتى فسبيرى نحو العراق ولا تحورى  
الى أن يقول :

ولقد شربت من المدا مة بالصغير . وبال كبير  
فإذا انتشيت فإنى رب الخور نق والسدير  
وإذا صبحت فإنى رب الشويهة والبعر

واخبار المنخل فى الاغانى ١٥٢ ج ١٨ و ١٦٦ ج ٩ ، والشعر والشعراء  
٢٣٨ ، وشعراء النصرانية ٤٢١

### ٦ - كعب بن زهير

توفى سنة ٢٤ هـ

هو كعب بن زهير بن أبى سلمى ، وكعب ذكر خاص عند ظهور الاسلام.  
لانه من المخزمين . وكان هجا الرسول ثم جاءه واسلم ، ومدحه  
بقصيدته المشهورة التى مطلعها : (\*)

يانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم عندها لم يجز مكنبول  
وهي من المشوبات . . ولما أقبل على النبي وطلب الامان انشده اياها.  
والجلس حافل بالصحابة من قريش وغيرهم ، فلما وصل الى قوله :

(\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام والفضليات للنبي ارقام ٢٨ ، ٧٦ ، ٧٧  
: (\*\*\*) الغريب فى ابيات كعب بن زهير : يانت : فارقت ، القبول : السقيم من الجبه  
الكنول : المقيد ، زولوا : هاجروا ، التمس : الضعيف ، كشف : جمع اكشف وهو من  
لا يحمل ترسا ، والخور : الضعفاء ، مغازيل : جمع معزول : من لا سلاح معه

إن الرسول لنور" يستضاء به مَهْدٌ من سيوف الله مَسْلُولٌ  
في فتيةٍ من قريشٍ قال قائلهم بِيَطْنِ مَكَّةَ لما أسلموا زولوا  
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كشفٌ عند اللقاء ولا خُورٌ معازيلٌ

أشار الرسول الى الناس ان يسمعوا شعر ابن زهير . ولما فرغ من الانشاد  
خلع الرسول عليه بردته وهي التي تداول الخلفاء لبسها (١)

وقد طبعت هذه القصيدة مرارا بمصر وأوربا ، وشرحها كثيرون منهم  
ابن دريد والتبريزي وغيرهما في العصور المختلفة الى الآن . ومن الاصل  
والشروح نسخ كثيرة في مكاتب برلين ولندن والاسكوريال ومصر وغيرها .  
وتسطرها غير واحد مما يطول شرحه . وأخبار كعب في الاغاني ١٤٧ ج ١٥ ،  
والشعر والشعراء ٥٨ ، و ٦٧ ، والجمهرة ١٤٨ والحماسة وغيرها (\*)

#### ٧ - معن بن أوس

توفي سنة ٢٩ هـ

هو معن بن اوس بن نصر من مزينة ( مضر ) شاعر مجيد فحل من  
المخضرمين وله مدائح في جماعة من الصحابة ، ووفد على عمر بن الخطاب  
مستعينا به على أمره وخاطبه بقصيدته التي أولها :

تأوَّبُه طَيْفٌ بذات الجرائمِ فنام رفيقاهُ وليس بناثمٌ  
ويقال انه لقي معاوية ايضا ، وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر  
ويقول : « كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير » وأشعر أهل الاسلام  
منهم : وهما ابنه كعب ومعن بن أوس . وكان معن مثنانا ، يحسن  
صحبة بناته وتربيتهن . ومن شعره قوله :

وذى رَحِمٍ قَلَّمَتْ أَظْفَارُ ضِعْنِهِ بِحَلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ  
إِذَا سَمْتُهُ وَصَلَّ الْقَرَابَةَ سَامِنِي قَطِيعَتَهَا تَلِكِ السَّفَاهَةِ وَالظُّلْمِ  
فَأَسْعَى لِكِي أَبْنِي وَيَهْدِمُ صَالِحِي وَلَيْسَ الَّذِي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ الْهَدْمُ  
يَحَاوِلُ رَغْمِي لَا يَحَاوِلُ غَيْرَهُ وَكَالْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحِلَّ بِهِ رَغْمٌ  
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْنٍ لَهُ وَتَعَطُّفٍ عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمُّ  
لَأَسْتَلَّ مِنْهُ الضُّعْفَنُ حَتَّى سَلَلْتَهُ وَإِنْ كَانَ ذَا ضَعْفَنِ يَضِيقُ بِهِ الْحَلِيمُ  
وله ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٩٠٣ ، واخباره في الاغاني ١٦٤ ج

(١) راجع تاريخ البردة النبوية في تاريخ التمدن الاسلامي ١١٥ ج ١ « طبعة نالفة »  
(\*) طبع ديوان كعب في دار الكتب المصرية وانظر اخباره في السيرة النبوية لابن هشام .  
وفي كتب التاريخ وطبقات الصحابة - وراجع دائرة المعارف الاسلامية

## ٨ - الباقي من هذه الطبقة

وفي هذه الطبقة من الجاهليين والمخضرمين جماعة ضباق المقام عن تراجمهم، وفيهم بضعة من الفحول \* ولكن اكثرهم مقلون ، فنكتفى بأسمائهم مرتبة حسب الحروف الابجدية مع الاشارة الى المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في معرفة أخبارهم :

المصادر	اسم الشاعر
الافغانى ٩٧ ج ١٠	٨ - كثير بن الغريرة من تميم شاعر مخضرم
» ٢١ ج ٣٨	٩ - أبو خراش الهذلي من هذيل
» ٥٨ ج ٦ والشعر والشعراء ٤١٣	١٠ - أبو ذؤيب » » من أصحاب المراني
» ٢٤ ج ١١ » » ١٦٧	١١ - أبو زيد الطائي كان يزور عثمان
» ٢٠ ج ١٦٧	١٢ - أبو العيال من هذيل شاعر فصيح أدرك معاوية
الشعر والشعراء ١٣٤ والافغانى ١٣٤ ج ١١ والخزانة ٩٥ ج ١ وشعراء النصرانية ٤٧٥	١٣ - الأسود بن يعفر من تميم شاعر كصبيح
النسر والشعراء ٤٥٠	١٤ - جران العود (١)
الافغانى ٨٢ ج ٣	١٥ - الحادة المازني (٢) شاعر مقل
شعراء النصرانية ٨٩ والمستطرفه ١٦١ ج ١	١٦ - حنظلة الطائي صاحب الوفاء
الافغانى ١٥٩ ج ١١	١٧ - خزيمه بن نهد من قضاة شاعر قديم
» ٩٠ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٨٠ وخزانة الادب ٥٦٦ ج ٣	١٨ - ربيعة بن مقروم من ضبة
» ١٧١ ج ١١ والشعر والشعراء ٢٥٠	١٩ - سويد بن أبي كاهل من يشكر
» ١٨ ج ٢ والشعر والشعراء ٢١١ والجمهرة ١٠٢	٢٠ - عدى بن زيد العبادي من تميم من أصحاب المجهرات شاعر ، كاتب كسرى
» ١٣٥ ج ١٣	٢١ - عدى بن نوفل من قريش شاعر مقل
» ٦٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ٢٥٤	٢٢ - عمرو بن شأس من أسد
» ٨٧ ج ٨	٢٣ - عمرو بن سعيد من قريش
» ١٣٠ ج ٢١	٢٤ - عمرو بن براقه شاعر قديم

(\*) وانظر نكت الهميان ٢٩٤ ، والبيان والتبيين « الفهرس » وحماسة ابي تمام وشرح التبريزي والاصابة وغيرها من كتب طبقات الصحابة

(١) له ديوان مطبوع

(٢) له ديوان خطي في دار الكتب المصرية وفي المتحف البريطاني وطبع شيء منه في لندن سنة ١٨٥٨ « وقد طبع في مصر »

٢٥ - عمرو بن قميئة من ربيعة	الافغانى ١٦٢ ج ١٦ والخزانة ٢٤٩ ج ٢ والشعر والشعراء ٢٢٢
٢٦ - عبيدة بن مرداس شاعر مقل	» ١٤٣ ج ١٩
٢٧ - غيلان النخعي من أهل الطائف	» ٤٥ ج ١٢
٢٨ - فضالة بن شريك من مضر وفد على ابن الزبير	» ١٧١ ج ١٠
٢٩ - كعب بن مالك من الخزرج مخضرم	» ٢٦ ج ١٥ والخزانة ٢٠٠ ج ١
٣٠ - لقيط بن يعسر الإباضي شاعر جاهلي قديم (١)	» ٢٣ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٩٧
٣١ - المنخل من هذيل شاعر فحل	» ١٤٥ ج ٢٠ وخزانة الادب ١٣٧ ج ٢
٣٢ - المخبل السعدي من تميم مات أيام عمر	» ٤٠ ج ١٢ والشعر والشعراء ٢٥٠ وخزانة الادب ٥٣٥ ج ٢
٣٣ - المزق العبدى ( ٤٨٠ م ) شاعر قديم	الشعر والشعراء ٢٣٥
٣٤ - النمر بن تولب من عكل من أصحاب الجهمرات	الافغانى ١٥٧ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٧٣ والجهمرة ١٠٩
٣٥ - هدية بن الخشم (٢) من بادية الحجاز كان راوية الحطيئة	» ١٦٩ ج ٢١ والشعر والشعراء ٤٢٤ وخزانة الادب ٨٤ ج ٤
٣٦ - يزيد بن عبد المدان	شعراء النصرانية ٨٠

هؤلاء شعراء الجاهلية والمخضرمون ممن وقفنا لهم على تراجم مستقلة مع بيان اغراضهم ومراتبهم . وهناك طائفة كبيرة عرفوا بأبيات او قصائد ومنهم كثيرون في كتب الادب والحماسة والمجهرات والمفضليات وغيرها

#### ٩ - مآخذ الشعراء الجاهليين (\*)

١١ يحسن بنا أن نأتي على ذكر الكتب التي يمكن الطلاب الشعر التوسع بها في معرفة الشعراء الجاهليين أو المخضرمين ، غير الدواوين التي تقدم ذكرها وغير المعاجم اللغوية . وهذه أهمها مما طبع ويقرب تناوله ، ونذكر هنا الطبقات التي عولنا عليها في المصادر التي بين أيدينا مرتبة حسب الحروف الابجدية لتسهيل المراجعة على المطالع :

(١) له ديوان في مكتبة آيا صوفيا

(٢) عنه مقالة بالفرنسية لدوجات في المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٥٥

(\*) يمكن الرجوع ايضا الى ما أضفناه من مراجع في تعليقاتنا ، وكذلك ينبغي الرجوع الى المراجع التي تذكرها دائرة المعارف الاسلامية ، فيمن ترجم لهم من الشعراء الجاهليين ، والمراجع الأخرى التي يذكرها بروكلمن في تاريخ الاداب العربية

اسم الكتاب	سنة الطبع ومكانه
١ - اشعار الهذليين رواية السكري	لندن سنة ١٨٥٤
٢ - الاصمعيات	ليبسك » ١٩٠٢
٣ - الاغانى لابي الفرج الاصبهاني ٢١ جزءا	بولاق » ١٢٨٥
٤ - امالى القالى	مصر » ١٢٢٦
٥ - امثال العرب للضبي	الاستانة » ١٣٠٠
٦ - البيان والتبيين للجاحظ جزآن	مصر » ١٢١٣
٧ - جمهرة اشعار العرب لابي زيد بن ابى الخطاب	بولاق » ١٢٠٨
٨ - جمهرة الامثال لابي الحسن العسكري	بعباي » ١٣٠٧
٩ - الحماسة لابي تمام وشرحها للتبريزي ٤ اجزاء	بولاق » ١٢٩٦
١٠ - » للبحترى	بيروت » ١٩٠٩
١١ - خزنة الادب ولب لباي لسان العرب ٤ اجزاء	بولاق » ١٢٩٩
١٢ - سيرة الرسول لابن هشام ٣ اجزاء	بولاق » ١٢٩٥
١٣ - شرح القصائد العشر للتبريزي	كلكته » ١٨٩٤
١٤ - شرح المقامات الحريرية للشريشي	بولاق » ١٢٨٤
١٥ - الشعر والشعراء لابن قتيبة	ليدن » ١٩٠٢
١٦ - شعراء النصرانية للاب شيخو ٦ اجزاء	بيروت » ١٨٩٠
١٧ - طبقات الشعراء لاسكندر ابيكاربوس	بيروت » ١٨٥٨
١٨ - العقد الثمين في الشعراء الستة الجاهليين	لندن » ١٨٧٠
١٩ - العقد الفريد لابن عبد ربه ٣ اجزاء	مصر » ١٣٠٥
٢٠ - العمدة لابن رشيقي جزعان	مصر » ١٣٢٥
٢١ - قواعد الشعر لثعلب	ليدن » ١٨٩٠
٢٢ - الكامل لابن الاثير ١٢ جزءا	مصر » ١٢٠٢
٢٣ - الكامل للمبرد	مصر » ١٢٨٦
٢٤ - الكشكول وعلى هامشه ادب الدنيا والدين	مصر » ١٣٠٥
٢٥ - مجمع الامثال للميداني مشروح	بيروت » ١٣١٢
٢٦ - مصارع العشاق للسراج	الاستانة » ١٣٠٨
٢٧ - معجم البلدان لياقوت الحموي ٦ اجزاء	ليبسك » ١٨٧٠
٢٨ - معجم ما استمعج للبيكري جزعان	غوتنجن » ١٨٧٧
٢٩ - الملقات وشروحها	مصر » ١٢١٩
٣٠ - الفضليات للمفضل الضبي	ليبسك » ١٨٨٥
٣١ - نقد الشعر لقدامة بن جعفر	الاستانة » ١٣٠٢

ولا يخفى ان للمستشرقين عناية كبرى بالشعر العربي ، ولهم فيه  
 أبحاث وانتقادات . والبك أشهر ما كتبوه بهذا الشأن لعل القاريء يحب  
 الاطلاع عليها نذكرها باللغات التي كتبت بها مع مكان طبعها وسنته :



- Ahlwardt, Ueber Poesie Poetik der Araber, Gotha 1856.  
 Clouston, Arabian Poetry for English readers, Glasgow, 1881  
 Guyard, Théorie nouvelle de la métrique arabe précédée de Considération gén, sur le rythme naturel du langue J.A. 1876.  
 Muir. Ancient Arabic Poetry: its genuinness & its Authenticity, J.R.A.S. 1879  
 Noeldeke, Beitroege Zur Kenntness der Poesie der alten Araber., Hanover 1864.  
 Slane, Le diwan d'Amrou 'L' Kais précédé de la vie de ce poète, Paris 1837.  
 Lyall, Translation of Ancient Arabic poetry, London 1887.  
 وهناك شرح للمعلقات بالعربية والفارسية والهندية اسمه رياض الفيض طبع في لاهور ( الهند ) سنة ١٢٩٩

### ١٠ - الخطابة في الجاهلية (\*)

الخطابة تحتاج الى خيال وبلاغة ، ولذلك عددناها من قبيل الشعر أو هي شعر منثور ، وهو شعر منظوم ، لكل منهما موقفه . . فالخطابة تحتاج الى الحماسة ، ويغلب تأثيرها في أبناء عصر الفروسية واصحاب النفوس الايبية طلاب الاستقلال والحرية مما لا يشترط في الشعر . ولذلك تشابهت جاهلية العرب وجاهلية اليونان من هذا الوجه ، لان كليهما اهل شعر وخطابة وأهل اباء واستقلال . ولذلك أيضا كانت الخطابة رائجة عند الرومان مع تأخر الشعر عندهم . ولنفس هذا السبب قصر العبرانيون في الخطابة مع تقدمهم في الشعر لغلبة الدل والضعف على طباعهم ، فتحول خيالهم الشعري الى الشكوى والتضرع وانصرفت قرائحهم الى نظم المراثي والحكم.

أما العرب فقد قضى عليهم الاقليم بالحرية والحماسة وهم ذوو نفوس حساسة مثل سائر اهل الخيال الشعري ، فأصبح للبلاغة وقع شديد في نفوسهم . . فالعبارة البليغة تقعدهم أو تقيمهم بما تثيره في خواطرهم من النخوة . واقترضت المنازعات بينهم أن يتفاخروا ويتناقروا ، فاحتساجوا الى الخطابة في الاقناع وتأليف الاحزاب ، وان غلب في موضوعات خطبهم المفاخرة بالاحساب والآداب في المجالس والاندية العمومية والخصوصية . وكانوا يخطبون وعليةم العمائم ، وهم وقوف في أيديهم المخاصر ، ويعتمدون على الارض بالقسي ويشيرون بالعصى والقنا ، وقد يخطبون وهم جلوس

(\*) انظر في الخطابة الجاهلية كتاب: في الادب الجاهلي لطله حسين ، وتاريخ الاداب العربية لتناينو وتطور الاساليب النثرية لانس المقدسي ، وكتابتنا « الفن ومداهبه في النثر العربي » وكلمة خطيب في دائرة المعارف الاسلامية

على رواحلهم (١) . ومما يدل على تشابه الشعر والخطابة ان الغالب في الشعراء ان يخطبوا والخطباء ان ينظموا ، فيكون الواحد شاعرا وخطيبا . فاذا غلب عليه الشعر سموه شاعرا أو الخطابة سموه خطيبا . والقبائل التي كثر خطباؤها هي غالبا التي كثر شعراؤها . ومن اقوالهم في تاريخ الشعر والخطابة ، ان عبد القيس بعد محاربة اباد تفرقوا فرقتين . فرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وهم من اشعر القبائل ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرّة البادية وفي معدن الفصاحة (٢) . ويدل ذلك على نتائج احتكاك الافكار عند الاختلاط بالاعاجم . ولهذا السبب كثر الخطباء ايضا في اليمن لاختلاطهم بالفرس ، وكان الفرس أهل خطابة مثل العرب

#### موضوعات الخطب

وكان العرب يخطبون بعبارة بليغة فصيحة وهم اميون لا يقرأون ولا يكتبون ، وانما كانت الخطابة فيهم قريحة مثل الشعر . وكانوا يدربون فتياتهم عليها من حداثتهم (٣) لاحتياجهم الى الخطباء في ايفاد الوفود مثل حاجتهم الى الشعراء في حفظ الانساب والدفاع عن الاعراض . ولكنهم كانوا يقدمون الشاعر على الخطيب في الجاهلية ، ولما جاء الاسلام صار الخطيب مقدما لحاجتهم اليه في الاقناع وجمع كلمة الاحزاب . ولكن نظرا لحاجة العرب الى الخطباء في الوفود ، فقد كان خطيب القبيلة عندهم عميدها وزعيمها ، وهو واحد يعدل قبيلة ولسان يعرب عن السنة

اما ايفاد الوفود فقد كان شائعا في تلك العصور ، فكانت دول الروم والهند والصين والفرس يتبادلون الوفود لمبادلة العلاقات او للمفاخرة . ولم يكن للعرب دول تستوفد من قبلها ، ولكن المناذرة ملوك العرب في العراق ناناو يذكرون فصاحة العرب بين يدي الاكاسرة وخصوصا كسرى انوشروان فكان يميل الى مشاهدتهم . فاتفق مرة ابن النعمان خاطبه في ذلك ، فطلب اليه ان يريه واحدا منهم فاستقدم جماعة من خطباء العرب اختار من كل قبيلة اثنين او ثلاثة هم بالحقيقة حكماؤها ووجهائها ، ومنهم اكثر ابن صيفي ، وحاجب بن زرارة من قبيلة تميم ، والحارث بن ظالم ، وقيس ابن مسعود من قبيلة بكر ، وخالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وعامر ابن الطفيل من بني عامر ، وغيرهم . فقدموا على كسرى ، وخطب كل منهم بين يديه خطابا ذكره ابن عبد ربه مفصلا في الجزء الثالث من العقد الفريد (٤)

على أن عرب اليمن وشرقي جزيرة العرب كانوا يقدمون على كسرى

(١) البيان والتبيين ٢٠ ج ٢ و ١٣٩ ج ١  
 (٢) البيان ٤٢ ج ١  
 (٣) البيان والتبيين ٨٨ و ٩٨ ج ١  
 (٤) المظنون أن وفود العرب على كسرى وخطاباتهم بين يديه على هذا النحو الذي رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد من خيال القصاص

للسكوى من عماله هناك ، وكان غيرهم من العرب يفدون عليه بالهدايا من الخيل ونحوها على سبيل الاستجداء كما فعل أبو سفيان والد معاوية . وكانوا يفدون على الامراء من العرب وغيرهم كوفود حسان بن ثابت . على النعمان بن المنذر بالحيرة وعلى آل جفنة في البلقاء . ووفود وجهاء قريش على سيف بن ذي يزن في اليمن بعد انتصاره على الحبشة . . وفدوا عليه للتهنئة بالنصر ، وكان في جملة خطباء ذلك الوفد عبد المطلب جد النبي . ومن هذا القبيل وفود القبائل على النبي بعد ان استتب له الامر ، فقد جاءه من كل قبيلة وجهائها وخيرة بلغائها للدخول في الاسلام أو للاستفهام أو غير ذلك . ومن هذا القبيل ايضا وفود العرب على الخلفاء للتسليم والتهنئة . . كوفود جبلة بن الايهم ، وعمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب ، ووفود أهل اليمامة على ابي بكر وغيرهم مما يطول شرحه

### الخطباء

وجملة القول أن الخطباء كانوا كثيرين في النهضة الجاهلية كالشعراء ، والغالب فيهم ان يكونوا امراء القبائل او وجهاءها او حكماءها . وكان لكل قبيلة خطيب أو أكثر كما كان لها شاعر أو أكثر . واشهر خطباء الجاهلية قس بن ساعدة من بنى اباد وقد ادركه الرسول فرآه في سوق عكاظ على جمل أحمر ، وهو يقول في خطابه : « ايها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت » (٢١) وقد تقدم ذكره بين الشعراء

ومنهم سحبان وائل الباهلي الذي يضرب المثل بفصاحته ، فيقال : « هو أخطب من سحبان وائل » وكان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ . ومنهم جماعة كبيرة من حمير كدويد ابن زيد ، وزهير بن جناب . ومرثد الخير ، وغيرهم من سائر القبائل كالحارث بن كعب المدحجي ، وقيس بن زهير العبسي ، وذى الاصبع العدواني ، واكثم بن صيفي التميمي ، وعمرو بن كاثوم ، وغيرهم

وكانوا يتخبرون في خطبهم الالفاظ الرقيقة والمعاني المألوفة . وكانت خطبهم على ضربين : الطوال ، والقصار . والقصار أكثر عددا لانهم كانوا يفضلونهم لسهولة حفظها . وكانوا لشدة عنايتهم بالخطب يتوارثونها ويتناقلونها في الاعقاب ويسمونها بأسماء خاصة كالعجوز ، خطبة لال رقية ، والعدراء خطبة قيس بن خارجة ، والشوهاء خطبة سحبان (٢)

وتجد أمثلة من خطب الجاهلية أو اثناء الفتوح في كتب الادب ، ولا سيما العقد الفريد لابن عبد ربه ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والاغاني ونهج البلاغة ( خطب على ) وفي كتب المغازي والفتوح كفتوح الشام لابي اسماعيل المصري ، وفتوح الشام للواقدي ، وفتوح البلدان للبلاذري ، والسيرة النبوية لابن هشام ، وتاريخ الطبري ، وابن الاثير ، وغيرها

## ١١ - الانساب في الجاهلية (\*)

للانساب، في عصور الجاهلية عند الامم القديمة شأن كبير ، اذ يكون للناس عناية عظمى في حفظ انسابهم للتناصر على الأعداء أو للتفاخر بالآباء . وقد بالغ اليونان في ذلك حتى حفظوا انساب آلهتهم وكيفية تسلسلها بعضها من بعض ، ثم نسبوا أنفسهم اليها فلم يكن في جاهلية اليونان اسرة كبيرة من الاشراف ورجال السلطان الا وحبل نسبها يتصل ببعض تلك الالهة . وقد نظم بعضهم الاشعار للتفاخر بذلك قبل المسيح ببضعة قرون . وكذلك كان الرومان في اقدم أجيالهم . . فالطبقة التي تعرف عندهم بالبطارقة ، كانوا يدعون الانتساب الى آباء أعلى طبقة من البشر

### نسب العرب

العرب العدنانيون من حيث انسابهم يرجعون في أصل آبائهم الاولين الى اسماعيل بن ابراهيم ، والقحطانيون ينتسبون الى يقطان بن عابر . وقد زادت عناية العرب بالانساب رغبة في التناصر على الغرياء . وقد رتب انساب العرب في ست مراتب او طبقات ، اولها : الشعب ، ثم القبيلة ، فالعمارة ، فالبطن ، فالفخذ ، فالفضيلة . فالشعب هو النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان ، ثم القبيلة وهي ما انقسمت فيها انساب الشعب مثل ربعة ومضر ، ثم العمارة وهي ما انقسمت فيها انساب القبائل مثل قريش وكنانة ، ثم البطن وهو ما انقسمت فيه انساب العمارة مثل بنى عبد مناف ، وبنى مخزوم ، ثم الفخذ وهو ما انقسمت اليه انساب البطن مثل بنى هاشم ، وبنى أمية ، ثم الفضيلة مثل بنى ابي طالب ، وبنى العباس (١) . وبالغ العرب في الرجوع الى الاجداد حتى رجعوا بأسماء المدن الى أسماء بعض أجدادهم . والغالب أن ينتهي النسب بأحد آباء التوراة . . فاذا سئل احدهم مثلاً عن الاندلس من بناها ، قال : « بناها اندلس بن ياقث بن نوح » (٢) وكان النسابون يحفظون أسماء القبائل وما يتفرع منها حفظاً دقيقاً ، فاذا عرض لهم رجل فقال : انا من بنى تميم مثلاً انسبني ، فانه يبدأ من قبيلة تميم وما تفرع منها من العمائر والبطون والافخاذ حتى ينتهي الى الفضيلة ، ومنها الى والد السائل او اليه هو نفسه وكثر النسابون في الجاهلية ، ولم تخل قبيلة أو عمارة أو بطن من تسابة . ومن اشهرهم دغفل السدوسي من بنى شيبان ، وعميرة ابو ضمضم ، وابن لسان الحمرة من بنى تيمم اللات ، وزيد بن الكيس النمرى ، والنخار بن أوس القضاعي ، وصعصعة بن صوحان ، وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان وغيرهم (٣) ، وظل النسب محفوظاً في صدر الاسلام ، واشتهر كثير من النسابين ، فلما آلت الدولة الى الموالى والمصطنعين صار الناس ينتسبون الى مواليتهم ومصطنعيتهم

(\*) انظر في الانساب كتاب دراسات اسلامية لجولدسبير جزء اول ص ١٧٧. وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على جزء رابع ومصادره

(٢) ابن خلكان ١٤ ج ١

(١) الماوردي : الاحكام السلطانية ١٩٤

(٣) بلوغ الارب ١٩٦ ج ٣ والبيان ١١٨ ج ١

## ١٢ - الاخبار أو التاريخ في الجاهلية

لم يكن عند عرب الجاهلية تاريخ من قبيل ما نفهمه من هذه الكلمة اليوم ، ولكنهم كانوا يتناقلون اخبارا متفرقة بعضها حدث في بلادهم ، والبعض الآخر نقله اليهم الذين عاشروهم من الامم الاخرى (✽) . فمن امثال اخبارهم حروب القبائل المعروفة بأيام العرب ، وقصة سد مأرب واستيلاء ابي كرب تبار اسعد على اليمن وبعض من خلفه ، وملك ذى نواس ، وقصة اصحاب الاخدود وفتح الحبشة لليمن ، وقصة اصحاب الفيل وقدمهم الى الكعبة وحرب ذى يزن الحميري الى آخر ما انتهى اليه امر الفرس في اليمن ، وقصة عمرو بن لحي واصنام العرب وحكاية جرهم ودفن التماثيل في زمزم ، وتاريخ الكعبة الى ايام قصي بن كلاب ، وولاية الحج ، وامر عامر بن الظرب ، ثم ما كان من تغلب قصي على امر مكة ، وقصة حلف المطيبين وحلف الفضول وحفر بئر زمزم وحرب الفجار وحديث بنيان الكعبة . . . غير اخبار عاد وثمود وغيرهما من العرب البائدة ، وحكاية بلقيس وسليمان ونحوهما من اخبار التوراة وغير ذلك من الاخبار التي كان العرب يتناقلونها عند ظهور الاسلام

## ١٣ - الاسواق ومجالس الادب في الجاهلية

### ١ - اسواق العرب

السوق مكان يجتمع فيه اهل البلاد أو القرى في اوقات معينة ، يتبايعون ويتداولون ويتقايضون . ولا تزال امثال هذه الاسواق تقام الى اليوم في القرى أو في البلاد البعيدة عن التمدن الحديث ، على أن في بعض المدن الكبرى كالقاهرة مثلا اسواقا تنعقد في بعض ايام الاسبوع وتعرف بها ، كسوق السبت أو السبئية وسوق الثلاثاء أو الاربعاء . . فيجتمع اليها الناس من الضواحي للبيع والشراء

ومن هذه الاسواق ما ينعقد كل اسبوع ، ومنها ما لا ينعقد الا مرة في الشهر أو في السنة ، ومنها ما ينعقد مرة في بضع سنين . فان للهند سوقا يقيمونها في هرदार على ضفاف الكنج كل سنة ، ويبلغ عدد المجتمعين هناك في الموسم ٣٠٠٠٠٠ نفس . ويقيمون في ذلك المكان حجا مرة كل ١٢ سنة ، يبلغ عدد الحاجين اليه نحو مليون نفس ، وهو اكبر اسواق العالم . وامثال هذه الاسواق كثيرة في روسيا وتركيا والمانيا . وفرنسا وانجلترا وأمريكا . ففي روسيا سوق تقام في مدينة نوفكروود مرتين

(✽) اكثر ما تداوله العرب عن الجاهلية الاولى لبلادهم يعد من قبيل الاساطير ، وقد استطاع المستشرقون في العصر الحديث أن يكتبوا تاريخ العرب كتابة علمية ، تعتمد على النقوش التي وجدوها منشورة في اليمن وفي الشمال ، كما تعتمد على التوراة والكتب العبرانية والسورانية واليونانية والرومانية . وبذلك دونوا التاريخ الجاهلي تدوينا صحيحا . انظر في ذلك تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ، الفصل الاول من الجزء الاول

فى السنة ، يبلغ عدد الذين يؤمنونها ١٢ر٠٠٠ نفس يجتمعون هناك من سائر بلاد روسيا ومن شرقى أوروبا . ويقدرون قيمة ما يباع من البضائع فى أسواق روسيا بنحو ١٢ر٠٠٠ر٠٠٠ روبل فى العام ، وقس على ذلك سائر الاسواق الكبرى

وقد كان كثير من امثال هذه الاسواق فى العالم القديم ، ولكن الاقوام لا تتزاحم فيها الا اذا كان الغرض من الاجتماع حجا دينيا . فاذا اجتمع الناس فى مكان الحج وتكاثروا ، احتاجوا الى من يبيعهم الاطعمة والاشربة وغيرها فتقام الاسواق لهذه الغاية ، كذلك كان شأن العرب فى سوق عكاظ وغيرها من أسواق الجاهلية

وكان للعرب فى الجاهلية اسواق يقيمونها فى أشهر السنة ، وينتقلون من أحداها الى الأخرى . . يحضرها العرب من قرب منهم ومن بعد ، فاذا فرغوا من سوق انتقلوا الى سواها . فكانوا ينزلون دومة الجندل فى أعلى نجد أول يوم من شهر ربيع الأول ، فيقيمون فيها الاسواق للبيع والشراء والاخذ والعطاء ثم ينتقلون الى سوق هجر . . فيقيمون هناك شهرا ويرتحلون منها الى عمان حيث يقيمون سوقا ثم يرتحلون الى حضرموت فعدن ، وبعضهم ينزل صنعاء فيقيمون بعض اسواقهم ثم يرتحلون الى عكاظ فى الأشهر الحرام . وكانت لهم أسواق أخرى فى صحار والشحر والمجنة وحباشة والمشقر وغيرها (١)

وأشهر أسواق عرب الجاهلية سوق عكاظ، وهى مكان بين الطائف ونخلة، صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل الا ما كان من الانصاب التى كانت لاهل الجاهلية ، وبها من دماء البدن ، كالارحاء العظام (٢) . . فكانت العرب اذا قصدت الحج اقامت بهذه السوق من أول ذى القعدة ، يبيعون ويشترون، الى عشرين منه ، ثم يتوجهون الى مكة فيقضون مناسك الحج ثم يعودون الى أوطانهم . وكان كل شريف انما يحضر سوق بلده الا سوق عكاظ ، فانهم كانوا يتوافدون اليها من كل ناحية ، ومن كان له أسير سعى فى فدائه هناك ، ومن كانت له حكومة ارتفع الى الذى يقوم بأمر الحكومة فى ايام الموسم وهم أناس من تميم . ومن كان له ثار على أحد ولم يعرف مكانه ، طلبه فى المواسم . . واذا أراد أحد أن يعمل عملا تعرفه العرب أو يشهدها فيه ، عمله فى عكاظ (٣) واذا أراد أن يفاخر احدا على مشهد من الناس فاخره هناك . وكانوا يتفاخرون حتى فى المصائب ، كما تقدم عن معازمة الخنساء وهند بنت عتبة

ويهمنا فى هذا المقام أن العرب كانوا يفتنمون وقت المواسم واجتماع القبائل وقيامون مجالس للبحث فى كل موضوع كالمناشدة والمفاخرة ، فينشد الشعراء ويخطب الخطباء . . فيختارون كبيرا من وجهائهم يجعلونه حكما فيما يختلفون فيه . وكان النابغة الذبياني اذا أتى سوق عكاظ فى الموسم

ضربوا له قبة حمراء من ادم ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها (١) ليحكم فيها . ويقال انهم كانوا اذا أعجبتهم قصيدة علقوها في الكعبة ، ومنها المعلقات السبع

رشأن العرب في ذلك شأن اليونان القدماء في الجمناسيوم ، وهي أبنية كانوا يجتمعون فيها للالعاب البدنية وفيهم الفلاسفة والعلماء . . فكانوا يفتنمون فرصة وجودهم هناك ويتباحثون ويتناظرون ويتنافرون كما كان يفعل العرب في عكاظ (٢) . ولا يخفى ما في ذلك من تمحيص الحقائق واستحثاث القرائح ، فضلا عما كان يترتب على ذلك الاجتماع من تنقيح اللغة ونموها . . فان قريشا كانوا يسمعون لغات القبائل في أثناء تلك الاجتماعات ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا افصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ كالكشكشة والكسكسة والنعنة والفحفة والوكم والوهم والعجيجة والاستنطاء وغير ذلك من العيوب في لغات الامم الاخرى (٣)

## ٢ - مجالس الأدب

وكان للعرب مجالس يجتمعون فيها لمناشدة الاشعار ومبادلة الاخبار والبحث في بعض شؤونهم العامة . وكانوا يسمون تلك المجالس الاندية ، ومنها نادي قريش ودار الندوة بجوار الكعبة . وكان لكل بيت فناء بين يديه للاجتماع (٤) ، ولكل قوم مجتمع عام في المضارب (٥) ، على انهم كانوا حينما اجتمعوا تناشدوا وتفاخروا

وتجد اخبار أسواق العرب وأماكنها في جملة التاريخ الجاهلي . وفي كتب الاقاليم والمعاجم الجغرافية ، وخصوصا معجم البلدان لياقوت الحموي ، ومعجم ما استعجم للبكري ، وصفة جزيرة العرب للهمذاني ، وكلها مطبوعة . فضلا عما جاء من اخبارها في الاغانى ٩ ج ١ و ٦١ ج ٢ و ٢٢ و ١١٠ و ١٣٦ ج ٤ و ٩٢ ج ٦ و ٤٦ ج ٧ و ١٠ ج ٩ و ١٢ و ٢٩ و ١٤٨ ج ١٠ و ٥٤ ج ١٢ و ١٤١ ج ١٣ و ٤١ ج ١٤ و ٧٣ ج ١٩ . وفي السسير النبوية وغيرها (\*)

(٢) Lit. Gr. 132  
(٤) الاغانى ٥٢ ج ٢

(١) الشعر والشعراء ١٩٧  
(٣) المرهر ١٠٩ ج ١

(٥) ١٢٩ ج ١١

(\*) أنظر أيضا في أسواق العرب تاريخ اليعقوبي « طبع لندن » ج ١ ص ٣١٢ وما بعدها ، والحبر لابن حبيب « طبع حيدر اباد » ص ٢٦٣ وما بعدها

# العلوم الطبيعية

## ١ - الطب

الطب من جملة العلوم التي اشتهر بها الكلدان كهنة بابل ، ويقال انهم اول من بحث في علاج الامراض . . فكانوا يضعون مرضاهم في الارقة ومعابر الطرق حتى اذا مر بهم أحد أصيب بذلك الداء أخبرهم بسببه شفائه ، فيكتبون ذلك على ألواح يعلقونها في الهياكل . ولذلك كان التطبيب عندهم من جملة أعمال الكهان . وعن الكلدان أخذت سائر الامم القديمة ، وفي جملتها العرب . وهو متشابه عند الامم ، في مصر وفينيقية وأشور . وكان لمصر شأن خاص فيه . ثم تناوله اليونان فأتقنوه ورتبوا أبوابه ، وعنهم أخذ الرومان والفرس . ونظرا لمعاصرة العرب لهذه الدول فقد اقتبسوا شيئا من طبها اضافة الى ما جاءهم به الكلدان ، الى ما استنبطوه من عند انفسهم بالاختبار . فتألف من ذلك ما عبرنا عنه بالطب في الجاهلية . ولا يزال كثير منه الى اليوم في قبائل البادية . وكان للتطبيب عندهم طريقتان : الاولى طريقة الكهان والعرافين ، والثانية طريقة العلاج الحقيقية . فالكهان كانوا يعالجون بالرقى والسحر او بذبج الذبائح في الكعبة والدعاء فيها أو بالتعزيم او نحو ذلك

وكان التطبيب بالرقى شائعا في الامم القديمة كلها ، وقد وجدوا في الآثار المصرية كثيرا من العزائم التي كانوا يصفونها لمعالجة المرضى . وجاء في أخبارهم أن كاهنهم كان اذا سار لمعالجة مريض صحبه خادمان أحدهما يحمل كتاب العزائم ، والثاني يحمل صندوق العقاقير الطبية وهم يعالجون بالاثنين معا . وكانوا يوجهون كلامهم في العزيمة او الرقية الى حد آلهتهم وخصوصا ايزيس وأوزيريس ورع ، ولهم عبارات يقولونها عند وضع الادوية وعند تناولها للمريض . فتمن امثلة العزائم التي كانوا يتلونونها عند تناول الدواء : « هذا هو كتاب الشفاء لكل مريض ، فهل لايزيس أن تشفيني كما شفت حوريس من كل ألم أصابه من ست حينما قتل أباه ، أوزيريس ؟ فيا ايزيس أنت الساحرة الكبيرة اشفيني وخلصيني من كل شيء مكردرديء شيطاني ومن أمراض اللبسة والامراض القاتلة والخبيثة بأنواعها التي تعتريني كما خلصت ابنك حوريس . . . » (١) وكان عندهم عزائم لاخراج الارواح الشريرة التي تسبب الامراض في زعمهم



فعلى هذه الكيفية كان العرب يتلون العزائم لاصنامهم ويرقون لاجراج الجان أو الشياطين . وكان اعتقادهم من هذا القبيل انهم اذا خافوا وباء نهقوا نهيق الحمير ، يزعمون أن ذلك يمنعهم من الوباء وأن شرب دماء الملوك يشفى من الخبل

وأما معالجتهم بالعقاقير فشيبة بما كان عند المصريين وغيرهم من الامم القديمة ، فقد كانوا يعالجون بالعقاقير البسيطة أو الاثرية وخصوصا العسل . . فانه كان قاعدة العلاج في أمراض البطن ، على أن اعتمادهم في معالجة الامراض كان معظمه عائدا الى الجراحة كالحجامة والكى . ومن اقوالهم : « كل داء يحسم بالكي آخر الامر . . وآخر الطب الكى » . وكثيرا ما كانوا يعالجون بالقطع أو البتر ، والغالب أن يكون ذلك بالنار . . فان النار عندهم كانت تقوم مقام مضادات الفساد عندنا . فاذا أرادوا فصل عضو حموا شفرة بالنار وقطعوه بها كما فعلوا بصخر بن عمرو أخى الخنساء لما نتأت قطعة من جوفه مثل الكبد على أثر طعنة ، فاحموا له شفرة وقطعوها (١) وكانوا يعالجون الحول في البصر بادامة النظر الى حجر الرحي في دورانه ، ويزعمون أن العين تستقيم به . ومن معالجتهم التي نعدها اليوم خرافة ان المجروح اذا شرب الماء مات (٢) واذا خافت المرأة حتى برد قلبها سقوها ماء حارا (٣)

## ٢ - الاطباء

واما الاطباء فقد كانوا في اول الامر من الكهنة ، ثم تعاطى الطب جماعة العرب ممن خالطوا الروم والفرس ، وأخذوا الطب عنهم ، فاشتهروا بهذه الصناعة وأكثرهم من أهل النهضة الاخيرة قبل الاسلام حوالى القرن السادس للميلاد . . على أن بعضهم أقدم من ذلك كثيرا ، واقدم اطباهم لقمان وهو حكيمهم وفيلسوفهم . وفي أصله زمن وجوده اختلاف . يلبه رجل من تيم الرباب يقال له ابن حزيم ويضربون به المثل بالحدق في الطب ، فيقولون لمن أرادوا وصفه بذلك : « أظب من ابن حزيم » وفيه يقول أوس بن حجر :

فهل لكم فيها إلى فانتى بصير" بما أعياك النطاسي" حزيما  
ومن أحدث اطباء الجاهلية الحارث بن كلدة ، توفى سنة ١٣ للهجرة . وهو من بنى ثقيف من أهل الطائف ، رحل الى أرض فارس وأخذ الطب من جنديسابور وتعاطى صناعة الطب هناك واكتسب مالا ثم عاد الى بلاده وأقام في الطائف . ونال شهرة واسعة وقد أدرك الاسلام ، وكان الرسول يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه . ومنهم ابن ابى رومية التميمي والنضر بن الحارث بن كلدة

(٢) الاغانى ١٣١ ج ١٤

(١) الاغانى ١٣٧ ج ١٣

(٣) الاغانى ٣٢ ج ١٠

واكثر هؤلاء اطباء ثقفوا الطب من بلاد الفرس او الروم ، وبعضهم أخذه عن الكهان او الاحبار من الاديان ونحوها . وربما اخذوا عنهم شيئاً من الفلسفة القديمة كما فعل النضر المذكور . والظاهر أن بعضهم كان يخصص نفسه للاعمال الجراحية فيغلب عليه لقب الجراح ، وأشهر جراحي الجاهلية ابن أبي رومية التميمي المتقدم ذكره ، فقد كان جراحاً مزاولاً لأعمال اليد

ويؤخذ مما حوته اللغة العربية قبل الاسلام من أسماء العلل والأمراض والعقاقير ، أن العرب عرفوا كثيراً من الأمراض ومعالجتها (١) وناهيك بما عرفوه وتوسعوا فيه من احوال الاعضاء وأوصافها وهو من قبيل علم التشريح ، وهم يعبرون عنه بخلق الانسان . وقد ألف أدباء المسلمين كتباً كثيرة في هذا الموضوع نقلوا عن العرب سيأتي ذكرها بين مؤلفات اهل اللغة . والتأمل فيما حوته من أسماء الاعضاء وأوصافها يتبين له أن أولئك الجاهليين كانوا على معرفة بتشريح الاعضاء ، لان عندهم لكل عضو اسماً ووصفاً من الرأس وما يتركب منه وما له من الصفات ، الى الشعر وأقسامه وألوانه . . فالاذن وما تتركب منه وأقسامها . . فالوجه وما تتركب منه . . فالحاجب وانواعه وما يحمد منه وما يذم . . والعين واصنافها وطبقاتها ومجاري دمعها ، وغير ذلك مما اشتملت عليه . والانف وما تتركب منه وبيان أقسامه . والفم وما تتركب منه . والاسنان وعددها وأسماء اصنافها وأجزائها ومنابتها . واللسان وما اشتمل عليه من الاجزاء والعظام التي في اسفله . والحلق وبيان ما فيه من اللفايد والحنجرة والفلسمة والبلعوم والحلقوم . واللحيين ، وبيان محلها وأسماء ما تتركب منه . واللحية وأسماء أجزائها وأقسامها وألوانها وسائر اوصافها . والعنق وما تتركب منه . والمنكب والكتف وما اشتملا عليه . واليد وما تتركب منه من العظام والاعصاب والعضلات والعروق ، وما وضع لذلك من الاسماء . والاصابع وأسمائها وأجزائها . والظفر وأقسامه وأسمائه . والصدر وما تتركب منه . والجنبان وعدد اضلاعهما ، وأسمائها ، وما يلحق ذلك . والبطن وما حوى ، وكذلك سائر الاعضاء . وقد توسعوا في بعضها حتى وضعوا لكل عضو عدة أسماء وتجدتفا من الطب الجاهلي في العقد الفريد والاغاني والكشكول وحياة الحيوان وسواها من كتب الادب وغيرها ، ويستخرج شيء كثير من أشعارهم

(١) ينبغي ألا نبالغ في معرفة عرب الجاهلية بالطب ، فان ما كان عندهم من ذلك لا يتجاوز ملاحظات أولية بسيطة ، وفي ذلك يقول ابن خلدون في مقدمته : « للبادية من اهل العمران طب ينونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص ، متوارثة عن مشايخ الحي وعجائزه ، وربما يصح منه البعض ، الا أنه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج . وكان عند العرب من هذا الطب كثير ، وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث ابن كلدة وغيره »

### ٣ - البيطرة والخييل وعلوم طبيعية أخرى (\*)

وكان للعرب معرفة حسنة في شئون الخييل وأحوالها لم يسبقهم اليها سواهم ، لعنايتهم بأفراسهم ويعبرون عنها بالبيطرة . ونبغ فيهم غير واحد من أطباء الحيوان ، منهم العاص بن وائل . وظلت هذه المعرفة تتناقل في أفراد منهم الى اليوم ، وهم يجولون في البادية يعالجون الخييل معالجة الحاذقين . وروى عنهم الرواة في صدر الدولة العباسية ، ووضعوا الكتب فيما جمعه من هذا العلم . وخصص الالوسي صاحب بلوغ الارب فصلا في هذا الموضوع بالجزء الثالث من كتابه ، ذكر فيه كثيرا من عيوب الخييل وما يستحب منها نقلا عن كتاب الخييل لابي عبدالله الاسكافي وقد ألف الادباء كثيرا من الكتب في الخييل ، وهي ترمى الى نحو هذا الغرض وتعد من كتب اللغة سيأتي ذكرها ومن المعارف الطبيعية التي توصلوا اليها :

أولا - استنباط الماء ويسمونه الريافة ، فانهم كانوا يعرفون وجود الماء في مكان بشم التراب أو برائحة بعض النباتات أو نحو ذلك

ثانيا - الاهتداء في البراري بأمارات يعرفونها بالآثرية أو بالنجوم  
ثالثا - نزول الغيث وهو من قبيل الظواهر الجوية

رابعا - الملاحظة وقد اضطروا الى معرفتها لاسفارهم الى الهند والحيشة للاتجار من عهد دول اليمن . ونجد أمثلة من معارفهم هذه في الجزء الثالث من كتاب بلوغ الارب في أحوال العرب للالوسي ، وهو المطبوع في بغداد سنة ١٣١٤

### ٤ - الانواء ومهاب الرياح

ويراد بالانواء عندهم ما يقابل علم الظواهر الجوية عندنا مما يتعلق بالمطر والرياح ، ولكنهم كانوا ينسبون الظواهر المذكورة الى طلوع الكواكب أو غروبها . ولذلك كان علم الانواء فرعا من علم النجوم ، وكانوا يسمون طلوع المنزلة نوعها أي نهوضها وسموا تأثير الطلوع بارحا وتأثير السقوط نوعا . ومن طلوع كل واحدة منها الى طلوع التي تليها ثلاثة عشر يوما سوى الجبهة ، فان بين طلوعها وطلوع التي تليها ١٤ يوما . ومن أقوالهم في ذلك :

والدهر فاعلم كله أرباع لكل ربع واحد أسباع  
وكل سبع لطلوع كوكب وتوء نجم ساقط في المغرب

(\*) انظر أيضا البيطرة عند الاعراب في مجلة الشرق ج أول عام ١٨٩٨ للاب انستاس الكرملي . ويظن هل Cf. Heil كاتب مادة بيطرة في دائرة المعارف الاسلامية انه كان في العصر الجاهلي بباطرة جوالون ، نرحوا من الامبراطورية البيزنطية وبلاد الشام الى الجزيرة العربية

ومن طلوع كل نجمٍ يطلعُ الى طلوع ما يليه أربعٌ  
من الليالي ثم تسعٌ تتبع

ثم اختلفوا فيها ، فزعم بعضهم أن كل تأثير يكون بعد طلوع منزلة الى طلوع التي تليها فهو منسوب اليها . وزعم آخرون أن لطلوع كل واحدة وسقوطها مقداراً من الزمن ينسب اليها ما يكون فيه ، فاذا انقضت تلك المدة لم ينسب اليها ما يكون بعدها . وكانوا اذا تحقق التأثير فلم يظهر منه شيء في تلك الأزمنة قالوا : خوى النجم أو خوت المنزلة يعنون بذلك انه مضت مدة نوء ولم يكن فيه مطر أو حر أو برد أو ريح (١) ومن امثالهم « أخطأ نوؤك » يضرب لمن طلب حاجة فلم يقدر عليها (٢)

وكانوا اذا أمطرت السماء نسبوا المطر الى تأثير النجم المتسلط في ذلك الوقت ، فيقولون مثلاً مطرنا بنوء المجرة أو هذا نوء الخريف ومطرنا بالشعري . وقالوا : ان النوء سقوط نجم ينزل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبته في الشرق من أنجم المنازل ، ولذلك كانت الانواء ٢٨ نوءاً أو نجماً ، كانوا يعتقدون أنها هي علة الامطار والرياح والحر والبرد . وفي أشعارهم أمثلة كثيرة تدل على علاقة أحوال الجو أو فصول السنة باقتترات الكواكب أو طلوعها ، وقد نظموها شعراً ليسهل حفظها على الناس لقلة الكتابة عندهم ، ومن ذلك قولهم :

إذا ما قارن القمر الثريا  
وقول الآخر :

إذا ما البدر تمَّ مع الثريا  
وقول الآخر :

إذا ما قارن الدبران يوماً  
فقد حَفَّ الشتاء بكل أرض  
وحكَّت في السماء البدر حتى  
وذلك في انتصاف الليل شطراً  
وقول الآخر :

إذا ما هلال الشهر أول ليلة  
أتتك رياح القر من كل جهة  
بدا لعيون الناس بين النعائم (٣)  
وطاب قبيل الصبح كور العنائم

(٢) مجمع الامثال للميداني ٢٠٢ ج ١

(١) الانار البانية للبيروني ٣٢٩  
(٢) النعائم : من منازل القمر

وقول الآخر :

وقد برد الليلُ التمامُ بأهله وأصبحت العواءُ للشمس منزلا (١)  
 وكان عندهم لمطلع كل كوكب أو منزل وصف يدل على تأثير ذلك في  
 الطقس على اعتقادهم . ومن هذا القبيل اعتقادهم تأثير النجوم في أعمال  
 البشر على ما كان عند الكلدان ، (٢) على أنهم كثيرا ما كانوا يستدلون على  
 المطر أيضا بألوان الغيوم وأشكالها فأقل الغيوم مطرا عندهم البيضاء ثم  
 الحمراء ثم السوداء . ومن أقوالهم : « السحابة البيضاء جفل والحمراء  
 عارض والسواد هطلة » (٣)

وكان العرب في حاجة الى معرفة مهاب الرياح للاهتداء في أسفارهم ،  
 ولذلك فقد وضعوا لها الاسماء . . ولكنهم اختلفوا في عدد جهاتها فحسبها  
 بعضهم ستة والبعض الآخر اربعة . فهي عند أصحاب القول الثاني : ١ -  
 مهب الصبا من الشمال ٢ - مهب الشمال من الغرب ٣ - مهب الدبور من  
 الجنوب ٤ - مهب الجنوب من المشرق . ويزيد عليها اصحاب القول الاول  
 النكباء بجانب الشمال والمحوة بجانب الجنوب ، واليك قول ذى الرمة في  
 ذلك : (٤)

أهاضيبٌ أنواءٍ وهيفان جربنا على الدار أعرافَ الحبال الأعافرِ  
 وثالثة تهوى من الشام حرّ جف لها سننٌ فوق الحصى بالأعاصر  
 ورابعة من مطلع الشمس أجفلت عليها بدقّعاء المعافقراقر  
 فحسنت بها النكب السواقي فأكثرت حين اللقاح القاربات العواشر (٤)  
 وتجد أمثلة من هذا الموضوع فيما يأتي ذكره من الكتب التي تبحث في  
 الفلك

(١) البيروني ٣٣٧ . والعواء : من منازل الشمس والقمر

(٢) Rawlinsons Ancient Monarchies .111.425.

(٣) الميداني ١٠٦ ج ٧

(٤) الفريب في هذه الابيات : أهاضيب : امطار ، وهيفان . جمع هيف وهي الريح الحارة ،  
 والحبال : الرمل ، واعرافها : أعاليها ، والاعافر : الحمر ، ثالثة : ريح شمال باردة ، حر جف  
 شديدة ، سنن : طريق ، الاعاصر : جمع اعصار ، الرابعة هنا : الصبا ، أجفلت ، تحركت  
 واسرعت ، دقعاء : غبار ، والمعاقراقر : موضعان ، النكب : رياح تهب منحرفة ، السواقي :  
 تسقى التراب ، اللقاح : التي ولدت ، القاربات : يريد من الماء ، العواشر : التي ترد العشر  
 (٤) البيروني ٣٤٠

# العلوم الرياضية

## ١ - الفلك والنجوم

معظم هذه العلوم دُخِل على العرب ، اقتبسوه من الامم الاخرى ممن هاجر اليهم وقام بين ظهرانيهم او التقوا بهم في أسفارهم ، وأكثر اخذهم عن الكلدان . فقد اخذوا عنهم علم النجوم وتعلموا منهم مواقع الابراج . ومناطقها ومنازل القمر والشمس . وربما كان لهم علم بشيء من أحكامها من عند انفسهم أو مما وصل اليهم من طريق الهند او غيرها . ولكن يقال بالاجمال ان العرب مدبنون بعلم النجوم للكلدان ، وهم يسمونهم الصابئة . والصابئة ان لم يكونوا الكلدان انفسهم ، فهم خلفاؤهم او تلاميذهم . (١) وكان الصابئة كثيرين في بلاد العرب ، ولهم مثل منزلة النصارى ، فأخذ العرب عنهم علم النجوم باصطلاحاته وأسمائه ، وان كان معظم اسماء السيارات لا يرد الى أصله الكلدانى . . وربما كان له أسباب عارضة ضاعت أخبارها

على أن بعضها لا يزال أصله الكلدانى ظاهرا فيه كالمريخ مثلا ، فانه يقابل « مرداخ » الكلدانية لفظا ومعنى . ولكن معظم تلك الاسماء قد ضاعت المشابهة اللفظية بينها ، وبقيت المشابهة المعنوية . فان « زحل » معناه في العربية الارتفاع والعلو ، وهى نفس دلالة « كاون » اسم هذا السيار في الكلدانية . وأما الابراج ومنازل القمر فلا تزال كما كانت عند الكلدان لفظا ومعنى . واليك أسماء الابراج عند كليهما :

اسماؤها الكلدانية	اسماؤها العربية	اسماؤها الكلدانية	اسماؤها العربية
ماسانا	الميزان	امرا	الحمل أو الكبش
عقربا	العقرب	ثورا	الثور
قشتا	القوس او الرامى	نامى	الجوزاء او التوأمن
كدبا	الجدى	سرطان	السرطان
دولا	الدلو	اربا	الاسد
نونا	الحوت او السمكة	شيلتا	السنبلة

وأما منازل القمر والشمس ، فقد تبدل بعض اسمائها على نحو ما أصاب السيارات . ولكن العبرة بالأكثر في قواعد هذا العلم ومصطلحاته ، فإنها عند العرب كما كانت عند الكلدان تماما حتى لفظ « منازل القمر » و « منازل الشمس » فان هذا التعبير هو نفس ما كان يعبر به الكلدان عن هذه المنازل . وقد أبدلته الامم الأخرى التي أخذت هذا العلم عن الكلدان بتعبير آخر الا العرب والعبرانيين

ومعرفة العرب بالنجوم مشهورة ، فقد رأيت أنهم عرفوا السيارات والأبراج ، وعرفوا عددا كبيرا من الثوابت . ولهم في ذلك مذهب يختلف عن مذاهب المنجمين في الامم الأخرى (١) . وفي قدم أسماء تلك النجوم في العربية دليل على قدم معرفة العرب بها وبمواقعها مثل : بنات نعش الكبرى والصغرى ، والسها ، والظباء ، والربيع ، والرباض ، والعوائد ، والذئبين ، والنثرة ، والفرد ، والقدر ، والراعى ، و كلب الراعى ، والاغنام ، والرامح ، والسماك ، وعصا الضياع ، وأولاد الضياع ، والسماك الرامح ، وحارس السماء ، والافطار ، والفوارس ، والكف المخضب ، والخباء ، والعيوق ، والعنز ، والجديين ، وغيرها

أما منازل القمر ، فقد قسموها الى ثمانية وعشرين قسما خلافا لما كان عند الهنود فإنها ٢٧ قسما عندهم . وأراد العرب منها غير ما أراده أولئك ، إذ كان مرادهم منها معرفة أحوال الهواء في الأزمنة وحوادث الجو في فصول السنة ، لأنهم كانوا أميون فلم يتمكنهم معرفتها الا بشيء يعاين فأشاروا اليها بالكواكب كما رأيت في الكلام على الأنواع . واليك أسماء منازل القمر في العربية وهي ٢٨ :

الثريا	الجبهة	الاكليل	سعد السعود
الدبران	الدبرة	القلب	سعد الاخبية
الهقمة	الصفرة	الشولة	الفرغ المقدم
الهنمة	العواء	التعائم	الفرغ المؤخر
الذراع	السماك	البلدة	بطن الحوت
النثرة	الفجر	سعد الذابح	الشرطان
الطرف	الزبانيان	سعد بلع	البطين

وكان العرب إذا علموا المنازل بدأوا بالشرطين لاسباب تتعلق باقليمهم . وقد بالغ المتعصبون للعرب في صدر الدولة العباسية في براعة العرب في علم النجوم . ومن جملة المتعصبين ابن قتيبة ، فقد قال في كتابه « تفضيل العرب على العجم » ان العرب اعلم الامم بالكواكب ومطالعها ومساقطها (٢) . ومع اعترافنا بما في ذلك من المبالغة ، فاننا نستدل منه على توسع العرب في هذا العلم

(١) القزويني على هامش الديمري ٥٠ ج ١  
(٢) البيروني ٢٢٨

ولا غرابة في اتقانهم معرفة النجوم ومواقعها ، فانها كانت دليلاً لهم في أسفارهم وأكثر أحوالهم . . فكانوا اذا سألهم سائل عن الطريق المؤدى الى البلد الفلاني ، قالوا : « عليك بنجم كذا وكذا » فيسير في جهته حتى يجد المكان ، وربما استعانوا على ذلك أيضا بذكر مهاب الرياح يعبرون بها عن الجهات . ومن أمثلة ذلك ان سليك بن سعد سأل قيس بن مكشوح المرادي ان يصف له منازل قومه ثم يصف هو له منازل قومه ، فتوافقا وتعاهدا الا يتكاذبا ، فقال قيس بن مكشوح : « خذ بين مهب الجنوب والصبأ ثب سر حتى لا تدرى أين ظل الشجرة ، فاذا انقطعت المياه قسر أربعة حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق . . فانك ترد على قومي مراد وختعم » فقال السليك : « خذ مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء ، فثم منازل قومي بنى سعد بن زيد مناة » واشتهر في جاهلية العرب في اتقان علم النجوم جماعة منهم : بنو مارية بن كلب ، وبنو مرة بن همام الشيباني (١)

وقد ألف الأدباء في صدر الاسلام كتباً في الأنواع ضاعت . وتجد أشياء متفرقة في كتاب الآثار الباقية للبيروني ، والامثال للميسداني ، وعجائب المخلوقات للقزويني ، وحياة الحيوان للدميري (\*\*) ، وكلها مطبوع ومتداول

## ٢ - الميثولوجيا

ومما يلحق بعلم النجوم أيضا ما يعبر عنه الافرنج بالميثولوجيا ، وهي عبارة عما كانوا يزعمون وقوعه بين الكواكب ، وهي الالهة عندهم ، من الحروب او الزواج او نحو ذلك ، من حوادث البشر على نحو ما ذكروه عن آلهة اليونان . . فالعرب ألهوا الاجرام وعبدوها ، وقد ضاع خبر ذلك لعدم تدوينه (\*\*\*) . على أننا نستدل عليه من بعض ما وصلنا اليه من أسماء أصنامهم وعبادة بعض رجالهم . فالللات أسم للزهرة ، وقد اشتهر كثيرون بعبادتها وعبادة الشمس والقمر والشعري . وكانوا يتناظرون في أفضلية بعضها على بعض ، قالوا : « وابو كبشة اول من عبد الشعري ، وكان يقول الشعري تقطع السماء عرضا ، ولا أرى في السماء شمسا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها » (٢)

أما تشخيص تلك الاجرام وانزالها منزلة البشر ، فقد كان معروفا عند العرب . ومن الاقاصيص الميثولوجية التي كانوا يتناقلونها أن الدبران خطب الثريا وأراد القمر أن يزوجه بها ، فأبت عليه وولت عنه وقالت للقمر : « ما أصنع بهذا السبروت الذي لا مال له ؟ » ، فجمع الدبران قلاصه يتمول بها فهو يتبعها حيث توجهت يسوق صداقها قدامة يعنون القلاص .

(١) البيروني ٢٤١

(\*) انظر في المعارف الفلكية عند عرب الجاهلية ، كتاب علم الفلك عند العرب لثالينو ودائرة المعارف الاسلامية ، ومقدمة ابن خلدون

(\*\*) انظر في ذلك جواد على ج ٥ ص ١٢٠ و ص ٣١٧ وما بعدهما

(٢) الخميس ٦٥ ج ١



وان الجدى قتل نعشا فبناته تدور به تريده . وان سهيلا ركض الجوزاء  
فركضته برجلها فطرحته حيث هو وضربها هو بالسيف فقطع وسطها .  
وان الشعري اليمانية كانت مع الشعري الشامية ففارقتهما وعبرت الحجر  
فسميت الشعري العبور ، فلما رأته الشعري اليمانية فراقها اياها بكت  
عليها حتى غمضت عينها فسميت الشعري الغميصاء (١)  
ومن هذا القبيل تأليههم بعض المشاهير من الملوك أو القواد أو الاسلاف  
واعتبار البعض الآخر من نتاج الملائكة أو الجان . . فعندهم مثلا أن بلقيس  
كانت أمها جنية وأن جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم . وكذلك كان  
ذو القرنين عندهم أمة آدمية وأبوه من الملائكة (٢) ، وأما أصل هذه  
الاعتقادات فاما هندي أو يوناني أو مصري . . أما الكلدان فقلما كانت لهم عناية  
بأمثال ذلك

### ٣ - التوقيت

كان العرب يؤرخون بكل عام فيه أمر مشهور . وأشهر الحوادث التي  
وصلت الينا أخبارها مما أرخوا بها عام الفيل ، أي هجوم الاحباش على  
مكة . وكان ذلك سنة ٣٨ من ملك كسرى أنو شروان . وأرخت قريش  
بموت هشام بن المغيرة المخزومي . وكان عندهم تاريخ يسمى « زمن  
الفتح » وهو أقدم ازمنتهم ، وفيه أقوال لا محل لها هنا (٣)  
وكانت سنتها قمرية واشهرها ١٢ شهرا كما هي الان ، وكانوا يكبسون  
أي يزيدون اياما كل سنة حتى تبقى النسبة محفوظة بين شهورهم وتوالي  
الفصول . ولهم في الكبس طريقة ذكرها البيروني قال : (\*):

« وكذلك كانت العرب تفعل في جاهليتها فينظرون الى فضل ما بين  
سنتهم وسنة الشمس وهو عشرة أيام واحدى وعشرون ساعة وخمس  
ساعة بالجيل من الحساب ، فيلحقون بها شهرا كلما تم منها ما يستوفى أيام  
شهر . ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة أيام وعشرون ساعة ، وتتولى  
ذلك النساء من كنانة المعروفون بالقلامس ، واحدهم قلمس وهو البحر  
الغزير . وهم ابو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن قلع  
ابن حذيفة ، وكانوا كلهم نساء . وأول من فعل ذلك منهم كان حذيفة ؛  
وهو ابن عبد فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وآخر  
من فعله أبو ثمامة

« وكان أخذ ذلك من اليهود قبل ظهور الاسلام بقريب من مائتي سنة ،  
غير أنهم كانوا يكبسون كل أربع وعشرين سنة قمرية بتسعة أشهر . .  
فكانت شهورهم ثابتة مع الأزمنة جارية على سنن واحد لا تتأخر عن أوقاتها  
ولا تتقدم ، الى أن حج النبي عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وأنزل عليه

(١) الميداني ٢١٢ جزء ٢

(٢) الدميري ١٨ ج ٢

(٣) بلوغ الأرب في أحوال العرب ٢١٩ جزء ٢

(\*) انظر في الكبس أو النسء المحبر لابن حبيب ص ١٥٦ وجواد على ج ٥ ص ٢٣٩

السماء وربما عبروا عنه بالهاتف . ومن أقوالهم « الاحبار فى اليهود ،  
والرهبان فى النصارى ، والكهان فى العرب »

فكل ما كان يصنعه الكاهن انما مصدره الغيب ، فاذا استطبه مريض  
من ألم أو صداع عالجه بالرقى ، واذا استشاره فى معضلة خط له فى الرمل  
أو نفث فى العقد . واذا حكمه متخاصمان رمى لهما بالقداح ، واذا  
استطلعه شخص أخذ قممها جعله بين يديه ونفث فيه ونحو ذلك من  
الحركات الوهمية . واذا استفسره عن رؤيا تمت وتظاهر باستطلاع الغيب

قلنا ان الكهانة أتت العرب من بين النهرين ، فالكهان القدماء كانوا فى  
الغالب كلدانيين ( أو صائبة فى قولهم ) وكان العلم عندهم ، ثم ما لبث  
العرب أنفسهم أن أخذوا ذلك عنهم فنشأ الكهان منهم . على أن بعض العرب  
اقتصروا فيما تناولوه على علم دون آخر ، فكان بعضهم يتعاطى الطب فقط  
وبعضهم تعبير الرؤيا أو القيافة أو القضاء

#### الكهان

واشتهر فى بلاد العرب جماعة كبيرة من الكهان والكواهن ، أقدمهم شق  
وسطيح وحكاياتهما أشبه بالخرافات منها بالحقائق . فعندهم ان الاول كان  
شق انسان ( أى نصفه ) بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ، وأن  
سطيحا كان لحما يطوى كما يطوى الثوب لا عظم فيه غير الجمجمة ووجهه فى  
صدره ، ويزعمون أن هذين الكاهنين عاشا بضعة قرون ، الى غير ذلك من  
الاهوام . ومن الكهان الذين تبغوا فى النهضة العربية قبل الاسلام : خنافر  
ابن التوام الحميرى ، وسواد بن قارب الدوسى ، وفيهم من يعرفون بما  
ينسبون اليه من البلاد أو القبائل . . كقولهم كاهن قريش ، وكاهن اليمن ،  
وكاهن حضرموت ، وغيرهم

ويقال نحو ذلك فى العرافين ، واكثرهم ينسبون الى بلدانهم وقبائلهم  
كعراف هذيل ، وعراف نجد ، وأشهرهم عراف اليمامة شهره عروة بن  
حزام بيت قاله فيه - وكذلك الشعراء يشهرون بمدوحهم - وهو قوله :

أقول لعراف اليمامة داوئى فانك ان داوئتنى لطيب

وأما الكواهن من النساء فانهن كثيرات منهن طريقة كاهنة اليمن ، وهى  
أقدمهن . واليهما ينسبون الانذار بخراب سد مأرب واثيان سيل العرم ،  
وزبراء بين الشجر وحضرموت، وسلمى الهمدانية الحميرية، وعفراء الحميرية،  
وفاطمة الخثعمية بمكة ، وزرقاء اليمامة وغيرهن . وينسبون الى القبيلة أو  
المدينة ككاهنة بنى سعد ، يزعمون أنها أقدم عهدا من شق وسطيح وانها  
استخلفتها (١) . وما زالت الكهانة فى العرب حتى جاء الحديث بابطالها  
وهو : « لا كهانة بعد النبوة » (٢)

وكان للكهان عند العرب لغة خاصة تمتاز بتسجيع خصص—وصى يعرف بسجع الكهان مع تعقيد وغموض . ولعلمهم كانوا ينوخون ذلك للتمويه على الناس بعبارات تحتمل غير وجه كما يفعل بعض مشايخ البنجيم في هذه الايام ، حتى اذا لم يصدق تكهنهم جعلوا السبب قصور الناس في فهم الكاهن . ومن أمثلة سجع الكهان ما يروونه عن طريفة كاهنة اليمن حين خاف أهل مأرب سيل العرم وعليهم مزيقياء عمرو بن عامر ، فأتها قالت لهم : « لا تؤموا مكة حتى أقول وما علمنى ما أقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم » قالوا لها : « ما شأنك يا طريفة » قالت : « خذوا البعير الشذقم فحضبوه بالدم تكن لكم أرض جرهم جيران بيته المحرم » (١)

## ٢ - القيافة وغيرها (\*)

ومن قبيل الكهانة أيضا القيافة ، لكنها تختص بتتبع الاثار والاستدلال منها على الاعيان . وهى قسمان : قيافة الاثر ، وقيافة البشر . والاولى تختص بتتبع آثار الاقدام او الحوافر او الاخفاف والاستدلال من آثارها في الرمال أو التراب على أصحابها . والفائدة من ذلك الاهتداء الى الفار من الناس أو الضال من الحيوان ، وقد اتقن العرب ذلك حتى فرق بعضهم بين أثر قدم الشاب والشيخ وقدم الرجل والمرأة والبكر والثيب . وأما قيافة البشر فهى الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما فى النسب والولادة وسائر احوالهما ، وهى من قبيل الفراسة

وكانت القيافة شائعة فى العرب ثم اختصت بعض القبائل بها دون البعض الاخر ، وأشهر العرب بقيافة الاثر بنو مدلج وبنو لهب . ولا تزال هذه القيافة شائعة الى اليوم فى بعض قبائل نجد ، مثل بنى مرة وهم أعلم الناس بها حتى لقد يعرف احدهم الانسان من اثره ، وربما نظر الى اثر بعير فقال هذا بعير فلان . وكثيرون منهم يميزون بين العراقى والشامى والمصرى والمدنى

والفراسة كانت شائعة عند العرب ، وكانت لهم فيها براعة يستدلون بهيئة الانسان واشكاله واقواله على أخلاقه ومناقبه . وهى من قبيل الذكاء وسرعة الخاطر ، وسجية طبيعية

ومن قبيل الكهانة تعبير الرؤيا ، وكان معروفا عند العرب . وكانوا يفتعون الى الكهان فى تفسير الاحلام على ان كثيرين من غير الكهان كانوا يتعاطونها (٢) ومن هذا القبيل زجر الطير وخط الرمل . وقد اغضينا عنهما لضيق المقام

(١) الاغانى ١١٠ ج ١٣  
 (\*) راجع فى القيافة والفراسة والعيافة او الزجر ، وهى التنبؤ بحركات الطيور ، جواد على ج ٥ ص ٣١٧  
 (٢) السيرة الحلبية ٢٩١ ج ١

وتجد أخبار كهاتهم في كتب التاريخ وكتب الادب وخصوصا الاغاني  
والعقد ألفريد وفي السيرة النبوية وكتب التفسير وفي الجزء الاول من  
مروج الذهب للمسعودي والاول من ابي الفداء وفي معجم البلدان لياقوت  
الحموي ومعجم ما استعجم للبكري وحياة الحيوان للدميري وفي كتب الادب  
وغيرها ..

# عصر صدر الإسلام

من ظهور الإسلام الى سنة ٤١ هـ

ظهر الإسلام في جزيرة العرب فشغل أهلها في أثناء حياة الرسول ومعظم أيام الرأشدين بالفتوح والجهاد والأسفار . وجاء الإسلام بالقرآن والحديث فأخذوا بمجامع قلوبهم واستقروا في المكان الأول من أذهانهم ، وغيرا من عاداتهم وأخلاقهم وسائر احوالهم ، فظهر اثر ذلك في علومهم وآدابهم

## ١ - التغيير الذي أحدثه الإسلام في العرب (\*)

### اجتماع كلمة القبائل

كان العرب في الجاهلية يتفاضلون بالعصبية ويتفاخرون بالانساب ، فلما جاء الإسلام كان في جملة ما بدله من احوالهم انه جمع كلمتهم وصاروا يدا واحدة على اختلاف انسابهم ومواطنهم . وبعد ان كان اليمنى يفاخر الحجازى ، والمضرى يفاخر الحميرى ، ونحو ذلك من مفاخرات القبائل والبطون والافخاذ ، جاء الإسلام فجمعهم تحت راية واحدة باسم واحد هو « الإسلام » فقال الرسول : « المسلمون أخوة » وقال من خطبة ألقاها يوم فتح مكة : « يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية ونعظمتها بالاباء . الناس من آدم وآدم من تراب » (١) وقال من خطبة في حجة الوداع : « ايها الناس ان ربكم واحد وأن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب واكممكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى » (٢)

واقتمدى بالرسول خلفاؤه الاولون لا سيما عمر بن الخطاب ، فان جبلة بن الايهم ملك غسان بعد ان اسلم اتفق وهو يطوف في الكعبة ان فزاريا وطىء أزاره فانحل ، فرفع جبلة يده وهشم أنف الفزارى فشكاه الى عمر ، فأراد عمر أن يهشم أنف جبلة فقال : « وكيف ذلك يا أمير المؤمنين

(\*) انظر في ذلك فجر الإسلام لاحمد امين ، الفصل الاول من الباب الثانى ، وكذلك الفصل الاول في كتاب العقيدة والشريعة في الإسلام لجولدتسيهر

(٢) البيان والتبيين ١٦٤ ج ١

(١) ابن هشام ٢١٩ ج ٢

وهو سوقة وأنا ملك ؟ » فأجابه عمر : « ان الاسلام جمعك واياه ، فلست تفضله بشيء الا بالتقى والعافية » فلم يحتمل جبلة ذلك فعمد الى الفرار

### انتشار العرب في الارض

كان العرب محصورين في جزيرتهم القاحلة ، وهم اهل بادية وخبثونة وشظف من العيش يسمعون بالرومي او الفارسي ، فيعظمون قسده ويتمثلون بسطوة قيصر وكسرى ، ولم يتجاوزوا جزيرة العرب الا قليلا . فلما ظهر الاسلام واجتمعت كلمة العرب ، نهضوا للفتح واوغلوا في البلاد وفتحوا الامصار . ولم يستطع شيء ان يقف تيارهم ، فانساحوا في الارض حتى نصبوا اعلامهم على ضفاف الكنج شرقا ، وشواطئ المحيط الاطلسي غربا ، وضفاف نهر لورا شمالا ، واواسط افريقيا جنوبا . وملاؤا الارض فتحا ونصرا واحتلوا مدائن كسرى وقيصر ، واقاموا في المدن وركنوا الى الحضارة وتعودوا الترف واختلطت انسابهم بتوالي الاجيال . والقبائل التي قامت بنصرة الاسلام ونشره قبائل مضر وأنصارها من العدنانية والقططانية

ولم ينتشر العرب بالفتح فقط ، ولكنهم هاجروا أيضا بأهلهم وخبامهم وانعامهم التماسا لسعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة . فقد جلت بطون من خزاعة الى مصر والشام في صدر الاسلام ، لان أرضهم أجذبت فمشوا يطلبون الفيث والمرعى . وكذلك كانت تفعل العرب كلما أصابها جذب حتى كانت لهم اعوام خاصة يجلبون فيها الى مصر والشام يسمونها اعوام الجلاء . وكانوا يفعلون ذلك قبل الاسلام ، اذا أجذبت أرضهم يمموا العراق وفارس فيعطيههم الفرس التمر والشعير . . ولكنهم كانوا لا يقيمون هناك بل يرجعون الى بلادهم خوفا من الدل في سلطان دولة أعجمية . أما بعد الاسلام ، فكان المقام يطيب لهم في بلاد فتحها آباؤهم وأعمامهم وأخوالهم وغرسوا فيها اعلامهم وجعلوها فينا لهم ولا يخفى ما يترتب على مثل هذا الاختلاط من الانقلاب في اللغة والآداب ، لكنه لم ينضج ويظهر الا في عصر الامويين فما بعده

### انتشار القرآن الكريم

بعد ان كان هم عرب الجاهلية اذا اجتمعوا في ناد أو سوق انشاد الاشعار والتفاخر أو التفاضل، أصبح همهم القرآن وحفظه وتلاوته صباح مساء . وادا بعث الخليفة عاملا الى بلدة أمره ان يحكم بالعدل وأن يعلم المسلمين القرآن وكانوا يعلمونهم الحديث أيضا

### ٢ - تأثير ذلك التنفير في آداب اللغة

ان ظهور الاسلام انقلاب ديني سياسي اجتماعي . ولا بد لكل انقلاب من آثار يخلقها في نفوس أصحابه وعقولهم ، فيحدث تغييرا في آدابهم

وعلومهم . والتغيير الذى أحدثه الاسلام فى آداب الجاهلية يرجع الى ثلاثة أوجه :

أولا - انه أبطل بعض تلك الآداب . ثانيا - انه نوع البعض الآخر . ثالثا - انه أحدث آدابا جديدة لم تكن من قبل . فالآداب التى أبطلها الاسلام الكهانة وفروعها اذ جاء الحديث بتحريمها (١) والآداب التى أحدثها ، بعضها اقتضاه الاسلام كالعلوم الشرعية واللسانية ، وبعضها نقل عن الامم الاخرى كالفلسفة والطبىفات والطب . وسيأتى الكلام عنها فى حينه

أما النوع الذى أحدثه الاسلام فى آداب الجاهلية ، فأكثره فى الشعر والخطابة وهما من الآداب الجاهلية التى زادها الاسلام رونقا . لكن الخطابة سبقت الشعر فى الرقى لحاجة المسلمين اليها فى الفتوح والغزوات (\*\*) . والعرب لا يزالون على بداوتهم تتأثر نفوسهم من التصورات الشعرية سواء سبكت فى قالب الخطابة او الشعر . والخطابة أقرب تناولاً ، اذ لم يرد فى القرآن ما ينفر الناس منها كما ورد فى الشعر والشعراء . فكما كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم الى الشعر فى تقييد مآثرهم وتفخيم شأنهم والتهويل على عدوهم والتهيب من فرسانهم ، اصبح الخطيب فى الاسلام مقدما على الشاعر لفرط حاجتهم الى الخطابة فى استنهاض الهمم وجمع الاحزاب وأرهاب الأعداء (٢)

### ٣ - الخطابة فى عصر صدر الاسلام (\*\*\*)

والفرق بين الخطابة فى الجاهلية وفى الاسلام ان الاسلام زادها بلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من تقليد أسلوب القرآن واقتباس الآيات القرآنية . وقد كان للقرآن نحو هذا التأثير فى الشعر أيضا . ولكن الخطابة أوسع مجالا للاقتباس ، فأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات القرآنية تمثلا أو اشارة أو تهديدا حتى لقد يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات ، كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق واراد ان يحرض أهله على الطاعة لاختية عبد الله ، فصعد المنبر وقال : « بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبيأ موسى وفرعون بانحق لقوم يؤمنون ، ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شبيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من

(١) مشكاة المصابيح ٣٩٢  
 (\*\*) لم تكن الخطابة فى صدر الاسلام تستخدم للغزوات والفتوح فقط ، كما اشار المؤلف ، بل كانت تستخدم أولا وقبل كل شئ للدموة الدينية ، وقد جعلها الاسلام فرضا مكتوبا فى صلاة الجمعة من كل اسبوع وفى صلاة العيدين والاستسقاء  
 (٢) البيان والتبيين ٩٨ ج ١  
 (\*\*\*) انظر فى الخطابة لعصر صدر الاسلام الفصل الثانى من كتابنا الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، وجمهرة خطب العرب لاحمد زكى صفوت ، الجزء الاول ، وكلمة خطبة فى دائرة المعارف الاسلامية

المفسدين ( وأشار بيده نحو الشام ) ونريد ان نمث على الذين استضعفوا  
فى الارض وجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ( وأشار بيده نحو الحجاز )  
ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا  
يحذرون ( وأشار بيده نحو العراق ) « (١)

وزادت الخطابة بعد الاسلام قوة ووقعا فى النفوس بنهضة العرب  
انحروب وانتصارهم فى أكثر مواقعها ، فازدادوا أنفة وسمت نفوسهم  
فسما بها ذوقهم فى البلاغة وشجذت قرائحهم بما شاهدوه فى البلاد  
الجديدة والامم الجديدة والالسنة الجديدة ، فبلغت الخطابة عندهم مبلغا  
قلما سبقهم فيه أحد من الامم التى تقدمتهم بلاغة وإيقاعا وتأثيرا . . حتى  
اليونان والرومان ، ولا ننكر ما كان من تفوق هاتين الامتين فى الخطابة  
وما نبغ بين رجالهما من الخطباء الذين لا يشق لهم غبار : كديموستينيس ،  
وبروتاجوراس ، وبريكليس ، من خطباء اليونان ، وشيشرون ، ويوليوس  
قيصر ، من خطباء الرومان . ولكن العرب لم يأتوا بأقل مما أتى به أولئك  
بلاغة ووقعا . وربما كان الخطباء فى الاسلام أكثر عددا ، وخطبهم أوفر  
وأبلغ مع اعتبار الفرق بين الامتين لغة وخلقاً وأدبا

فقد ذكروا لديموستينيس أخطب خطباء اليونان ٦١ خطبة نصفاها  
منسوب إليه خطأ ، وهذه خطب الامام على تعدد البئات . وأما فى كثرة  
الخطباء فالعرب كانوا فى صدر الاسلام من اكثر الامم خطباء لان خلفاءهم  
وأمرأهم وقوادهم كان معظمهم من الخطباء حتى النساك والزهاد (٢) .  
ولا غرابة فى ذلك لان العرب أهل خيال وذوو نفوس حساسة ، وللبلاغة  
تأثير شديد فى عواطفهم تقعدهم وتقيمهم . وقد كان ذلك من جملة ما ساعد  
على نشر الاسلام بينهم . وكثيرا ما توقف فتح اتبلد أو الحصن على خطاب  
ينلوه القائد على رجاله فتثور فيهم النخوة وتسرى فى عروقهم الحماسة ،  
فيستمتتون فى الدفاع أو الهجوم . وفى أخبار الفتوح أدلة كثيرة لا يساعد  
المقام على ايرادها . وكثيرون من القواد انما ساعدتهم على النصر قوة  
عارضتهم وتأثير خطبهم فى نفوس رجالهم

وإذا رجعت الى حوادث الفتح او جمع الاحزاب او اخماد الثورات ، رأيت  
دجبا . وأول ثورة كادت تهب فى الاسلام ثورة أهل المدينة لما بلغهم موت  
الرسول ، فهاجوا حتى خاف الصحابة سوء العاقبة ، فقام أبو بكر خطيبا  
فقال : « أيها الناس ان يكن محمد قد مات فان الله حى لم يموت . . وتلا  
الآية الكريمة : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن  
مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم (٣) . فهذه الكلمات القليلة كانت كافية  
لاخماد تلك الثورة . وقس على ذلك خطب السقيفة وخطب من تولى  
بعده من الخلفاء الراشدين

وأعظم الخطباء فى عصر صدر الاسلام الرسول والخلفاء والقواد . وترى

(١) البيان ٢٩ ج ٢ (٢) البيان ١٢٥ ج ١  
(٣) البيان ١٢٢ ج ١ والشهرستانى ٩ ج ٢



أمثلة من أقوالهم متفرقة في السيرة النبوية وكتب الغزوات والفتوح والتاريخ ، وفي العقد الفريد وغيره من كتب الأدب ، وكلها مطبوعة مشهورة . وأشهر خطباء ذلك العصر الامام علي بن أبي طالب ، فقد جمعت خطبه في كتاب « نهج البلاغة » جمعها الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، (\*) ولا نظن كل ما حواه من الخطب له . وقد شرح نهج البلاغة غير واحد ، وطبع مرارا في الشام ومصر . ومنها شرح مطول لعبد الحميد ابن أبي الحديد المعتزلي طبع في طهران في عشرين جزءا ، وفيه فوائد جمعة عن تاريخ الاسلام وتمدنه

#### ٤ - الشعر في عصر صدر الاسلام

##### الرسول والشعر

علمت مما تقدم أن أكثر شعراء الجاهلية من الفرسان والامراء واهل الحرب ، وأكثر أشعارهم في الفخر والحماسة بما بين قبائلهم من التنازع ، ومرجع ذلك كله الى العصبية . كل قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها . فلما جاء الاسلام وجمع كلمه العرب وذهبت العصبية الجاهلية لم تبق حاجة الى الشعر أو الشعراء . ناهيك بأشتغال أهل المواهب والقرائح بالحروب في الجهاد لنشر الاسلام وبالاسفار . وقد أدهشتهم أساليب القرآن وبهرتهم النبوة وانصرفت قرائحهم الشعرية الى الخطابة ، لحاجتهم اليها في استنهاض الهمم وتحريك الخواطر للجهاد ، وهي شعور منشور . وقد جاء الطعن على الشعراء في الآية الكريمة « والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون »

وزد على ذلك إن الرسول لم يكن راغبا في الشعر لانه من عوامل التفريق ، وهو يدعو العرب الى الاجتماع . وكان إذا روى شعرا لا يلتفت الى وزنه (١) ، ومن أقواله : « لأن يمتليء جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتليء شعرا » (٢) ولم يكن مع ذلك يبغض الشعراء حقه ، أما الآية الكريمة التي نزلت في الشعراء إنما يراد بها شعراء الذين تناولوه بالهجاء والأذى . وقد قبح الشعر في الذين غلب الشعر على قلوبهم حتى شغلهم عن الدين وفروضه ، وليس الشعر على إطلاقه . ولذلك فقد أبدى إعجاباه به بقوله : « ان من الشعر لحكمة » يشير الى الأشعار التي فيها ندين أو دفاع عن الحق . ومن أقواله : « أصدق كلمة قالها شاعر

(\*) يختلف السابقون في مصنف كتاب نهج البلاغة ، هو الشريف المرتضى أم أحوه الشريف الرضى . ويجمع الباحثون في عصرنا على أن أكثر ما فيه من خطب ليس من عمل علي ، وإنما هو من عمل مؤلفه والعصور التي سبقتة ، ويقول الذهبي في كتاب ميزان الاعتدال : « من طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكدوب على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، فان فيه السب الصريح والحط على السيدين أبي بكر وعمر » . وأيضا فان صناعته الأدبية من طراز العصور المتأخرة ، ويكفى أن نقرأ فيه وصف الطاروس لنعرف أنه ليس من صنع علي وإنما هو من صنع العصر العباسي

(٢) العمدة ١٢ ج ١ ، ويريه : يفسده

(١) الأغانى ٦٧ ج ١٣

قول لبيد : الا كل شيء ما خلا الله باطل « وكثيرا ما كان يجب ان يسمع شعر أمية بن أبي الصلت لما فيه من ذكر الله والبعث (١)

اما سائر اغراض الشعر فكان يعرض عنها ويرد عليها بكلام القرآن . يروى من هذا القبيل أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى الرسول ، فعرض عليه الاسلام فقال له : « أنى رجل شاعر فاسمع ما أقول » فقال : « هات » فأنشد :

لا وإله الناس فألم حَرَبَهُمْ ولو حاربتنا منهبٌ وبنو فهم  
ولما يكن يومٌ تزول نجومه تطير به الركبان ذو نبأ ضخم  
أسلماً على خَسَفٍ ولست بخالدٍ ومالى من واقٍ إذا جاءنى حَتْمى  
فلا سلم حتى تحنفر الناس خيفةً وتصبح طير كائنات (٢) على لحم

فأجابه النبي « وأنا أقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وقرأ المعوذتين ، فأسلم الرجل (٣) وكان النبي مع ذلك يقرب الشعراء المسلمين ويشجعهم على قول الشعر لتأثيرهم فى الاذهان (٤)

وعرضت قتيلة بنت النضر بن الحارث للنبي وهو يطوف ، وكان قد قتل أباهما فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وأنشدته أبياتا مطلعها :

يا راكباً إن الأثيلَ مَظِنَّةٌ من صُبْحِ خامسةٍ وأنت موفقٌ  
الى أن قالت :

أمحمدٌ ها أنت نجِّلٌ نجيةٍ من قومها والفحلُ فحلٌ مَعْرَقٌ  
ما كان ضرِّهك لو مَنَنْتِ وربما مَنٌ الفتى وهو المَغِيظُ المَحْتَقُ  
والنضْرُ أقربٌ من قتلتَ وسيلةً وأحقهم إن كان عِتْقٌ يعتق

فقال النبي : « لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلتها » (٥) . ولذلك لم يكن يرى بأسا من انتصار الشعراء له يدفعون عنه أقوال شعراء قريش الذين جاءت الآية بالطعن عليهم ، وتوعدهم الرسول ففر بعضهم من وجهه ومات البعض الآخر (٦) . وقد تقدم فى ترجمة حسان بن ثابت أن أشهر من هجا المسلمين ثلاثة : عبد الله بن الزبيرى ، وأبو سفيان ، وعمرو بن العاص ، وأن النبي قال للانتصار : « ما يمنع الذين نصرُوا رسول الله

(٢) كائنات : مكافات

(٤) الاغانى ٦٧ ج ١٢

(٦) الممثلة ٧ ج ١

(١) مشكاة المصابيح ٤٠٩

(٣) الاغانى ٥٣ ج ١٢

(٥) الممثلة ٣٠ ج ١

بسلحهم أن ينصروه بألسنتهم « فانتصب للدفاع عنه ثلاثة هم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحه . . وكان يرى لأشعارهم تأثيرا في أعدائه ، ومن أقواله : « هؤلاء النفر ( الشعراء ) أشد على قريش من نضح النبل » وقال لحسان مرة : « أهجم ( يعني قريشا ) فوالله لهجأؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام . أهجهم ومعك جبريل روح القدس والقي أبا بكر يعلمك تلك الهنات » (١)

### الشعر والخلفاء الراشدون

وسار الخلفاء الراشدون على خطة الرسول في تحريض الناس على حفظ القرآن . . ذكروا أن غالبا أبا الفرزدق الشاعر جاء بابنه وهو غلام الى على بالبصرة بعد واقعة الجمل وقال له : « ان ابني هذا من شعراء مضر ناسم له » فأجابه على : « علمه القرآن »

وكانوا ينشطون من يعدل عن الشعر الى القرآن كما فعل عمر بن الخطاب باستنشاد الشعراء على يد المغيرة بن شعبه ففضل من عدل الى القرآن . وقد تقدم حديث ذلك في ترجمة لييد. على انهم اقتدوا بالنبي في التمييز بين شعر وشاعر وشاعر وشاعر . وحرص عمر المسلمين على حفظ الشعر فقال : «رووا اولادكم ماسار من المثل وحسن من الشعر » (٢) وقد أراد أحسنه ، ويؤيد ذلك قوله : « أرووا من الشعر أعفه » (٣)

وقد ازدادوا حاجة الى الشعر لما عمدوا الى تفسير القرآن فقال ابن عباس : « اذا قرأتم شيئا في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب » (٤) وفي مقدمة جمهرة اشعار العرب لابي زيد القريشي امثلة كثيرة من هذا القبيل (٥)

ولم يكن الراشدون يرون بأسا من أن يقولوا الشعر هم أنفسهم ، فقد روى لابي بكر قصيدة حماسية قالها في بعض الغزوات . ورووا لعمر أبياتا في الحكم ونحوها وكذلك لعثمان . اما على ، فالمرؤى من شعره كثير بعضه قاله في صفين (٦) ، وليس بين الصحابة من لم يقل الشعر أو يتمثل به (٧)

على أنهم كانوا يمنعون الشعراء من هجو الاسلام والمسلمين وأشدهم وطأة في ذلك عمر ، فقد أخذ عهدا على الحطيئة ألا يهجو رجلا مسلما (٨) . ويقال بالاجمال ان الشعر في عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالفتوح الا ما كان منه من قبيل الجهاد كأقوال حسان وأصحابه في الدفاع عن النبي والاسلام

(٢) البيان والتبيين ٢١٢ ج ١

(٤) العمدة ١١ ج ١

(٦) العمدة ١٢ ج ١

(٨) العقد الفريد ١١١ ج ٢

(١) العمدة ١٢ ج ١

(٣) الجمهرة ١٥

(٥) الجمهرة ٥

(٧) الجمهرة ١٦

وأما سائر الشعراء المخضرمين فقد ترجمنا لهم مع شعراء الجاهلية لأنهم نشأوا فيها وتطبعوا بطباع أهلها

## ٥ - اللغة والانشاء

في عصر صدر الاسلام

وكان لظهور الاسلام تأثير كبير في اللغة العربية وأساليبها، والفاظها لتشرب قرائح المسلمين روح القرآن، وحفظهم كلامه واعجابهم به . وطبيعي أن الكاتب تتكيف ملكة اللغة فيه على مقتضى محفوظة من أشعارها وأمثالها وأساليبها . فلا غرو اذا ظهرت أساليب القرآن وألفاظه في لغة المسلمين : شعرا ونثرا ، كتابة وخطابة . ويرجع ذلك التغيير الى قسمين : تغيير في الاسلوب ، وتغيير في الالفاظ

### التغيير في الاسلوب

أما الاسلوب الانشائي فلا يمكننا تعيين مقدار التغيير الذي اصابه الا بالرجوع الى ما وصلنا من انشاء الجاهليين ، والفرق بينه وبين أسلوب القرآن كالفرق بين الثريا والثرى . . أين قول طريفة كاهنة اليمن حين خاف أهل مأرب سيل العرم وعليهم مزيقياء عمرو بن عامر ، فانها قالت لهم : « لا تؤموا مكة حتى اقول وما علمنى ما اقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم الخ » من أساليب القرآن ؟

وتولد في صدر الاسلام ضرب من الانشاء من ابلغ ما يكون . واحسن الامثلة عليه مخاطبات الخلفاء والقواد ، وكلها من السهل الممتنع . . ككتاب عمرو بن الخطاب الى عهرو بن العاص لما بعث به الى فتح مصر ، ثم تخوف فكتب اليه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص عليه سلام الله تعالى وبركاته . اما بعد فان ادركك كتابي هذا وانت لم تدخل مصر فارجع عنها ، واما اذا ادركك وقد دخلتها او شيئا من أرضها . . فامض واعلم انى ممداك »

وكتب ابن الخطاب الى ابن العاص يستنجده في مجاعة بقوله : « من عبد الله عمر امر المؤمنين الى العاصى ابن العاصى سلام . اما بعد فلعمري يا عهرو ماتبالي اذا شبعنت انت ومن معك ان اهلك انا ومن معى فياغوثاه ثم نا غوثاه » فكتب اليه عمرو : « اله امر المؤمنين عمر بن الخطاب من عمرو ابن العاص . اما بعد فيالبيك ثم يالبيك . قد بعثت اليك بعير اولها عندك واخرها عندى والسلام »

ذلك أسلوبهم فيما يكتبونه أو يقولونه من المخابرات السياسية او الخطب الحماسية او العهود او العقود . . حتى أنك اذا قرأت لهم رسالة تبينت أسلوب صدر الاسلام فيها ، فيهون عليك التفريق بين الصحيح والموضوع منها . .

وتجد أمثلة من المخابرات السياسية والخطب ونحوها على اسلوب صدر الإسلام في كتب الفتوح والفزوات ، كفتوح الشام للواقدي ، وفتوح البلدان للبلاذري . ومنها جانب كبير في خطط المقرئزي عن فتوح مصر . وتجد معظمها مجموعا في كتاب فتوح الشام للشيخ أبي اسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري من أهل أواسط القرن الثاني للهجرة طبع في كلكتة سنة ١٨٥٤ ، وقد شاهدنا فيه ما لم نشاهده في غيره مما وصل إلينا من كتب الفتح . . فانه عبارة عن مجموع المخابرات السياسية أو الأوامر الرسمية التي جرت بين الخلفاء الراشدين وقوادهم أو ما تكتب به القواد أو ما كتبوه الى كبراء الروم وغيرهم . أو ما عقده من العهود في أثناء حروبهم في الشام الى فتحها وفتح أجنادها . . كأنها الاصول التي أخذت اخبار الفتح عنها

#### التأثير في الالفاظ

اما تأثير القرآن الكريم في ألفاظ اللغة فضلا عن الاسلوب ، فظاهر فيما دخلها من الالفاظ الاسلامية مما اقتضاه الاصلاح الديني أو الشرعي . واكثر هذه الالفاظ كانت موجودة في اللغة قبل الاسلام ، لكنها كانت تدل على معان اخرى فتحولت للدلالة على مايقاربها من المعاني الجديدة . فلفظ « مؤمن » مثلا كان معروفا في الجاهلية ، ولكنه كان يدل عندهم على الامان أو الايمان وهو التصديق . فأصبح بعد الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر ، وله في الشريعة شروط معينة لم تكن من قبل . وكذلك المسلم والكافر والفاسق ونحوها . ومما حدث من المصطلحات الشرعية الصلاة وأصلها في العربية الدعاء ، وكذلك الركوع والسجود والحج والزكاة . . فقد كان لهذه الالفاظ وأشباهاها معان تبدلت بالاسلام وتنوعت

، قس على ذلك المصطلحات الفقهية ، كالإبلاء والظهار والعدة والحضانة والنفقة والاعتاق والاستيلاء والتعزير واللقيط والأبق والأوديعة والمعارية والشفعة والفرائض والقسامة وغيرها

ويروون الالفاظ وتراكيب نطق بها الرسول ولم تسمع من العرب قبله كقوله : « مات حتف أنفه » و « حمى الوطيس » و « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » (١)

وفي كتابنا « تاريخ اللغة العربية » بحث ضاف فيما دخل اللغة من الالفاظ والاساليب قبل الاسلام وبعده

## ٦ - العلوم التي حدثت في عصر صدر الاسلام

جمع القرآن وتدوينه (\*)

لم يحدث في عصر صدر الاسلام علم ، ولكن فيه وضعت جرثومة العلوم الشرعية بجمع القرآن وحفظ الحديث . والقرآن لم ينزل مرة واحدة ، وانما نزل تدريجيا في اثناء عشرين سنة على مقتضى الاحوال من اول ظهور الدعوة الى وفاة النبي ، بعضه في مكة وبعضه في المدينة . فكان كلما قال آية أو سورة كتبها على صحف الكتابة في تلك الايام ، وهي الرقاع من الجلود والعريض من العظام كالاكتاف والاضلاع وعلى العصب وهي قحوف جريد النخل واللخاف وهي الحجارة العريضة البيضاء . فتوفي النبي سنة ١١ هـ والقرآن اما مدون على امثال هذه الصحف او محفوظ في صدور الرجال ، وكانوا يسمون حفظه « القراء »

وكان اكثر الناس عناية بتدوينه على عهد النبي على بن ابي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وابو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وثابت بن زيد ، وابي بن كعب ، وغيرهم (١) . فلما قام أبو بكر بالامر واراد اهل جزيرة العرب عن الاسلام ، بعث جندا لمحاربتهم فقتل من الصحابة في تلك الحروب جماعة كبيرة ، وخصوصا في غزوة اليمامة قتل فيها وحدها ١٢٠٠ من المسلمين فيهم ٧٠٠ من القراء . فلما بلغ ذلك اهل المدينة فزعوا فزعا شديدا وخصوصا عمر بن الخطاب رجل الاسلام والمسلمين ، فأشار على أبي بكر بجمع القرآن لئلا يذهب منه شيء بموت أهله ، فتوقف أبو بكر وقال : « كيف افعل امرا لم يفعله رسول الله ولم يعهد الينا فيه عهدا » فما زال به عمر حتى اقنعه بجمعه . فأحضر أبو بكر زيد بن ثابت لانه كان من كتبة الوحي ، فجمع ما كان مدونا عند الصحابة . وربما وجد السورة مكتوبة عند اثنين أو ثلاثة أو أكثر . وقد لا يوجد من الآيات الا نسخة واحدة كآخر سورة التوبة ، فانه لم يوجد منها الا نسخة واحدة عند أبي خزيمة الانصاري ، (٢) فجمعه من تلك المحفوظات ومن صدور الرجال وسلمه الى أبي بكر . فظلت الصحف عنده حتى توفي سنة ١٣ هـ . فلما تولى عمر تسلمها وظلت عنده حتى توفي سنة ٢٣ هـ ، فانتقلت الى ابنته حفصة من أزواج الرسول الكريم

وفي ايام عثمان اتسعت الفتوح وتفرق المسلمون في مصر والشام والعراق وفارس وافريقية وفيهم القراء . وعند بعضهم نسخ من القرآن ، وقد رتبها كل منهم ترتيبا خاصا . فعول اهل كل مصر على من قام بينهم من

(\*) انظر في جمع القرآن وتدوينه ، كتاب الاتقان للسيوطي وتاريخ القرآن للزنجاني والقراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة ومذاهب التفسير الاسلامي لجولد تيهير ترجمة عبد الحليم النجار

القراء . فأهل دمشق وحمص مثلا أخذوا عن المقداد بن الاسود ، وأهل الكوفة أخذوا عن ابن مسعود ، وأهل البصرة عن أبي موسى الأشعري (١) . ومع شدة عناية القراء بحفظ القرآن وضبطه ، لم ينجوا من الاختلاف في قراءة بعض آياته

واتفق في أثناء ذلك ان حذيفة بن اليمان كان في جملة من حضر غزوة أرمينيا وأذربيجان ، فرأى في أثناء سفره اختلافا بين المسلمين في قراءة بعض الآيات ، وسمع بعضهم يقول لبعض : « قراءتى خير من قراءتك » فلما رجع الى المدينة أنبأ عثمان بذلك وأذره بسوء العقبى ان لم يتلاف الامر الى ان قال : « أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » فبعث عثمان الى حفصة ان « أرسلى الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك » فأرسلتها ، فدعا عثمان زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأمرهم أن ينسخوا القرآن ويستعينوا على القراءة بما حفظه القراء . وقال لهم : « اذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم ، ففعلوا (٢) سنة ٣٠ هجرية وكتبوا أربعة مصاحف بعثها عثمان الى الامصار الاربعة : مكة ، والبصرة ، والكوفة ، والشام ، (٣) واثنى ابقاهما في المدينة واحد لاهلها وواحد لنفسه وهو الذى يسمونه « الامام » ثم أمر بجمع ما كان قبل ذلك من المصاحف والصحف (٤) وأمر باحراقه

فأصبح العول في المصاحف على ما كتبه عثمان ، واشتغل المسلمون في الامصار باستنساخ تلك المصاحف . فنسخوا منها شيئا كثيرا في مدة قليلة . ذكر المسعودى في عرض كلامه عن واقعة صفين بين علي ومعاوية وما كان من ظهور علي وما اشار به عمرو بن العاص من رفع المصاحف : « ورفع من عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف » (٥) وليست هذه كل مصاحف المسلمين . فاعتبر هذا العدد وبين كتابة مصحف عثمان وواقعة صفين سبع سنين

ومع تشديد الصحابة في التعويل على مصحف عثمان دون سواه ، فقد ظل عند بعض المسلمين نسخ من مصاحف أخرى أشهرها مصحف علي . ويعتقد الشيعة ان عليا أول من خط المصاحف عند وفاة النبي . وتنقل مصحفه في شيعته وبقي عند أهل جعفر . وقد ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست انه رأى عند أبي يعلى حمزة الحسنى مصحفا بخط علي يتوارثه بنو حسن (٦) ومنها مصحف عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ، ولكل منها ترتيب خاص في سورة (٧)

(٢) الفهرست ٢٤  
(٤) ابو الفدا ١٧٦ ج ١  
(٦) الفهرست ٢٨

(١) ابو الفدا ١٧٦ ج ١  
(٣) نفح الطيب ٢٨٨ ج ١  
(٥) المسعودى ٢٠ ج ٢  
(٧) الفهرست ٢٦

بمناسبة كلامنا على جمع القرآن في زمن الخلفاء الراشدين ، نأتى بتاريخ الخط وأن تجاوزنا في تاريخه ما بعد هذا العصر استيفاء للكلام في موضوع واحد ، فنقول :

ليس في آثار العرب بالحجاز ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة الا قبيل الاسلام ، مع أنهم كانوا محاطين شمالا وجنوبا بأمم من العرب خلفوا نقوشا كتابية كثيرة . وأشهر تلك الامم حمير في اليمن ، كتبوا بالحرف المسند ، والانباط في الشمال كتبوا بالحرف النبطي . وآثارهم باقية الى هذه الغاية في ضواحي حوران والبلقاء . وقد عثر المنقبون على آثار كتابية في الحجاز لكنها بالخط المسند . والسبب في ذلك ان الحجازيين او عرب مضر كانت البداوة غالبية على طباعهم ، والكتابة من الفنون الحضرية

على أن بعض الذين رحلوا منهم الى العراق او الشام قبل الاسلام تخلقوا بأخلاق الحضرة واقتبسوا الكتابة منهم على سبيل الاستعارة ، فعادوا وبعضهم يكتب العربية بالحرف النبطي او العبراني أو السرياني . ولكن النبطي والسرياني ظلا عندهم الى ما بعد الفتوح الاسلامية ، فتخلف عن الاول الخط النسخي ( الدارج ) وعن الثاني الخط الكوفي نسبة الى مدينة الكوفة . وكان الخط الكوفي يسمى قبل الاسلام الحيري نسبة الى الحيرة . . وهى مدينة عرب العراق قبل الاسلام ، وابتنى المسلمون الكوفة بجوارها . .

ومعنى ذلك أن السريان في العراق كانوا يكتبون ببضعة أقلام من الخط السرياني في جملتها قلم يسمونه « السطرنجيلى » كانوا يكتبون به أسفار الكتاب المقدس (١) فاقتبسه العرب في القرن الاول قبل الاسلام ، وكان من أسباب تلك النهضة عندهم . وعنه تخلف الخط الكوفي وهما متشابهان حتى الآن . .

واختلفوا فيمن نقله الى بلاد العرب ، والأشهر أن أهل الانبار نقلوه . . وذلك ان رجلا منهم اسمه بشر بن عبد الملك الكندي أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل تعلم هذا الخط من الانبار وخرج الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية اخت أبى سفيان ، فعلم جماعة من أهل مكة ، فكثرت من يكتبه من قريش (٢) عند ظهور الاسلام . اما الخط النبطي فكتبوا به اللغة العربية قبل ذلك ببضعة قرون

والخلاصة على كل حال أن العرب تعلموا الخط النبطي من حوران أثناء تجارتهم الى الشام ، وتعلموا الخط الكوفي من العراق قبيل الاسلام بقليل . وضل الخطان معروفين عندهم بعد الاسلام . والارجح أنهم كانوا يستخدمون

(\*) انظر في ذلك أصل الخط العربي وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام لخليل نامى وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ١ ص ١٨٥

(٢) الزهر ١٧٧ ج ٢

(١) اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ١٧



القلمين معا : الكوفي لكتابة القرآن ونحوه من النصوص الدينية ، كما كان سلفه السطرنجيلي يستخدم عند السريان لكتابة الأسفار المقدسة النصرانية ، والنبطي لكتابة المراسلات والمكاتبات الاعتيادية . ومما يدل على تخلف القلم الكوفي عن السطرنجيلي فضلا عن شكله ، أن الالف اذا جاءت حرف مد في وسط الكلمة تحذف . وتلك قاعدة مطردة في الكتابة السريانية ، وكان ذلك شائما في اوائل الاسلام وخصوصا في القرآن . فيكتبون « الكتب » بدل « الكتاب » و « الظلمين » بدل « الظالمين »

فجاء الاسلام والكتابة معروفة في الحجاز ولكنها غير شائعة . فلم يكن يعرف الكتابة في مكة الا بضعة عشر انسانا أكثرهم من كبار الصحابة وهم : علي بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان ، وأبان ابنا سعيد بن خالد بن حذيفة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحاطب ابن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمي ، وأبو سلمة بن عبد الاشهل ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب وولده معاوية ، وجهيم بن الصلت بن مخزومة . ثم تعلم غيرهم من الصحابة ، ومنهم خرج كتاب الدواوين للخلفاء الراشدين وكتاب الرسائل وكتاب القرآن . فكتبوا القرآن بالكوفي أيام الراشدين وأيام بنى أمية . وفي أيامهم تفرع الخط المذكور الى اربعة اقلام اشتقها بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة كان أكتب أهل زمانه . وكان يكتب لبنى أمية المصاحف ، ثم اشتهر بعده الضحاك بن عجلان في اوائل الدولة العباسية ، فزاد على قطبة ، ثم زاد اسحاق بن حماد وغيره ، فبلغت الاقلام العربية الى اوائل الدولة العباسية ١٢ قلما . وهي : قلم الجليل ، قلم السجلات ، قلم الدياج ، قلم اسطورمار الكبير ، قلم الثلاثين ، قلم الزنبور ، قلم المفتح ، قلم الحرم ، قلم المدامرات ، قلم العهود ، قلم القصص ، قلم الحرفاج . وفي أيام المأمون تنافس الكتاب في تجويد الخط ، فحدث القلم المرصع وقلم النسخ وقلم الرئاسي نسبة الى مخترعه ذى الرئاستين الفضل بن سهل وقلم الرقاع وقلم غبار الحلبة (١)

فزادت الخطوط على عشرين شكلا ، وكلها تعد من الكوفي . واما الخط النسخي او النبطي ، فقد كان شائما بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى اذا نبغ ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فأدخل في الخط المذكور تحسينا ، جعله على ما هو عليه الآن وادخله في كتابة الدواوين . والمشهور عند المؤرخين ان ابن مقلة نقل الخط من صورة القلم الكوفي الى صورة القلم النسخي . والغالب في اعتقادنا ان الخطين كانا شائعين معا من اول الاسلام ، الكوفي للمصاحف ونحوها ، والنسخي ( أو النبطي ) للرسائل ونحوها كما تقدم ، وان ابن مقلة انما جعل الخط النسخي على قاعدة جميلة حتى يصلح لكتابة المصاحف . وقد شاهدنا في معرض الخطوط العربية القديمة في دار الكتب المصرية رقوقا وقطعا من البردي عليها كتابات بالخط النسخي

بعضها من اواخر القرن الاول للهجرة . وراينا عقد تكاح مكتوبا في اواسط القرن الثالث للهجرة سنة ٢٦٤ هـ على ورق مستطيل في اعلاه صورة العقد بالقلم الكوفي المنتظم وتحتها خطوط الشهود بالقلم النسخي بغاية الاختلال . . فابن مقلة حسن هذا الخط تحسينا وادخله في كتابة المصاحف . ثم تفرع الخط النسخي المذكور بتوالي الاعوام الى فروع كثيرة .

وأصبحت الاقلام الرئيسية في اللغة العربية اثنتين : الكوفي والنسخي ، ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام وهي : الثلث ، والنسخي ، والتعليقي ، والريحاني ، والمحقق ، والرقاع . واشتهر من الخطاطين جماعة كبيرة الفوا فيه الكتب والرسائل ، بعضها في أدوات الخط كالأقلام وطرق بريها وأحوال الشق والقط والذواة والمداد والكاغد وغير ذلك . وما زال الخط يتفرع الى اليوم ولن يزال الى ماشاء الله ، عملا بسنة النشوء والارتقاء

وفي آخر الجزء الاول من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي ( طبع دار الكتب المصرية ) باب خاص في الكتابة وأدواتها وتوابعها يدخل في ٣٠ صفحة كبيرة ( من صفحة ٥٤٦ - ٥٧٦ ) وتجد أقوالا تتعلق بالخط العربي في كشف الظنون ٤٦٦ج ١ ، وابن خلكان ٣٤٦ج ١ ، والعقد الفريد ١٦٢ ج ٢ ، وابن خلدون ٢٠٥ ، و ٣٤٨ ج ١ ، والاعاني ١٩ ج ٢ ، ١٠٦ ج ٤ ، و ٥٠ ج ٧ ، وفي المزهري ١٧٧ ج ٢

اما مايلحق الخط من الحركات والاعجام ونحوهما من العلامات ، فسيأتي الكلام عليها في العصر الاموي

# العصر الأموي

## ١ - مميزات العصر الاموي

نريد بالعصر الاموي العصر الذي كانت الدولة الاسلامية فيه في حوزة الامويين بالشام ، منذ بويع معاوية بالخلافة سنة ٤١ هـ الى أن قهرهم عليها العباسيون سنة ١٣٢ هـ . ويختلف العصر الاموي عن عصر صدر الاسلام اختلافا كبيرا من أوجه كثيرة ، اذ يعد انتقال الدولة الاسلامية الى بني أمية انقلابا عظيما في تاريخ الاسلام ، لانها كانت في زمن الراشدين خلافة دينية فصارت في أيامهم ملكا عضودا ، وكانت شوروية فصارت أرثية . وقام معاوية يطلبها وينازع أعمام النبي وأبناء عمه عليها ، والمسلمون يعتقدون حق هؤلاء فيها وأن معاوية طليق لا تحل له الخلافة . ولكنه تمكن بدهائه وسعة صدره من التغلب عليهم جميعا فأسس الدولة الاموية . وقد فصلنا الاسباب التي ساعدته على ذلك في الجزء الرابع من كتابنا تاريخ التمدن الاسلامي

وانما يهمنا في هذا المقام مانجم عن مساعي بني أمية في تأييد سلطانهم من التفريق بين القبائل والزجوع الى عصبية الجاهلية ، كما كان العرب قبل الاسلام يفعلون وما كان من تأثير ذلك في الاداب

### التفريق بين القبائل واحياء العصبيات

قد علمت أن العصبية العربية كانت في الجاهلية بين القبائل بسبب الانساب ، فلما جاء الاسلام تنوسيت تلك العصبية واجتمع العرب كافة باسم الاسلام او الجامعة الاسلامية . ومازالت الجامعة الاسلامية تشمل العرب على اختلاف قبائلهم وبطونهم طول ايام الخلفاء الراشدين ، حتى اذا طمع بنو أمية في الملك وقبضوا على أزمة الخلافة استبدوا وتعصبوا للعرب وحافظوا على مقتضيات البداوة وتمسكوا بعاداتها . فظلت اُخشونة البادية غالبية على حكومتهم وظاهرة في سياستهم مع ذهاب أكثر مناقب البسندو الاخرى . وانما حفظوا من مناقب جاهليتهم تعصبهم لقبيلتهم قريش وايتار أهلهم على سواهم . . .

فجاشت عوامل الحسد في نفوس القبائل التي كان لها شأن في الجاهلية وضاع فضلها في الاسلام ، وخصوصا أهل البصرة والكوفة لان أكثر العرب الذين نزلوا هذين المصرين جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي ولا هذبتهم سيرته ولا ارتاضوا بخلقه ، مع ما كان فيهم من جفاء الجاهلية

وعصبيتها . فلما استفحلت الدولة اذا هم في قبضة المهاجرين من قريش وكنانة وثقيف وهذيل ، وأهل الحجاز ويشرب . فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بأنسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم ، مثل قبائل بكر بن وائل ، وعبد القيس من ربيعة ، وكندة والازد من اليمن ، وتميم وقيس من مضر . فصاروا الى الغض من قريش والانفة عليهم ، فعادت العصبية الى نحو ما كانت عليه في الجاهلية

### أسباب التفريق

كان التفريق اولاً بين قريش وسائر انعرب ، فتعصب العرب كافة على قريش حسداً لاستبدادهم بالسلطان دون سائر الصحابة أو التابعين ، الا الذين تألفهم معاوية من القبائل اليمنية والعدنانية . بدأ هذا الخلاف من أيام عثمان علي يد سعيد بن العاص ، (١) وتزايدت الوحشة بين قريش وسائر القبائل من ذلك الحين وخصوصاً بينهم وبين اليمنية وفيهم الانصار . وثبت الانصار في نصره أهل البيت ضد أهلهم من قريش مثلما فعلوا في اول الاسلام ، اذ جاءهم الرسول مهاجراً فراراً من أهله. ولما جرت واقعة صفين سنة ٣٧ هـ بين علي ومعاوية عدوها بين اليمنية الانصار وقريش . فلما احتدم القتال في تلك الوقعة ، قال رجل يمتى من أنصار علي : « أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالي ، والذي نفسى بيده لنقاتلكم على تأويله (القرآن) كما قاتلناكم على تنزيله »

وامتد النزاع على هذا النحو حتى صار أكثر اليمنية شيعة على وأنصاره . فعمد معاوية الى اجتذاب قلوبهم لعلمه أن اكتفاءه بتريش ونحوهم لا يجديه نفعاً ، فقرب منه قبيلة كلب وتزوج منها بحدل أم يزيد ابنة واستنصرهم على قتلة عثمان لان امرأة عثمان كانت كلبية واستغواهم بالمال فحاربوا معه . ولما انتصر في حروبه ورسخت قدمه في الخلافة ، تقربت منه قبائل كثيرة من مضر واليمن وظلت كلب على نصره يزيد ابنة بعده لانهم أخواله

فلما مات يزيد وكان ابن الزبير في مكة يطالب بالخلافة ، واختلف بنو أمية على اختيار خالد بن يزيد أو مروان بن الحكم ( وكلاهما من أمية) وقع الخصام بين دعاة ابن الزبير ودعاة بني أمية . وكان أنصار ابن الزبير من قيس (مضرية) يدعون لابن الزبير ، وأنصار بني أمية من كلب (يمنية) يدعون لخالد بن يزيد لانه ابن أختهم . ونهض أناس من بني أمية فاعترضوا على خالد لصغر سنه ، واجمعوا على بيعة مروان لشيخوخته على أن تكون اخلافة بعده لخالد . ثم جرت واقعة مرج راهط بين أصحاب مروان وأصحاب ابن الزبير ، أي بين كلب وقيس . وفاز مروان وثبتت قدمه في اخلافة . ثم توفي مروان ولم يف لخالد ، فخلفه ابنه عبد الملك بن مروان

(١) راجع تفصيله في تاريخ التمدن الاسلامي ٥٧ - ٤ « الطمة الثالثة »

الشديد الرطابة ، وظلت كلب معه وقيس مضطغنة عليه . وانقسم العرب في سائر أنحاء المملكة الإسلامية بين هذين الحزبين : قيسية وكلبية ، أو مضرية ويمنية ، أو نزارية وقحطانية . وقامت المنازعات بينهما في الشام والعراق ومصر وفارس وخراسان وأفريقيا والاندلس . ففي كل بلد من هذه البلاد وغيرها حزبان : مضرى ويمنى ، تختلف قوة أحدهما باختلاف الخلفاء أو الامراء أو العمال . فالعامل المضرى يقدم المضرية ، والعامل اليمنى يقدم اليمنية . ويختلف ذلك باختلاف الاحوال ، وله تأثير في كل شئ من تصاريق أحوالهم حتى في تولية الخلفاء والامراء وعزلهم . وكثيرا ما كانت الولاية والعزل موقوفين على نصره احد هذين الحزبين

غير الانقسام الذى وقع بين بطون قريش وأهم أحزابهم : أمية وبنو هاشم ، فكان الناس يتعصبون لاحدهما على الآخر . وناهيك بالتخصاص بين العرب وغير العرب . وكما كان القرشيون مقدمين في العصر الاموى على سائر العرب ، فالعرب على الاجمال كانوا مقدمين على سائر الامم التى دانت للمسلمين . ولم يكن هؤلاء يستنكفون من ذلك ، بل كانوا يعتقدون فضل العرب في اقامة هذا الدين وانهم مادته وأصله ، ولا كانوا يأنفون من أن يسموا العرب اسيادهم ويعدوا أنفسهم من مواليهم بل كانوا يعدون طاعتهم رجبهم قرصاً وأجبا عليهم

فكان العرب في أثناء هذه الدولة يترفعون عن سائر الامم من الموالى (\*) وأهل الذمة ، وكان العربى يعد نفسه سيدا على سواه ويعتقد انه خلق للسيادة وذاك للخدمة . . فاقترص العرب على الاشتغال بالسياسة ، ولم يكونوا يعنون بشئ من العلم غير الشعر والتاريخ لانه لازم للسياسة ، وأما الحساب والكتابة ، فقد كانا من صنائع الموالى . . حتى الشعر فان الموالى نالوا منه حظاً في أثناء العصر الاموى

وبالجملة أن انتقال الدولة الى الامويين انقلاب سياسى عظيم ، وهو طبيعى في نواميس العمران لان القواعد التى وضعها الامام عمر للدولة تنافى سياسة الملك ولم يكن يرجى بقاؤها ، لان من شروطها الا تخزين الاموال في بيت المال وأن لا يشتغل المسلمون بالزرع ولا يقتنوا الارضين ونحو ذلك مما يلائم الدين والتقوى ، ويخالف السياسة والملك . . فانتقالها الى الملك في أيام بنى أمية وانتقال كرسي الخلافة الى الشام أوجب احتكاكها بالدول الأخرى ، فاقبمت على دعائم سياسية واقتبس اهلها تمدن الامم المجاورة وعلومهم ، وأنشأوا تمدنا من عند أنفسهم ووضعوا العلوم والآداب التى اقتضاها ذلك التمدن كما سيحجى

## ٢ - حال الشرق عند الفتح الإسلامى

نعى بالشرق البلاد التى فتحها المسلمون حول بحر الروم وخليج العجم،

(\*) انظر في ذلك فصلا طريفا في العقد الفريد « طبعة القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ » ج ٢ ص ٩١ وانظر ثورة المختار الثقفى في الطبرى ج ٢ ص ٦٨٤ وقلهوزن في كتابه : الدولة العربية وسقوطها The Arab Kingdom & its Fall ص ٢٢٦

وهي تشمل مصر والشام والعراق وفارس .. فلما فتحوها كان بعضها تحت سيطرة الفرس وهي العراق وفارس ، والبعض الآخر تحت سيطرة الروم وهي الشام ومصر . أما من حيث الآداب والعلوم ، فمصر والشام كانتا ملحقتين بمملكة الروم ، بأدبهم وعلومهما ، والغالب في دينهما النصرانية . والعراق وفارس كانت آدابهما فارسية وأكثر أهلها من المجوس . وكان التنازع قائما بين النصرانية والمجوسية ، ونشبت الحرب بين الروم والفرس لهذه الغاية . فجاء العرب وغلبوا الامتين جميعا ، فقام الاسلام في ذينك البلدين مقام ذينك الدينين

### آداب الروم في مصر والشام (\*)

كانت آداب الروم في مصر والشام يومئذ عبارة عن الآداب اليونانية في عصرها الاسكندري الروماني ، لان آداب اليونان القديما هي القاعدة الاساسية لآداب الرومان ومن تشعبت اليه دولتهم من الامم .. وللآداب اليونانية أطوار فصلناها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي آخرها العصر الاسكندري ، وفيه انتقلت علوم اليونان وآدابهم من أثينا وغيرها من بلادهم الى الاسكندرية على عهد البطالسة بمن انتقل اليها من جالية اليونان على أثر فوح الاسكندر في الشرق في القرن الرابع قبل الميلاد ، وحملوا معهم كتب العلم والفلسفة والطب والشعر والادب واللغة والتاريخ غير ما جمعه البطالسة من الكتب الاخرى ، فزهت الاسكندرية بهم وبعلمهم

ويقسم العصر الاسكندري المذكور الى قسمين : الاول كانت مصر فيه تحت سيادة البطالسة وهو العصر الاسكندري اليوناني . والثاني بعد دخوله في سيطرة الروم قبل الميلاد ، وهو العصر الاسكندري الروماني وينتهي بظهور الاسلام ..

فلما فتح المسلمون مصر والشام ، كانت هذه البلاد في عصرها الاسكندري الثاني أو الروماني الذي يبدأ قبل الفتح الروماني بنصف قرن ، أي يوم دخول أثينا في حوزة الرومان في القرن الأول قبل الميلاد ، لان قائدهم سولا لما فتح أثينا حمل منها احتمالا من كتب العلم والفلسفة الى رومية .. فانتقل العلم من أثينا الى رومية وضعف شأن الاسكندرية قبل دخولها في حوزة الروم . فلما صارت رومانية قبيل الميلاد زادت ضعفا . وكانت علومها قد تغيرت وجهتها وانحصرت في الفلسفة ، لان الاسكندرية ما برحت منذ تأسيسها وفيها جماعة من العبرانيين تزحوا اليها كعادتهم في الرحيل للارتزاق أو فرارا من الاضطهاد ، فأتسوا في الاسكندرية ترحيبا وراحة فتكاثروا . فترتب على اختلاطهم باليونان وتمازج الاذواق والابحاث تغير مهم في الفلسفة والدين ، لان العبرانيين أهل توحيد ووحى وتقليد واليونان أهل فلسفة ومنطق وأساطير دينية .. فأدى التمازج الى التقارب وزاد

(\*) انظر في هذه الآداب الباب الرابع من كتاب فجر الاسلام لاحمد أمين ، والمصادر التي رجع اليها

ذلك بظهور النصرانية . ولما تأيدت النصرانية واعتنقها اليونان ، أخذوا في تطبيق فلسفتهم على الدين . فتولد من ذلك ما يسمى بالفلسفة الأفلاطونية الجديدة Neo-platonic والفلسفة الفيثاغورية الجديدة Neo-Pythagoric . وجملة القول أن العصر الاسكندري الثاني قلما أفاد العلم لان أبحاثه كانت غايتها دينية

هذه هي الفلسفة التي كانت شائعة في المملكة الرومانية الشرقية عند الفتح الاسلامي . وكانت مدرسة الاسكندرية أم المدارس الشرقية يعلم فيها الطب والهندسة والفلك وسائر العلوم الطبيعية والرياضية ، ويتفاخر العلماء بالتخرج فيها كما يتفاخر متخرجو جامعات أكسفورد وكمبريدج وباريس وبرلين اليوم . وعاصرتها مدارس حسنة في برغاموس وطرسوس ورودرس وانطاكية وبيروت ، وكان في بيروت مدرسة للحقوق ذاعت شهرتها في الأفاف (١)

فلما جاء الاسلام ، كان العلم قد انحط في هذه المدارس كلها واهملت كتب الفلسفة القديمة بمقاومة رجال الدين لها لانها في نظرهم عثرة في سبيل الدين .

#### آداب مملكة الفرس (\*)

كان للفرس آداب قديمة قد اضافوا اليها كثيرا من علوم الهند والصين وآشور وغيرها من أمم الشرق القديم . فلما فتح الاسكندر بلادهم نقل ساكنان في عاصمتهم من كتب العلم الى بلاده فذهب تمدنهم وتضعفت شؤونهم وتقاعدوا عن العلم الى أيام سابور بن أردشير في الدولة الساسانية بأواسط القرن الثالث للميلاد ، فحارب الروم ونقل جماعة من أسراهم الى الاهواز وأنشأ لهم مدينة سماها جندي سابور ، وأكرم وفادتهم فحببوا اليه العلم . فعمد الى استرجاع علوم الفرس من اليونان أو الاستعاضة بمثلها . فبعث الى بلاد اليونان من استجلب كتب الفلسفة وأمر بنقلها الى الفارسية (٢) واحتزنها في مدينته ، وأخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى أنوشروان العادل ( ٥٣١ م - ٥٧٨ م ) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستينيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على أثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الأفلاطونية الجديدة قد نضجت ، ففر بعض أصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم . وجاء منهم سبعة الى انوشروان فأكرم وفادتهم وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة ونقلها الى الفارسية ، فنقلوا المنطق والطب (٣) وألفوا فيهما الكتب فطالها هو ورغب الناس فيها ، وعقد المجالس للبحث

(١) راجع الهلال ص ٢٢ سنة ١٩ (\*) انظر في الفرس وأدبهم وأثره في الادب العربي ، الباب الثالث من فجر الاسلام والصادر التي اعتمد عليها (٢) أبو الفداء ٥٠ ج ١ (٣) E. Broun, Literary Hist. of Persia, I. 167

والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا أنو شروان أنه من تلامذة أفلاطون

وأنشأ أنو شروان في جندي سابور مدرسة لطلب والفلسفة، اشتهرت في بلاد الفرس كما اشتهرت مدرسة الاسكندرية في مصر ومدرسة بيروت في سوريا

فترى أن آداب الفرس عند ظهور الاسلام كانت قائمة على آداب اليونان، والعالم المتمدن في ذلك العهد مدين لليونان بأكثر آدابه كما صارت الامم الاسلامية بعد ذلك مدينة بآدابها وعلومها لآداب اللغة العربية التي نضجت في أيام العباسيين

ومما يحسن قوله أن آداب اليونان نقلت الى الامم الشرقية على أيدي السوربانيين، نقلوها أولا الى الفارسية ثم نقلوها الى لسانهم السرياني، ونقلوها بعد ذلك الى اللسان العربي في التمدن الاسلامي . . لكن ذلك لم يتم الا في الدولة العباسية

#### الدولة الاموية واللغة العربية

أما الدولة الاموية فاهمة كانت متجهة فيها على الخصوص الى الآداب العربية الجاهلية لان الامويين كانوا شديدي الحرص على منزلة العرب كثيرى العناية بحفظ الانساب، وهم الذين جعلوا الاسلام دولة فأيدوها ونشروا اللغة العربية في المملكة الاسلامية بنقل الدواوين من الرومية والفارسية الى اللغة انعربية وبعد أن كانت مصر والشام رومية والعراق كلدانية أو نبطية، أصبحت هذه البلاد بتوالي الاجيال عربية النزعة وتنوسيت لغاتها الاصلية، وهي تعد الآن من البلاد العربية . واذا نزلها التركي أو الافرنجي أو غيرها من أى أمة كانت وتوالد فيها عد نسله عربيا

وظل العرب في أيام بنى أمية على بداوتهم وجفائهم . وكان خلفاؤهم يرسلون أولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب أساليب البدو وآدابهم، وظل كثير من عادات الجاهلية شائعا في أيامهم كالمفاخرة والمباهلة ومناشدة الاشعار فى الاندية العمومية، فكان اشراف أهل الكوفة يخرجون الى ظاهرها ينشادون الاشعار ويتجادثون ويتذكرون أيام الناس . واهل البصرة يخرجون الى المرند لهذه الغاية كما سيجيء . . كأنهم رجعوا بعصبيتهم الى ما كانوا عليه قبل الاسلام . ولم يبلغ العرب من العز والسؤدد ما بلغوا اليه في أيام هذه الدولة . وقد تكاثروا على عهدها وانتشروا فى ممالك الارض

#### ٢ - تقسيم آداب اللغة العربية

##### في العصر الاموى

تقسم آداب اللغة فى هذا العصر الى قسمين :



أولاً - الآداب الحادثة ويدخل تحتها : « ١ » ما حدث من العلوم أو الآداب مما اقتضاه الإسلام كعلوم القرآن والحديث والفقه والعلوم اللسانية والتاريخ والجغرافيا ونسبها العلوم الإسلامية « ٢ » ما اقتضاه التمدن الإسلامي من العلوم التي نقلت عن اليونان والفرس وغيرهم ونسبها الآداب الدخيلة

ثانياً - الآداب القديمة وهي ما كان منها موجوداً في عصر الراشدين ، كاللغة والشعر والخطابة والامثال من الآداب الجاهلية ، ويقال بالاجمال انه في العصر الاموي نضجت الآداب الجاهلية ، وولدت الآداب الإسلامية ، وبدأ النقل من اللغات الأجنبية ، فلننظر في كل منها على حدة

ونبدأ بالعلوم الحادثة في الإسلام ثم نعود الى الآداب التي كانت في الجاهلية لينجلي لنا تأثير تلك فيها

#### اعمار العلوم

لكل علم من العلوم على اختلاف موضوعاتها أدوار يمر بها كما يمر الحي بأدوار الحياة لأن العلوم من توابح الأحياء فتخضع لنواميس النشوء مثل خضوعهم . والأدوار التي تمر بها العلوم هي :

١ - دور التكوين « الولادة »

٢ - دور النمو أو النشوء « الصبا »

٣ - دور البلوغ « الشباب »

٤ - دور النضج « الكهولة »

٥ - دور التفرغ أو التشعب أو الانحلال « الشيخوخة »

وسترى أن بعض العلوم يتكون في عصر ، وينمو في آخر ، ويبلغ في آخر ، وينضج في آخر ، وقد يتخطى دورين أو ثلاثة في عصر واحد

والعصر الاموي فاتحة عصور التمدن الإسلامي أو الدولة الإسلامية لأن الإسلام قبله كان ديناً لا دولة . وفي هذا العصر بدأ تكون أكثر علوم هذا التمدن ونمت ونضجت فيما يليه . وقد تقدم أن العلوم الحادثة في الإسلام قسماً كبيراً : العلوم الإسلامية ، والعلوم الدخيلة والعلوم الإسلامية هي العلوم التي اقتضاه الإسلام ، وتقسّم الى ثلاثة أقسام :

١ - العلوم الشرعية وهي العلوم الدينية الإسلامية

٢ - العلوم اللسانية وهي التي اقتضاه الإسلام ضمناً ، فاحتاجوا اليها في ضبط قراءة القرآن أو تفسيره أو تفهمه وتفهم الحديث

٣ - التاريخ والجغرافيا

# العلوم الشرعية

ونريد بالعلوم الشرعية العلوم المستخرجة من القرآن والحديث ، وأهمها علوم القرآن والحديث والفقه . ولكل منها فروع تولدت بتوالي الاجيال ، وكانت في العصر الاموي في دور تكوينها ، وهي يومئذ القراءة «قراءة القرآن» والحديث « ضبط الحديث » والفقه ، وقبل التقدم اليها نهدد بالكلام في البصرة والكوفة

## ١ - البصرة والكوفة (\*)

هما من المدن الاسلامية التي اختطها العرب لانفسهم . وكانوا قبل الاسلام أهل ماشية وخيام وخيل يكرهون الاقامة داخل الاسوار ، وينفرون من الانحصار في المدن . فلما تأيد الاسلام واجتمع العرب على فتح الامصار في العراق والشام ومصر ، كانوا في بادىء الرأي اذا ساروا الى غزو أو فتح اصطحبوا نساءهم وعيالهم . . فاذا فتحوا بلدا أقاموا في ضواحيه بخيامهم وأخيبتهم وهو معسكرهم . وكان عمر بن الخطاب يشترط على جنده المقيمين في الامصار ألا يقيموا في مكان يحول الماء فيه بينهم وبينه ، حتى اذا أراد أن يركب راحلته اليهم ركب . كذلك فعل عمرو بن العاص في الفسطاط ، وسعد بن أبي وقاص في الكوفة والبصرة ، وكانت كلها مضارب لجند العرب الفاتحين يعبرون عنها بالرباط أو المعسكر ، فاذا طال بهم المقام اختطوا الاسواق وبنوا المنازل والقصور . ذلك كان شأنهم في صدر الاسلام ، فبنوا البصرة والكوفة على هذه الصورة

على أنهم ظلوا نازعين الى البداوة بعد تخطيط البصرة لاول عهدا ، فبنوا مسجدها ودار امارتها بالقصب . وكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ، وحفظوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بنسائه كما كان ، واعتبر ذلك في الكوفة أيضا . . التماسا لسعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة ، وهم يختارون أقربها الى البادية بلدهم القديم . . فالبصرة والكوفة أوفق البلاد لهم لانهما على الحدود بين جزيرتهم والعراق . .

(\*) انظر في تخطيط البصرة والكوفة وسكانها دائرة المعارف الاسلامية ، والمصادر الموجودة في المادتين ، وتخطيط الكوفة لماسينيون « الترجمة - طبع بغداد » والعربية ليوهان فك « الترجمة - طبع مصر » ص ١٥ وما بعدها

فأول من عمر البصرة والكوفة الفاتحون والأهلهم ، ثم اتسعت الفتوح الإسلامية شرقا وغربا ، ورسخت دولة المسلمين حتى نزح العرب بأهلهم وخيلهم ..

### المريد أو عكاظ الاسلام

انتقل العرب الى هذين البلدين ونقلوا معهم عاداتهم الجاهلية وأخلاقهم العربية ، فانقسموا فيها قبائل وبطونا : عرب اليمن في أحد طرفي البلد ، وعرب الحجاز في الطرف الآخر . وانقسمت المنازل في كل جانب حسب البطون والافخاذ . وأقاموا فيها أسواقا أدبية مثل أسواقهم في الجاهلية للمفاخرة والمناضلة والناشدة : أشهرها « المريد » في البصرة وكان سوقا من أسواقها يعرف بسوق الابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وأقاموا بها مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . ويدلك على سعته وسعة البصرة أن المريد كان في زمن ياقوت بالقرن السادس الهجرية بعد انحطاط دولة العرب ، كالبلد المنفرد ، وبينه وبين البصرة ثلاثة أميال ، وكان ما بين ذلك عامرا فتأمل ..

وكان المريد في الدولة الأموية عكاظ الاسلام، وتألقت فيه حلقات المناشدة والمفاخرة (١) ومجالس العلم والاداب (٢) .. فكان الشعراء يؤمونه ومعهم روايتهم للمناضلة أو المناشدة أو المحاكمة ، وكان لفحولهم حلقات خاصة أشهرها حلقة الفرزدق وراعى الابل (٣)

وكان الاشراف يخرجون أيضا الى المريد للمذاكرة أو المناشدة . وكذلك كان يفعل أشراف الكوفة يخرجون الى ضواحيها لمثل هذا الغرض .. لكن المريد غلب على سائر الاسواق كما غلبت عكاظ في الجاهلية

### مدينة السياسة ومدينة العلم

وفي عصر صدر الاسلام كانت المدينة عاصمة المسلمين ومقر علمائهم ، وهم يومئذ القراء والحفاظ من الصحابة . ثم أفضت الدولة الى بنى أمية ، وانتقلت عاصمة الاسلام الى دمشق واختلفت الاحزاب وتحصن ابن الزبير في مكة وأخرج بنى أمية وأنصارهم من المدينة وسائر الحجاز ، وقد علمت رغبة الامويين في استبقاء الطبائع العربية البدوية ، فنشطوا الاداب الجاهلية ولا سيما الشعر لاسباب سيأتى تفصيلها ، فوجدوا في البصرة والكوفة ما ينوب عن مكة والمدينة من هذا القبيل ، وأن ظلوا مضطرين الى الحجاز لان فيه الكعبة وقبر الرسول وسائر مناسك الحج ..

وكان في المدينة على عهد معاوية طائفة من ابناء الصحابة يخشى قيامهم للمطالبة بالخلافة ، كما فعل عبد الله بن الزبير فاعماهم معاوية بالعطايا

وقيدهم بالاحسان ووسعهم بالحلم ، فركنوا الى التمتع بالدنيا من طعام وشراب وسماع ٠٠ ينفقون في ذلك الاموال وهي تتدفق عليهم من خزائن الشام . فلما تولى عبد الملك بن مروان « سنة ٦٥ هـ » كانت المدينة قد أصبحت مسرحا للهو والغناء ، ونبغ فيها طائفة من المغنين وتكاثر فيها المخنثون وأهل القصف الا من كان فيها من الحفاظ والقراء . فعلم عبد الملك أن أعداءه هنالك لا يهتشي بأسهم لاشتغالهم بأنفسهم وملاذهم ، فجعل همه صرف أذهان أهل الأدب والعلم عن بلاد العرب الى البصرة ٠٠ فجعلها ملجأ الشعراء والادباء وغيرهم ، وكانت في أيامهم لا تزال كالبادية يقيم العرب حولها في المضارب قبائل وبطونا ٠٠ فأصبحت الشام في أيامه دار الملك والبصرة دار العلم . ولم ينبغ شاعر أو خطيب في بلاد العرب كلها الا جاء البصرة والكوفة فازدحمت الاقدام فيهما ، وبعد زمن يسير خلت جزيرة العرب من أهل الأدب الا اليمامة وبعض الحجاز ٠٠

#### سكان البصرة والكوفة

وتقاطر الى البصرة والكوفة أيضا أهل المدن المجاورة في العراق والشام وفارس من طلاب الرزق للاستفادة من تلك النهضة السياسية بالتجارة أو الصناعة أو غيرها ، فاجتمع في تلك البقعة أنيف من أمم شتى مصرهم الى التعريب ٠٠ لان العربية كانت قد أصبحت لغة الدولة والدين ، ولابد منها لمن أقام في تلك الديار من المسلمين وغيرهم بعد أن تحولت دواوينها الى العربية كما تقدم . فاشتدت الحاجة الى ضبطها وجمع ألفاظها ، غير ما بعث الى ذلك من الاسباب الاخرى . ونظرا لرغبة الامويين في الاحتفاظ بالبداوة شجعوا آداب الجاهلية على الخصوص ، فاشتغل الناس بتدوينها ونبغ الرواة والادباء وغيرهم

فأصبحت البصرة والكوفة في العصر الاموي وبعده ، بؤرة العلم والادب وملتقى العلماء والادباء والشعراء يزدحمون في المسجد أو المريد أو غيرهما للمفاخرة أو المناظرة أو المناشدة ، وأهل البصرة أعرق في اللغة والادب ٠٠ يأخذ الكوفيون عنهم وهم لا يأخذون عن أهل الكوفة . أما الشعر فكان في الكوفة أكثر منه في البصرة ٠٠ ووقف المختار في أثناء حروبه بالعراق على أشعار مدفونة في القصر الابيض بالكوفة مما يدل على عناية الكوفيين بالشعر ، (١) لكن أكثره مصنوع ومنسوب الى من لم يقله (٢)

وبعد أن مهدنا للكلام بوصف البصرة والكوفة ، نتقدم الى العلوم الشرعية الاسلامية وأساسها القرآن . وقد ذكرنا كيفية جمعه وتدوينه في عصر صدر الاسلام ٠٠

## ٢ - قراءة القرآن الكريم

في العصر الاموي (\*)

هي أقدم العلوم الشرعية الاسلامية ، وكان للقراء شأن في صدر الاسلام عظيم يومئذ فسموا الذين كانوا يحفظون القرآن « قراء » تميزا لهم عن سائر المسلمين لانهم كانوا أميين . وقد تقدم ان السبب الذي حمل عثمان على جمع القرآن وكتابته ما بلغه من اختلاف الصحابة في قراءته . على أنه لم يعض على ارسال مصاحفه الى الامصار زمن قصير ، حتى اصبح لاهل كل مصر قراءة خاصة يتبعون فيها قارئاً يتقون بصحة قراءته وتنوّل ذلك واشتهر . ثم استقر منها سبع قراءات تواتر نقلها بأدائها ، واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة ، وبعدها بعضهم عشرًا

وأصحاب هذه القراءات معظمهم من الموالى وبعضهم تجاوز العصر الاموي وهم :

١ - عبد الله بن كثير توفى سنة ١٢٠ هـ في مكة ، وهو من الموالى أصله من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى بالسفن الى اليمن حيث طرد الحبشة عنها . وكان شيخاً كبيراً ابيض الرأس واللحية طويلاً جسيماً اسمر اشهل العينين يغبر شيبته بالحناء (١)

٢ - عاصم بن أبى النجود توفى سنة ١٢٧ هـ في الكوفة ، وهو مولى بنى جذيمة أخذ القراءة عن أبى عبد الرحمن السلمى وزر بن حبيش (٢)  
٣ - عبد الله بن عامر اليحصبي من الطبقة الاولى من التابعين ، توفى بدمشق سنة ١١٨ هـ

٤ - علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي الذى انتهت اليه رئاسة الاقراء بالكوفة ، توفى سنة ١٨٩ هـ

٥ - حمزة بن حبيب الزيات ، توفى بخلوان العراق سنة ١٥٦ هـ ، وهو مولى آل عكرمة

٦ - أبو عمرو بن العلاء من تميم ، توفى سنة ١٥٥ هـ بالكوفة ، وهو العلم المشهور فى علم القراءة واللغة العربية . وسيأتى ذكره مراراً فى تاريخ آداب اللغة . \*

٧ - نافع بن أبى نعيم ، توفى سنة ١٦٩ هـ بالمدينة . وهو مولى ، وكان أسود شديد السواد وأصله من اصبهان . ويظهر من تأخر وفاته عن زمن انتقال الدولة الى العباسيين انه كان فى العصر الاموى صغيراً (٣)

(\*) انظر القراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة ومذاهب التفسير الاسلامى لجلولتسيهر

(٢) الفهرست ٢٩

(١) ابن خلكان ٢٥٠ ج ١

(٣) ابن خلكان ١٥١ ج ٢

## القراءات الشاذة (١)

واشتهر غير هؤلاء كثيرون في اقطار العالم الاسلامى ، وفيهم من يقرأ قراءات غريبة . وقد سماهم ابن النديم قراء الشواذ . . ذكر في فهرسته « صفحة ٣٠ » جماعة منهم فى المدينة واخرين فى مكة والبصرة والكوفة والشام واليمن وغيرها . وتكاثرت قراء الشواذ على الخصوص بعد أن ظهرت الفرق الاسلامية وتشعبت الآراء فى التفسير والفقہ ، والخلفاء يشددون فى مقاصد أولئك الشاذين خوف التفرقة كما كان يفعل رؤساء النصرانية فى القرون الاولى للميلاد . ولكن الاسلام كان أقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول ، وخصوصا فى أوائله ، فلم يكن المسلم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا لرأى الخليفة . ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها فى القراءة والتفسير والفقہ وفى كل شئ ، وظل بعضهم يقرأون القراءات الغريبة الى أواسط الدولة العباسية وفى جملتهم يعقوب العطار المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، فاستحضره الخليفة واستتابه بحضرة القراء والفقهاء وكتب محضر توبته واشهد عليه من حضر (١)

وأشهر من قرأ القراءات الشاذة ابن شنبوذ البغدادي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، فانه تفرد بقراءات من الشواذ كان يقرأ بها فى المحراب . . ذكرها ابن النديم وابن خلكان ، فعلم به ابن مقله الوزير سنة ٣٢٣ هـ ، فقبض عليه واعتقله اياما فلم يكن ذلك ليرجعه عن قراءته ، فأمر بجلده واستتابه فتاب ، وقال انه قد رجع عما يقرأه وانه لا يقرأ الا بمصحف عثمان بن عفان بالقراءة المتعارفة التى يقرأ بها الناس وكتب محضرا بذلك (٢)

والقراءات السبع التى ذكرنا اصحابها كلها جائزة عند المسلمين . وعند الأئمة أن الجميع على صواب ، فقد يختار الاقليم الواحد قراءة واحدة أو قراءتين أو أكثر ، وقد تقرأ كل القراءات فى إقليم واحد . (٣) وكانوا يرجعون فى اثبات صحة القراءة الى الاسناد المتسلسل كقولهم : قرأ يعقوب بن اسحق على سلام ، وقرأ سلام على عاصم ، وقرأ عاصم على أبى عبد الرحمن ، وقرأ أبو عبد الرحمن على على بن أبى طالب ، وقرأ على على الرسول (٤)

(\*) أنظر فى القراءات الشاذة مذاهب التفسير الاسلامى ص ٦٢ وما بعدها والتعليقات عليها فى الهوامش . والشواذ : ما رويت بغير طريق النواتر

(١) طبقات الادباء ٣٦١ (٢) ابن خلكان ٤٩٠ ج ١

(٣) المقدسى ٣٩ وفتح الطيب ١٠٤ ج ١ (٤) ابن خلكان ٢٠٨ ج ٢

ولم يدون هؤلاء القراء قراءاتهم في الكتب ، لكنها تنقلت بالاسناد . .  
فألف فيها كثيرون بعد نضج التمدن الاسلامي في بغداد وقرطبة وغيرها  
من مدائن ذلك التمدن . ونحن موردون خلاصة تاريخ ذلك . وأشهر ما  
وصلنا من كتبهم في هذا الفن :

١ - كتاب الايضاح في الوقف والابتداء لمحمد بن قاسم الانباري  
المتوفى سنة ٣٢٨ ، منه مجلد ناقص في دار الكتب المصرية بخط قديم  
يشبه أن يكون من خطوط القرن الرابع للهجرة ، ومنه نسخة في المتحف  
البريطاني وفي مكتبه كوبريلي بالاستانة

٢ - كتاب التيسير في القراءات السبع لابن الصيرفي من أهل  
دانية بالاندلس ، توفي سنة ٤٤٤ هـ ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب  
المصرية

٣ - جامع البيان في القراءات السبع لابن الصيرفي المذكور

٤ - مفردات القراءات السبع لابن الصيرفي المذكور ، أتى فيه على  
الاختلاف بين أصحاب نافع الاربعة الذين أخذوا عنه القراءات وبين  
غيرهم من أصحاب الائمة السبعة ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب  
المصرية

٥ - حرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع ، وهو  
منظومة لمحمد ابن فيره الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ وتعرف بمتن  
الشاطبية ، وقد طبعت في الهند وغيرها ومنها عدة نسخ خطية في دار  
الكتب المصرية

٦ - المقدمة الجزرية في علم التجويد منظومة لابن الجزري المتوفى سنة  
٨٣٣ هـ ، منها عدة نسخ في دار الكتب المصرية ، وقد طبعت مرارا

### ٣ - التفسير

كان العرب عند ظهور الدعوة. كلما تليت عليهم سورة أو آية فهموها  
وأدركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لأنها بلسانهم وعلى أساليب بلاغتهم ،  
ولأن أكثرها قيلت في أحوال كانت كالقرائن تسهل فهمها . . وإذا أشكل  
عليهم شيء منها سألوا الرسول فكان يبين لهم المجهول ويميز الناسخ من  
المسوخ ، فحفظ أصحابه عنه ذلك وتناقلوه فيما بينهم . وعنهم أخذ من  
جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين

(\*) طبعت بعد ظهور هذا الكتاب سنة ١٩١١ كتب مختلفة في القراءات ، ومن أهمها كتاب  
التيسير في القراءات السبع ( طبع سنة ١٩٣٠ ) وهو الذي نسبه المؤلف الى ابن الصيرفي  
وشهرته ابو عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ، ومنها مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه  
وقد طبع سنة ١٣٤٥ هـ بدمشق ) وكتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري

ولما صار الاسلام دولة واحتاجوا الى الاحكام والقوانين كان القرآن مصدر استنباطها . فزادت العناية بتفسيره وأصبح القراء والمفسرون مرجع المسلمين في استخراج تلك الاحكام وهم الفقهاء لاول عهد الاسلام . وكانوا يتناقلون التفسير شفاهاً الى أواخر القرن الاول

والمشهور أن أول من دون مجاهد (✽) المتوفى سنة ١٠٤ هـ ، ولكننا وجدنا في دار الكتب المصرية بضع نسخ من تفسير ينسب الى ابن عباس الصحابي المشهور المتوفى سنة ٦٨ هـ وهو ابن عم الرسول . والمتواتر انه اول من فسر القرآن ، ولم تكن نظن ان له تفسيراً مدوناً . . ولكن يؤخذ مما ذكر في مقدمة هذا التفسير أنه نقل بالرواية والاسناد ، ولم يدون في أيام صاحبه ، وللشيعة تفسير قديم ينسبونه الى محمد الباقر بن علي بن الحسين . أما تفسير مجاهد المذكور فغير موجود ، ولعله تفسير ابن عباس رواه مجاهد (١) . ولم ينضج التفسير الا في العهد العباسي كما سيأتي

#### ٤ - الحديث (✽✽)

لما اشتغل المسلمون بتفهم معاني القرآن ، كان في جملة ما افتقروا اليه في تفهمها أقوال الرسول ، وهو ما عبروا عنه بالأحاديث النبوية . وأقدم من سمعها وحفظها الصحابة ، فكانوا اذا أشكل عليهم فهم آية واختلفوا في تفسيرها أو حكم من أحكامها استعانوا بتلك الأحاديث على استيضاحها . فلما كانت الفتوح تفرق الصحابة في الارض وعند كل منهم بعض الأحاديث ، وقد ينفرد بعضهم بأحاديث لم يسمعها سواه ، فأصبح طالب الحديث اذا كان من أهل دمشق مثلاً لا يستوفيه الا اذا رحل في طلبه الى مكة والمدينة والبصرة والكوفة والرى وغيرها . وكذلك المقيم في أحد هذه البلاد ، فإنه لا يستطيع استيفاء الحديث ما لم يطلبه من البلاد الأخرى . وهذا ما يجبرون عنه بالرحلة في طلب العلم . . على أن الارتحال في طلب العلم لم يكن من مستحدثات الاسلام ، ولكنه كان شائعاً من قديم الزمان بالنظر الى قلة وسائل المواصلات وأسباب النشر في تلك العصور ، فكان المؤلف والجغرافي مثلاً يرحل في طلب التاريخ أو الجغرافيا الى أقاصى البلاد . . كما فعل هيرودوتس وأسترابون وغيرهما . وكان المسلمون يرحلون في طلب العلوم غير الحديث أيضاً ، وكان النصارى في العصر الاسلامي يرحلون الى بلاد الروم لاتقان ديانتهم (٢)

(\*) أنظر في نشأة تدوين التفسير كتاب المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن لجولدتسيهر، باب التفسير المتأخر ، وكتاب فجر الاسلام لأحمدامين ، وكلمة تفسير في دائرة المعارف الاسلامية

(١) الفهرست ٢٣

(\*\*) أنظر في الحديث وتدوينه ودخول الوضع فيه فجر الاسلام لاجد أمين ودراسات اسلامية لجولدتسيهر ومادة حديث في دائرة المعارف الاسلامية

(٢) طبقات الاطباء ١٧٥ ج ٢



نشأت الفتنة بعد مقتل الخليفة عثمان واختلف المسلمون في الخلافة وادعاهما غير واحد ، فانصرفت عناية كل حزب من احزابهم الى استنباط الادلة واستخراج الاحاديث المؤيدة لدعواهم . . فكان بعضهم اذا أعوزهم حديث يؤيدون به قولاً أو يقيمون به حجة اختلقوا حديثاً من عند أنفسهم . وتكاثر ذلك في أثناء تلك الفوضى ، فكان المهلب بن أبي صفرة مثلاً يضع الاحاديث ليشد بها أمر المسلمين ويضعف أمر الخوارج (١) وهو مع ذلك معدود من النبلاء مع علمهم بما كان يضعه من الاحاديث لانهم كانوا يعدون ذلك خدعة في الحرب ، وأمثال المهلب كثيرون كانوا يضعون الحديث لاغراض مختلفة . .

فلما هدات الفتنة وعمد المسلمون الى التحقيق كانت تلك الموضوعات قد تكاثرت ، فاستغلوا في التفريق بينها وبين الصحيح . . فالفوا كتباً كثيرة في الحديث وميزوا صحيحه من فاسده وجعلوه مراتب . ولهم في ذلك ألفاظ - اصطلاحوا عليها لهذه المراتب (\*\*) ، كقولهم : الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، والمرسل ، والمنقطع ، والمعضل ، والشاذ ، والغريب ، وغير ذلك من القابيه المتداوله بينهم . وبينوا كيف يأخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو اجازة مع تفاوت رتبها (٢) واشهر المحدثين في زمن بنى أمية وبعضهم تجاوزه (\*\*):

- ١ - ابن أبي مليكة : هو عبد الله بن أبي مليكة التيمي المكي ، من كبار تلامذة ابن عباس توفي سنة ١١٩ هـ
- ٢ - الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو ، محدث الشام وفتيها ، أخذ عنه كثيرون ، منهم عبد الله بن المبارك وابن زياد وأبو العباس الوليد بن مسلم ، توفي سنة ١٥٩ هـ
- ٣ - الحسن البصري : واعظ البصرة المشهور ، وفتيها ، ومحدثها ، ومن أقدم من تكلموا في مسائل القدر توفي سنة ١١٠ هـ

(١) ابن خلكان ١٤٦ ج ٢  
(\*\*) تعنى بذلك كتب خاصة هي كتب علم مصطلح الحديث ، ومن اشهرها مقدمة ابن الصلاح ومختصرها لابن كثير والتقريب للنووي

(٢) ابن خلدون ٢٦٨ ج ١  
(\*\*) وضعنا هنا أربعة من المحدثين المشهورين في العصر الاموي بدلاً من أربعة آخرين مغمورين وضعهم المؤلف في الطبقات السابقة ومعروف أن أشهر المحدثين في عصر بنى أمية هم أولاً من الصحابة عائشة أم المؤمنين وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وأنس بن مالك بن جابر ، ثم خلفهم تابعون موزعون على الامصار لا يحصون كثرة ، منهم في المدينة الفقهاء السبعة الذين سيذكرهم المؤلف فيما بعد ومعهم نافع مولى ابن عمر وابنته سالم والزهرى وفي مكة عطاء وعكرمة وابن دينار وابن جريج ، وفي اليمن طاووس وفي الشام الخولاني وشهر بن جوشب ورجاء بن حيوة ومكحول ، وفي مصر الصابحي وأبو تميم ويزيد بن عبد الله البربري ويزيد بن ابي حبيب ، وفي الكوفة علقمة بن قيس والاسود بن يزيد ومشروق وشريح والشمسي وسعيد بن جبير والنخعي وحامد بن أبي سليمان والاعمش ، وفي البصرة الحسن البصري وابن سيرين وأبو العالية ومسلم بن يسار وأيوب السخيتاني ، وفي خراسان عطاء بن مسلم والضحاك

٤ - الشعبي : هو ابو عمرو عامر بن شرحبيل توفى بالكوفة سنة ١٠٤ هـ وأكثر المحدثين نبغوا في العصر العباسي الاول ، وهم كثيرون ذكرهم ابن قتيبة في كتاب المعارف ( صفحة ١٧٢ - ١٧٩ )

وليس بين هؤلاء من دون كتابا ، وأقدم من دون الاحاديث مالك بن أنس (\*) الامام المشهور في كتاب الموطأ . رتبه على ابواب الفقه وهو مطبوع ومشرح ، وسيذكر في باب الفقه . وذكر بعضهم ان ابن جريج دون الحديث ، لكن لم يصلنا منه شيء

وفي العصر العباسي نضج علم الحديث وضبطت كتبه على أيدي الائمة المحدثين

### ٥ - الفقه (\*\*\*)

لما صار الإسلام دولة احتاج امرأؤه الى ما يقتضون به بين رعاياهم في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فرجعوا الى القرآن والحديث ، فاستخرجوا منهما شريعة نظموها بها حكومتهم وحكموا بها بين رعاياهم . . وذلك طبيعي في الدول الكبرى ، فاليونان قلما عنوا بوضع الشرائع والاحكام الدولية أو القضائية لانهم لم يكونوا أهم دولة كبيرة الا زمنا قصيرا فانصرفت قرائحهم الى الفلسفة وفروعها . واما الرومان فقد اتسعت مملكتهم كما اتسعت مملكة العرب وامتد سلطانهم وقويت شوكتهم ، فلم يكن لهم بد من وضع الشرائع . لكنه لم يتم نضجها الا بعد تأسيس دولتهم ببضعة عشر قرنا على يد يوستينيان صاحب القانون المشهور سنة ٥٢٩ م ، وهي عبارة عن عادات واعتبارات واعتقادات تجمعت بتوالي الاحقاب من الشعب اللاتيني والصابني وغيرهما من دانوا لرومية بالتدريج حتى صارت شريعة كاملة على عهد يوستينيان المذكور

(\*) المعروف ان تدوين الحديث تأخر الى عصر عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الثانية . ولكن هذا لم يمنع من تدوين بعض الاحاديث منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، على نحو ما هو معروف عن تدوين عبد الله بن عمرو بن العاص . وظل الصحابة والتابعون الاولون يكرهون تدوين الاحاديث مقتدين بالرسول الذي كان يخشى أن يشغل المسلمون بشيء عن القرآن الكريم ، ولكن هذا لم يمنع من تدوين اطراف منه عند بعض التابعين ، أنظر في ذلك تدوين العلم للخطيب البغدادي . حتى اذا كان عصر عمر بن عبد العزيز أخذ المسلمون يدونونه تدوينا عاما ، وكان أول من قام بذلك ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ . وتتابع التأليف ، ففي البصرة ألف فيه سعيد بن أبي عروبة والربيع بن صبيح وفي الشام الوليد ابن مسلم وفي الري جابر بن عبد الرحمن وفي خراسان عبد الله بن المبارك وفي واسط بالهراق هشيم بن بشير وفي الكوفة أبو بكر بن أبي شيبة ثم خلف هؤلاء الطبقة الثالثة من التابعين وعلى رأسهم مالك . أنظر المقرئ في الخطط وابن عبد البر في جامع بيان العلم ومقدمات شروح البخاري ومسلم وقوت القلوب للمصطفى بن جعفر الاسلامي وفتح أمين وتبليغ لتاريخ الفلسفة الاسلامية لمصطفى عبد الرازق

(\*\*) أنظر في الفقه والفقهاء زمن الرسول والخلفاء وبنى أمية الفصل الثالث من الباب السادس من كتاب فجر الاسلام لاحمد أمين ، ومحاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي لاحمد يوسف موسى والعقيدة والشريعة في الاسلام لجولد تسيهر . وتاريخ التشريع الاسلامي لحمسد الخضري ودائرة المعارف الاسلامية

وأما المسلمون فانهم استخرجوا أحكامهم من القرآن والحديث ولم يمض عليهم قرنان والثالث حتى نضجت شريعتهم وتكون فقههم ، وهو من أفضل شرائع العالم . وقد اسرعوا في ذلك مثل سرعتهم في تأسيس دولتهم ونشر دينهم ..

قلنا ان القرآن أساس الفقه الاسلامي ، وكان المسلمون في عهد النبي يتلقون الاحكام منه وهو يبينها لهم شفاهاً . فلم يكن ذلك يحتاج الى نظر أو قياس . فلما توفي رجع الصحابة الى القرآن والسنة ، فأصبح القراء أول فقهاء المسلمين او حاملي شريعتهم . وكانوا يرجعون اليهم في الفتيا والاحكام لقللة الذين يقرأون في الصدر الاول ، فلما عظمت أمصار الاسلام وذهبت الامية من العرب وكمل الفقه وأصبح صناعة بدلوا باسم الفقهاء والعلماء ..

#### الفقهاء

وأول الفقهاء المسلمين الصحابة الاولون ، وأولهم الخلفاء الراشدون ، ثم عبد الرحمن بن عوف ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة ، وزيد بن ثابت ، وسلمان ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، (١) ثم انتقلت الفتوى والفقه الى التابعين ، واشتهر منهم سبعة : سعيد بن المسيب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وقاسم ، وعبيد الله ، وعروة ، وسليمان ، وخارجة ، وقد جمعهم بعض العلماء في هذين البيتين :

ألا كلٌّ من لا يقتدى بأئمةٍ فقسمةٌ فيزي ، عن الحق خارجه  
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد سليمان أبو بكر خارجه (٢)

وبعض المؤرخين يحسبهم عشرة مع تبديل بعض الاسماء ، (٣) وعنهم انتقل الفقه والفتيا في العالم الاسلامي . وفي اوائل الاسلام ، كان الفقه والقراءة والتفسير والحديث علما واحداً . ثم أخذت هذه العلوم تستقل بعضها عن بعض عملاً بناموس الارتقاء ، فلما استقل الفقه سموا أصحابه الفقهاء كما تقدم وكان لهم تأثير كبير في الدولة لما يترتب على الفتيا من الامور الهامة كالمزول والتنصيب والقتل والعفو . ففي أيام بني أمية كان المرجع في الفقه والفتيا الى اهل المدينة ، وكان الخلفاء لا يقطعون امراً دونهم . ولم يخلف فقهاء العصر الاموي آثاراً مكتوبة لأن الفقه نضج وتكيف بعد نوع الأئمة الاربعة في العصر العباسي

(٢) ابن خلكان ٩٢ - ١

(١) الدموي ٥١ ج ١  
(٣) أبو الفداء ٢٠٩ ج ١

# العلوم اللسانية

## في العصر الاموى

ونريد بها العلوم التي ترجع الى ضبط اللغة العربية كالنحو والصرف والادب ونحوها . وهذه بدأت بالتكون في العصر الاموى ، ولم يتكون منها في هذا العصر غير النحو ويلحقه الحركات والاعجام . وستتكم عن كل منها:

### ١ - النحو

النحو بمعناه الحقيقي طبيعى على لسان كل متكلم يتلقنه من مرضعه ، لان الانسان يتعلم النحو وهو يتعلم النطق . . اذ بدونه لا يحسن التعبير عن افكاره . اما اذا اراد ان يتعلم لسانا غير لسانه ، فدرس قواعد النحو فانه يسهل عليه تناوله . ولذلك فالامة قد تقضى قرونا عدة وهى تتكلم وتخطب وتنظم الشعر قبل ان تدون قواعد النحو وتجعله علما . . فاليونان لم يبدأوا بضبط قواعد لسانهم الا في القرن الخامس قبل الميلاد . واول من بدأ بذلك منهم بروتغوراس المتوفى سنة ٤١١ ق . م . فتكلم في المذكر والمؤنث وبعض الاسماء ، ثم بروديكوس وقد عاصره وتكلم في المترادفات ، ثم جاء أرسطو وغيره واثموا علم النحو اليونانى وله تاريخ يشبه تاريخ النحو العربى . وكذلك فعل الرومان في نحو اللغة اللاتينية ، فانهم لم يدونوا قواعده الا في القرن الاول قبل الميلاد في زمن بومبيوس . . وقد دونه عالم اسمه ديونيسيوس تراكس اقتداء باليونان

فاليونان نبغ فيهم الشعراء والخطباء والادباء والفلاسفة قبل تدوين قواعد النحو في لسانهم . . فنظم هوميروس الياذته وأودسته وهو لم يتعلم قواعد النحو ، فلم يضره ذلك شيئا لان اللغة كانت ملكة فيه . والف اسخيلوس الروايات التمثيلية وسحر اليونان ببيانه ، ونبغ الفلاسفة أمثال اناكسيمندر وطاليس . وكتب هيرودوتس الرحالة تاريخه المشهور قبل وضع النحو . وكذلك الرومان ، فقد نبغ فيهم جماعة من الشعراء والخطباء والادباء قبل تدوين النحو

وهكذا العرب ، فقد نظموا الشعر والقوا الخطب وتناشدوا وتراسلوا قبل تدوين النحو لأن ملكة اللغة كانت طبيعية فيهم . . على أنهم اضطروا الى ضبط تلك القواعد وتدوينها بأسرع مما اضطر اليه اليونان والرومان ، انتماسا للدقة في ضبط معاني القرآن . . فلم يمتض على دولتهم نصف قرن حتى شعروا بالحاجة الى النحر . ويغلب على ظننا أنهم نسجوا في تبوية على منوال السريان ، لأن السريان دونوا نحوهم والقوا فيه الكتب في أواسط القرن الخامس للميلاد . وأول من باشر ذلك منهم الاستقف يعقوب الرهاوي الملقب بمفسر الكتب المتوفى سنة ٤٦٠م (١) ، فالظاهر أن العرب لما خالطوا السريان في العراق اطلعوا على آدابهم وفي جملتها النحو ، فأعجبهم . . فلما اضطروا الى تدوين نحوهم نسجوا على منواله لان اللغتين شقيقتان . ويؤيد ذلك ان العرب بدأوا بوضع النحو وهم في العراق بين السريان والكلدان . وأقسام الكلام في العربية هي نفس أقسامه في السريانية

أما استعجال العرب في تدوين النحو فإنه تابع لاستعجالهم في الفتح ونشر الدين ، لأن الفتوح دعت الى الاختلاط بالاعاجم ، والاختلاط دعا الى فساد اللغة . . فأصبح الناس يهملون الاعراب . وكان العرب عند ظهور الاسلام يعربون كلامهم على نحو ما في القرآن ، الا من خالطهم من الموالي والمتمريين ، فان هؤلاء كانوا حتى في أيام الرسول يخطئون في الاعراب . . وقد ذكروا رجلا لحن بحضرة الرسول فقال : « أرشدنا أحاكم فقد ضل » . وقال ابو بكر . « لان اقرأ فأسقط أحب الى من ان اقرأ فألحن » (٢) ولكن اللحن لم يكثر الا بعد الفتوح وانتشار العرب في الأفاق ، فتدمر العمال مما كانوا يسمعون من اللحن وخصوصا في قراءة القرآن ، وأحسوا بحاجة شديدة الى ضبط قواعد اللغة

أما واضع علم النحو أو مدونه فهو بالاجماع أبوالاسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ ، وكان من سادات التابعين صحب على بن أبي طالب وشهد معه واقعة صفين ثم أقام في البصرة . وكأنه تعلم لغة السريان او اطلع على نحوها فرغب في النسخ على منواله ، فعرض ذلك على والي العراقين يومئذ زياد ابن أبيه فأبى (٣) . حتى اذا جاءه رجل يشكو اليه أمرا فسمعه يقول : « أصلح الله الأمير توفي أبانا وترك بنون » فاستنكف زياد من سماع ذلك اللحن ، فبعث الى أبي الاسود أن يصنع ما كان قد نهاه عنه

واختلف الرواة فيما بعث ابا الاسود على وضع النحو ، لكنهم مجمعون على أنه واضعه كما قدمنا . وهو يقول انه تلقى ذلك عن علي بن أبي طالب

(\*) انظر في ذلك ضحى الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الثاني . . وكلمة نحو في دائرة المعارف الاسلامية

(٢) المزهر ١٩٩ ج ٢

(١) شعراء السريان للقرطبي ١٨

(٣) ابن خلكان ٢٤٠ ج ١

فوضع علم النحو أو الشروع فيه على الأقل ثابت لابي الاسود ، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن النديم صاحب الفهرست مما شاهده بعينه فى عرض كلامه عن خزانة كتب اطلعه عليها احد جماعى الكتب . . فكان فى جملة ما فيها قمطر كبير فيه نحو ٣٠٠ رطل جلود، فلحاف وصكالك وقرطاس مصرى وورق صينى وورق تهامى وجلود آدم وورق خراسانى ، وبينها أربع أوراق . قال: « أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام فى الفاعل والمفعول من أبى الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر ، وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوى وتحت هذا خط النضر بن شميل . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر » (١)

على أن ما وضعه أبو الاسود من القواعد لم يكن ليسد الحاجة المستعجلة لضبط القراءة ، فعمد الى ضبطها بعلامات يتميز بها المنصوب من المرفوع أو الاسم من الفعل ، فوضع علامات كانت عند السريان يدلون بها على الرفع والنصب والجر أو يميزون بها الفعل من الاسم كما سيجىء فالعرب كانوا يعرفون الاعراب قبل علم النحو كما كانوا يحسنون النظم قبل علم العروض ، وكان ذلك ملكة طبيعية فيهم حتى اختلفوا بالاعاجم وأسلم هؤلاء وليس فيهم ملكة اللغة ليفهموا القرآن . . فاضطروا الى ضبطها وكانوا أكثر المسلمين اشتغالا بذلك . بدأ بعلم النحو أبو الاسود وأتمه من جاء بعده من أهل البصرة والكوفة . ولم ينضج الا فى العصر العباسى . وسيأتى الكلام عليه هناك

## ٢ - الحركات

ونعنى بها علامات الضم والفتح والكسر ونحوها ، اضطروا الى وضعها فى أوائل الاسلام لضبط الاعراب فى قراءة القرآن . وكان القرآن فى أول الاسلام محفوظا فى صدور القراء ، لا خوف من الاختلاف فى قراءته لكثرة عبايتهم فى تناقله وضبط الفاظه حتى دونوه وكثر أهل الاسلام . . فمضى نصف القرن الاول للهجرة والناس يقرأون بلا حركات ولا اعجام . وأول ما افتقروا اليه الحركات ، وأول من رسمها أبو الاسود الدؤلى المتقدم ذكره . . فانه وضع نقطا تمتاز بها الكلمات أو تعرف بها الحركات ، ولذلك توهم بعضهم أنه وضع نقط الاعجام . والحقيقة أنه وضع نقطا لتمييز الاسم من الفعل والحرف ، وليس لتمييز الباء من التاء أو الجيم من الحاء . والأرجح انه اقتبس ذلك من الكلدان أو السريان جيرانه فى العراق ، وكان عندهم نقط كبيرة توضع فوق الحرف أو تحته لتعيين لفظه أو تعيين الكلمة الواقع هو فيها : اسم هى ، أم فعل ، أم حرف . . مثل قولهم «كتب» فيمكن أن تكون اسما جمع كتاب أو فعلا ماضيا معلوما أو مجهولا . وكان عندهم أيضا نقط هي حركات ، وصفها يعقوب الرهاوى قبيل ذلك الزمن ، (٢) وهى عبارة عن نقط كانت ترسم فى حشو الحروف ثم تحولت الى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث ، وما زالت عندهم الى اليوم

(٢) اللمة الشهية ٤٠

(١) الفهرست ٤٠

فالظاهر أن أبا الأسود اقتبس هذه الحركات . ويؤيد ذلك أنه لما أراد التنقيط أتوه بكتاب ، فقال له أبو الأسود : « إذا رأيتنى قد فتحت فمى بالحروف فانقط نقطة فوقه على أعلاه . وان ضمنت فانقط نقطة بين يدي الحرف . وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف » (١) فكان العرب بعد ذلك يستعملون هذه النقط . والغالب أن يكتبوها بلون غير لون الخط . وقد شاهدنا في دار الكتب المصرية مصحفا كوفيا منقطا على هذه الكيفية وجدوه في جامع عمرو بجوار القاهرة ، وهو من أقدم مصاحف العالم مكتوب على رقوق كبيرة بمداد اسود وفيه نقط حمراء اللون . فالنقطة فوق الحرف فتحة ، وتحت كسرة ، وبين يدي الحرف ضمة ، كما وصفها أبو الأسود

### صور الحركات

أما صور الحركات التي وصلت إلينا . . نعى الضمة والفتحة والكسرة نلا نعلم واضعها أو واضعيها ولا الأزمن الذي وضعت فيه ، ولكن الغالب أنها وضعت في القرون الأولى للإسلام كما وضعت نقط الاعجام اقتداء بالسريان لأن هؤلاء وضعوا الحركات لحروفهم في القرن الثامن للميلاد نقطا كما فعل العبرانيون . والحركات عند العبرانيين ١١ وعند السريان الشرقيين ٧ وعند السريان الغربيين ٥ ، أما في العربية فهي ثلاث فقط

ظل الساميون يكتبون سنتهم بلا حركات من أقدم أزمنة التاريخ في آشور وبابل وفينيقية واليمن والحجاز ، ولم يفتنوا لوضع الحركات إلا بعد الميلاد المسيحي . وأقدم وسيلة اتخذوها لدفع الالتباس في القراءة النقطة الكبيرة التي استخدمها السريان كما تقدم . والغالب أنها وضعت نحو القرن الرابع للميلاد . ثم تقدموا خطوة أخرى فاتخذوا لكل خطوة علامة خاصة توضع فوق الحرف أو تحته ، وهي عند العبران والسريان الشرقيين نقط توضع مفردة أو مزدوجة فوق الحرف أو تحته فتدل على الضم أو الفتح أو الكسر أو ما بينهما ، كالأماله والأشمام ونحوهما

أما السريان الغربيون ، فاقتبسوا الحركات من الابجدية اليونانية ، وأخذوا منها خمسة أحرف صوتية هي Y.E.H.O.A. عبروا بها عن الحركات ، كل حرف يجانس الحركة التي يدل عليها في اليونانية . وقد تم ذلك في المائة الثامنة للميلاد . . إذ نهض السريان لتحرير الفاظ الكتاب المقدس وسائر كتب الدين وضبطوا قراءتها ، وكانت اليونانية شائعة بين رجال العلم منهم ، فاقتبسوا حروفها الصوتية لهذه الغاية

أما العرب فقد اهتموا بضبط لسانهم مثل السريان ، فاقصدوا بهم أولا بالنقط الكبيرة والصغيرة ثم وضعوا الحركات المستقلة كما وصلت إلينا . . لكنهم لم يقتبسوها من أحرف الالسنة الأخرى كما فعل السريان ، بل أخذوها من الابجدية العربية فاستخدموا حروفها الصوتية لتسدل على الحركات والحركات العربية لا تقل عددا عن الحركات السريانية وربما زادت عليها ،

ولكن الاحرف الصوتية في العربية ثلاث فقط ( الواو والالف والياء )  
 دستعاروها للدلالة على الضم والفتح والكسر وهي الحركات الرئيسية ،  
 وتركوا سائر الحركات المختلصة كالاشمام والروم والامالة لفظنة القارىء .  
 واذا تأملت صور الحركات المذكورة رأيت الضمة كالواو تماما والفتحة تشبه  
 الالف مائلة . واما الكسرة فانها الآن بعيدة الشبه بالياء . فاما أنها كانت عند  
 أول استخدامها أقرب الى شكل ألياء ثم تنوعت بالاستعمال ، أو أنهم قلدوا بها  
 حركة الكسر عند السريان الشرقيين ، وهي نقطتان أسفل الحرف فرسمهما  
 العرب معا فجاءتا كالكسرة . أو لعلهم اقتبسوا الياء السريانية فان صورتها  
 كالكسرة العربية وهي ( ~ ) وقد قال الامام الرازى : « الحركات أبعاض  
 المصوتات »

### المد والشدة والوصلة والهمزة

وفي الكتابة العربية علامات أخرى لضبط التلغظ بالمد أو الوصل أو الادغام،  
 وهي أحدث في استنباطها من الحركات التي تقدم ذكرها . ولكنها وضعت  
 قبل القرن الخامس للهجرة وأشهرها المددة « ~ » والشدة « ˆ » والوصلة « ˆ » وكلها  
 مقتطعة من ألفاظ تؤدي المعنى المراد من وضعها . فالمددة مقطوعة من « مد »  
 والشدة من « شد » والوصلة من « صل » . . وذلك أن الكاتب كان اذا  
 أراد ضبط ما يكتبه كتب فوق الحرف الذي يريد مده قوله « مد » بصيغة  
 الامر ، وفوق الحرف المدغم لفظ « سد » والشين بلا نقط ، وفوق الالف  
 المراد وصلها كلمة « صل » . وكانوا يرسمون هذه الالفاظ صغيرة كما  
 يفعلون حتى اليوم في علامات ضبط قراءة القرآن ، فيكتبون فوق الكلمة  
 « قف » أو « ج » أو « ص » أو « ط » وكل منها مقتطعة من لفظ يراد به  
 تعيين درجة الوقف أو الوصل

وظلوا دهرًا يكتبون علامات المد والشد والوصل بصورها الاصلية ثم  
 اختصروها ، فكانوا يعبرون عن حركة المد أولا بكتابة لفظ « مد » وعن  
 التشديد بلفظ « شد » وعن الوصل بلفظ « صل » ثم اختصروا صورها  
 بالاستعمال فصارت المد « مد » والشدة « سد » والوصلة « صل » ثم اختصرت  
 في الكتابة الى ما هي عليه الآن . وقد أطلعنا في معرض دار الكتب المصرية  
 على كتاب مخطوط في أوائل القرن الخامس للهجرة ، وفيه هذه العلامات  
 قريبة جدا من الفاظها الاصلية . وهذه صورتها في ذلك الكتاب «مد» للمدة  
 و «سد» للشدة و «ص» للوصلة

ما همزة القطع فانها بصورة العين مصغرة «ع» ، ولعلمهم يرمزون عنها  
 بالعين لتقارب لفظيهما ، وكثيرا ما تتبادلان ، أو أنهم رسموا العين مقطعة من  
 لفظ « قطع » كما بقيت الصاد من صل والشين من شد  
 ومن العلامات الكتابية الشائعة علامة توضع في آخر الرسالة أو الكتاب .  
 ويراد بها الدلالة على نهاية القول وهي « ۞ » أو نحوها ، والغالب في اعتقادنا  
 انها بقية لفظ « صح » التي كانوا ولا يزالون يختمون رسائلهم بها



## ٣ - الاعجام

كان الخط لما اقتبسه العرب من السريان والانباط خاليا من النقط . ولا تزال الخطوط السريانية بلا نقط الى اليوم . فالاعجام حادت في العربية وهو قديم فيها . والظاهر أن المسلمين بعد أن استخدموا الحركات المذكورة رأوا التصحيف قد تكاثر ، والتبست القراءة عليهم لتكاثر الاعجام من القراء ، والعربية ليست لغتهم . . فصعب عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة في شكلها كالجيم والحاء والسين والشين والباء والتاء والثاء ، فانتبه لذلك الحجاج أمير العراق في أيام عبد الملك بن مروان . قال ابن خلكان : « ففرع الحجاج الى كتابه وسألهم ان يضعوا لهذه الاحرف المختلفة علامات تميزها بعضها من بعض ، فيقال أن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط افرادا وأزواجا وخالف بين أماكنها ، فعبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون الا منقوطة فكان مع استعمال النقط أيضا يقع التصحيف ، فأحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط بالاعجام» (١) وفي عبارة ابن خلكان هذه التباس فلا يفهم المراد بها . ولا ما الفرق بين التنقيط والاعجام وهما واحد . ولا يعقل أن يكون المراد بالنقط الحركات لانهم انما عمدوا اليها لكثرة التصحيف اى اختلاف القراءة باختلاف النقط . فالظاهر ان النقط المذكورة هي من قبيل الاعجام لتمييز الحروف المتشابهة ، ولكن نصرا هذا لم ينقط الا بضعة حروف مما يكثر وروده ويخشى الالتباس فيه . ثم رأوا القراءة لا تضبط الا بتنقيط كل الحروف كما هي الآن ، وهذا ما عبروا عنه بالاعجام

وقد شاهدنا في معرض الخطوط في دار الكتب المصرية كتابة عربية على صحيفة من البردي « البابروس » مؤرخة سنة ٩١ هـ ، وفيها اعجام لكنه قاصر على الصور المتشابهة للباء للتمييز بين الباء والياء والتاء وصورة حرف الشين لتمييزه من السين بثلاث نقط موضوعة على استواء واحد . وشاهدنا أجزاء من مصاحف أخرى مكتوبة على رقوق صغيرة وعليها نقط حمراء للحركات ونقط سوداء للاعجام . وقد تجد خطوطا قديمة منقطة ومحركة وخطوطا حديثة بلا تنقيط ولا تحريك

ولم تعجم الحروف كلها في وقت واحد ، ولكنهم تدرجوا في ذلك حسب الحاجة في أزمنة مختلفة . ويتضح ذلك لمن يتأمل في المخطوطات العربية القديمة ، فانك تجد الاعجام لم يبلغ ما هو عليه الآن الا بتوالي الاجيال . وآخر حرف اعجم الياء لتمييز الياء من الالف المقصورة . وأول من فعل ذلك المرسلون الامريكيون في بيروت في أوائل القرن الماضي

## ٤ - التاريخ والجغرافية

في زمن نبي أمية

نم يكن عند عرب الجاهلية من التاريخ الاخبار متفرقة ليست من التاريخ في شيء ، فلما ظهر الاسلام واشتغل المسلمون بالفتح والحرب حتى استتب

(١) ابن خلكان ١٢٥ ج ١

لهم الامر ونزعوا الى الجهاد . . تدرجوا في وضع التاريخ مثل تدرجهم في سائر العلوم الاسلامية . وهو قسمان :

١ - تاريخ المسلمين وأعمالهم وتراجم رجالهم وهذه قد استخراجها العرب من أعمالهم

٢ - تاريخ الامم الاخرى . . وهذه بدأوا بتعريفها ونقلها من زمن بنى أمية لان الدهاة من الخلفاء الامويين كانوا من أرغب الناس في معرفة أخبار مشاهير الامم الاخرى . .

فمعاوية بن أبي سفيان كان يجلس لاصحاب الاخبار في كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل ، فيقصون عليه من أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها في رعيته وسائر ملوك الامم وحروبها ومكائدها . ثم ينام ثلث الليل ويقوم ، فيأتيه غلمان مرتبون وعندهم كتب قد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فيقرأون عليه ما في تلك الكتب من سير الملوك وأخبار الحروب ومكائدها وأنواع السياسة (١) . والغالب في اعتقادنا ان تلك الكتب كانت باللغتين اليونانية واللاتينية، وفيها أخبار ابطال اليونان والرومان كالاسكندر ويوليوس قيصر وهنريال ، وان الغلمان كانوا يفسرونها له بالعربية .

وسماع أخبار العظماء يستنهض الهمم الى الاقتداء بهم ولذلك كان اكثر القواد العظام الراغبين في العلام من العرب وغير العرب يستتلون أخبار من سبقهم من مشاهير القواد والساسة للعبرة .

أما تدوين التاريخ في اللغة العربية ، فبدأ في زمن بنى أمية مع رغبة المسلمين عن التدوين في ذلك العصر لأسباب بينها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي . ولكنهم اختصوا عدم التدوين بالققه والتفسير ، فلم يدونا الا في القرن الثاني . وأما ما تقدم ذكره عن تفسير ابن عباس ، فانه مروى عنه سماعا

ويظهر أنهم بدأوا بتدوين التاريخ الاجنبى قبل تدوين حروبهم وفتوحهم ، اذ لم يكن المراد بالتدوين خدمة التاريخ . . انما فعلوه لحاجة الخلفاء الى الاطلاع على احوال الامم الاخرى . وأول من فعل ذلك عبيد بن شرية (\*\*) ألف كتاب الملوك وأخبار الماضين لمعاوية بن أبي سفيان ، ذكره صاحب الفهزست ولا وجود له الآن . وكان الامويون يسمون ابحاث هذا العلم « علم أخبار الماضين » . وذكر ابن النديم كتابا في موضوعات مختلفة الفها ابومخنف الأزدي من أصحاب على ، فيها تراجم المشاهير ونحوهم ، وكتابا الفه عوانة ابن الحكم الكلبي في التاريخ، وآخر في سيرة معاوية وبنى أمية في القرن الثاني للهجرة . ولم يصل الينا شيء من هذه الكتب ولا غيرها من كتب الادب

(١) المسعودى ٥٢ ج ٢

(\*\*) أنظر دائرة المعارف الاسلامية في ترجمة عبيد وكذلك زميله وهب بن منبه ، وهما أقدم المؤرخين العرب ، وقد كتب أبان بن عثمان بن عفان كتابا في تاريخ الرسول وغزواته ، كما كتب في ذلك عروة بن الزبير . وأنظر مادة تاريخ في دائرة المعارف الاسلامية ، والفصل الاول من الباب الخامس في فجر الاسلام لاحمد امين

والتاريخ مما كتب في زمن بنى أمية (✱)

ومن العلوم التاريخية التي ولدت في العصر الاموي علم الانساب ، وقد علمت ان الانساب من العلوم الجاهلية فاحتاج اليها المسلمون في صدر الاسلام لاثبات انسابهم . وعليها يتوقف مقدار العطاء أو منزلة الشخص من الدولة أو المنصب فجعلوها علما . وأول من احتاج الى ذلك زيادة بن أبيه الداهية المشهور الذي استلحقه معاوية بنسبه ليستعين به على اعدائه ، فعمل في نسبه كتابا دفعه الى ابنه . ذكر ذلك ابن النديم ايضا ، ولم نقف عليه ولا على خبره . وذكر أيضا من أقدم النسابين في الاسلام دغفل والحجر بن الحارث والبكري ولسان الحمرة ولم يذكر لهم كتباً

وبالاجمال أن التاريخ ولد في زمن بنى أمية، ولم ينضج الا في العصر العباسي . وعلى كل حال فان العرب من أسبق الأمم الى تدوين التاريخ بعد أن تمدنوا، لان الرومان لم يؤلفوا فيه الا بعد تأسيس دولتهم بسبعة قرون . وأول مؤرخيهم يوليوس قيصر (١) أى بعد استقرار الدولة . واليونان بدأ التاريخ عندهم بموضوعات خاصة ، ولم يدونوا التاريخ العام الا في زمن هيرودوتس أى بعد انشاء دولتهم ببضعة قرون

أما الجغرافية فلفظها يدل على انها دخيلة ، لكن العرب بدأوا بشيء منها قبل النقل كما سيجىء

## ٥ - العلوم الدخيلة

نريد بالعلوم الداخلية التي نقلها المسلمون الى اللغة العربية من اللسنة الاولى . ويدخل فيها علوم اليونان والفرس والهند والسريان وغيرهم . وهذه نقلت في العصر العباسي كما هو مشهور ، لكن العرب بدأوا بنقلها منذ أيام بنى أمية وإن لم يبق من نقلهم شيء الى الآن

خالد بن يزيد

وأول من فعل ذلك خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ هـ حفيد معاوية الأكبر ويسمونه الحكيم . وكان طامعا في الخلافة بعد وفاة أخيه معاوية الثاني ، فغلبه على ذلك مروان بن الحكم وانتقلت الخلافة من بيت أبي سفيان الى بيت مروان . فلما يئس خالد من الخلافة وهو ذو مطامع وذكاء ، انصرف ذهنه الى اكتساب العلا بالعلم . وكانت صناعة الكيمياء رائجة يومئذ في مدرسة الاسكندرية ، فاستقدم جماعة منهم راهب رومي اسمه مريانوس طلب اليه أن يعلمه صناعة الكيمياء . فلما تعلمها أمر

(✱) طبع بعد تأليف هذا الكتاب كتابان من كتب الاخبار والتاريخ في عصر بنى أمية ، وهما . كتاب اخبار عميد بن شربة ، وكتاب التيجان في ملوك حمير لوهب بن منبته وهما مطبوعان في حيدر آباد سنة ١٣٤٧ هـ

بنقلها الى العربية فنقلها له رجل اسمه اسطفان القديم (١) . وهذا أول نقل  
فى الاسلام من لغة الى لغة

وكان خالد راغبا فى علم النجوم أيضا ، وأنفق الاموال فى طلبه واستحضار  
آلاته . ولعلمهم ترجموا له شيئا منه لم يصلنا خبره

ولم يصلنا شيء من منقولات خالد المذكورة ، ولكنه كان شديد الوله  
بالعلوم الطبيعية وخصوصا الكيمياء والفلك . وقد ذكر ابن القفطى فى ترجمة  
ابن السنيدى أنه شاهد فى خزائن الكتب بالقاهرة كرة نحاس ، كتب عليها  
« حملت هذه الكرة من الامير خالد بن يزيد بن معاوية » (٢)

واشتغل بنقل العلم فى هذا العصر بعض أهل الشام ، نقلوا بعض كتب  
الطب . وممن وصلنا خبرهم من النقلة طبيب كان معاصرا لروان بن الحكم  
أسمه ماسرجويه ، سريانى الجنس يهودى المذهب كان يقيم فى البصرة .  
وظهر فى أيامه كتاب فى الطب هوكناش ( حاوى ) من أفضل الكنائش ، الفه  
القس أهرون بن أعين فى اللغة السريانية فنقله ماسرجويه الى العربية .  
فلما تولى عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب فى خزائن الكتب فى الشام . .  
فحرضه بعضهم على اخراجه الى المسلمين للانتفاع به ، فاستخار الله فى  
ذلك أربعين يوما ثم اخرجته الى الناس وبثه فى أيديهم . ويدلك ذلك على  
التردد الذى استولى على الخليفة فى اخراج هذا الكتاب ، مع أنه من كتب  
الطب لا الفلسفة

وذكر ابن النديم أن سالما كاتب هشام بن عبد الملك نقل رسائل ارسطو  
الى الاسكندرية . وعلى كل حال لم يبق شيء من منقولات هذا العصر

(١) الفهرست ٢٤٢ و ٢٤٤

(٢) أخبار الحكماء لابن القفطى ٤٤٠

# الآداب الجاهلية

## في العصر الأموي

نريد بالآداب الجاهلية الآداب العربية التي كانت عند العرب قبل الاسلام وقد تطورت عندهم ، وأهمها اللغة والشعر والخطابة والانشاء ، وننظر في كل منها على حدة

### ١ - اللغة

اللغة مرآة عقول أهلها ومعرض ادابهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم ، تتبعهم فيما يقرأ عليهم من التغيير وتحفظ آثار ذلك التغيير . وقد تتبدل أحوال الأمة ويذهب كثير من عاداتها أو آدابها وتبقى اثار ذلك في ألفاظها وتراكيبها ، وقد رأيت ما حدث في اللغة من الآداب الشرعية واللسانية ، فافتضى ذلك طبعاً أن يحدث فيها ألفاظ جديدة أو تتنوع بعض ألفاظها للتعبير عن المعاني الجديدة ..

فمن المصطلحات اللغوية التي اقتضتها العلوم اللسانية قولهم : النحو والعروض والشعر والاعراب والادغام والاعلال والحقيقة والمجاز والنقض والمنع والقلب والرفع والنصب والخفض والمديد والطويل وغيرها من أسماء البحور وضروب الاعراب والتصريف ، وهي كثيرة جداً ولها فروع واشتقاقات .. حتى لقد أصبح للفظ الواحد معنى فقهي وآخر لغوي وآخر عروضي وآخر ديني مما لا يمكن حصره . أما المصطلحات الشرعية فقد ذكرنا بعضها في الكلام على اللغة في عصر صدر الاسلام ، فليقتبس عليها ودخل اللغة في هذا العصر كثير من المصطلحات الادارية كالخليفة والوزارة والحجابة والامامة وغيرها من مصطلحات الجند : كالمستزرقة والمنطوعة والعلوفة والعسكر ، وضروب الحرب وأبواب الهجوم : كالزحف والكر والفر والبيات والكفاح والغرة ، وصنوف الاسلحة : كالدبابة والكبش والعرادة وغيرها .. ناهيك بمصطلحات الدواوين على اجمالها كقولهم : الثغور والعواصم والاقليم والقصبه والعمل والولاية والضياح والحكومة والسكة والتوقيع والوظيفة والخراج والجزية والعشور والمرافق والصوافى والجواى والجباية والوقف والمصادرة والمستغلات والصدقة والمكوس والمراصد ودار الضرب والضمان والدفاتر والجرائد والخرايط والايغار والراتب والجارى والعتاء والبيعة والدعوى والختم والخطط والمطالعة والمؤامرة وغير ذلك كثير جداً

وأكثر هذه الالفاظ كانت موجودة فى اللغة ، لكن مدلولاتها تغيرت بتغير أحوال العرب بعد انشاء دولتهم لحدوث معان جديدة اقتضاها ذلك التغيير (١)

## ٢ - الشعر فى العصر الاموى

لم يكن للشعر العربى تأثير فى النفوس ومنزلة فى الدولة فى عصر من عصور العرب مثل ما كان له فى العصر الاموى ولا غرابة فى ذلك بعدما علمته من خصائص ذلك العصر السياسية وطبائع الامويين ، ولا بأس من ذكر الاسباب التى بعثت على ازدهار الشعر فى هذا العصر ومنزلته فى الدولة وتأثيره فى النفوس بايجاز ، ثم نأتى على مميزاته

### اسباب رواجه

١ - انقسام القبائل بالعصية . اقتضت سياسة بنى أمية امتعاء القبائل بعضها على بعض بالرجوع الى عصبية الجاهلية . وأول من فعل ذلك معاوية فى الخلاف بينه وبين على وأبنائه . ثم كان انقسام القبائل عند انتقال الخلافة من آل معاوية الى آل مروان وكلاهما من بنى أمية ، ونشبت الحرب فى مرج راهط . وقد تقدمت الاشارة الى ذلك . وأخيرا قام طلاب الخلافة من غير العلويين فى زمن يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان وهم الحسين بن على وآل الزبير والازارقة وسعيد بن الأشدق وغيرهم كما تقدم . ولكل خارج قبيلة أو بضع قبائل تنصره ، والامويون يستعينون بالشعراء على اختلاف قبائلهم وبطونهم . يتألفونهم بالعطاء لعلمهم بما لقول الشاعر من التأثير فى نفوس عشيرته لانه لسان حالها . فازداد الشعراء بذلك نفوذا وتقربا من الخلفاء أو الامراء . وكان الخليفة يعد مدح الشاعر له دليلا على رضى قبيلته عن سياسته لانه لسان حالها . والقبيلة تعد اكرام الخليفة لشاعرها اكراما لها

٢ - سخاء بنى أمية بالاموال : واقتضت سياستهم تألف الشعراء بالمال فضلا عن اضطراب الشعراء وغيرهم الى استرضائهم خوفا من قطع العطاء عنهم . والعطاء يومئذ رواتب الجند وسائر المسلمين . وكان المسلمون فى صدر الاسلام كلهم جندا ، ولكل منهم راتب يتناوله من بيت المال على شروط مذكورة فى الديوان (٢) فمن قبض على بيت المال قبض على رقاب الرعية ، ويجدر بهم أن يتقربوا منه ويتزلفوا اليه . فاذا كان القابض عليه حكيما يعرف كيف يعطى لمن يعطى ، أغناه ذلك عن سائر الاسباب فيزيد العطاء أو ينقصه أو يقطعه على حسب الاقتضاء

كذلك كان يفعل الدهاة من بنى أمية ، وقدوتهم معاوية بن أبى سفيان أكبر دهاة العرب . فقد جعل تصرفه فى العطاء وسيلة لاكتساب قلوب

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا تاريخ اللغة العربية « الطبعة الثانية » صفحة ٢٤ وما بعدها  
(٢) تاريخ التمدن الاسلامى « الطبعة الثانية » صفحة ١٥٤ ج ١

المسلمين حتى أشياخ الجلوين وغيرهم من أبناء الصحابة الذين كان يخاف قيامهم للمطالبة بالملك . فأخر به أن يفعل ذلك بالشعراء . ولهم رواتب في بيت المال مثل سائر المسلمين ، فلم يكن الشعراء يرون بدا من استرضاء بنى أمية خوفا من قطع أعينهم فضلا عما يرجونه من الجوائز إذا أحسنوا إرضاءهم . .

٣ - رغبة بنى أمية في الشعر : كان لبنى أمية رغبة شديدة في احياء لسان العرب وآدابه كما قدمنا . وكان الخلفاء أنفسهم من أهل الادب ، نفوسهم شاعرية حساسة . حدث معاوية عن نفسه : قال : « اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم ، فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الارض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى ، فما حملني على الإقامة الا آيات عمرو بن الاطنابة » .

أبت لي همتي وأبى بلأني وأخذني الحمداً بالثمن الربيع  
وإقحامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح  
وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي  
لأدفع عن مآثر صالحات وأحمى بعد عن غرض صحيح<sup>(١)</sup>  
ويزيد بن عبد الملك رد الاحوص الشاعر من منفاه ببيت شعر له غنته فيه  
جميلة المغنية وهو قوله :

كريم قريش حين ينتسب والذي أقرت له بالملك كهتلا وأمردا  
فطرب يزيد وقال : « ويحك من كريم قريش هذا ؟ » قالت : « أنت  
وقد قاله الاحوص وهو منفي » فكتب برده ، وأنفذ له حللا سنينة وأدناه  
وقربه . وقال له يوما : « لو لم تمت الينا بحسق ولا صهر ولا رحم الا  
بقولك :

وإني لأستحييكم إذ يقودني إلى غيركم من سائر الناس مطمع  
لكفك ذلك عندنا « (٢)

وقد راسل عبد الملك بن مروان عدوه ابن الزبير بالشعر وأجابه ذلك بمثله (٣)  
وكان عمال الامويين اصحاب شعر وخيال وحس مثلهم . فالججاج وهو  
أشدهم وطاة ، جىء بالاسرى بين يديه بعد حرب الاشعث فأخذ في قتلهم  
بقية ذلك اليوم حتى صاح به رجل : « والله يا ججاج لئن كنا قد أسأنا  
بالذنب فما أحسننت بالعفو ، ولقد خالفت الله فينا وما أعطته » فقال له :  
« وكيف . . ويحك ؟ » قال : « لان الله تعالى يقول : ( فاذا لقيتم الذين

(١) العمدة ١٠ ج ١ ، والمشيخ : الجادى الامر ، وكلما جشأت وجاشت أى كلما اضطربت  
نفسى من خوف أو جزع

(٢) الاغانى ٦٨ ج ١٣

(٣) الاغانى ٥٧ ج ٨

كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أئخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ) وقد قتلت فأئخنت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل « ثم قال : « أو أمنن » فقال الحجاج : « ويل لك ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت » ثم نادى برفع السيف ، وأمن الناس

وكان بنو أمية يحفظون الشعر ويباحثون الشعراء وينتقدونهم ، وكثيرا ما كانوا يجمعون طائفة منهم في مجلس ويقترحون عليهم ان يصفوا شيئا ويحيزون المجيد كما فعل هشام بن عبد الملك (١) أو يجمعونهم ليتفاخروا بين أيديهم كما فعل سليمان بن عبد الملك ، اذ جمع اليه الفزدق وجريرا وكثيرا وابن الرقاع ، وقال لهم : « أنشدونا من فخركم شيئا حسنا .. ففعلوا في حديث طويل » (٢)

وقد يخطر لاحدهم شعر لا يعرف قائله أو يحتاج الى تفسير ، فيكتب الى الشاعر أو الراوية فيستقدمه من العراق الى الشام على البريد كما فعل هشام المذكور . اذ بعث برسالة عاجله من دمشق الى عامله بالبصرة أن يشخص اليه حمادا الراوية على البريد ، فقضى حماد اثنتي عشرة ليلة في الطريق وهو خائف من تلك الدعوة العاجلة فاذا هو يقول له : « بعثت اليك لبيت خطر بيالى لم أدر من قائله » فهدأ روعه وقال : « وما هو ؟ » فقال :

فدَعَوْا بالصَّبوح يوماً فجاءت<sup>٥</sup> قينة في يمينها إبريق<sup>٦</sup>

فقال حماد : « هذا يقوله عدى بن زيد من قصيدة » وأنشده اياها وكذلك كان يفعل عمالهم اذا علموا بوجود شاعر أو اديب بارع بعثوا في استقدمه مما يطول بنا ذكره (٣)

وكان من الخلفاء شعراء ، كالوليد بن يزيد ، فقد كان شاعرا بليغا ، وسيأتي خبر ذلك . وينسبون الى يزيد بن معاوية القصيدة المشهورة التي مطلعها :

نالت<sup>٥</sup> على يدها ما لم تنله يدي نَقَشاً على معصم<sup>٦</sup> أو هت<sup>٥</sup> به جلدى  
وربما كانت لغيره ، لكنه كان من أصحاب الشعاعية

وكان لبعض خلفائهم الدهاة شغف بالادب على الاجمال ، ونخص منهم ثلاثة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشاما . حكم كل منهم أكثر من عشرين سنة ، وكانت لهم عناية بالادباء وخصوصا عبد الملك . والادب لا ينمو ويورق ويشمر الا في ظل محبيه من الملوك أو الامراء ، واذا تدبرت النهضات التي مر بها الادب في اثناء التمدن الاسلامي رأيت لكل نهضة أميرا أو ملكا أخذ بناصرها وأحيا الادب بتقديم أهله أو تنشيطهم . وسترى أدلة كثيرة من ذلك فيما يأتي من هذا الكتاب

(٢) الاغانى ٢٢ ج ١٩

(١) الاغانى ٨٠ ج ١  
(٣) الاغانى ٤٣ ج ٧



فلا عجب اذا كان أكثر أحاديث الناس في مجتمعاتهم ومنتدياتهم في الشعر ومن هو أشعر شعراء الجاهلية أو الاسلام . وكان الراجح من شعراء الجاهلية في عصرهم امراً القيس وزهيرا أو النابغة يفضلونهم على سواهم ، ويفضلون جريرا والفرزدق والاخلط على سائر الشعراء المسلمين في أيامهم . لكنهم كانوا يتناقشون في أى هؤلاء أشعر وكثيرا ما كانوا يتخاصمون وترتفع أصواتهم . وربما اهتم الخليفة أو الامير فبعث الى بعض العلماء يسأله عن رأيه في أشعر الشعراء كما فعل الحجاج ، اذ بعث الى ابن قتيبة يسأله عن ذلك (١) . وقد يبعثون من الشام الى العراق لمثل هذا السؤال

٤ - الحركة الادبية في البصرة والكوفة : قد علمت ما كان من حال هذين البلدين في العصر الاموي ، وفيهما احتك العرب بغيرهم من الامم المتمدنة . وفيهما اشتغل المسلمون بجمع أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم . وفيهما ولد النحو وغيره من الاداب اللسانية ، فتكاثرت الاندية الادبية هناك ولا سيما المربد عكاظ الاسلام كما تقدم . فكان ذلك من جملة البواعث على ازدهار الشعر في العصر الاموي

على أن الشرق كله كان يومئذ في نهضة أدبية حتى الهند والصين واليابان، فقد نبغ فيها الشعراء والادباء في القرن الثامن للميلاد (٢) على أثر ظهور الاسلام واتساع فتوحه فاهتزت أعصاب الشرق الى أقصاه ، فحدثت فيه تلك النهضة

#### مميزات الشعر في العصر الاموي

الانسان صنيعة الاقليم ، فتتغير أطواره وأحواله بتغير البيئة المحيطة به . ويظهر أثر ذلك في نتاج قريحته أو فكرته . وقد رأيت أن العرب اختلفت أحوالهم في العصر الاموي عما كانت عليه في زمن الجاهلية أو في زمن صدر الاسلام فظهر أثر ذلك في ثمار قرائحهم وخصوصا الشعر . واليك أهم مميزاته في ذلك العصر :

١ - خلوه من وحشى الكلام : ان قرب العصر الاموي من الجاهلية ورغبة الامويين في البداوة وتقليدهم عرب الجاهلية في ادابهم وأشعارهم ، كل ذلك أبقى للشعر الاموي بلاغة الجاهلية وسلامتها من العجمة والركاكة . لكن الاسلام أكسبه أسلوب القرآن والحديث ، فتخلص من التركيب الغريب والكلام الوحشى ، فهو من حيث البلاغة أحسن في هذا العصر مما في سائر العصور وان كان لكل عصر مميزات

٢ - كثرة التشبيب (♣) : كان الشاعر الجاهلي يقول الابيات تغزلا في حبيبته ، يعبر بذلك عن حبه أو ما تكنه جوارحه من الغرام أو الشوق ، ولا

(١) المزمهر ٢٤٠ ج ٢ (٢) Lit. Comp. 107 (٢) (\*) أنظر في كثرة التشبيب والغزل بهذا العصر الجزئين الاول والثاني من كتابنا « الشعر الغنائي في الامصار الاسلامية » . وهما خاصان بالمدينة ومكة وحديث الارباء لطف حسين ج أول

يشبب في غير حبيبته أو خطيبته ، وقد يسميها بغير اسمها . والغالب أن يكتفى عنها بإحدى عرائس الشعر لئلا يعلم أهله بتشبيبه فيمنعوه من التزوج بها ، لانهم كانوا شديدي الغيرة على النساء حتى أن أحدهم إذا سطا عليه عدو وخاف على حياته منه عمد الى امرأته أو حبيبته فيقتلها غيرة عليها من أن يمسخها . سواه بعد موته (١) . ويندر في الجاهليين أن يشبب شاعرهم بغير حبيبته . وإذا فعل فلدايع فوق العادة ، كما فعل دريد بن الصمة إذ رثى أخاه بقصيدة صدرها بأبيات غزلية (٢) . وقد رأيت الشعراء العشاق في الجاهلية يعدون على الاصابع ، فأصبحوا في العصر الاموي أضعاف ذلك ، وأكثروا من وصف الحب وأعراضه وأحواله . .

وذلك طبعي في الامة بانتقالها من البداوة الى الحضارة ، وخصوصا اذا كان ذلك على أثر الفتوح وفيها الغنائم من السبايا . . فيصيب الرجل منهم جارية أو بضع جوار في كل معركة من المعارك . وكانت السبايا في صدر الاسلام كثيرات ، وأكثرهن من الروم والفرس . والفاتحون يبيعونهن أو يستخدمونهن في حاجات المنزل ، ويستبقون الجميلات منهن للتسرى . فتحركت القلوب وتنبهت القرائح للموضوعات الغزلية ، وصار الشعراء يشبون بالنساء الجميلات . وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجا على حرمة الادب ، فجعلوا التشبيب ذنبا يستوجب القصاص . وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشبب بامرأة الا جلده (٣)

فلما أفضت الدولة الى بني أمية - وقد انتقلت عاصمتها من المدينة الى دمشق ، وكثر الاختلاط بالاعاجم ، وأخذ العرب بأسباب الحضارة ، وذهبت هيبة العفة من نفوسهم ، وانقضت شدة الخلفاء الراشدين في المحافظة عليها - هان عليهم التشبيب ، فأكثروا منه ولا سيما في المدينة لان أهلها أغرقهم معاوية بالعطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك . فكانوا ينفقون الاموال على المغنين ونحوهم ، فكثر اللهو في المدينة وسبقت سائر المدائن الاسلامية الى الفناء وشاع القصف بين أهلها وتجرا الشعراء على التشبيب بغير أحبائهم

#### امام أهل النسيب

على أن امام أهل النسيب والغزل في الاسلام جميل بن معمر الشاعر العاشق كان معاصرا لعبد الملك بن مروان . وهو الذي وطأ النسيب للشعراء ، فأكثر منه وتفنن فيه . . لكنه كان يشبب بحبيبته بثينة وهو في عرف أهل الادب « امام المحبين » (٤) فاستحسن الناس تشبيبه لانه طبعي صادر عن شعور صادق ، فأخذوا يقلدونه فيه . . فينظم الشاعر أبيات الغزل أو النسيب لمحبوب وهمي ، واستعار بعضهم أسماء حبيبات الشعراء العاشقين

(١) العمدة ١٢٢ ج ١  
(٤) الاغانى ٨٠ ج ٧

(١) الاغانى ١٤٥ ج ١٢  
(٢) الاغانى ٩٨ ج ٤

كليلى ودعد وهند وشبوا بهن تقليداً . وبعد أن كانت بثينة مثلاً معشوقة جميل بن معمر ، صارت عروساً للشعر يباح التغزل بها لمن أراد . وقد يعنون بالاسم المستعار امرأة جميلة معروفة

فجميل كان يشيب بحبيته ولا حرج عليه ، وأراد الشعراء تحديده والتفزل بجميلات النساء وهن فى الغالب بحوزة الامراء أو الخلفاء . . فخافوا غضب بعولتهن أو آبائهن ، فلم يكن يجرؤ على المجاهرة بذلك من الشعراء الا من كان ذا عصبية تنصره أو منزلة تشفع له . ولذلك كان أسبق الشعراء الى التشبيب من قريش ، نظراً لما كان للقرشى من المنزلة الرفيعة والهيبة فى العصر الاموى . ولان القرشيين أقرب الى الحضارة لنزولهم فى مكة ، واليها يحج الناس من أقطار العالم ومعهم أجمل النساء

#### شعراء قريش والتشبيب

وأول من تجرأ على التشبيب منهم ابن أبى عتيق ، وهو ابن حفيده أبى بكر الصديق . ويقولون انه كان طاهراً عفيفاً يشيب عن غير ريبة ، ثم عمر بن أبى ربيعة من قريش ، والعرجى وهو من قريش أيضاً ، وغيرهم ، وكلهم من شعراء العصر الاموى . فتجرأ الشعراء من غير قريش على الاقتداء بهم حتى شاع التشبيب ، وصاروا يعتقدون أن الشعر لا يحسن الا به لما فيه من عطف القلوب . فيبدأ الشاعر الحضرى بذكر الحبيب والصدود والهجران ، كما يبدأ البدوى بذكر الرحيل والانتقال ووصف الطلول

ولم يأت اخر عصر بنى أمية حتى صار الشاعر لا ينظم مديحاً أو فخراً الا صدره بأبيات فى الغزل قد تكون أكثر من أبيات المديح . ذكروا شاعراً اتى نصر بن سيار عامل بنى أمية على خراسان بأرجوزة فيها مائة بيت نسيباً وعشرة أبيات مديحاً ، فقال له نصر : « والله ما أبقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً الا وقد شغلته عن مديحى بنسيبك » (١) . ولم يكن الاستهلال بالغزل خاصاً بالشعر العربى ، فان فى شعر اليونان شيئاً من ذلك (٢)

على أن شعراء العرب كثيراً ما كانوا يشببون بالمرأة ليفضحوا ابنها أو زوجها (٣) . وقد يكون التشبيب بالبنات وسيلة لزواجهن كما فعل نصيب مولى عبد العزيز بن مروان ، وقد استسقى فتاة ماء فسقته لبناً وطلبت اليه أن يشيب بها ، فقال : « ما اسمك ؟ » قالت : « هند » قال : « وما اسم هذا الجبل ؟ » قالت : « قنا » (٤) فأنشأ يقول :

أحب قنأ من حبِّ هندٍ ولم آكن أباى أقرّباً زاده الله أم بعدا  
ألا إن بالقيعان من بطن ذى قنأ لنا حاجةً نالت إليه بنا عمدا  
أرونى قنأ أنظره إليه نأنى أحب قنأ إنى رأيت به هنداً

(٢) جويدى فى المشرق ٤٢٧ سنة ١٠

(٤) قنا : جبل لبى فزارة

(١) العمدة ٩٩ ج ٢

(٣) الاغانى ١٥٤ ج ١

وشاعت هذه الايات وخطبت هذه الجارية من أجلها (١)

### الخلفاء والتشبيب

وكان الامراء والكبراء يفضون لنسائهم اذا شبب بهن أحد لغلبة طبائع البدو عليهم ، وينقمون على المشبيب ويعيبونه حتى عدوا شعر ابن أبي ربيعة عصيانا لله (٢)

وقد يكبر على الخليفة أن يظهر غضبه على الشاعر إذا شبب ببعض أهله فينتقم منه بالاهمال ، كذلك كان يفعل معاوية (٣) وهو أوسع الناس صدرا . واقتدى به عبد الملك بن مروان (٤) أما ابنه الوليد بن عبد الملك فلم يسع صدره ذلك الكظم ، فأخذ يتوعد الشعراء اذا شببوا . وبلغه أن وضاح اليمن شبب بامراته فقتله فيما يقال (٥) وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز فمنع ابن أبي ربيعة عن التشبيب . وكان العمال يقتدون بالخلفاء أو يعملون بأوامرهم في ذلك، فان عامل المدينة نفى الاحوص الشاعر لانه شبب ببعض نسائها (٦)

ولكن المرأة كان يسرها أن يشبب بها شاعر مشهور وان كانت لا ترجو التزوج به ، ولكن يسرها ما في التشبيب من الاعجاب بجمالها ( والغواني يفرهن الثناء ) سواء في ذلك الاميرة والحقيرة . ذكروا أن زوجة الوليد بن عبد الملك هي التي اقترحت على وضاح اليمن أن يشبب بها . . . واقترحت أم محمد بنت مروان بن الحكم أخت عبد الملك على عمر بن أبي ربيعة أن يشهرها بشعره ، وبعثت اليه ألف دينار . . فأبى أن يؤجر على التشبيب ، فابتاع بالجائزة حلا وطيبا وأهداه اليها فردته . فقال فيها أبياتا مطلعها :

أيها الراكبُ المُجِدِّدُ ابتكارا قد قضى من تِهامةِ الأوطارِ (٧)

وبالجملة فان التشبيب على نحو ما هو عليه الآن نشأ في العصر الاموي ٣ - المهاجرة بين الشعراء : كان الجاهليون يتنافسون ويتفاخرون فيذكر أحدهم ما في قبيلته من الشجاعة والنجدة وما أوتوه من النصر أو الغلبة أو ما هم عليه من هذه الفضائل . ويندر فيهم من يتخطى ذلك الى الهجو . وأكثر من تخطاه منهم المخضرمون كما تقدم . وقد كثر الهجو واتسعت دائرته في العصر الاموي وأجاد الشعراء فيه . ول بعضهم مهاجاة ونقائص تدخل في كتاب ضخيم

### الهجاء السياسي

وقد راج الهجاء في العصر الاموي لاحتياج ولاية الامو اليه بسبب الانقسام الذي قام بين الاحزاب المختلفة ، وهو الهجاء السياسي . وكان أكثر الشعراء

(٣) الاغاني ١٤٨ ج ١١٣  
(٦) الاغاني ٤٨ ج ٤

(٢) الاغاني ٣٦ ج ٦  
(٥) الاغاني ٣٦ ج ٦

(١) الاغاني ١٤٨ ج ١٣  
(٤) الاغاني ٢٦ ج ٦  
(٧) الاغاني ٦٦ ج ١

بأخذون بناصر الامويين لانهم أهل السيادة ، وكان خلفاؤهم يبذلون الاموال للشعراء ليستعينوا بالسنتهم على أعدائهم ، لتأثير الهجاء في نفوس العرب لشدة احساسها ونخوة أهلها

وقد بدأت المهاجاة في الاسلام بين شعراء النبي وأعدائه القرشيين . تم صارت بين قريش واليمن . وكان لكل من الجانبين شعراء يردون عنهم الهجاء بأشد منه ، وقد تقدمت الاشارة الى ذلك . وكان المسلمون يحفظون ما يقوله هؤلاء من المهاجاة وينشدونه ، كل طائفة تنتصر لاصحابها . ولما بلغ ذلك عمر ابن الخطاب فنهى عنه ، وقال : « في ذلك شتم الجي بالميت وتجديد للضغائن » (١)

فلما أفضى الامر الى معاوية ، اقتضت سياسته بمصلحته أن يجدد تلك الضغائن . . فجعل يفرى الشعراء على الطعن في الانصار لانهم أصحاب علي ابن أبي طالب خصمه . وكان يفعل ذلك تحت طى الخفاء . ومن الذين أغرامهم على ذلك الطعن الاخطل (ع) الشاعر التغلبي المشهور . . فعظم ذلك على الانصار خصوصا لانه نصراني « واستعان به معاوية على المسلمين . فغضب متكلم الانصار وشاعرهم ، وهو يومئذ النعمان بن بشير ، ودخل على معاوية وأنشده قصيدة في الدفاع عن الانصار مطلعها :

معاويَ إلا تَعَطْنَا الحقَّ تعترفْ لِحَيِّ الأزدِ مشدوداً عليها العمائم  
أيشتمنا عَبدُ الأراقمِ خلة وماذا الذي تجرى عليك الأراقم  
فما لى ثأرٌ دون قطع لسانه فدونك من يرضيه منك الدراهم  
ثم تخلص الى الفخر بأعمال الانصار وأسابهم ، وختم القصيدة بالطعن على خلافة معاوية الى أن قال : (٢)

وإني لأغضى عن أمور كثيرة سترقى بها يوماً إليك السلالم  
أصانع فيها عبد شمسٍ وإنتى لتلك التى فى النفس منى أكاتم  
فما أنت والأمر الذى لست أهله ولكنى ولي الحق والأمر هاشم  
فلما سمع معاوية تهديده أظهر أن الاخطل فعل ذلك من عند نفسه ، وأمر أن يدفع اليه ليقطع لسانه . وأوشك أن يفعل ، لو لم يستجر الاخطل بيزيد ابن معاوية فأجاره وأرضى النعمان . وعرف الامويون هذا الفضل للأخطل ، فجعله عبد الملك بن مروان شاعر الدولة . وسنعود الى ذلك

وتحولت المهاجاة بين الانصار وقريش الى المشاتمة بين بنى هاشم وبنى أمية ، وانتشر ذلك فى أطراف المملكة الاسلامية . وكان سديف الشاعر

(١) الاغانى ٥ ج ٤  
(ع) الصحيح أن الذى أغرى الاخطل بهجاء الانصار بيزيد لا معاوية أبوه . انظر ترجمة النعمان ابن بشير فى الاغانى وديوان الاخطل ( طبعة بيروت )  
(٢) الاغانى ١٢٦ ج ١٤

يخرج في جماعة من موالى بنى هاشم في مكة ، وشيبي يخرج في جماعة من موالى بنى أمية ، فيفتخرون ثم يتشائمون ثم يتجالدون بالسيوف ، وكان يقال لهم السديفية والشببية ، وكان أهل مكة منقسمين بينهما في العصبية

### الهجاء الادبي

على أن التهاجى السياسى جر الى التهاجى بين الشعراء بقطع النظر عن الاحزاب السياسية من قبيل المفاخرة ، ويختلف سبب هذه المهاجاة باختلاف الاحوال . وقد يكون الغرض منها المقارعة لبيان القدرة على الهجاء ، ثم يتنافر المتهاجيان الى من يحكم بينهما . . كما تهاجى جميل الشاعر المتيم وجواس بن قطبة العذرى وتنافساً في أيهما أفضل أبا وحسباً (١)

وأشهر ضروب المهاجاة في العصر الاموى المهاجاة بن جرير والفرزدق ، وبين جرير والاخلطل (٢) وغيره من الشعراء المعاصرين . والبادئ في ذلك كله هو جرير ، وكان لمهاجائه مع الفرزدق والاخلطل شهرة كبيرة حتى أصبح حديث القوم في مجالسهم وموضوع مناقشاتهم في أى الشاعرين أفضل . وانقسم الناس في ذلك حزبين : نسب احدهما الى جرير فسمى جريريا ، والاخر الى الفرزدق فسمى فرزدقيا . وكثيرا ما احتدم الجدال بين الادباء في المجالس حتى آل الى الخصام . وسيأتى تفصيل ذلك في الكلام عن شعراء بنى أمية . وقد يكون الباعث على الهجاء تخويف المهجو ليسترضى الهاجى بالمال أو غيره ، كما تفعل بعض الصحف اليوم

واتصلت المهاجاة بين الشعراء الى العصر العباسى ، فاشتهرت مهاجاة يشار بن برد وحمام (٢) ، ومهاجاة أبى العتاهية ووالبة (٣) على أن اشتغال الناس بالمناقشة في الشعراء وتفاضلهم طبعى فى كل عصر، وليس هو خاصا بالعرب . . فقد كان اليونان أيضا يفعلون ذلك (٤)

٤ - نبوغ الموالى في الشعر : قد رأيت أنه لم يقل الشعر في الجاهلية من الموالى الا عبد بنى الحساس . وأما في الاسلام فانتظم في عداد الشعراء طائفة من الموالى وهم المسلمون غير العرب ، (٥) وفيهم الفرس والروم ومن دخل في حوزة العرب في أثناء الفتح ثم أسلموا . وأكثرهم من موالى بنى أسد وقريش . . وفيهم جماعة من نوايغ الشعراء . ولولا تقييد القوم بأساليب الجاهلية لادخلوا كثيرا من المعانى الشعرية نقلا عن لغاتهم الاصلية

٥ - الشعر السياسى أو المديح للاستجداء : قد علمت مما تقدم أن الشعراء الجاهليين نظموا المديح ، لكنهم قلما كانوا يستجدون بمدحهم . . وإنما كانوا

(١) الاغانى ١١٢ ح ١٩  
 (٢) انظر في هذه المهاجاة وسابقتها وما تطورتا اليه من نقائص كتابنا « التطور والتجديد في الشعر الاموى » الفصل الثالث  
 (٣) الاغانى ١٥٠ ج ١٦  
 (٤) نكلسن ٢٠٤  
 (٥) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ٢٢ و ٩١ ج ٤ الطبعة الثالثة

يمدحون شكرا لصنيع . وأما في العصر الاموى ، فأصبح الغرض الاول من المدح التماس العطاء ، وقد جرهم الى ذلك استدرار الخلفاء للمدح ببذل الاموال للاسباب التى قدمناها

فأصبح الاستجداء عادة مألوفة ، ونبت طائفة كبيرة من المداحين ، وكانوا يتدبذبون في مدحهم تبعا لما يرجونه من العطاء أو يخافونه من النقمة . ولذلك كان أكثر مدحهم في الامويين أصحاب السيادة وبيت المال . وربما مدح أحدهم بنى هاشم أو آل الزبير أو غيرهم من أعداء الامويين . ثم رغب عنهم الى هؤلاء التماسا لعطائهم أو خوفا من غضبهم لأن الامويين كانوا يفضبون على الشعراء اذا مدحوا سواهم ويتطرقون الى الانتقام منهم بكل وسيلة . فلا غرو اذا رأينا شعراء الشيعة ينظمون المدائح فى الامويين . رمن الشعراء من مدح بنى هاشم وبنى أمية أو ابن الزبير وبنى أمية

٦ - وصف الخمر: لم يتقن الشعراء وصف الخمر الا فى العصر العباسى، لكنهم بدأوا بذلك فى العصر الاموى على اثر انغماس الامويين فى القصف واللهو فى أواخر الدولة ، وأول من وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد الخليفة الخليل السكير . وقد ذكر الخمر فى الجاهلية عدى بن زيد والاعشى، ثم ذكرها الأخطل، ووصف الزجاج بقوله :

وتظل تتحفنا بها بَرَوِيَّةٌ إبريقها براقه مَلَثُومٌ  
فإذا تعاورت الأكف زجاجها نَفَحَتْ فشمَّ رباحها المزكوم (١)  
ثم أجاد فى وصفها الوليد بن يزيد (٢) بقصيدة قال منها :

من قهوة زانها تقادمها فهي عجوز تملو على الحقب  
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب  
فقد تجلت ورق جوهرها حتى تبدت فى منظر عجب  
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب  
كأنها فى زجاجها قبس تذكو ضياء فى عين مرقب

وله فى وصف الخمر اشعار أخذها الشعراء فى اشعارهم سلخوا معانيها ولا سيما أبو نواس ، فانه سلخ معانى الوليد كلها وجعلها فى شعره . (٢) وأخذ أبو نواس أيضا من الحسين بن الضحاك ، (٣) وكان معاصرا له وأخذ من والبة وكان أستاذه

(١) الاغانى ٨٤ ج ٨  
(٢) انظر فى الوليد بن يزيد وخمرياته ، الفصل الرابع من كتابنا « التطور والتجديد فى الشعر الاموى » وقد جمع جبرييل ديوانه ونشره فى المجمع العلمى العربى بدمشق  
(٣) الاغانى ١١٠ ج ٦  
١٧٠ ج ٦

# شعراء العصر الأموي

تكاثر الشعراء في العصر الأموي للأسباب التي قدمناها ، فزاد عددهم في أثنائه - وهي تسعون سنة - على شعراء الجاهلية الذين نبغوا في أثناء قرنين وبعض القرن . فقد رأيت عدد الشعراء الجاهليين نحو ١٢٠ شاعرا على اختلاف القبائل والبطون ، وزاد عدد شعراء العصر الأموي على ذلك . . . . .  
نعنى الذين اشتهروا بالشعر ووصلنا أخبارهم . . . وهناك مئات غيرهم لم يبق من آثارهم الا أبيات أو قصائد ذكرت في كتب الحماسة والجمهرات وغيرها من كتب الادب ، أو ضاعت أخبارهم كما ضاعت أخبار أكثر الجاهليين . . . . .

## ١ - شعراء العصر الأموي بالنظر الى قبائلهم

إذا نظرنا الى شعراء العصر الأموي من حيث قبائلهم وأنسابهم ، رأينا أكثر شعراء العرب من قيس ، ثم قريش ، فاليمن ، فتميم ، فربيعة ، فمضر ، فقبضاعة . وهم يختلفون عن حال شعراء الجاهلية من هذه الناحية اختلافا كبيرا ، وإن اتفقوا معهم في أن الاكثرية من قيس . . . . . فشعراء قريش كانوا في الجاهلية عشرة ، فصاروا في العصر الأموي ٢٣ ، وسبب ذلك بدهي لان القرشيين ظهروا بعد الاسلام لقيام الاسلام بهم . وبعبس ذلك شعراء ربيعة ، فقد كانوا في الجاهلية ٢٠ فصاروا في العصر الأموي ١١ ، والسبب طبعي أيضا لان ربيعة كان لها الشأن الأكبر في الجاهلية إذ قامت باستقلال الحجازيين من سلطان اليمن ، وكثرت حروبهم وأيامهم وأعتبر ذلك في القحطانية أو شعراء اليمن ، فقد كانوا في الجاهلية ٢٢ فصاروا في العصر الأموي ١٦ لانتقال عز السيادة بعد الاسلام الى سواهم . وأما تميم فعدد شعرائها في العصرين واحد لان حالها لم تختلف فيهما . أما اباد فلم ينبغ منهم في ذلك العصر شاعر لذهاب عصبيتهم قبل الاسلام . وكذلك اليهود لم ينبغ منهم في هذا العصر الأموي شاعر وكانوا في الجاهلية ٤ على أن طبقة من الشعراء كبيرة ظهرت في هذا العصر ، لم يكن منها في الجاهلية الا واحد نعنى الموالى أو العبيد ، فقد بلغ عدد الشعراء منهم ٢١ شاعرا . وهذا جدول (\*\*) في المقابلة بين شعراء الجاهلية وشعراء بنى أمية من حيث أنسابهم على وجه التقريب :

(\*\*) هذا الجدول وما تضمنه من تعداد ونسب تقريبي



شعراؤها في العصر الاموي	شعراؤها في الجاهلية	اسم القبيلة
٢٦	٢٧	قيس
١١	٢٠	ربيعة
١٣	١٢	تميم
٩	١٦	مضر ( غير قيس وقريش وتميم )
٢٣	١٠	قريش
١٦	٢٢	القحطانية ( اليمن )
٨	٤	قضاة
٠٠	٢	أياد
٠٠	٤	اليهود
٢١	١	الموالي

## ٢ - شعراء العصر الاموي بالنظر الى أغراضهم

وإذا اعتبرنا شعراء هذا العصر بالنظر الى أغراضهم ، رأيناها تختلف عن أغراض الشعراء الجاهليين اختلافا كبيرا . . فقد كانت الأكثرية في ذلك العصر للامراء والفرسان المحاربين ، وكان عددهم بضعة وأربعين شاعرا ، فصاروا في العصر الاموي قليلين لاشتغال الفرسان والكبراء بأعمال الدولة والمهاتب بعض الأريحية البدوية من نفوسهم بالحضارة . وقد ظهرت آثار الحضارة في الشعر الاموي بكثرة العشاق وأهل الغزل ، وكانوا في الجاهلية ٦ فصاروا ٢١ ونشأت طائفة من الشعراء السكيرين وأهل الخلاعة عددهم ٦ ، ولم يكن منهم في الجاهلية الا القليل

على أن الأكثرية في العصر الاموي لطبقة من الشعراء سميناهم « شعراء السياسة » ، لاشتغالهم بالدفاع عن الأحزاب التي قام النزاع بينها على السيادة في ذلك العصر ، وأكثرهم طبعاً بجانب الامويين لانهم أقوى الأحزاب . ويليهم الخوارج ، والعلويين ، وغيرهم

ويقسم العصر الاموي بالنظر الى أغراض شعرائه الى ثلاثة أدوار :

الدور الأول : منذ بدء الدولة الاموية (سنة ١٤هـ) الى ذهاب آل معاوية بخلافة مروان بن الحكم سنة ٦٤ هـ ، ومعظمه في زمن معاوية . ويجوز أن نسميه « دور معاوية » . وشعراء هذا الدور لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليدين ، وكانت الدولة الاموية في أيامهم لم ترسخ قدمها بعد . فكان نحو نصفهم يخالفون سياسة معاوية وخلفائه ويطعنون فيه ، وبعضهم يجاهرون بعدوانه انتصارا للانتصار أو العلويين

الدور الثاني : من خلافة مروان بن الحكم ( سنة ٦٤ هـ ) الى خلافة يزيد بن عبد الملك ( سنة ١٠١ هـ ) وخلفاء هذا الدور : مروان وابنه عبد الملك ، فالوليد ، فسلیمان ، فعمربن عبدالعزيز . ولكن معظمه في زمن عبد الملك بن مروان ، بحيث يصح أن ينسب اليه . . فيقال « دور عبد

الملك « . وفي أيامه اختلفت الاحزاب ، وتعدد طلاب الخلافة ، ونشبت الحروب ، وراجت سوق الشعر لجمع الاحزاب أو تفريقها . وأكثر شعراء العصر الاموى نبغوا في هذا الدور وبلغ عددهم فيه نحو المائة ، وفيهم شعراء السياسة وشعراء الغزل والادب وغيرهم

الدور الثالث : من ولاية يزيد بن عبد الملك ( سنة ١٠١ هـ ) الى انقضاء الدولة الاموية ( سنة ١٣٢ هـ ) . وفيه تضخمت الدولة وركن اهلها الى الترف والقصف . ومن خلفائها يزيد بن عبد الملك العاشق المتيم صاحب حيازة وابنه الوليد بن يزيد الخليفة الفتون ، والناس على دين ملوكهم . وعدد الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر نحو عدد شعراء الدور الاول ، وأكثرهم من عشراء السوء واهل الرخاء والترف

### ٣ - الدور الاول من الشعر في العصر الاموى

من سنة ٤١ - ٦٤ هـ

هو اقرب سائر الادوار الى الجاهلية ، وقد نشأ شعراؤه في عصر الراشدين ، وتعودوا الصدق واستقلال الفكر والعدل . وكانوا لا يرون حقاً لمعاوية في الخلافة ، بل يعتقدون أنه أخذها بالدهاء ولا يتوقعون انتقالها الى اهلهم ، بل كانوا يرجون رجوعها بعده الى آل على أو غيرهم من أبناء الصحابة بالانتخاب ، ولذلك كانت لهم جراءة عليه . وأهم الاحزاب السياسية يومئذ الانصار والمهاجرون . والانصار هم اهل المدينة شيعة على ، والمهاجرون هم قريش من اهل مكة شيعة معاوية . فكان معاوية يقرب الشعراء الذين يطعنون في الانصار ، ويندر أن يجزؤ أحد منهم على ذلك احتراماً للامام على . فكان أكثر الشعراء في هذا الدور اما على الحيادة خوفاً من معاوية أو ينصرون العلويين عليه ، وبعضهم كان يتزلف اليه بالمديح . أكثر شعراء هذا الدور من شعراء السياسة ، اما مع الامويين أو عليهم أو على الحيادة . وأهم الذين كانوا مع الامويين ابن اربطة المحاربي كان سيد قومه ، والحارث بن بدر من يربوع ، والمتوكل الليثي من كنانة ، والوليد بن عقبة من قريش والذين كانوا ضد الامويين ، أشهرهم النعمان بن بشير الانصارى ، وابن مفرغ من حمير ، وأبو الاسود الدؤلى واضع علم النحو . وممن كان على الحيادة القتال الكلابى ، وسيأتى ذكرهم

ولا نغنى بقسمة العصر الاموى الى أدوار ، ان شعراء الدور الاول لم يدركوا الدور الثانى وان شعراء الثانى لم يدركوا الاول . . فان أكثرهم عاصروا الدولة الاموية في معظم سنيها وعرفوا معظم خلفائها . . ولكننا نغنى شعراء دور معين ، الذين نبغوا في هذا الدور ونظموا فيه

## ١ - النعمان بن بشير الانصاري

توفي سنة ٦٥ هـ

هو من الخزرج من أهل يثرب، لكنه سائر معاوية فكان معه في موقعة صفين . . ولم يكن مع معاوية في تلك الموقعة من الانصار سواه . وقد اجتذبه بهائه وسخائه ، وكان يراعى جانبه . وكثيرا ما قيل توسطه للانصار عنده . وعاش النعمان المذكور الى خلافة مروان بن الحكم . وكان يتولى «حمص» ، فلما أفضت الخلافة الى مروان دعا لابن الزبير وخالف مروان بعد قتل الضحاك . . فلم يجبه أهل حمص الى ذلك ، فهرب منهم فتبعوه ، وأدركوه وقتلوه . ومع مسيرته بنى أمية ، فانه كان شديد التعصب للانصار . ولذلك لما علم بقصيدة الاخطل في الطعن عليهم ، رد عليه كما تقدم . والنعمان ابن بشير من العريقين في الشعر خلفا عن سلف ، فان جده وأباه وعمه وأولاده وأحفاده كلهم شعراء (١)

ومن احفاده شبيب بن زيد بن النعمان ، كان يرى فساد أمر بنى أمية على أيام الوليد بن يزيد ، فقبال من قصيدة يعاتبهم :

يا أيها الراكب المزجى مطيته لقيتَ حيث توجهتَ الثننا الحسننا  
أبلغ أمية أعلاها وأسفلها قولاً ينفر عن ثوامها الوسننا  
إن الخلافة أمرٌ كان يُعظمه خيارٌ أولكم قديماً وأولنا  
فقد بقرتم بأيديكم بطونكم وقد وعظمتُ فما أحستتم الأذنا (\*)  
لما سفتكم بأيديكم دماءكم بغياً وعشيتم أبوابكم درنا  
وتري أخبار النعمان بن بشير في الاغانى ١١٩ ج ١٤ ، والعقد الفريد  
١١٢ ج ٣ ، وفي سيرة ابن هشام ، وابن خلكان ، وابن الاثير ، وغيرها

## ٢ - ابن مفرغ الحميري

توفي سنة ٦٩ هـ

هو يزيد بن وبيعة بن مفرغ الحميري . وكان شاعراً غزلاً محسناً . وكان قلبه مع علي ، لكنه سائر الأمويين لانه من حلفائهم . وكان مقرباً من آل زياد بن أبيه . صحب عباد بن زياد والى سجستان ، فلم يحسن صحبته فهجاه سرا وكان يهزأ بلحيته - وكانت كبيرة - فقال فيها :

(١) الاغانى ١٢٥ ج ١٤  
(\*) بقر : شقق ، يشير الى قتل الوليد بيد أبناء اعمامه ، والاذن هذا كناية عن الاستمتاع

ألا ليت اللّحَى كانت حشيشاً فتعلّقها خيولَ المسلمينا  
فوشى به بعضهم الى عباد فجفاه وحبسَه ، فهرب الى العراق وأخذ يطعن  
في آل زياد ويهجوهم لان أباهم زياد بن أبيه مجهول النسب ، وانما استلحقه  
معاوية بنسبه ليستفيد من دهائه كما هو مشهور في تاريخ الاسلام (١)  
فعلم عبيد الله بن زياد وهو أمير البصرة ، فقبض على ابن مفرغ واستأذن  
معاوية في قتله ، فنهاه عن ذلك لانه خليفة ، ولكنه اذن بتعذيبه فعذبه  
تعذيباً شديداً (٢)  
ومن قول ابن مفرغ في زياد وابنه ، وفيه اشارة الى ضعف أنسابهم :

ألا أبلغُ معاويةَ بنَ صَخْرٍ مغلغلةً عن الرجل اليماني  
أتغضب ان يقال أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال أبوك زاني  
فأشهد ان رَحْمك من زيادٍ كرحم الفيل من ولد الأتان  
وأشهد أنها ولدت زيادا وصَخْرٌ من سميّة غير دان  
وكان ابن مفرغ من شعراء الحماسة وله غزل لطيف

ويجد أشعاره وأخباره متفرقة في الاغانى ج ٥١ ص ١٧ ، والشعر والشعراء  
٢٠٩ ، وابن خلكان ٢٨٩ ، وسيرة ابن هشام ، وفي تاريخ ابن الاثير (\*\*)

### ٣ - أبو الاسود الدؤلى

توفى سنة ٦٩ هـ

اسمه ظالم بن سفيان ، وهو من الدئل بطن من كنانة ، معدود في التابعين  
والفقهاء والشعراء والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والدهاة  
والنحويين ، وهو واضع علم النحو . وكان من أكثر الناس تعلقنا بعلى ،  
وعنه أخذ علم النحو كما تقدم . أما من حيث الشعر ، فقد كان من نصراء  
الشيعة لكنه لم يكن يجسر على هجو معاوية كما فعل أكثر أمثاله . وكان  
معاوية لا يتعمد آذاه ولكنه كان يضايقه ، ولم يرو له طعن في بنى أمية .  
وأكثر شعره في الحكم والادب . ومن حكمه والفخر قوله :

إذا كنت مظلوماً فلا تلتف راضياً عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب  
وقارب بذي جهلٍ وباعد بعالمٍ جلوبٍ عليك الحق من كل مجلب  
فان حدبوا فاقعس وإنهم تقاعسوا ليستمكنوا مما وراءك فاحدب  
ولا تدعنى للجور واصبر على التى بها كنت أفضى للبعيد على أبى  
فإنى امرؤٌ أخشى إلهى وأتقى معارى وقد جرّبت ما لم تجرّب

(١) راجع تاريخ المدن الاسلامى ١٨ ج ٤ ( الطبعة الثالثة )

(٢) ابن خلكان ٢٩٢ ج ٢

(\*\*) أنظر أيضا الاشتقاق ٣٠٩ والخزانة ج ٢ ص ٢١٠ والبيان والتبيين (أنظر الفهرس)

ومن قوله :

وأحب إذا أحببت حباً مقارباً فإنك لا تدري متى أنت نازعٌ  
وأبغض إذا أبغضت بغضاً مفارباً فإنك لا تدري متى أنت راجع  
وكن معدناً للحلم واصفح عن الحنأ فإنك راءٍ ما عملتَ وسامعٌ  
وعاش أبو الاسود فقيراً ، وكان متهماً بالبخل . وكان يقيم بجوار البصرة .  
وتجد ترجمته في الاثنى ١٠٥ ج ١١ ، وفي ابن خلكان ٢٤٠ ج ١ ، والشعر  
والشعراء ٤٥٧ ، والمستطرف ١٣٩ ج ١ ، والعقد الفريد ٢٥٧ ج ٣ ،  
والدميرى ٣١٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٤ ، وفي المجلة الشرقية الألمانية  
مقالة عن شعره وشعر على سنة ١٨٦٤ (\*)

٢ - انصار معاوية

### ١ - مسكين الدارمي

توفي سنة ٩٠ هـ

هو ربيعة بن عامر من دارم بطن من تميم ، وكان شاعراً شريفاً من سادات  
قومه ، وعمر الى أواخر الدور الثاني من العصر الاموي . لكننا وضعناه  
هنا لغلبة شعره في معاوية على سواه . وله معناه شأن في تاريخ العطاء أيام  
معاوية ، وكان معاوية لا يفرض العطاء (الرواتب) الا لليمن ليحازبوا معه  
وينحرفوا عن علي . فجاء مسكين وطلب من معاوية أن يفرض له العطاء  
فأبى ، فقال أباينا يذكره فيها بقرب النسب بين تميم ومضر وهى :

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساعٍ إلى الهَيْجَا بغير سلاح  
وإن ابن عمِّ المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

فلم يجبه معاوية يومئذ ، لكن سنحت له فرصة رأى فيها اليمنيين قد  
أخذهم الفرور وزادت دالتهم على الدولة ، فعمد معاوية الى استرضاء  
القيسيين بفرض الأربعة آلاف من قيس سوى من فرض لهم من تميم ،  
وغيرهم من مضر . وصار يغزى اليمنيين في البحر والقيسيين في البر ،  
وفرض طبعا لمسكين ، وقربه حتى استعان بشعره في مبايعة ابنه يزيد

وذلك ان معاوية كان يخاف اذا بايع لابنه بولاية العهد أن يفضب المسلمون  
لان توارث الملك لم يكن معروفا في الاسلام . فأحب أن يجس نبض الرأى

(\*) انظر ترجمته أيضا في كتب طبقات الصحابة مثل الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة  
وابن سعد ، وكتب تراجم النحاة مثل طبقات الزبيدي وانباء الرواة وبغية الوعاة ، وكتب  
الشيعة مثل روضات الجنات ص ٣٤١ وكتب التاريخ مثل الطبرى وابن الاثير وتاريخ ابن  
عساکر وشنارات الذهب وطبقات القراء لابن الجزرى ج ١ ص ٣٤٥ ومعجم الشعراء ١٥١  
والمعارف ١٩٢ وخزانة الادب ج ١ ص ١٣٦ والانساب للسمعاني وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ١٠  
ومعجم الادباء لياقوت طبع القاهرة ج ١٢ الى غير ذلك من كتب الادب والتاريخ والتراجم

العام قبل اعلان فكره ، كما يفعل بعض دهاة السياسة في هذه الايام ، اذ يوعزون الى الصحف التي تدافع عن آرائهم أن تذكر عزمهم على العمل الفلاني ، وينظرون الى ما يكون من وقعة عند الناس ، ويكون لهم مندوحة للرجوع عنه اذا توسموا فيه خطرا . فأوعز معاوية الى مسكين أن يقول أبياتا في معنى المبايعة ليزيد ، وينشدها اياه في مجلسه وهو حافل بالوجوه والاشراف .. ففعل وأنشأ قصيدة قال فيها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامرٍ ومروانُ أم ماذا يقول سعيدٌ (\*)  
بنى خلفاء الله مهلا فإنما يبوءونها الرحمن حيث يريد  
إذا المنبر الغربي خلاه ربته فإن أمير المؤمنين يزيد

ومعنى القصيدة انه يقترح عليه أن يولى يزيد العهد . فلما فرغ من انشاده ، قال له معاوية : « تنظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله » ولم يتكلم أحد من الحاضرين الا بالموافقة ، فأغدق عليه معاوية العطاء . ولما مات زياد بن أبيه ، رثاه مسكين بقوله :

رأيت زياده الإسلام وكنت جهازا حين وكعنا زيادا  
وكان الفرزدق منحرفا عن زياد فعارضه فأجابه مسكين ثم تكافأ .  
وترى أخبار مسكين في الاغانى ٦٨ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ٣٤٧ ،  
وخزانة الادب ٤٦٧ ج ١ (\*)

#### سائر شعراء الدور الاول

أما سائر شعراء هذا الدور ، فنكتفى بالإشارة الى أماكن تراجمهم ليطلبها من شاء :

- ١ - ابن اربطاة .
- ٢ - المتوكل اللينى ( توفى سنة ٦٠ ) . ترجمته في الاغانى ٧٩ ج ٢
- ٣ - الوليد بن عقبة ( توفى سنة ٧٠ ) . ترجمته في الاغانى ١٧٥ ج ٤
- ٤ - القتال الكلابى ( توفى سنة ٦٤ ) . ترجمته في الاغانى ١٥٨ ج ٢  
والشعر والشعراء ٤٤٣

#### ٤ - الدور الثانى من الشعر في العصر الاموى

من سنة ٦٤ هـ - ١٠١ هـ

في هذا الدور نبغ معظم شعراء بنى أمية وأبلغهم ، وعددهم يناهز مائة شاعر . وهم فئات قسمناها حسب أغراضهم ، وأول تلك الفئات شعراء السياسة ، وعددهم نحو ٤٠ شاعرا ، وأهمهم وأكثرهم عددا أنصار بنى

(\*) ابن عامر ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص : من أشراف بنى أمية ومقدمهم  
(\*\*) أنظر معجم الادباء ج ١١ والآلاء ١٨٦ وأمالى المرتضى ( طبعة الحلبي ) ج ١ ص ٤٧٠

أمية وهم نحو العشرين ، وثمانية من أنصار آل المهلب ، والباقيون من أنصار سائر الأحزاب . على أن شعراء السياسة أكثر من ذلك ، إذ قلما نبغ شاعر لم يتعرض لأحد الأحزاب التي كانت شائعة يومئذ . . لكن جماعة منهم دخلوا في الطبقات الأخرى لتغلب بعض تلك الأغراض على خواطرها . وأهم هذه الطبقات شعراء الغزل وعددهم بضعة وعشرون شاعرا ، والباقيون من شعراء الأدب الذين لا يعرف لهم غرض خاص ، غير الشعراء السكيرين والمغنيين

ويقدم النقاد ستة من شعراء العصر الأموي ، يعدونهم في مقدمة الشعراء الأمويين من سائر الطبقات . وهم : الأخطل ، وجريير ، والفرزدق ، والرأعي ، وأبو النجم العجلي ، والاحوص (\*) . . يسمونهم الفحول ، وأكثرهم من شعراء السياسة ، ويقدمون الثلاثة الأول على سائرهم ، فهم أشعر شعراء بني أمية على الإطلاق . . نعتى جريرا ، والفرزدق ، والأخطل . واختلف الناس فيمن هو أشعرهم ، فالذين يقدمون جريرا يقولون أنه أكثرهم فنون شعر وأسهلهم ألفاظا وأقلهم تكلفا وأرقهم نسيبا . والذين يقدمون الأخطل يقولون أنه أكثرهم قصائد طوالا جيادا ، ليس فيها سقط ، ولا فحش ، وأكثرهم تهديبا لشعره . وقد تقدمهم الأخطل في الزمن ، ثم نبغ جريير والفرزدق ، فدخل الأخطل بينهما وهو شيخ طاعن في السن . وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه جريرا بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة . ولم يجتمع أدبيان من أدباء ذلك العصر إلا جرى بينهما البحث في أي الشعارين أشعر : جريير أو الفرزدق ، فيحدثم الجدل وينفض المجلس ، وأهله حزبان يعرفان بالفرزدقيين والجريريين

(\*) أصاب المؤلف في الثلاثة الأولين ، أما من تلاهم فيقتدمهم عمر بن أبي ربيعة وذو الرمة والكميت والوليد بن يزيد ورؤبة ، وقد أوردنا لكل منهم دراسة تصور شعره وفننه في كتابنا « التطور والتجديد في الشعر الأموي »

# فحول الشعراء

## ١ - الأخطل

توفي سنة ٩٥ هـ

يكنى أبا مالك واسمه غياث بن غوث بن الصلت من قبيلة تغلب ، وهو نصراني مثل أكثر تلك القبيلة . والأخطل لقب غلب عليه لسبب اختلافوا فيه . وظهرت الشعاعرية في الأخطل منذ حداثة ، وكان يقيم في الحيرة ، فدارت مهاجاة بينه وبين كعب بن جعيل شاعر تغلب قبله ، فغلبه الأخطل وأفحمه فصار هو المقدم في شعرائها . وكان ينتخب شعره فينظم تسعين بيتاً ويختار منها ثلاثين . وسئل حماد عن الأخطل ، فقال : « وما تسألونني عن رجل حيب شعره الى النصرانية » وكان الأخطل يشرب الخمر ولا يجيد النظم الا اذا شرب . ولكنه لم ينظم شعراً تستحي الصدراء من سماعه

وكان السبب في تقربه الى بنى أمية أن معاوية أراد أن يهجو الأنصار (\*) لأسباب تقدم بيانها ، فاقترح ابنه يزيد على كعب بن جعيل المشاعر اليه أن يهجوهم وكان مسلماً قايماً ، وقال : « أدلك على غلام منا نصراني لا يبالي أن يهجوهم كان لسانه لسان ثور ؟ » قال : « من هو ؟ » قال : « الأخطل » فلما معاوية وأمره بهجائهم ، فقال : « على أن تمنعني » قال : « نعم » فقال قصيدة جاء فيها من الهجو بالانصار قوله (\*\*\*) :

وإذا نسبت ابنَ الفريضة خلتك  
كالجحش بين حمارة وحمار  
لعن الإله من اليهود عصابةً  
بالجزع بين صليصلٍ وصرار  
قومٌ إذا هدر العصور ، أيتهم  
حمراً عيونهمو من المسنطار  
خكثوا المكارم لستم من أهلها  
وخذوا مساحيكم بين النجار  
إن الفوارس يعلمون ظهوركم  
أولادٌ كل مقبَّحٍ أكثار  
ذهبت تريش بالمكارم والعلل  
واللؤم تحت عمائم الأنصار

(\*) لبس معاوية هو الذي أراد ذلك كما تقدم وإنما هو ابنه يزيد  
(\*\*) القريب في هذه الأبيات : الجزع : المنطف الوادي ، صليصل : موضع بطريق المدينة ، صرار : يتر على ثلاثة أميال من المدينة ، المسنطار : الخمر الصارعة لشاربها ، المساحي : جمع مسحات وهي الفأس . يقول انهم زراع لا رجال حرب وشجاعة ، الأكار : الحارث والزراع للأرض



فبلغ ذلك النعمان بن بشير فرد عليه بقصيدة تقدم ذكرها في كلامنا عن  
مميزات شعر العصر الاموي  
ثم أفضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان ، وكان ناقما على قبائل قيس  
لانهم نصروا أعداءه كما تقدم ، فعمد الى تقديم شعراء القبائل الاخرى ليكتسب  
أحزابهم . وعلم أن الاخطل شاعر تغلب له يد في نصره الامويين على الانصار  
فقربه وأكرمه . وكان عبد الملك بصيرا بالشعر يعجبه شعر الاخطل فيطرب  
لما يقوله حتى سماه « شاعر بنى أمية » ويعث بمولى ينادى على رءوس  
الملأ « هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا شاعر العرب » وكان الاخطل مغرما  
بالخمر ، وحملته الدالة على عبد الملك أن يطلب منه أن يسقيه خمرا ، (١)  
فغضب عليه وقال : « لولا حرمتك لفعلت بك وفعلت » فخرج حتى لقي  
خمرا شرب عنده وعاد فجادت قريحته ، فدخل على عبد الملك ومدحه  
بقصيدة مطلعها :

خف القطين فراحوا منك وابتكروا

وأزعجتهم نوى في صرفها غير (\*)

وقال له عبد الملك : « الا تسلم فنفرض لك في الفء ونعطيك عشرة  
آلاف » فقال : « وكيف الخمر ؟ » قال : « وما تصنع بها وان أولها لم  
وان آخرها لسكر » فقال : « أما اذا قلت ذلك فان فيما بين هاتين لمنزلة  
ما ملكك فيها الا كلعقة ماء من الفرات بالاصبع » فضحك وشركه على  
نصرائته وسهل عليه الدخول والخروج حتى كان يجيء وعليه جبة خز ،  
وفي عنقه سلسلة ذهب فيها صليب تنفض لحيته خمرا ، حتى يدخل على  
عبد الملك بغير اذن

وكان لشعره تأثير في نفس عبد الملك يقيمه ويقعه . ومن الأدلة على ذلك  
ان عبد الملك لما أنزل زفر بن الحارث الكلابي عن قرقيسيا ، استقدمه اليه  
واقعه على سريره فعاتبه بعضهم على تقدير رجل كان في الامس من الأد  
اعدائه وسيفه يقطر من دماء قومه فلم ينفع العتاب . . فبلغ ذلك الاخطل  
وهو يشرب ، فمضى حتى دخل على عبد الملك وأنشد :

وكأسٍ مثل عيّن الديك صرفٍ تثنّى الشاربين لها العقولا  
إذا شرب الفتى منها ثلاثا بغير الماء حاول أن يظنولا  
مشى قرشيّة (٢) لا شك فيها وأرخبى من مآزره الفضولا

فقال له عبد الملك : « ما أخرج هذا منك يا أبا مالك الا خطة في رأسك »  
قال : « أجل والله يا أمير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير  
وهو القائل بالامس :

(١) الاغانى ١٧٥ ج ٧

(٢) خف القطين : ارتحل السكان ، نوى : نية ، صرف : تصرف وتحول ، غير : أحداث

(٣) مشى قرشيّة : مشية فيها خيلاء القرشيين

وقد يَنْبُتُ المرعى على دِمْنِ اَثْرِى  
وتَبْقَى حَزَازَاتُ النَفْسِوسِ كما هيا  
فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير ، وقال :  
« أذهب الله حزازات تلك الصدور »  
ومن قوله فى النسب :  
من الخَفِرَاتِ البِيضِ أَمَا وَشَاحِهَا

فِيَجْرِى وَأَمَا القَلْبُ (١) منها فلايجرى  
تموت وتحييا بالضجيع وتلتوى  
بمطَّردِ المَسْنِينِ مُنْبَتِّرِ الخَصْرِ  
ومن قوله فى المديح :

نفسى فداءً أمير المؤمنين إذا أبدى النواجذ يوماً عارمٌ ذكر  
الخائض الغمر والميمون طائرته خليفة الله يُسْتَسْقَى به المطر  
ومن قوله فى الهجاء :

وكنت إذا لقيت عبيد تيمٍ وتيماً قلت أيهم العبيد  
لئيمٍ العالمين يسود تيماً وسيدهم وإن كرهوا مسود  
أما دخوله فى الهجاء بين جرير والفرزدق فسيبه أنه كان مرة عند بشر بن  
مروان أخى الخليفة وعنده جرير والفرزدق . وكان بشر يرى من السياسة  
ان يغرى بين الشعراء ، فقال للأخطل : « احكم بين الفرزدق وجرير »  
فقال : « أعفنى أيها الامير » قال : « احكم بينهما » فقال : « الفرزدق  
ينحت من صخر ، وجرير يغرف من بحر » وبلغ ذلك جريراً فلم يعجبه ،  
وهجاه بقوله :

ياذا العباوة إن بشراً قد قضى أن لا تجوز حكومة النشوان  
فرد عليه الاخطل ثم رد عليه جرير مما يطول ذكره (٢) . وكان الاخطل  
أشهب اللحية له ضميرتان ، ومن أحاسن شعره قوله فى وصف السكران :  
صريعٌ مدام يرفع الشرب رأسه ليحيا وقد ماتت عظامٌ ومفصلٌ  
نهاده أحياناً وحيناً نجره وما كاد إلا بالحشاشة يعقل  
إذا رفعوا صدرأ تحامل صدره وآخرٌ مما نال منها مخبئلٌ

(١) القليب : السوار

(٢) الاغانى ١٨٦ ج ٧

وهو من أصحاب الملحمة وله ملحمة مطلعها :

تغير الرسم من سلمى بأحمار وأقمرت من سليمان دمنة الدار  
وتفنن الاخطل في النظم من حيث الوزن تفننا قلده فيه بعد أجيال ، وذلك  
قوله : (\*\*)

ولقد علمت إذا الرياح تناوحت هوج الرئال تكبهن شمالا  
أنا نعجل بالعبيط لضيفنا قبل العيال ونضرب الأبطال  
ولو قال :

ولقد علمت إذا الريا ح تناوحت هوج الرئال  
لكان شعرا ، وإذا زدت فيه « تكبهن شمالا » كان أيضا شعرا من روى  
آخر (\*\*\*)

والأخطل ديوان مطبوع في بيروت للمرة الأولى بعناية الاب صالحاني عن  
نسخة بطرسبورج مع شروح سنة ١٨٩١ في نيف وخمسمائة صفحة .  
ولأب المذكور طبعة فوتوغرافية عن نسخة وجدوها في بغداد . وللدكتور  
غريفيني طبعة بالحجر عن نسخة وجدت في اليمن . وعشروا في مكتبة بيازيد  
بالأستانة على نسخة خطية من كتاب تقائض جرير والاخطل (١)

وله أخبار متفرقة في الاغانى ١٦٩ ج ٧ و ٤٦ ج ٩ و ٢ ج ١٠ و ١٤٨  
و ١٥٤ ج ١٣ والجمهرة ١٧٠ وفي الشعر والشعراء ٣٠١ والعقد الفريد ١٣٣  
ج ٣ وخزانة الادب ٢٢٠ ج ١ ، وللمستشرق دي برسفال مقالة عنه وعن  
جرير والفرزدق في المجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٩٤ ، وكتب عنه الاب  
لامنس مقالة في المجلة الآسيوية المذكورة سنة ١٨٩٤ (\*\*\*)

## ٢ - جرير

توفي سنة ١١١ هـ

هو جرير بن عطية بن الخطفى من كليب بن يربوع (تميم) نشأ في البادية  
أيام معاوية ، وهو واسع الخيال قوى الشاعرية مع ميل إلى الهجاء . وكان  
يفقد إلى الشام مع من يفقد على الخلفاء للاستجداء بالمديح ، فعرفه أحدهم

(\*) تناوح الرياح : تقابلها واضطرابها ، الرئال : أولاد النعام ، وتكب أولاد النعام شمالا  
كناية عن أنها ربيع باردة شديدة ، العبيط : الطرى من اللحم ، يقول انهم كرماء وشجعان  
(\*\*) يشير الى ما حدث عند الحريرى وأضرابه في العصر العباسى ثم العصور التالية من  
بناء الشعراء لقصائدهم على وزن معين تستطيع منه أن تحذف من أبياتها كلمتين أو نحوهما ،  
فتتحول القصيدة الى وزن آخر وروى آخر . ولكن الاخطل لم يستعمل ذلك عامدا ، إنما جاء  
عفوا في البيتين المذكورين

(١) راجع وصفها في المشرق ٦٧ مجلد ٨  
(\*\*) انظر طبقات الشعراء لابن سلام والفصل الثالث من كتاب التطور والتجريد في  
الشعر الاموى ، ومادة الاخطل في دائرة المعارف الاسلامية ، وناليو في تاريخ الادب العربية

الى يزيد بن معاوية وهو أمير وجعل يختلف اليه وهو شاب ، فاستلطف  
يزيد نظمه ، واتفق ان يزيد أراد أن يعاتب أباه بشعر فاقتبس ابياتا من  
قصيدة لجرير فرفعها الى أبيه عن لسانه ، وفيها قوله :

بأى سنانٍ تطعن القوم بعد ما نَزَعْتَ سِنَانًا من قَنَاتِكَ ماضيا

فاعتقد معاوية ان الايات لابنه . فلما صارت الخلافة الى يزيد وفد  
عليه جرير ، فاستؤذن له مع الشعراء فجاء الجواب : « ان أمير المؤمنين  
يقول لا يصل الينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره » فقال جرير :  
« قولوا له أنا القائل ( وذكر الايات ) . » فأمر بادخاله ، فلما أنشده  
القصيدة قال يزيد : « لقد فارق أبى الدنيا وما يحسب الا انى قائلها »  
وأمر له بجائزة

ولما صارت الخلافة الى عبد الملك بن مروان لم يتجرأ جرير على الوفود  
عليه لعلمه بغضب عبد الملك على شعراء مضر لانهم كانوا يمدحون آل الزبير  
أعداءه ( وتميم من مضر ) فاحتال حتى قدم على الحجاج وهو أمير العراق  
على يد بعض عماله . فأعجب الحجاج ببلاغته وشاعريته ، فأحب أن يقدمه  
الى الخليفة وعلم ان عبد الملك سينكر ذلك ، فأنفذ معه ابنه محمدا فاستقبله  
عبد الملك بعد الجهد ثم أقبل يعاتبه قائلا : « ماذا عسى أن تقول فينا بعد  
قولك فى الحجاج عاملنا :

من سَدَّ مُطْلَحَ النِّفَاقِ عَلَيْكُمْ أَم مِّنْ يَّصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ

ان الله لم ينصرنا بالحجاج وانما نصر دينه وخليفته » وظهر الغضب فى  
وجه عبد الملك . فتوسط محمد بن الحجاج فى الرضا ، واستأذن جرير فى  
الأنشاد ، وأنشد القصيدة التى يقول منها :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْذَى الْعَالَمِينَ بِطُونَ رَاحِ

فتبسّم عبد الملك وقال : « كذلك نحن وما زلنا كذلك » وأمر له بمائة  
لقحة وثمانية من الرعاء (١) . وصار يفد على عبد الملك من ذلك الحين  
ويأخذ الجوائز ، وكانت جائزته أربعة آلاف درهم وتوابها من الحملان  
والكسوة

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز وهو لا يرى للشعراء حقا فى العطاء  
وفد عليه بقصيدة عامرة فاعتذر له ولم يعطه . وتوفى جرير سنة ١١٠ بعد  
الفرزدق ببضعة أشهر ، ودفن فى اليمامة حيث قبر الاعشى (٢) وكان  
يعن فى لفظه فيخرج الكلام من أنفه أو كان فيه نوتا

(١) الرعاء : الرعاة ، واللحة : الناقة الحلوب

(٢) الاغانى ٤٦ ج ١٩

واشتهر جرير على الخصوص بمهاجاته الفرزدق وغيره من معاصريه ، وكان الناس يخافون لسانه . والسبب في اشتهاره بالهجاء ان رجلا اسمه غسان بن ذهيل من عشيرة سليط هجاه بأبيات منها :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها

جرير" (\*\*\*) لقدأخزى كليباً جريرها

يريد أن جريرا أخزى كليباً وهو البطن الذي هو منه .. فأجابه جرير بقصيدة وقعت على رأس الرجل وقوع السهام ، منها قوله :

ألا ليت شعري عن سليطٍ ألم تجد

سليط" سوى غسانَ جاراً يجيرها

فقد ضمّنوا الأحسابَ صاحبِ سوءةٍ

يُناجى بها نفساً خبيثاً ضميرها

فاستنصر غسان رجلا اسمه البعيث ، فنصره وهجا جريرا وقال فيه :

كليب" لئامُ الناس قد تعلمونه وأنت إذا عدّدت" كليب" لئيمها

فأجابه جرير على الوزن والقافية . وبلغ ذلك الفرزدق وكان يحسد جريرا فانتصر للبعيث ، فاحتدم الهجاء بينهما ... وانقسم الأدباء في الانتصار لهما الى حزينين كما تقدم . وبلغ من احد المشغوفين بالفرزدق انه عقد جائزة قيمتها ٤٠٠ درهم وفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير (١) وقد جمعت مناقضاتهما في كتاب يعرف بنقائض جرير والفرزدق طبع في ليدن في جزأين سنة ١٩٠٥

وانتشبت المهاجاة بين جرير والاخلط لسبب ذكرناه في ترجمة الاخلط ، وهجاه أيضا عمر بن لجا التيمي وسراقة بن مرداس ثم المستنير بن سبرة العنبري لانه اعان عليه ابن لجا . ثم هاجى راعى الابل وهو من الفحول، لانه فضل الفرزدق عليه وله في هجائه حديث طويل ، والراعى من بنى تميم فهجا جريرا بأبيات منها :

رأيت الجَحشَ جَحشَ بنى كليب

تيمم حوضَ دجلة ثم هابا

(\*) انظر في هذه المهاجاة ومهاجاة جرير مع الاخلط كتاب التطور والتجديد في الشعر الاموي ومقدمة Bevan لنقائض جرير والفرزدق  
(\*\*\*) جرير هنا : هو جرير بن عبد الله اليجلي أحد اجلاء الصحابة وأشرف الكوفة  
(١) الاغاني ٦٧ ج ٧

فذهب جرير اليه ليستكفه أو يعاتبه فلقى في المرید - نادى الادباء والشعراء بالبصرة - على بغلة ، وبيجائبه ابنه جندل على مهر . فاقترب منه جرير وحياه وقال : « يا أبا جندل ان قولك يستمع وانك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحا ، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم ، وهو ابن عمي . ويكفيك من ذلك اذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم ولا تحمل منى ولا منه لائمة » . فلم يجبه الراعى ، ولكنه لحق ابنه ورفع الابن عصاه فضرب عجز بغلته وخاطب أباه قائلا : « لا أراك واقفا على هذا الكلب من بنى كليب كأنك تخشى منه شرا أو ترجو خيرا »

فرفست البغلة جريرا ، فوقعت فلتسوته عن رأسه . فانصرف مغضبا حتى اذا ضلى العشاء بمنزله في عليبة (غرفة) له قال : « ارفعوا الى باطية من نبيذ وأسرجوا لى » فأسرجوا له وأتوه بباطية من تبيذ وجعل يشرب ويستحث قريحته وينظم حتى كان السحر ، وقد نظم ٨٠ بيتا ختمها بقوله :

فعض انظر فإنيك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ثم جاء المرید وأنشد هذه القصيدة في مجلس الادباء وفيهم الفرزدق والراعى ، فكان لها وقع شديد ولا سيما البيت الاخير

وقد لا يفقه القارىء قوة الهجاء اذا لم يعلم أن كعبا وكلابا ونميرا ثلاثة أبطن من عامر بن صعصعة من قيس . فجرير فضل كعبا وكلابا على نمير مع أنهما أخواه . ولم يسمع ذلك البيت أحد من العرب يومئذ الا قال : « لا يفلح النميرى بعد ذلك أبدا » ومن هذه القصيدة أبيات من أبلغ ما يكون ، بقوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

وهو أحسن بيت في الفخر ، وبسببه بدأت المهاجاة بين جرير والعباس ابن يزيد الكندى ، وقد ساءه تفاخر جرير بتميم فعارضة بقوله :

ألا رغمت أنوف بنى تميم قساة التمر إن كانوا غضابا

لقد غضبت عليك بنو تميم فما نكأت بغضبيتها ذبا

لو اطلع الغراب على تميم وما فيها من السوءات شابا

فاغتنم جرير سقطة من العباس وهجاه بأبيات على نفس الوزن والقافية أولها :

إذا جهل الشقى ولم يقدر بعض الأمر أو شك أن يصابا

ومن هاجهم جرير أيضا جفنة الهزاني ، والمرار بن منقذ ، وحكيم بن معية ، والاشهب بن رميلة ، وغيرهم . وربما تهاجى الرجلان قبل ان يتعارفا كما يتناقش الصحافيان أو الكاتبان اليوم وبينهما ألوف من الاميال

وتجد أخبار هذه المهاجة في الاغانى ج ٧ ، وفي كتاب نقائض جرير  
والفرزدق ، وفي الشعر والشعراء  
وأحسن أقوال جرير في النسيب قوله :

إن العيون التي في طرفها حورٌ قتلنا ثم لا يَحِين قتلنا  
ومن أحسن شعره قوله يرثى ابنه :

قالوا نصيبك من أجرٍ قفلت لهم كيف العزاء وقد فارقت أشبالي  
فارقتني حين كفَّ الدهرُ من بصرى وحين صرتُ كعظم الرَّمَّةِ البالي  
ومن قوله يرثى امرأته :

لولا الحياءُ لعادني استعمارٌ ولزرتُ قبركُ والحبيبُ يزارُ  
ولَهتِ قلبي إذ عكستني كبرةٌ وذوو التَّمائم من بنيك صغار  
لا يلبث الأجاب أن يتفرَّقوا ليلٌ يكثرُ عليهم ونهار  
صلى الملائكة الذين تخيَّروا والطيون عليك والأبرار  
وهو من أصحاب الملحمت ومطلع ملحمته :

حَيَّ العداة بزامة الأطلالا رَسْمًا تقادم عَهْدُهُ فأحالا  
وقد ذكرنا أمثلة من هجائه ، ومنها أيضا قوله في هجاء تيم :

مِنَ الأصلاب ينزل لئومٌ تيمٌ وفي الأرحام يُخَلِّقُ والمشيم  
وكان جرير على الاجمال من الشعراء طلاب العطاء من الخلفاء والامراء ،  
وكان يقيم هو والفرزدق بجوار البصرة . ونظرا لاشتغال الناس بهما  
أهمل ذكر من عاصرهما من الشعراء

ولجرير ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ، وقد طبع في  
القاهرة سنة ١٨٩٥ وفي غيرها . وترى أخباره في الاغانى ٣٨ و ١٧٢ ج  
٧ و ٢ ج ١٠ و ٤٦ ج ٩ ، والجمهرة ١٦٨ ، والشعر والشعراء ٢٨٣ ،  
وخزانة الادب ٣٩٧ ج ٣ ، وابن خلكان ١٠٢ ج ١ ، والمستطرف ٥٣ ج ١ ،  
والعقد الفريد ١١٤ ج ١ (\*)

### ٣ - الفرزدق

توفي سنة ١١٠ هـ

هو من دارم من تميم واسمه همام بن غالب بن صعصعة ، وكان جده  
صعصعة وجيها يعرف بمحبي الموءودات ، وأبوه غالب كان رئيسا في قومه

(\*) وانظر نقائض جرير والاحتل لشجر الابن صالحاني ونقائض جرير والفرزدق بشرح  
أبي عبدة نشر بيفان ، وطبقات الشعراء لابن سلام ، والتطور والتجديد في الشعر الاموي ،  
وتاريخ الادب العربية لالتون ، ومادة جرير في دائرة المعارف الاسلامية .

وله مناقب مشهورة • ولد الفرزدق في البصرة وأقام في باديتها مع أبيه ،  
وظهرت فيه ملكة الشعر وهو غلام • فجاء به أبوه الى علي بن أبي طالب  
بعد وقعة الجمل ، وأخبره أنه شاعر فقال : « علمه القرآن » كما تقدم •  
فلم ينظم شعرا حتى حفظ القرآن ، ولم يكذب ينبح حتى قامت المهاجرة بينه  
وبين جرير • ولا شك أنها نفعتهما لان الانتقاد يشهد القرية ، والضغط  
والمقاومة يظهران القوى الكامنة • وانما نأتى بمثال من ذلك • نظم الفرزدق  
قصيدة وهو في المدينة قال فيها (❦) :

هما دكْيَانِي من ثمانينَ قامةً  
كما انقضَّ بازٍ أقتَمُ الرِّيشِ كاسِرُهُ  
فلما استوتَ رجلاي في الأرضِ قالتا  
أحىُّ فيرجى أم قتييلُ نحاذره  
فقلت ارفعا الأمراس لا يشعروا بنا  
وأفلتُ في أعجازِ ليلٍ أبادره  
أحاذر بَوَّائِنِ قَد وَكِلَا بِنَا  
وأَسْوَدَ من ساجٍ تصر مسامره  
فلما بلغت هذه الابيات جريرا نظم من جملة قصيدة طويلة :

لقد ولدت أمُّ الفرزدق فاجراً فجاءت يوزوزاً قصير القوادم  
يوصِّل حَبْلِيه إذا جنَّ ليله ليرقى إلى جاراته بالسلاالم  
تدكَيْتَ تزني من ثمانين قامة وقصرت عن باع العتلا والمكارم  
هو الرِّجْسُ يا أهل المدينة فاحذروا مداخلَ رجسٍ بالخبيثات عالم  
لقد كان إخراج الفرزدق عنكم طهوراً لما بين المصلئى وواقم  
فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول في  
جملتها :

وإن حراماً أن أسبَّ متقاعسا بأبائى الشَّمِّ الكرام الخضارم  
ولكن نصفاً لو سببتُ وسببى بنو عبد شمس من مناف وهاشم

(❦) الغريب في هذه الابيات والاخرى التي تليها ، أقتم : أسود ، كاسره ، يريد كاسر  
الجناحين للسقوط على الارض ، الامراس : الاسباب والجمال ، أسود من ساج : يريد بابا من  
خشب الساج ، تصر : تصوت وتصبح ، الوزوا : القصير خفيف الحلم والجسم ، المصلئى  
وواقم : موضعان بالمدينة ، الخضارم : جمع خضرم وهو البحر ، والجراد : المعطاء ، مقاسس ،  
عشيرة من تميم ، النصف : العدل ، أعند : أخالف وأخطئ ، وكليب : قبيلة جرير ،  
ودارم : قبيلة الفرزدق



أولئك آبائي فجئني بشهيم وأعند أن أهجو كلياً بدارم  
وغضب أهل المدينة لذلك وشكوه إلى مروان بن الحكم - وهو يومئذ  
والي المدينة - وطلبوا إليه أن يحده ، فأمر بنفيه فغضب الفرزدق وهدهده  
بالهجاء فخاف مروان واسترضاه بالجائزة

وكان الفرزدق يتشيع لعلي وأهله (\*\*) . والتقى في أواخر أيامه بهشام  
ابن عبد الملك في الحج ، ورأى هشام هناك علي بن الحسين في غمار الناس  
فقال : « من هذا الشاب الذي تبهق أسرة وجهه كأنه مرآة صينيه تتراعى  
فيها عذارى الحى وجوهها ؟ » فقالوا : « هذا علي بن الحسين » فنظم  
الفرزدق قصيدة في مدح علي المذكور مطلعها :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأتُ البيت يعرفه والحلِّ والحرمُ  
وبلغ هشاماً خبر القصيدة وهو بين مكة والمدينة ، فغضب وحبسه هناك  
فقال :

أتحسبني بين المدينة والتي إليها قنوبُ الناس بهوى مئيبها  
يقلِّبُ رأساً لم يكن رأسَ سيدٍ وعيناً له حولاءَ بادٍ عيوبها  
فلما بلغ ذلك هشاماً أمر باطلاقه

ولم يكن الفرزدق من مداح بني أمية (\*\*) لأنه كان يتشيع لعلي كما  
رأيت وقد هجا بعضهم ، ولكنه مدح بعض عمالهم وخصوصاً آل المهلب  
والحجاج خوفاً منهم

ويعتقد علماء اللغة أن شعر الفرزدق فيه كثير من أساليب العرب وألفاظهم  
حتى قالوا : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب . وكان له على الحجاج  
دالة . وكان من أقرب شعراء ذلك العصر الى الثبات في الرأي ، فقد طلب  
يزيد بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب من الشعراء هجاء يزيد المذكور  
فأبى الفرزدق وقال : « امتدحت بني المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها  
أحد ، وإنما يقبح بمثلي أن يكذب نفسه على كبر السن فليعفى أمير المؤمنين »  
فأعفاه (١)

ومن أقوال الفرزدق التي تجرى مجرى الامثال قوله :

(\*) الصحيح ان الفرزدق لم يكن متشيعاً لعلي وآله ، أما القصيدة التي ساقها المؤلف  
والتي يقال انه مدح بها علي بن الحسين زين العابدين فليست له . انظر في ذلك ترجمة  
الحزبين الكناني في الجزء الرابع عشر من الاغانى  
(\*\*) الحق ان الفرزدق كان من مداحهم ، ولكن منذ سليمان بن عبد الملك ، أما من قبله  
من الخلفاء فلم يعصدهم بمدح . وفي ذلك يقول من قصيدة لسليمان :  
وما كنت عن نفسي لارحل طائفاً الى الشام حتى كنت أنت المؤمرا  
وانظر كتابنا « التطور والتجديد في الشعر الاموي » ص ١٢٠  
(١) الاغانى ٤٣ ج ٤

فيا عجباً حتى كليب" تسبني كان أباهَا نَهْشَلٌ" ومجاشع (١)

\*\*\*

وكنّا إذا الجبار صَعَّرَ خَدَّهَ ضربناه حتى تستقيم الأخادع

\*\*\*

وكنت كذّاب السوء لما رأى دما بصاحبه يوماً أحالَ على الدم

\*\*\*

أحلامنا تزنُ الجبالَ رزانهً وتخالنا جِنًّا إذا ما نجهل

\*\*\*

فإن تَنجُ مني تنج من ذي عزيمةٍ وإلا فاني لا إخالك ناجياً

\*\*\*

تري الناسَ ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقتفوا

وهو من أصحاب الملحمت ، ومطلع ملحمته :

عزفت بأعشاشٍ (\*) وما كدت تعرف

وأنكرت من حدّراء ما كنت تعرف

وللفرزدق ديوان مطبوع في جملة الدواوين الخمسة ( النابغة ، وعروة ، وحاتم ، وعلقمة ، والفرزدق ) بمصر سنة ١٢٩٣ ، وطبع على حدة في باريس سنة ١٨٧٠ وما بعدها مع ترجمة فرنسية للمسيو بوشر عن نسخة خطية صورت من مكتبة أياصوفيا في الأستانة . وطبعت تتمتها في مونيخ سنة ١٩٠١ ، وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية املاء محمد بن حبيب مشروحة . ومنه نسخ خطية أيضا في أكسفورد وليدن وغوطا وبرلين ولندن . وله طبعات أخرى

وترى أخباره في الاغانى ٢ ج ١٩ و ١٨٦ ج ٨ و ٦٥ ج ١ و ٦ ج ٩ و ١٧ ج ٧ و ٤٦ ج ٩ ، وفي الشعر والشعراء ٤٨ و ٢٨٩ و ٣٠٦ و ٣١٤ ، وابن خلكان ١٩٦ ج ٢ و ١٠٣ و ١٨٥ ج ١ ، والمستطرف ٥٣ ج ١ و ١٤٢ ج ٢ ، والعقد الفريد ١٤٦ ج ١ ، والجمهرة ١٦٣ وخزانة الادب ١٠٥ ج ١ والدميري ٩ ج ١ (\*\*\*)

(١) نهشل ومجاشع من آباء الفرزدق ، وكليب : عشيرة جرير

(\*) عزفت : انصرفت نفسك ، وأعشاش : موضع

(\*\*) وأنظر طبقات الشعراء لابن سلام ، ومعجم الادباء لياقوت ، ونالينو في تاريخ الادب العربية والتطور والتجديد في الشعر الاموى ، ودائرة المعارف الاسلامية

### ٤ - الراعي توفى سنة ٩٠ هـ

هو عبید بن حصین النیرى من قبيلة نیر التي هجأها جرير في بيته المشهور ، وقد تقدم سبب نظمه . وسمى الراعى لكثرة وصفه الأبل وجوده نعتة أياها . وهو شاعر فحل ، وكان مقدما مفضلا على سائر الشعراء حتى اعترض بين جرير والفرزدق . فاستكفه جرير ، فأبى أن يكف ، فهجأه بالقصيدة المتقدم ذكرها ففضحه . ولذلك كان الراعى يقضى للفرزدق على جرير ، وهو السبب في هجاء جرير له . ومما سبق إليه من المعاني وقد أخذت عنه : (\*)

كأنَّ العيونَ المرَّسِلاتِ عَنِّيَّةٌ شَأيبَ دمعٍ لم تجد مترددا  
مزايِدَ خرِّقاءِ اليدينِ مسيفةٍ أخبَّ بهنِ المخلفانِ وأحمدا  
ومن شعره في النساء قوله :

تحدِّثهن المضمراتُ وفوقنا ظلالَ خدورٍ والمطىُّ جوانح  
يُناجيننا بالطَّرْفِ دونِ حديثنا ويقضين حاجاتٍ وهنَّ موازح  
وقوله :

طاف الخيال بأصحابي فقلت لهم أممٌ شدرةٌ زارتنا أم الغولُ  
لا مرحباً بابنة الأقيان إذ طرقتُ كأن محجرها بالقار مكحول  
سودٌ معاصمها جعدٌ معاقصها قد مسها من عقيد القار تفصيل  
وهو معدود من أصحاب الملحمت ، ومطلع ملحمته :

مابال دفتك بالفراش مذيلا (\*\*\*) أقذى بعينك أم أردت رجيلا  
وتجد أخباره في الاغانى ١٦٨ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء ، وخزانة  
الادب ٥٠٤ ج ١ ، والجمهرة ١٧٢ (\*\*\*)

(\*) الغريب في هذه الابيات والتي تليها من شعر الراعى : شأيب : جمع شؤبوب وهو اللدعة من الطر والدمع ، مزايِد : جمع مزادة ، وهي قربة الماء ، وخرقاء اليدين : لانحس ماتصنع ، مسيفة : من أسافت اذا خرزت فانخرمت خرزتان ، والمخلف : من يحمل الماء الى القوم والبعير ، والحفد والاحفاد : ضربان من السير السريع ، المضمرات : الخفيات المحجبات المقاص : الضفائر ، وعقد القار : ما انعقد منه

(\*\*) دفتك : جنبك ، مذيلا : قلنا  
(\*\*\*) وانظر الاشتقاق ١٧٩ والمؤتلف ١٢٢ والنقائض في مواضع متفرقة ، والحماسة لابي تمام ، وطبقات الشعراء لابن سلام والموشح للمرزبانى .

## ٥ - أبو النجم الراجز

توفى سنة ١٢٠ هـ

هو الفضل بن قدامة من بنى عجل من بكر وائل ، من رجاز الاسلام المحول  
المقدمين ، وفي الطبقة الاولى منهم . وكان أبلغ من العجاج في النعت ، ولم  
يكن الشعراء يعتقدون ببلرجاز حتى تُبغ العجاج ورؤية وأبو النجم هذا .  
وقد عاصر العجاج وجوت بينهما مراجعة . وذلك أن العجاج خرج محتفلاً  
عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد  
والناس مجتمعون فأنشدهم قوله : « قد جبر الدين الاله فجير » وذكر  
فيها ربعة وهجاسهم ، فجاء رجل من بكر بن وائل الى أبي النجم وهو  
في بيته ، فقال له : « أنت جالس وهذا العجاج يهجونا بالمربد وقد اجتمع  
عليه الناس » قال : « صف لي حاله وزيه الذي هو فيه » فوصفه له فقال :  
« أبغى جملاً طحاناً قد أكثر عليه من الهناء (\*) » فجاء بالجمال اليه فأخذ  
سراويل له فجعل احدى رجليه فيها واتزر بالاخرى ، وركب الجمل ودفع  
خطامه الى من يقوده فانطلق حتى أتى المزيد . فلما دنا من العجاج قال :  
« اخلع خطامه » فخلعه فأنشد : « تذكر القلب وجهلاً ما ذكر »

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد  
ثيابه ورحله بالقطران حتى اذا بلغ الى قوله : « شيطانه أنثى وشيطاني ذكر »  
تعلق الناس بهذا البيت وهرب العجاج

وكان أبو النجم يحضر مجلس عبد الملك فيأمره بالمفاخرة مع الفرزدق أو  
غيره من الشعراء المعاصرين . وكذلك كان يفعل هشام بن عبد الملك ، وسأل  
الشعراء مرة أن يصفوا ابلاً ترد وتصدر ، فقابل أبو النجم أرجوزته التي  
مطلعها : « الحمد لله الوهوب المجزل » وهي من أفخر نظمه حتى أتى الى  
شطر يصف به الشمس ، فقال : « فهي في الافق كعين . . . » وأراد أن  
يقول : « الاحول » فتذكر أن هشاماً أحول . فلم يتم البيت وأتم الأرجوزة ،  
فغضب عليه هشام وأمر بوجاً عنقه ونفيه . فتوسط له وجوه القوم فعفا  
عنه ، ولكنه عاش مرذولاً يأكل فضلات الناس حتى اذا أصاب هشاماً أرق ،  
طلب اعرابياً يحدثه واشترط أن يكون أهوج ويروي الشعر . فخرج  
الخادم فلقى أبا النجم في المسجد بلباس رث ، فأخذه الى هشام فلما عرفه  
سأله عن حاله فقال : « انى أتغنى عند هذا وأتعشى عند هذا » فقال :  
« وما عندك من الولد ؟ » قال : « ثلاث بنات زوجت منهن اثنتين » فسأله  
عما أوصاهما عند الزفاف فقال : « قلت للاولى واسمها برة :

أوصيت من برة قلباً حراً<sup>١</sup> بالكلب خيراً والحماة شراً<sup>٢</sup>  
لا تسأمنى ضرباً لها وجرماً<sup>٣</sup> حتى ترى حلتوا الحياة مرماً<sup>٤</sup>  
وإن كستك ذهباً ودرماً<sup>٥</sup> والحي عثمياً بشر طراً<sup>٦</sup> »

(\*) الهناء : قطران تظلى به الابل

فضحك هشام وقال : « فما قلت للاخرى ؟ » قال : « قلت :

سبى الحماة وابهتني عليها وإن دنت فاذلني إليها  
وأوجعي بالفهر (١) ركبتها ومرفقيها واضربي جنبيها  
وظاهرة النذر لها عليها لا تخبري الدهر به ابتيها »  
فضحك هشام وأجازه . وكان قوى البديهة ، ومن شعره أرجوزة وصف  
بها فهود عبد الملك ، ومنها :

فهي ضواري من مضرّيات تريك آماقا مخططات  
سوادا على الأشداق ساتلات تكلوى بأذنان موقوفات

وترى أمثلة من الرجز في كتاب أراجيز العرب طبع في مصر سنة ١٣١٢هـ ،  
وديوان العجاج منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وطبع في فينا سنة  
١٨٩٦ ، وديوان روبة بن العجاج منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية  
وسنعود اليه

وأخبار أبي النجم في الاغانى ٧٧ جزء ٩ ، والشعر والشعراء ٣٨١ ،  
وخزانة الادب ٤٩ جزء ١ (\*)

#### ٦ - الاحوص

وهو من الفحول ، لكننا نظرا لغلبة التشبيب عليه سنترجمه مع المشيبين

(١) الفهر : الحجر  
(\*) وانظر طبقات الشعراء لابي سلام والموشح للمرزبانى ، والطرائف الادبية للراجكوتى ،  
وشرح شواهد المفتى للسيوطى ص ١٨٥ ، وكتاب الحيوان للجاحظ (الفهرس) وشرح التبريزى  
على الحماسة ( الفهرس )

# شعراء السياسة

## في الدور الثاني من العصر الاموي

كان الشعراء في صدر الدولة الاموية لا يزالون على أنفة البداوة والبعد عن الزلفى كما رأيت ، فلما صارت الدولة الى آل مروان وقام بها عبس الملك ( سنة ٦٥ هـ ) وغلب على سائر الاحزاب وكان هو أديبا ، كثر الشعراء في أيامه وتقربوا اليه بمدحه والطنن على أعدائه من آل الزبير أو الخوارج أو العلويين أو غيرهم . وظل بعضهم على ولاء هؤلاء وكانوا من أنصارهم . على أن أكثر شعراء السياسة من أنصار بنى أمية ، وقد تقدم ذكر بعضهم مع الفحول . وأشهر من بقى منهم بضعة عشر شاعرا أكثرهم ممن انتصر للامويين على ابن الزبير لانه كان بخيلا على الشعراء . وهم يطلبون الجوائز . واليك تراجمهم ، وقد جمعنا أنصار كل دولة أو حزب على حدة :

### ١ - أنصار بنى أمية

#### ١ - أبو العباس الاعشى

اسمه السائب بن فروخ مولى بنى الدئل ، فهو عربى بالولاء وليس بالنسب . وأصله من أذربيجان فهو من جملة الشعراء الموالى الذين تكاثروا فى الاسلام بمن أسلم من غير العرب . وهو من شعراء بنى أمية المحدودين المقدمين فى مدحهم والتشيع لهم وانصباى الهوى اليهم . وكان يقيم فى مكة ، وله أشعار كثيرة فى مدح بنى أمية وهجاء ابن الزبير . ومن قوله يحرضهم على حربته :

أبنى أمية لا أرى لكم شبيها إذا ما التفتت الشيع  
سعة وأحلاما اذا نزعتم أهل الحلوم فضرها النزاع (\*)  
أبنى أمية غير أنكم والناس فيما أطمعوا طمعوا  
أطمعتم فيكم عدوكم فسيما بهم فى ذاكم الطمع

(\*) النزاع : التخاصم

فلو انكم كنتم كقومكمو مثل الذي كانوا لكم رجعوا  
عما كرهتم أو لردتهم حذر العقوبة ، انها تزع

وكان بنو أمية يحسنون جزاءه ، فيرسلون اليه عطاءه من الشام الى مكة وكانت قريش كلها تبره للسانه وتقربا الى بنى أمية ولما قتل مصعب بن الزبير سنة ٧١ هـ ، رثاه بأبيات لانه كان صديقه فغضب عبد الملك لذلك . فلما جاء مكة حاجا في بعض السنين ، دخل عليه الاعيان على مراتبهم وقام الشعراء والخطباء فتكلموا . ودخل أبو العباس الاعمى فسأله عبد الملك عن مدحه مصعبا فاستغفاه وقال : « انما رثيته لانه كان صديقي وقد علمت ان هواى أموى » قال : « صدقت ولكن انشدنى قولك فيه » فأشده :

رحم الله مصعباً فلقد ما ت كريماً ورام أمراً جسيماً

فقال عبد الملك : « اجل لقد مات كريماً :

ولكنه رامَ التي لا يرومها من الناس إلا كلُّ حُرٍّ معممٍ »

وكان ابن الزبير لما غلب على الحجاز جعل يتبع شيعة بنى أمية فينفيهم عن المدينة ومكة ، فبلغه ان ابا العباس الاعمى يكاتب الامويين ويتجسس لهم ويمدحهم فدعا به ثم كلموه بشأنه وانه ضرير فعفا عنه ، ونفاه الى الطائف ، فهجاه وهجا سائر بنى أسد ( عشيرة آل الزبير ) بأبيات منها قوله :

بنى أسدٍ لا تذكروا الفخر إنكم متى تذكروه تكذبوا وتحمقوا  
متى تسألوا فضلاً تضنوا وتبخلوا ونيرانكم في الشرِّ فيها تحرق  
إذا استبقت يوماً قريشٌ خرجتم بنى أسد سَكًا وذو المجد يسبق  
تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم إذا ما قريشٌ للأضاميم أصفقوا (\*)  
وما ذاك إلا أن للؤم طابعاً يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

وهاجى عمر بن أبى ربيعة ، ثم بلغه أن عمر يرامى بجارية له ببنادق الغالية فقال لقائده : « أوقفنى على باب بنى مخزوم فاذا مر ابن أبى ربيعة ضع يدى عليه » ففعل ، فقبض على حجرتة وقال :

ألا من يشتري جاراً تؤوما بجارٍ لا ينام ولا يثيم  
ويطيس بالهـار ثياب ناسٍ وشرط الليل شيطانٌ رجمٌ

وأخباره في الاغاني ٥٩ ج ١٥ ، والشعر والشعراء ٣٦٦ (\*\*)

(\*) الاضاميم : الجماعات ، أصفقوا : تصرفوا فى التجارة  
(\*\*) وانظر نكت الهميان وتهذيب التهذيب والبيان والتبيين للجاحظ ( الفهرس )

## ٢ - أعشى ربيعة

توفى سنة ٨٥ هـ

أسمه عبد الله بن خارجة من شيبان ( ربيعة ) كان يقيم في الكوفة وهو مرواني المذهب يتعصب لبني أمية تعصبا شديدا . ومن قوله في آل مروان نصيدة أنشدها لعبد الملك بن مروان منها :

وما أنا في أمرى ولا في خصومتي بمهتضمٍ حقى ولا قارع سنى  
ولا مسلم مولاى عند جنايةٍ ولا خائف مولاى من شر ما أجنى  
وإن فؤادا بين جنبي عالم بما أبصرت عيني وما سمعت أذنى  
وفضلتني في الشعر والشب أننى أقول على علمٍ وأعرف من أعنى  
فأصبحت إذ فضلت مروان وابنه على الناس قد فضلت خير أب وابن.

فقال عبد الملك : « من يلومنى على هذا ؟ » وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وعشر فرائض من الأبل وانقطعه ألف جريب ، وقال له : « امض ألى زيد الكاتب يكتب لك بها » وأجرى له

ودخل مرة على عبد الملك وهو يتردد فى الخروج لمحاربة ابن الزبير ، فقال له : « يا أمير المؤمنين مالى أراك متلوما ينهضك الحزم ويقعدك العزم وتهم بالاقدام وتجنح الى الأحجام ، انفذ لنصرتك وامض رأيك وتوجه ألى عدوك . . فجدك مقبل وجده مدبر ، وأصحابه له ماقتون ونحن لك محبون ، وكلمتهم مفترفة وكلمتنا عليك مجتمعة ، والله ما تؤتى من ضعف جنان ولا قلة أعوان ، ولا يشبطك عنه ناصح ولا يحرضك عليه غاش ، وقد قلت فى ذلك أياتا » فقال : « هاتها فانك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح » فقال :

آل الزبير من الخلافة كالتى عجل التتاج بحملها فأحالمها  
أو كالضعاف من الحمولة حمئت مالا تطيق فضيغت أحمالها  
قوموا إليهم لا تناموا عنهم كم للغواة أطلتمو إهمالها  
ان الخلافة فيكمو لا فيهم ما زلتم أركانها وثمالها  
أمسوا على الخيرات قفلا مغلقا فانهض بيثمتك فافتتح أفعالها.

فضحك عبد الملك وقال : « صدقت يا أبا عبد الله أن أبا خبيب لقفل دون كل خير ولا نتأخر عن مناجزته ان شاء الله ونستعين الله عليه وهو حسبنا ودعم التوكيل » وأمر له بصله سنوية . وأخباره فى الأغاني ١٦٠ ج ١٦ (\*)

(\*) وانظر خزنة الادب ج ١ ص ٣٤٥ و ج ٢ ص ١٠٠ والمؤلف ١٢ ودوان الحماسة لابي تمام ، وشرح التبريزى عليه ، والبيان والتبيين ج ٣ ص ٨٦ ( طبعة لجنة التأليف)وقد نشر جابر ديوانه بذيلى الاعشى الكبير



## ٣ - نابغة بنى شيبان

هو أيضا من ربيعة كالأعشى واسمه عبد الله بن المخارق ، وكان بدويا يقيم في البادية ويفد على خلفاء بنى أمية في الشام فيمدحهم ويجزلون عطائه . وكان نصرانيا ، وفي شعره كثير من ذكر الانجيل والرهبان ونحوهما . وقد منح عبد الملك ، ودخل عليه يوما ، وقد عزم على عزل أخيه عبد العزيز عن ولاية العهد والمبايعة بها لابنه الوليد ، وكان المجلس حافلا بالناس على اثر فشل ابن الزبير وذهاب دولته ، فدخلت النابغة وأنشده قصيدة لعل عبد الملك أوعز إليه أن يفعل ليحجس الرأي العام كما فعل معاوية قبله . ومنها قوله بشأن الخلع :

آليت جهدا وصادقاً قسى بربهٖ عبدٌ تجنَّته الكَرْحُ (\*)  
يظل يتلو الانجيل يدرسهٗ من خشية الله قلبه طَفَحُ  
لا بِنْتِكَ أُولَى بِمَلِكٍ وَالِدِهِ وَنَجْمٌ مِّنْ قَدِ عَصَاكَ مُطْرَحُ  
داود عَدَلٌ فَاحْكُم بِسِيرَتِهِ ثُمَّ ابْنُ حَرْبٍ فَإِنَّهُمْ نَصَحُوا  
وهم خيارٌ فاعمل بسنتهم واخى بخير واكْدَحُ كما كدحوا  
فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك باقرار ولا دفع ، فعلم الناس أن رايه خلع عبد العزيز . وأدرك النابغة الوليد بن يزيد ومدحه ونال جوائزه . وله قصيدة طويلة يصف بها الخمر وتخلص منها الى الفخر بينى شيبان . وأخباره في الاغانى ١٥١ ج ٦ ، وله ديوان خطى في دارالكتب المصرية (\*)

## ٤ - عدى بن الرقاع

هو عدى بن زيد من عاملة ، حى من قضاة ، كان شاعرا مقدما عند بنى أمية مداحا خاصا بالوليد بن عبد الملك ، وله بنت شاعرة يقال لها سلمى . وكان منزله في دمشق ، فهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد المذكور ، ولم يجسر جرير على هجائه خوفا من الوليد لانه هدده بالاذى اذا فعل . ومن شعره في وصف ظبيته قوله : (\*\*\*)

كالظبية البكر الفريدة ترعى من أرضها قفقاتها وعهادها  
خضبت لها عقد البراق جبينها من عركها علكجانها وعرادها

(\*) الكرح : بيوت الرهبان بالكوفة  
(\*\*) طبعت دار الكتب المصرية هذا الديوان  
(\*\*\*) الغريب في هذه الابيات : القفات : نوع من شجر البادية ، والعهاد بالكسر : الامطار المتوالية ، العقد : أصول الشجر ، البراق : الارض الفليظة الصلبة ، العلكان : شجر المراد حمض ، أرآد جمع رائد بالكسر : الاتراب ، الامن : ولد الظبية ، الروق : القرن الابرة : الطرف الحاد

كالزَيْنِ فِي وَجْهِ الْعَرُوسِ تَبَدَّلَتْ - بَعْدَ الْحِيَاءِ فَلَاعَبَتْ أَرَادَهَا  
نَزَجِي أَعْنِ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوَّحَهُ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا  
وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَذْكُرُ شَعْرَهُ وَعِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ :

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَذَّةً وَلَقِيتُ مِنْ شَطَفِ الْخَطُوبِ شِدَادَهَا  
وَعَلِمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا  
صَلَّى الْمَلِيكَ عَلَى أَمْرِيءِ وَدَعَّبْتُهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا  
وَمِنْ قَوْلِهِ فِي مَدْحِ عَمْرِ بْنِ الْوَلِيدِ وَفِيهِ حُكْمٌ :

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي ضِنَانًا بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ  
تَسْمُو الْعَيُونَ إِلَيْهِ حِينَ يَرُونَهُ كَالْبَدْرِ فَرَجَ دُهْمَةَ الظُّلْمَاءِ  
وَالْأَصْلَ يَنْبِتُ فَرْعُهُ مَتَأْتِلًا وَالْكَفْشَ لَيْسَ بِنَائِهَا بِسِوَاءِ  
وَإِخْبَارِهِ فِي الْأَغَانِي ١٧٩ ج ٨ ، وَالشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٣٩١ (\*)

#### ٥ - أَبُو صَخْرٍ الْهَنْدَلِيُّ

وَأَسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلْمٍ مِنْ هَذِيلٍ وَكَانَ مَتَعَصِبًا لِأَلِ مَرْوَانَ ، مَدَحَ عَبْدُ الْمَلِكِ  
وَإِخَاهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَهَجَا أَبَانَ الزُّبَيْرِ فَحَبَسَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى مَاتَ . وَهُوَ  
نَسِيبٌ فِي أَمْرَاءِ مَنْ قَضَاعَةُ أَحْبَبَهَا وَتَزَوَّجَهَا سِوَاهُ . وَتَجَدَّ إِخْبَارُهُ فِي الْأَغَانِي  
٩٤ ج ٢١ ، وَخَزَانَةُ لِأَدَبِ ٥٥٥ ج ١

وَهُنَاكَ طَائِفَةٌ مِنْ أَنْصَارِ بَنِي أُمِيَّةٍ اضْطُرُّوا إِلَى مَدْحِ آلِ الزُّبَيْرِ لِقِيَامِهِمْ بَيْنَ  
أَظْهَرِهِمْ ، وَلِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا يَمْدُحُونَ بَعْضَ أَمْرَاءِ بَنِي أُمِيَّةٍ لَا خُلَفَاءَ لَهُمْ . وَلَوْ  
كَانُوا مِنْ شُعْرَاءِ الْخُلَفَاءِ ، رَبَّمَا كَانُوا أَثْبَتَ مِنْهُمْ فِي مَدْحِهِمْ

#### ٦ - عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ

هُوَ غَيْرُ ابْنِ الزُّبَيْرِ الْقَائِمِ بِالدُّعْوَةِ فِي الْحِجَازِ . وَهُوَ شَاعِرٌ هَجَاءَ يَرْهَبُ شَرَّهُ ،  
تَشَأُ فِي الْكُوفَةِ وَأَقَامَ فِيهَا وَكَانَ مَتَشَبِّهًا لِبَنِي أُمِيَّةٍ وَمِنْ ذَوِي الْهَوَى فِيهِمْ  
وَالنَّعْصَبِ وَالنَّصْرَةِ عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى غَلَبَ مَصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ  
عَلَى الْكُوفَةِ فَاتَى بِهِ سِرًا ، فَمَنْ عَلَيْهِ وَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ فَمَدَحَهُ وَأَكْثَرَ ،  
وَأَنْقَطَعَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قَتَلَ مَصْعَبَ سَنَةَ ٧١ . ثُمَّ عَمِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
الزُّبَيْرِ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَكَثُرَ مَدَائِحُهُ فِي بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ  
الْإِمَوِيِّ ، وَمِنْ قَوْلِهِ يَمْدُحُهُ :

(\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام وفهرس البيان والتبيين وأمال المرتضى إذ ذكر في  
مواضع متفرقة ، وله ثلاث قصائد في الطرائف الأدبية طبع لجنة التأليف

كأن بنى أمية حول بشرِ نجوم وسطها قمر منير  
هو الفرع المقدّم من قرين إذا أخذت مأخذها الأمور  
لقد عمّت نوافله فأضحى غنياً من نوافله الفقير  
جبرت مهيضنا وعدلت فينا فعاش البائس الكليل<sup>(١)</sup> الفقير  
فأنت الغيث قد علمت قرين لنا والنواكف الجون المطير  
ومن مديحه في أسماء بن خارجة قوله :

تراه إذا ما جئته متهايلاً كأنك بعطيه الذي أنت نائله  
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

ومن هجائه قصيدة يهاجى بها عبد الرحمن بن أم الحكم مطلعها :

أبى اللبل بالمرء أن يتصرما كأنى أسوم العين يوماً محرماً

واخباره في الاغابى ٣٢ جزء ١٣ (\*)

#### ٧ - ابو قطيفة

هو عمرو بن الوليد بن عقبة ، من بنى أمية ، وكان يقيم في المدينة وهواه  
مع بنى أمية . فلما تمكن ابن الزبير من الحجاز ، نفاه مع من نفاه من بنى  
أمية الى الشام ، فلما طال مقامه فيها قال :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا قباء وهل زال العقيق وحاضره  
وهل برحت بطحاء فبر محمد أراهط غر من قرين ثباكره  
لهم منتهى حبى وصفو مودنى ومحض الهوى منى وللناس سائر  
واكثر من ذكر المدينة والحجاز في شعره وشوقه الى الوطن ، فلم يعجب  
ذلك عبد الملك وتنقصه لرغبته في الحجاز عن الشام . وبلغ ذلك ابا قطيفة  
فقال :

وأنبئت أن ابن العمكس (\*) عابى ومن ذا من الناس البرىء المسلم  
من أتنم من أتنم خبرونا من أتنم فقد جعلت أشياء تبدو وتكتم  
فبلغ ذلك عبد الملك فقال : « ما ظننت أنا نجعل . والله لولا رعايتى  
لحرمته لالحقته بما يعلم ولقطعت جلده بالسياط »

(\*) الكل : المالة  
(\*\*) وأنظر الخزانة ج ١ ص ٢٤٥ ، ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠ وديوان الحماسة  
لابى تمام والبيان والتبيين وأمال المرتضى ( الفهارس )  
(\*\*) العمكس : الدليل

وبلغ ابن الزبير ما يقاسيه أبو قطيفة في سبيل حبه المدينة ، فبعث إليه  
 أن يعود إلى بلده وهو آمن . فانكفاً إلى المدينة فلم يصل إليها حتى مات .  
 وتجد أخباره في الأغاني ٧ جزء ١  
سائر انصار بنى أمية

- وهناك طائفة من انصار بنى أمية ، وفيهم من مدح الامراء دون الخلفاء  
 أو مدح الاثنين . وربما اضطر بعضهم لمدح آل الزبير للأسباب التي تقدمت ،  
 ولو رأينا ذكر تراجمهم لطلنا بنا القول ، فنكتفي بالإشارة إلى المصادر  
 التي يمكن الرجوع إليها لمن أراد الاطلاع على أخبارهم ، وليس لأحد منهم  
 ديوان معروف وهم :
- ٨ - أمية بن أبي عائذ الهذلي : مدح عبد الملك وعبد العزيز ابني  
 مروان . ترجمته في الأغاني ١١٥ جزء ٢٠ ، وخزانة الادب ٤٢١ جزء ١
- ٩ - جبهة الأشجعي : شاعر بدوي ليس ممن انتجع الخلفاء بشعره .  
 ومدحهم . ترجمته في الأغاني ١٤٦ جزء ١٦
- ١٠ - الحكم بن عبد الاسدي : كان أعرج أحدب شاعرا هجاء خبيث .  
 اللسان مدح بعض آل مروان . ترجمته في الأغاني ١٤٩ جزء ٢ وفوات  
 الوقيات ١٤٥ جزء ١
- ١١ - شبيب بن البرصاء : من ذبيان كان بدويا لم يحضر إلا وافدا أو  
 منتجما . ترجمته في الأغاني ٩٣ ج ١١
- ١٢ - عبد الله بن حنش : من الصعاليك كان يعجب بنى أمية . الأغاني  
 ١١٨ ج ١٧

- ١٣ - العجير السلولي : هو شاعر مقل عاصر الملك وسليمان وهشاما .  
 ترجمته في الأغاني ١٥٢ ج ١١ ، وخزانة الادب ٣٩٩ ج ٢
- ١٤ - عويف الفزاري : من قيس كان يقيم في الكوفة وبيته من البيوتات  
 الفاخرة في العرب . ترجمته في الأغاني ١٠٥ ج ١٧ ، وخزانة الادب ٨٧  
 ج ٣
- ١٥ - الفضل بن العباس : من قريش عاصر الوليد بن عبد الملك .  
 ترجمته في الأغاني ٢ ج ١٥
- ١٦ - موسى شهوات : مولى قريش وأصله من أذربيجان . ترجمته  
 في الأغاني ١١٨ ج ٣ ، والشعر والشعراء ٣٦٦

#### انصار آل المهلب

آل المهلب بيت من بيوتات الاسلام من الازد ، اشتهروا بالكرم في أيام  
 بنى أمية مثل اشتها آل برمك في الدولة العباسية ، ونكبوا بمثل نكبتهم ،  
 وهم ينتسبون إلى كبيرهم المهلب بن أبي صفرة . عمل المهلب لبنى أمية  
 وحارب عنهم الأزارقة ، وآخر ماتولى من الاعمال بلاد خراسان ، تولاهما  
 من جهة الحجاج يوم كان له العراقان . وما زال عليها حتى توفي سنة .

٨٣ هـ ، وهو من كبار رجال الاسلام في تلك الدولة . وكان كريما التماسا لحسن الاحدوث ، ومن أقواله : « الحياة خير من الموت ، والثناء الحسن خير من الحياة ، ولو اعطيت مالم يعطه أحد لأحببت أن تكون لى اذن أسمع بها ما يقال فى غدا إذا مت » فهو من طلاب الشهرة بالسخاء . وسار ابتأؤه على خطواته فكثرت الشعراء الذين مدحوه . وأشهر اولاده : يزيد بن المهلب ، والمغيرة بن المهلب قاتل الخوارج وكانت له معهم وقائع ماثورة . ومنهم مخلد بن يزيد بن المهلب من الاسخياء المدوحين توفى سنة ١٠٠ هـ ، وحبیب بن المهلب وغيرهم . أما الشعراء الذين مدحهم فهالك أشهرهم :

### ١ - زياد الاعجم

توفى سنة ١٠٠ هـ

هو من موالى عبد القيس من بنى عامر بن الحارث ، وكان ينزل اصطخر فغلبت العجمة على لسانه فسموه الاعجم . وكان شاعرا جزل الشعر فصيح الالفاظ على لكنة لسانه مثل سائر الاعجم لا يستطيع لفظ العين . وقد مدح بخاصة المغيرة بن المهلب ، وله فيه قصيدة يرثيه بها يزيد على خمسين بيتا مطلعها :

قتل للقوافل والغزاة اذا غزوا والباكرين وللمجدِّ الرائج  
ان المروءة والسماحة ضُمَّتا قبرا بمرِّو على الطريق الواضح  
فاذا مرت بقبره فاعضِر به كوم الهجان وكل طرف سابع (\*)

ومن لطيف اخباره مع حبیب بن المهلب ، انه جاء مرة الى المهلب فى اصبهان ومدحه فأمر له بجائزة فأقام عنده اياما . وبينما هو جالس فى عشية مع حبیب المذكور فى دار له وفيها حمامة تسجع ، قال زياد يخاطب الحمامة :

تغنّى أنتِ فى ذمى وعهدى وذمة والدى أن لم تطارى  
وبيتك فاصلحيه ولا تخافى على صقْرِ مزغبة صغار  
فإنك كلما غنَّيت صوتا ذكرت أحببى وذكرت دارى  
فإما يقتلوك طلبت ثأرا له نَبأ لأنك فى جوارى

فقال حبیب : « يا غلام هات القوس » فقال له زياد : « وما تصنع بها ؟ » قال : « أرمى جارتك هذه » قال : « والله لئن رميتها لاستعددين عليك الامير » فأتى بالقوس فنزع لها سهما فقتلها ، فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه بالحديث وانشده الشعر فقال المهلب : « على بأبى بسطام » فأتى بحبيب فقال له : « اعط أبأ امامة دية جارتك ألف دينار » فقال : « أطال الله بقاء الامير انما كنت أعب » قال : « اعطه كما أمرك » فأعطاه

(\*) كوم الهجان : النوق السمينة ، والطرف : الفرس

وهم الفرزدق أن يهاجى عبد القيس موالى زياد ، فبعث اليه زياد :  
 « لا تعجل حتى أهدى إليك هدية » فانظر الفرزدق فبعث اليه يقول :  
 وما ترك الهاجون لى إن هجوته مٌصِحاً أراه فى أديم الفرزدقِ  
 ولا تركوا عظما يثرى تحت لحمه لكاسره أبقوه للمتعرِّقِ  
 ساكسر ما أبقوه لى من عظامه وأنكت مٌخَّ الساقِ منه واتقى  
 وإنا وما تهدى لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما يثلُقَ فى البحر يعرقِ  
 فلما بلغه الشعر قال : « ليس لى الى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا  
 العبد » ومع شاعريته كان كثير اللحن فى نظمه . ومن قوله يخاطب يزيد  
 ابن المهلب :

وهل لك فى حاجتى حاجة\* أم أنت لها تارك طارحُ  
 أمتها لك الخير أم أحياها كما يفعل الرجل الصالح  
 إذا قلت قد أقبلتْ أدبرت كمن ليس غاد ولا رائحُ  
 ومن خبيث هجائه قوله يهجو الاشقر :

قَبِيلَةٌ خَيْرها شرها وأصدقها الكاذب الآثمُ  
 وضيعفهم وسط أبياتهم وإن لم يكن صائما صائمُ  
 ومن مآثور حكمه قوله :

وكائنٌ ترى من صامتٍ لك معجبٌ زيادته أو نقصه فى التكلمِ  
 لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم تبقْ الا صورة اللحم والدم  
 وتجد أخباره فى الاغانى ١٠٢ ج ١٤ و ٥٨ ج ١٣ ، والشعر والشعراء  
 ٢٥٧ ، وخزانة الادب ١٩٣ ج ٤ ، وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ (\*)

## ٢ - ثابت قطنة

هو مولى بنى أسد بن الحارث ، واسمه ثابت بن كعب شاعر فارس .  
 شجاع . كان فى صحابة يزيد بن المهلب ، وكان يوليه أعمالا من أعمال  
 الثغور فيحمد فيها مكانه لكتابته وشجاعته فضلا عن شاعريته . ومن لطيف  
 خبره أن يزيد ولاء عملا فى خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام ،

(\*) وانظر الاشتقاق ٢٠١ ، ومعجم الرزبانى ١٣٣ ، والجزء الثالث من أمالى القسالى ،  
 والحماسة ، والبيان والتبيين ، وأمالي المرتضى ، وأمالي البيهقي ١ - ٧ ، وطبقات الشعراء  
 لابن سلام ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ترجمة المهلب بن أبي صفرة ، والمؤتلف للأمدى ص ١٣١ ،  
 وتاريخ الاداب العربية لتالينو ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وفهرس تاريخ الطبرى

الكلام فتعذر عليه وحصر فقال : « سيجعل الله بعد عسر يسرا أو بعد عي بيانا ، وأنتم الى أمير فعال منكم الى أمير قوال

وان لم أكن فيكم خطيبا فإننى بسيفى إذا جدّ الوغى لخطيب» .  
وجالس ثابت قوما من الشراة وقوما من المرجئة ، وكابوا يجتمعون فيتجادلون فى خراسان فمال الى قول المرجئة ، ونظم هذا المذهب قصيدة وصفه فيها ، من جملتها قوله :

يا هنداً فاستمعى لى إن سيرتنا أن نعبد الله لم نترك به أحداً  
تشرجى الأمور اذا كانت مشبهة ونصدق القول فيمن جار أو عندا  
المسلمون على الإسلام كلهم والمشركون استووا فى دينهم قندا  
ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً من الناس نيراً كما إذا ما وحدوا الصمدا  
لا نسفك الدماء إلا أن يراد بنا سفك الدماء طريقا واحداً جدداً  
ومن نظمه قصيدة يحرض بها يزيد بن المهلب على الحرب (١) ، ولما قتل  
يزيد قال ثابت يرثيه :

كل التبايل تابعوك على الذى تدعو اليه وبإيعوك وساروا  
حتى إذا حمى الوغى وجعلتهم نضب الأسنه أسلموك وطاروا  
إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عاراً عليك وبعض قتل عاراً  
ومن فخرياته قوله :

تعففت عن شتم العشيرة إنى وجدت أبى قد كف عن شتمها قبلى  
حليماً إذا ما الحلم كان مروءةً وأجهل أحياناً إن التمسوا جهلى  
وأخباره فى الاغانى ٤٩ ج ١٣ ، والشعر والشعراء ٤٠٠ ، وخزانة  
الادب ١٨٥ ج ٤ (\*)

### ٣ - حمزة بن بيض

توفى سنة ١١٦ هـ

هو حنفى من بكر وائل ( ربيعة ) من أهل الكوفة ، خليف ماجن من  
فحول طبقته . وكان منقطعاً لآل المهلب وولده ثم الى أبان بن الوليد وبلال  
ابن أبى بردة ، واكتسب بالسفر الى هؤلاء ما لا كثيراً . ذكروا أنه اكتسب

(١) الاغانى ٥٤ ج ١٣ (\*) وانظر فهرس تاريخ الطبرى وتاريخ ابن الاثير (طبعة لبنان) ٤ ص ١٣٠ ، ومروج  
الذهب للمسعودى (طبعة باريس) ج ٥ ص ٤٥٥

نحو مليون درهم ، فهو كان ينصرهم لمجرد الاستجداء بخلاف من تقدم .  
ومن قوله يخاطب مخلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت :

أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَاقْضِهَا وَقْتَلْ مَرْجَبًا ، يَجِبُ الْمَرْحَبُ  
وَلَا تَتَكَلَّمْنَا إِلَى مَعْشَرٍ مَتَى يَعِدُوا عِدَّةً يَكْذِبُوا  
فَإِنَّكَ فِي الْفَرْعِ مِنْ أَسْرَةٍ لَهُمْ خَضَعَ الشَّرْقُ وَالْمَغْرِبُ  
وَفِي أَدَبٍ مِنْهُمْ مَا نَشَأَتْ وَنَعَمَ لِعَمْرِكَ مَا أَدَّبُوا  
فَأَمْرٌ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . وَلَمَّا سَجَنَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، دَخَلَ عَلَيْهِ حِمْرَةٌ  
وَأَنْشَدَهُ أُبَيَاتًا مَطْلَعَهَا :

أَغْلَقَ دُونَ السَّمَاحِ وَالْجُودِ وَالنَّجْدِ جَدَّةَ بَابٍ حَدِيدُهُ أَشْبَبُ (١)  
فَدَفَعَ إِلَيْهِ يَزِيدُ فَصِ يَأْقُوتُ بَاعَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ

ولحمزة أخبار طويلة حسنة أكثرها مع يزيد المذكور وابنه مخلد . وله في  
عبد الملك وابنه سليمان أقوال وأخبار تجدها في الاغانى ١٥ ج ١٥ ،  
وفوات انوفيات ١٤٧ ج ١ (\*)

#### ٤ - كعب الاشقرى

هو كعب بن معدان من الاشقرى قبيلة من الازد ، شاعر فارس حطيب  
معدود في الشجعان من أصحاب المهلب ، وله ذكر في حروبه للازارقة .  
وكان الفرزدق شديد الإعجاب به ، يعده رابع الثلاثة الفحول ( الفرزدق  
وجريير والاحطل ) وأوفده المهلب الى الحجاج ليخبره عن واقعة جرت له مع  
الازارقة ، فأنشده قصيدة مطلعها :

يَا حَفْصُ إِنِّي عِدَانِي عَنْكُمْ السَّفَرُ . وَقَدْ سَهَرْتُ فَأَذَى عَيْنِي السَّبْهُرُ .

ثم وصف المعركة الى أن قال :

عَبَسُوا كَمِينَهُمْ بِالسَّفْحِ إِذْ نَزَلُوا بِكَازِرُونَ فَمَا عَزَّشُوا وَلَا نَصَرُوا  
بِاتَتْ كِتَابِنَا تَرْدِي مَسْوَمَةً حَوْلَ الْمُهَلَّبِ حَتَّى تَوَّجَرَ الْقَمَرُ  
هِنَاكَ وَلَوْ جَرَّاحًا بَعْدَمَا هَرَبُوا وَحَالَ دُونَهُمُ الْأَنْهَارُ وَالْجُدُرُ  
تَأْبَى عَلَيْنَا حَزَاوَاتُ النَّفُوسِ كَمَا نَبْقَى عَلَيْهِمْ وَلَا يُثَبِّقُونَ إِنْ قَدَرُوا

(١) أشب : مشتبك

(\*) وانظر المؤلف ص ١٠٠ وفهارس البيان والتبيين والكمال وأمالى المرتضى والحيوان  
للجاحظ ومعجم الادباء ( طبع مصر ) ج ١٠ ص ٢٨٠



وهجاء زياد الاعجم وقد علمت أنه ينتمى لعبد القيس ، فقال كعب يهجو  
عبد القيس :

إني وإن كنت فرّعَ الأزدي قد علسوا أخزى إذا قيل عبد القيس أخوالي  
فيهم أبو مالكٍ بالمجد شرّفتني ودكّس العبدُ عبدَ القيس سربالي  
فرد عليه زياد يهجو الأشاعر اللجاج فشكاه إلى المهلب . فاستقدم  
زيادا وعاتبه وصالحهما . . وأخبار كعب كثيرة تراها في الأغاني ٥٦ ج ١٣ (\*)

### ٥ - يهس الجرمي

هو يهس بن صهيب ، من جرم (قضاة) شاعر فارس شجاع ، كان يبدو  
بنواحي الشام مع قبائل جرم وكتب وعذرة ، ويحضر معهم في أجناد الشام .  
وقد صحب المهلب بن أبي صفرة في حربه للزارقة ، وكانت له مواقف  
مشهورة . أول ما هاج شاعريته أنه هوى امرأة من قومه اسمها صفراء .  
وكان يتحدث إليها ويكتم وجده لها ولا يخطبها لئبها لأنه كان صعلوكا لا مال  
له وكان ينتظر أن يثرى . وكان من أحسن الشبان وجها وبشرة وحديثا  
وشعرا . . فرأته صفراء يتحدث مع بعض نساء الحي مرة فهجرتة .  
وعرض له سفر فخرج إليه وقد زوجها أبوها رجلا من بني أسد فذكرها  
في قصيدة ، ثم ماتت قبل أن يعرفها زوجها ، فقال يرثيها بقصيدة عبر  
بها عن شعوره بما ينطبق على الواقع على طريقة الجاهليين ، من ذلك قوله :

هل بالديار التي بالقاع من أحدٍ باقٍ فيسمع صوت المدلج السّاري  
تلك المنازل من صفراء ليس بها نارٌ تضيء ولا أصوات سُمّار  
عقّت معارفها هوجاً مغيرةً يسفى عليها تراب الأبطح الهاري  
حتى تنكّرت منها كل معرفة إلا الرماد نخيلا بين أحجار  
طال الوقوف بها والعين يسبقى فوق الرداء بوادى دمعها الجاري  
أن أصبح اليوم لا أهل ذوو لطف ألهو لديهم ولا صفراء في الدار  
وله قصيدة في مدح محمد بن مروان لأنه أجاره من تهمة كانت عليه، منها:  
وإن محمداً سيعود يوماً ويرجع عن مراجعة العتاب  
فيجبر صبّيتي ويحسوط جاري ويؤمن بعنقها أبدا ضحائي  
هو الفرع الذي بثّيت عليه بيوت الأطييين ذوى الحجاب  
وتجد أخباره في الأغاني ١٦١ ج ١٠ و ١٠٧ ج ١٩

(\*) وانظر معجم المرزبانى ٣٤٦ وفهارس الطبرى وابن الأثير والبيان والتبيين

- وهم من صحب آل المهلب ونصرهم بشعره :
- ٦ - انصديل بن الفرخ من ربيعة : ترجمته في الاغانى ١١ ج ٢٠ وفي الشعر والشعراء ٢٤٤ وخزانة الادب ٣٦٧ ج ٢
- ٧ - المغيرة بن حبناء من تميم : ترجمته في الاغانى ١٦٢ ج ١١ وخزانة الادب ٦٠١ ج ٣
- ٨ - يزيد بن الحكم من ثقيف : ترجمته في الاغانى ١٠٠ ج ١١

### انصار العلويين أو الهاشميين

كان انصار العلويين من الشعراء كثيرين ، لكنهم لم يكونوا يجسرون على الظهور خوفاً من الامويين وهم أهل السيادة ، وربما مدحهم أحدهم سرا تم يعدل الى مدح الامويين كما فعل الكميث بن زيد وغيره . وهالك أشهر انصار العلويين :

#### ١ - الكميث بن زيد

التوفى سنة ١٢٦ هـ

هو الكميث بن زيد الاسدي شاعر مقدم عالم بلغات العرب خير بأيامها من شعراء مضر والسنتها ، المتعصبين على القحطانية القارعين لشعرائهم ، العلماء بالمشاب والايام الفاخرين بها . وكان مشهورا بالتشيع لبني هاشم ، وقصائده فيهم تسمى الهاشميات . وهى من جيد شعره وكانت أول منظوماته . وجاء الفرزدق وعرض عليه شعره فسمع له وهو يستخف به حتى بلغ الى قوله :

بنى هاشمٍ رهطُ النبيِّ فإنتى بهم ولهم أرضى مراراً وأنضب  
خفضتُ لهم منى جناحى مودةً الى كنفِ عِظَماءِ أهلٍ ومرحِبٍ  
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء مَجَنِّساً على أنى أذم وأعضب  
وأرْمى وأرمى بالعداوة أهلها وانى لأوذى فيهم . وأوثب  
فقال له الفرزدق : « يا ابن أخى أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى  
وأشعر من بقى »

ويقال فى سبب توسعه بعلم لغة العرب وأخبارهم أنه كان له جسدتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس فى الجاهلية . فاذا شك فى شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبرانه عنه فمن هناك كان علمه . وهو من اصحاب الملحقات ومطلع ملحمته :

ألا لا أرى الأيام يُقضى عجبها بطول ولا الأحداث تَفنى خطوبها  
وله مناقضات ومهاجاة لشعراء اليمن ، وأراد خالد القسرى أن يشى به

الى بنى أمية . فروى قصائده الهاشميات لجارية حسناء وأعدّها ليهديها  
الى هشام بن عبد الملك ، وكتب اليه بأخبار الكميّت وأنفذ قصيدته التي  
يقول فيها

فياربّ هل إلّا بك النصر يُبتَغى وياربّ هل إلّا عليك المعوّلُ  
وهى طويّنة يرثى بها زيد بن عليّ ( الهاشمي ) ويمدح بنى هاشم فأكبرها  
هشام ، فكتب الى خالد عامله أن يقطع لسانه ويده . . فنهبه الى ذلك بعض  
!صدقائه ، ففر وقضى زمانا مختفيا ثم توسطوا له بالعفو وجاء الى هشام  
ومدحه بقصيدة أنشدها بما مطلعها :

ماذا عليك من الوقوف بها وإنك غير صاغر  
الى ان قال :

فألآن صرت إلى أميَّة والأُمور إلى مصائر  
يا ابن العقائل للعقائل والججاجحة الأخائر  
من عبد شمس والأكابِر من أميَّة فالأكابر  
إن الخسلافة والإلافَ برغم ذى حسدٍ وَاغِرٍ  
دلَقنا من الشرف التليد إليك بالرّفقِ الموفّر  
وانشده غيرها وغيرها فأجاره . ومن جيد شعره قوله :

ألا لا أرى الأيام يُقضى عجيبها لطول ولا الأحداثُ تقنى خطوبها  
ولا عبرة الأيام بعرف بعضها بعضٍ من الأقوام إلا لبيها  
ولم أرَ قولَ المرء الا كئبله له وبه محرومها ومصيبها  
وتوفى سنة ١٢٦ وله ستون سنة، وكان يبلغ شعره لما مات ٥٢٨٩ بيتا .  
والهاشميات مطبوعة بمصر وفي ليدن سنة ١٩٠٤ ، ولها شرح منه نسخة  
خطية في دار الكتب المصرية . وللكميت ترجمة مطولة في الاغانى ١١٣ ج ١٥ ،  
والشعر والشعراء ٣٦٨ ، وخزانة الادب ٦٩ جزء ١ ، والجمهرة ١٨٧ (\*)

## ٢ - أيمن بن خريم الاسدي

هو من بنى اسد ، كان شديد التشيع لعلى وقد مدح بنى هاشم ومن  
فوله فيهم :

(\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ومعجم المرزباني ٣٤٧ والمؤلف ١٧٠ ، والبيان  
والنبيين في مواضع متفرقة وديوان الحماسة ، وأمالى المرتضى ، ومروج الذهب للمسعودي ج ٦  
ص ٣٦ ، وفهرس الطبرى ، والحيوان للجاحظ ج ٥ ودائرة المعارف الاسلامية مادة كميّت ،  
وتاريخ الاداب العربية لثالينو والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ، وحماسة البحترى رقم  
٣٧٧ من طبعة بيروت

فهاركم مكابدة" وصوم" وليلكم صلاة" واقتراء  
 أأجعلكم وأقواماً سواء وبينكم وبينهم الهـواء  
 وهم أرض" لأرجلكم وأنتم لرؤوسهم وأعينهم سماء  
 على انه اضطر الى مسايرة بنى امية ومدح عبد الملك . وله في وصف  
 النساء قصيدة بديعة تجدها مع سائر أخباره في الاغانى ٥ جزء ٢١ ؛  
 والشعر والشعراء ٣٤٥ (عج)

#### انصار الخوارج وآل الزبير وغيرهم

ويقال نحو ذلك في أنصار سائر الاحزاب الذين كانوا على الامويين  
 كالخوارج الشراة والازارقة وآل الزبير ، فان شعراءهم لم يكونوا يستطيعون  
 الظهور ويندر ظهور أحدهم . وهالك أشهرهم :

### ١ - الطرماح بن حكيم

توفى سنة ١٠٠ هـ

هو من طى ، من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم ، نشأ في الشام  
 وانتقل الى الكوفة بعد ذلك مع من وردها من جيوش أهل الشام ، واعتقد  
 مذهب الشراة والازارقة وكان معاصراً للكميت المتقدم ذكره وكانا صديقين .  
 وسئل الكميت مرة : « لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرماح على  
 تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلاد فهو شامى قحطانى وأنت  
 كوفى نزارى شيعى ، فكيف اتفقتما مع ثباين المذهب وشدة العصبية ؟ »  
 فقال : « اتفقنا على بغض العامة »

وكان للطرماح والكميت رغبة في الغريب يدخلانه في أشعارهما . ومن  
 قول الطرماح يمدح نفسه :

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت عرى المجد واسترخى عنان القوائد  
 ومن قوله في الفخر :

وما أنا بالراضى بما غيـرُه الرضى ولا المظهر الشكوى ببعض الأماكن  
 ولا أعرف التعمى على ولم تكن وأعرف فصل المنطق المتعابن

وله قصائد كثيرة في هجاء بنى تميم . ومن لطيف ما قاله فيهم : (\*\*\*)

(\*) وأنظر المسعودى في التنبيه والاشراف ص ٢٥٣ حيث عدّه عثمانياً ، وربما كان ممن  
 اختلفوا الى الفريقين الشيعى والاموى ، فكان شيعياً مرة وأموياً عثمانياً مرة  
 (\*\*\*) الغريب في هذه الابيات : القطا : طائر صحراوى من طير الجزيرة . الحرقوص دويبة  
 صغيرة . المسك : الجلد . ويزقق : يسلمخ ويتخذ زقا للخمر . أكتت : استظلت

تميم" بطرق اللؤم أهدي من الفظا ولو سلكت° سبيل المكارم ضلكت  
ولو أن برغوثا على ظهر قملةٍ يكره على صقئ° تميم لوكت  
ولو أن حرقوصاً بزققت مسكته اذا نهلت° منه تميم° وعلقت  
ولو جمعت° يوما تميم° جموعها على ذرّة معقولة لاسنكت  
ولو أن أم° العنكبوت بنت° لها مظلتها يوم التدي لأكنت  
وهو من اصحاب الملحمت ، ومطلع ملحمته :

قل° في سَطِّ نهروان اغتماضى ودعانى هوى العيون المِراض  
ومن قوله ويدل على مذهبه في الشراة :

لقد شقيت° شقاءً لا انقطاع له إن لم أقره فوزة° تنجى من النار  
والنار لم ينج من روعاتها أحد° الا المنيب بقلب المخلص الشارى  
أو الذى سبقت° من قبل مولده له السمادة من خلافتها البارى  
وكان الاصمعى يستجيد قوله في صفة الثور :

يبدو وتضمرة البلاد كأنه سيف° على شرف يسلس ويغمد  
وللطرماح ديوان طبع في انجلترا باشراف لجنة تذكاري جيب مع ديوان  
الطفيل ابن عوف بعناية المستشرق كرنكو Krenkaw ، وأخباره في الاغانى ١٥٦  
جزء ١٠ ، والشعر والشعراء ٣٧١ ، وخصزاة الادب ٤١٨ جزء ٣ ،  
والجمهرة ١٩٠ (\*)

## ٢ - عمران بن حطان

توفى سنة ٨٩ هـ

هو من سدوس من بكر وائل ، شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم  
المقدمين في مذاهيبهم . وكان من القعدة لأن عمره طال فضعف عن الحرب  
وحضورها ، فاقصر على الدعوة والتحريض بلسانه وهو مغال في التعصب  
على على ، يؤيد ذلك قوله في مدح ابن ملجم قاتل على :

لله ذر° المرادى° الذى سفكت° كفاه مهجة° شر° الخلق إسانا  
أمسى عشية° غشاه° بضربته مما جناه من الآثام عريانا

(\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وحياة أبي تمام ، وحياة ابن الشجرى ،  
والاشعراق ٢٣٤ ، والمؤتلف ١٤٨ ، والعينى ج ٢ ص ٢٧٦ ، وتاريخ الادب العربية للابن ،  
المعارف الاسلامية ، ومقدمة كرنكو لديوانه

وأخذ هذا المذهب عن امرأته لأنها خارجية تزوجها ليردها عن مذهبها فذهبت به إلى رأيهم ، وكان الحجاج يلح في طلب عمران بن حطان . وبلغه أن غزاة الحرورية دخلت على الحجاج فتحصن منها وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران :

أسدٌ غلّى وفي الحروب نعامه رَبداءٌ تجنّفل من صغير الصافر (\*) هلا برزت إلى غزاة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر صدعت غزاة قلبه بفوارسٍ تركت مدابره كأمس الدابر ثم لحق بالشام ونزل على روح بن زبياع . واشتهر شعر ابن حطان في عصره حتى كان لا يقول أحد من الشعراء شعرا إلا نسب إليه لشهرته ، ومر بالفردق وهو ينشد وكان يتهمه أنه يقول للاستجداء فيكذب فقال فيه :

أيها المادح العباد ليُعظي إن الله ما بأيدي العباد فاسأل الله ما طلبت إليهم وارح فضل المقسّم العواد لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمّ البخيل باسم الجواد وكان عمران يفتخر بأنه لم يكذب في شعره ، ومن ذلك قوله يخاطب امرأته جمرة :

يا جمر إني على ما كان من خلقي مثنٍ بخلات صدقٍ كلتها فيك الله يعلم أني لم أقل كذبا فيما علمت وأنى لا أذكرك وأخباره في الأغاني ١٥٢ ج ١٦ وخزائن الأدب ٤٣٦ ج ٢ (\*)

### ٣ - عبد الله بن الحجاج الندياني

توفي سنة ٩٥ هـ

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن من ذبيان ويكنى أبا الاقرع . شاعر فانتك شجاع من معدودي فرسان مضر ذوى البأس والنجدة فيهم ، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان . فلما تغاب عبد الملك على عمرو خرج عبد الله مع نجدة بن عامر الحنفي ثم هرب ، فلحقه بعبد الله بن الزبير فكان معه إلى أن قتل . ثم جاء إلى عبد الملك متنكرا واحتال عليه حتى أمنه في حديث طهارة . وعاش في زمن الوليد بن عبد الملك ووشى به فحبسه ، فقال وهو في الحبس قصيدة من جملتها :

(\*) ربداء : غبراء ، تجنّفل : تخاف فتسرع في الجري  
 (\*\*\*) رانظر الاصابة لابن حجر ، وتاريخ ابن عساکر ، واملأ المرتضى ، وديوان المعاني  
 ج ١ ص ٣١٥ والمؤلف رقم ٢٤٥

فإن يعرض أبو العباس عنى ويركب بي عروضا عن عروض (\*)  
ويجعل عرفه يوماً لغيرى ويُبغضنى فإني من بغيض  
فإني ذو غنى وكريم قوم وفي الأكفاء ذو وجه عريض

وأخباره في الاغانى ٢٥ ج ١٢

#### ٤ - اسماعيل بن يسار النسائي

توفى سنة ١١٠ هـ

هو مولى بنى تيم ( من قريش ) انقطع لآل الزبير . ولما استتب الامر  
لعبد الملك بن مروان وقد اليه ومدح الخلفاء من ولده كما فعل غيره ،  
ولكنهم كانوا يظمرون الكره لهم . ويمثل ذلك ما جرى لاسماعيل هذا وقد  
وفد على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوما ، فحجبه ساعة ثم اذن له فدخل  
يبكى فقال له الغمر : « مالك يا ابا فائد تبكي ؟ » فقال : « وكيف لا أبكى  
وأنا على مروانيتى ومروانية أبى الحجب عنك » فجعل الغمر يعتذر اليه  
وهو يبكى . فما سكنت حتى وصله الغمر بجملته لها قدر ، وخرج من عنده  
فلحقه رجل فقال له : « أخبرنى وملك يا اسماعيل اى مروانية كانت لك أو  
لابيك » قال : « بفضنا اياهم ، امرأته طالق ان لم تكن أمه تلعن مروان وآله  
كل يوم مكان التسبيح ، وأن لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له قل لا اله  
الا الله فقال لعن الله مروان تقربا بذلك الى الله تعالى »

وعاش اسماعيل عمرا طويلا وكان شعوبيا يفخر على العرب بالعجم ،  
ومن قوله :

إنما سُمِّيَ الفوارس بالفُرِّس مضاهاةً رفعة الأنسابِ  
فاتركى الفخر يا أمامَ علينا واتركى الجورَ وانطقى بالصوابِ  
واسألى إن جهلت عنا وعنكم كيف كنا فى سالف الأحقابِ  
إذ تُرِّبى بناتنا وتدسُّون سفاهاً بناتكم فى الترابِ  
ومن اقواله فى الغزل من قصيدة :

حتى دخلت البيت فاستندرفت من شفق عينك لى تسجّم  
ثم انجلى الحزن وروعاته وغيب الكاشح والمبرم  
فبت فيما شئت من نعمة يمنحنيها نحرها والقسم  
حتى إذا الصبح بدا ضوءه وغارت الجوزاء والمرزم

(\*) العروض : الجهة . بغيض : قبيلة . المبرم : الثقيل . المرزم : نجم مع الشعرين

خُرِجَتْ وَالْوِطَاءُ خَفِيٌّ كَمَا يَنْسَابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الْأَرْقَمِ  
وَأَخْبَارُهُ فِي الْأَغَانِي ١١٩ ج ٤

سائر أنصار أعداء بني أمية

- ومن أنصار أعداء بني أمية غير من تقدم جماعة تكتفى بذكر مصادر  
تراجهم وهم :
- ٥ - أبو وجزة السعدي من هوازن توفي سنة ١٣٠ مدح آل الزبير .  
أخباره في الأغاني ٧٩ ج ١١ والشعر والشعراء ٤٤٢
  - ٦ - أبو حزابة من أنصار ابن الأشعث . أخباره في الأغاني ١٥٢ ج ١٩
  - ٧ - أبو كلدة اليشكري ، من بكر ، من أنصار ابن الأشعث سكن الكوفة  
وقتله الحجاج . أخباره في الأغاني ١١٠ ج ١٠



# شعراء الغزل

في العصر الاموي

قلنا في كلامنا عن التشبيب ان امام التشبيب في هذا العصر جميل بن معمر امام المحبين ، وكان يشبب بحبيته عن شعور حقيقى بالحب . . فقلده الشعراء في ذلك وان لم يكونوا محبين . على ان اكثرهم ابتلوا بالمشق ولا سيما آل عذرة . وبلغ عدد المشبيين بضعة وعشرين شاعرا منهم خمسة من قريش هم : عمر بن ابي ربيعة ، والعرجي ، والحارث بن خالد ، وابو دهيل ، وابن قيس الرقيات ، وعروة بن اذينة ، وامامهم عمر بن ابي ربيعة . وهو اول من تجرأ على التشبيب بالنساء وصارت له فيه طريقة تحداها الشعراء بعده من قريش وغيرهم كما سيجيء ، فنبدا بجميل ثم نذكر الشعراء القرشيين وغيرهم

## ١ - جميل بن معمر

توفي سنة ٨٢ هـ

هو جميل بن عبد الله بن معمر ، من عذرة ، وكان شاعرا فصيحاً مقمداً جامعاً للشعر والرواية اشتهر بحبه بثينة ابنة عمه ، ولذلك عرف بجميل بثينة . وكانا يقيمان في وادي القرى وكان اول عهده بها وهى صغيرة . ومن اوائل نظمه فيها قوله :

وأول ما قاد المودة بيننا بوادى بغيضٍ يا بثينُ سبابٌ  
وقلتُ لها قولاً فجاءتُ بمثله لكل كلامٍ يا بثينُ جوابٌ

ولم يكن يراها حتى صارت شابة ، فأخذ ينظم القصائد فيها حتى اشتهر امره . واتفق مرة ان توبة بن الحمير صاحب ليلى مر ببنى عذرة ، فرأته بثينة فجعلت تنظر اليه وجميل حاضر . . فثارت الغيرة في قلب جميل ، فقال لتوبة : « من انت ؟ » قال : « أنا توبة بن الحمير » قال : « هل لك في الصراع ؟ » قال : « ذلك اليك » . فأعطته بثينة ملاءة حمراء فأترر بها ثم صارعه ، فصرعه جميل . ثم قال : « هل لك في النضال ؟ » قال : « نعم » ففاضله فنفضله جميل . ثم قال : « هل لك في السباق ؟ » قال : « نعم » فسابقه فسابقه جميل . فقال توبة : « يا هذا انما تفعل

ذلك بريح هذه الجالسة ، ولكن اهبط بنا الوادى « فهبط فصرعه توبة  
وبضله وسبقه

وكان عند بثينة مثل ما عند جميل : ولما رأت مناضلته عنها زادت شغفا  
به . ولكنهما لم يكونا يجتمعان إلا خلسة على موعد . ولم يكن جميل  
يخلو من الرقباء ، لكنهم لم يستطيعوا رميه ، وأخباره معها كثيرة  
لا يسعها هذا المقام . وما زال يجتمع بها سرا عن أهلها فألحوا بالشكوى  
منه الى العامل : ففر الى اليمن حتى عزل العامل . . وانتجع أهل بثينة  
الشام فرحل جميل اليهم ، فترصدوه وشكوه الى عشيرته ، فعنفه أهله  
وهددوه . فانقطع عنها . وأخيرا لجأ الى مصر ، وعاملها عبد العزيز بن  
مروان ، فأحسن وفادته ومرض هناك ومات . وكان طويل القامة عريض  
ما بين المنكبين جميل الخلقة حسن البشرة . ومن قوله فيها :

وإني لأرضى من بثينة بالذى لو أبصره الواشى لقررت<sup>١</sup> بلابله  
يلا وبأن لا أسننطع<sup>٢</sup> وبالمنى وبالأمل المرجو<sup>٣</sup> قد خاب آمله  
وبالنظرة العجلى وبالحول تنفضى أوآخره لا نلتقى وأوائله  
ومن قوله أبيات ينسبونها الى مجنون ليل :

وما زلت<sup>٤</sup> يا بثن حتى لو أننى من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا  
إذا خدرت<sup>٥</sup> رجلى وقيل شفاؤها دعاء حبيب كنت أنت دعائيا  
وما زادنى التأى<sup>٦</sup> المفرق بعدكم سئوا ولا طول التلاقى تقالبا  
ولا زادنى الواشون الا صباة ولا كثرة الناهين إلا تماديا  
لقد خفت أن ألقى المنية بعتة<sup>٧</sup> وفي النفس حاجات<sup>٨</sup> إليك كما هيا  
ومن بديع قوله فى النسب :

لها فى سواد القلب بالحب ميعة<sup>٩</sup> هى الموت أو كادت على الموت تشرف<sup>١٠</sup>  
وما ذكرتك النفس<sup>١١</sup> يا بثن مرة<sup>١٢</sup> من الدهر الا كادت النفس تتلف  
وما استطرفت<sup>١٣</sup> نفسى حديثا لخلعة<sup>١٤</sup> أسر<sup>١٥</sup> به الا حديثك أطرف  
وأكثر شعره فيها وله أبيات فى الفخر بليغة منها :

يحب<sup>١٦</sup> العوانى البيض ظل<sup>١٧</sup> لوأنا إذا ما أتانا الصارخ<sup>١٨</sup> المتلهف<sup>١٩</sup>  
نسير أمام الناس والناس خلفنا فإن نحن أومأنا إلى الناس ووقفوا  
وكنا إذا ما معشر<sup>٢٠</sup> نصيبوا لنا ومرت<sup>٢١</sup> جوارى<sup>٢٢</sup> بغيرهم وتعيقوا  
وضعنا لهم صاع<sup>٢٣</sup> القصاص رهينة<sup>٢٤</sup> بما سوف نوفيها إذا الناس طفقوا

ولجميل ديوان شعر كبير كان مشهورا في أيام ابن خلكان ، ولم تقف على خبره . ولكن منه أشعارا مجموعة في كتاب منه نسخة خطية في مكتبة برلين ونرى ترجمة جميل في الاغانى ٧٧ ج ٧ و ٨٠ ج ١٠ و ١٣٤ و ١٤٢ ج ٢ . وابن خلكان ١١٥ ج ١ ، وخزانة الادب ١٩١ ج ١ ، والشعر والشعراء ٢٦٠ . وفي الهلال ٢٤٢ سنة ٦ (\*)

### شعراء قريش الغزاليين

#### ١ - عمر بن أبي ربيعة

توفى سنة ٩٣ هـ

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، من مخزوم بطن من قريش . وكانت العرب تفر لقريش بالتقدم عليها في كل شيء الا الشعر ، حتى ظهر عمر بن أبي ربيعة فأقرت لها به

وقصر عمر المذكور شعره على وصف النساء ولم يصف سواهن . وكان الاسلام لا يزال في أوائله ، والمسلمون يستنكفون من التعرض للنساء والتشبيب بهن . ولم يجرؤ ابن أبي ربيعة على ذلك الا بمنزلة من قريش ، ومع ذلك فقد عدوا شعره ضرا على الاداب ، فقد قال ابن جريج : «مادخل العواتق في حجالهن شيء أضر عليهن من شعر ابن أبي ربيعة » وقال هشام ابن عروة : « لا ترووا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لئلا يتهرط في الينا تورطا » (١) وكان أخوه الحارث يمنعه من شعره ويدفع اليه المال ليكف عنه فلا يقدر

وقد اقتبس عمر من جميل وقلده . وكان جميل يشيب بحبيته ، أما عمر فكان يشيب بكل حملة وله له نكح منه وشبهها مودة . وصار له في التشبيب طريقة عرفت باسمه حاكها الشعراء . ولما سمع الفرزدق تشبيبه قال : « هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه » . وكانوا لذلك يعدونه أنسب الناس وأوصف الشعراء لربات الجمال . وكان يقم بمكة ، فإذا آن الحج اعتم في ذي القعدة ، ولسن الحلل الفاخرة ، وركب النجائب المخضوبة بالحناء ، عليها القطوع والديباج ، وأسبل لثته ، ولقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ، ويتلقى المدينيات الى مر ، ويتلقى الشاميات الى الكديد . ويتعرض للحجاج فيشيب بشهيرات النساء اللواتي يقمن الى مكة وهن في مشاعر الحج ، أو ينظر اليهن وهن في الطواف فيرى منهن مالا يراه في الخارج فيصفهن . . . فتعرض لاشهر نساء العرب وأجملهن ، وفيهن جماعة من كبريات القوم ، وفي جملتهن

(\*) وانظر المؤلف ٧٢ ، ١٦٨ واللالى ٢٩ ، وديوان الحماسة ، والموشح للمزني ، والبيان والتبيين ، وآمالى القالى ، وآمالى الرضى ، وكتب الادب المختلفة ، وتاريخ الادب العربية لتالينو ، وحدث الارباء لطف حسين ج اول ، ودائرة المعارف الاسلامية .

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان الخليفة ، ولكن لم يكن يذكر اسمها خوفاً من أبيها ومن الحجاج . وكان أبوها قد بعث إليه يتوعده إذا ذكرها ، فلما عادت من الحج قال فيها :

كِدْتُ يَوْمَ الرِّحْلِ أَقْضِي حَيَاتِي لِيَتْنَى مَتَّ قَبْلَ يَوْمِ الرِّحْلِ  
لَا أَطِيقُ الْكَلَامَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَدَمْعِي يَسِيلُ كُلَّ مَسِيلٍ .  
شَرَفْتُ عَيْنَهَا وَفَاضَتْ عَيْونِي وَكَلَانَا يُلْتَفَى بَلْبٌ أَصِيلٌ

وممن شبب بهن عائشة بنت طلحة الشهيرة بالجمال والتعقل ، وكان قد رآها تطوف فعلمت أنه لا يبرح أن يشبب فيها ، فبعثت إليه مع جاريتها تقول : « اتق الله ولا تقل هجراً » فأجابها : « اقرئها السلام وقولي لها ابن عمك لا يقول إلا حسناً » وقال أبياتا منها :

لعائشة ابنة السَّيْمِيِّ عِنْدِي حِمِي فِي الْقَلْبِ ، لَا يَرَعَى حِمَاهَا  
يَذْكُرُنِي ابْنَةُ التَّيْمِيِّ ظَبِيٌّ يَرُودُ بِرُوضَةٍ سَهْلٍ رِبَاهَا  
فَقَلْتُ لَهُ وَكَادَ يَرَاعُ قَلْبِي فَلَمْ أَرَ قَطُّ كَالْيَوْمِ اشْتَبَاهَا  
سَوَى حَمْسٍ بِسَاقِكَ مُسْتَبِينَ وَأَنْ شَوَاكُ لَمْ يَشْبِهْ شَوَاهَا (\*)  
وَأَنْكَ عَاطِلٌ عَارٌ وَليست بعارية ولا عَطْلٌ يَدَاهَا  
وشبب أيضا بلبابة بنت عبد الله بن عباس بأبيات مطلعها :

وَدِّعْ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا وَاسْأَلْ فَإِنْ قَلَّ لَهُ أَنْ تَسْأَلَا (\*\*\*)  
وشبب بسكينة بنت الحسين من قصيدة قال فيها :

أَسْكِينُ مَا مَاءُ الْفُرَاتِ وَطَيْبُهُ مَنِي عَلِيٍّ ظَمًا وَحُبٌّ شَرَابُ  
بِالَّذِ مِنْكَ وَإِنْ نَأَيْتِ وَقَلَمْتُ نَرَعِي النِّسَاءَ أَمَانَةَ الْغَيْسَابِ  
وشبب بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث ، وكان قد تزوجها رجل اسمه سهيل وفي ذلك يقول عمر :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيكَ سَهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ  
هِيَ شَامِيكَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسَهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يِمَانِي

وشبب أيضا برملة بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات وغيرها ، وشعره كثير ومنه طائفة حسنة يفنونها . ومما يستحسن من شعره قوله في نحول البدن :

(\*) الحمس : دقة الساقين ، الشوي : الاطراف  
(\*\*) القلال : القليل

رات رجلاً أما اذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصر(\*)  
 قليلاً على ظهر المطيه شخصه حلاً ما نبى عنه الرداء المحبّر

واخباره كثيرة ذكرها صاحب الاغانى مطولة من ٣٠ ج ١ ، والشعر  
 والسعراء ٣٤٨ ، وابن خلكان ٣٧٨ ج ١ ، والسميرى ٣٢٦ ج ١ ، والعقد  
 الفريد ١٣٢ ج ٣ (\*\*\*)

وله ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٨٩٣ ، وفي مصر سنة ١٣١١ ، ومنه  
 مخطان خطيتان في دار الكتب المصرية

## ٢ - العرجى

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الخليفة ، كان من شعراء  
 قريش وقد اشتهر بالغزل وتشبه بعمر بن ابي ربيعة . وكان مشغوفاً باللهو  
 والصيد قليل المحادثة لاحد فيها ، ولم يكن له نباهة في أهله . وكان  
 أشعر أزرق العينين جميل الوجه ، وقد شذب بجيداء أم محمد بن هشام  
 المخزومي ليفضح ابنها لا لمحبة بينهما . فأخذ محمد وضربه وحبسه حتى  
 مات في السجن

وكان يشبب أيضاً بالنساء الشهيرات بالجمال نحو ما كان يفعل ابن ابي  
 ربيعة ، لكنه كان مقلداً فلم يبلغ مبلغه . وكان يقلده في البذخ فيستسقى على  
 ابله في شملتين ، ثم يفتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينار . ومما قاله  
 في حبسه : (\*\*\*)

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كرهية وسداد ثغر  
 وسبر عند معتزك المنايا وقد شرعت أستثها بنحري  
 أجترر في الجوامع كل يوم فيا لله مظلمتى وصبرى  
 كانى لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتى في آل عمرو  
 واخباره كثيرة منشورة في الاغانى ١٥٣ ج ١ و ٩٠ ج ٦ و ١٤٥ ج ٧ ،  
 والشعر والسعراء ٣٦٥ (\*\*\*)

(\*) يضحى : يسر في الضحى ، يخصر : يبرد لسره بالليل  
 (\*\*\*) وانظر دائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ الادب العربية للناينو ، وحديث الاربعاء لطله  
 بن ج اول والظهور والنجديد في الشعر الاموى ، والشعر الغنائى في الامصار الاسلاميه ،  
 الجزء الخاص بمكة  
 (\*\*\*) العربية في الايات : سداد الثغر : مايسد به من خيل ورجال وعدة حرب ،  
 الجوامع : جامعة وهي الغل ، مظلمتى ، وصبرى : حبسى ، الوسيط في القوم : ذو  
 المجد الرفيع ، وآل عمرو بن عثمان بن عفان يريد عمرو  
 (\*\*\*) وانظر الااليه ٤٢٢ ، وديوان الحماسة لابي تمام ، وتاريخ الادب العربية  
 للناينو ، وحديث الاربعاء لطله حسين ج اول

## ٣ - الحارث بن خالد المخزومي

هو أيضا من مخزوم مثل عمر بن أبي ربيعة ، وقد اتبع مذهبه في الغزل . لا يتجاوز الى المديح أو الهجاء . وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها . وكان ذا قدر وخطر ومنظر في قريش ، وأخوه عكرمة بن خالد محدث جليل . وكان بنو مخزوم جميعا من حزب ابن الزبير الا الحارث ، فكان منحازا لعبد الملك بن مروان فولاه مكة . وكان يراقب الحج كما يفعل ابن أبي ربيعة ، ويشبب بمن يستحسنهن من النساء وهن في الطواف

ومن قوله في عائشة بنت طلحة لما تزوجها مصعب بن الزبير ورحل بها الى العراق :

ظعنَ الأميرُ بأحسن الخَلْقِ      وغدا بلبِّك مطلع الشرقِ  
في البيت ذى الحسب الرفيع ومِنَّ      أهل التقى والبرِّ والصِّدْقِ  
فظَلَّتْ كالمقهور مُهْجَتَه      هذا الجنونُ وليس بالعشيقِ  
أثرُجَّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها      عَبِقَ الدَّهَانُ بجانب الحُقِّ  
ما صبَّحتُ أحدا برؤيتها      الا غدا بكواكب الطُّلُقِ (\*)  
وله أقوال كثيرة ذكرها صاحب الاغانى ١٠٠ ج ٣ ، وخزانة الادب ٢١٧ ج ١ .

## ٤ - أبو دهب الجمحي

اسمه وهب بن زمعة من اشراف بنى جمح من قريش ، وكان رجلا جميلا له جمعة شعر يرسلها فتضرب منكبيه . وكان عفيفا قال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب ، ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وكان ابن الزبير ولاء بعض أعمال اليمن ولكنه شغل عن ذلك بالغزل لانه هوى امرأة من قومه اسمها عمرة ، وكانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والاختبار . فكان أبو دهب لا يفارق مجلسها وكانت هي أيضا تحبه ، فغارت امرأة منها ، فبعثت اليها عجوزا داهية وشتت به حتى احتجبت عنه ، فقال :

وبتُ كتيبا ما أنام كأنما      خلالَ ضلوعي جمرةً تنوهجُ  
فطورا أمئتي النفس من عمرة المنى      وطورا اذا ما ليجُ بنى الحزن أنشجُ  
لقد قطع الواشون ما كان بيننا      ونحن الى أن يوصل الجبل أحوجُ

(\*) كواكب الطلق : كواكب السعد والحس

وقد شبب في غيرها من شهرات النساء منهن عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان . . . وقد جاءت للحج فنزلت بنى طوى من مكة ، وقد اشتد الحر فأمرت جواربها فرفعن الستر فمر أبو دهبيل فرآها وهي لا تعلم ، فلما رآته ينظر اليها غضبت وشتته وأمرت بارخاء الستر . فقال أبو دهبيل في ذلك :

انى دعانى الحَيْنُ فاقْتادنى حتى رأيت الطَّبِيَّ بالسَّابِ  
يا حَسْنَه اذ سَبَّنى مدبراً مُستراً عَنِ بِجَلِّبَابِ  
سَبَّحان من وقفها حَسرةٌ صَبَّتْ على القلبِ بأوصابِ  
يذود عنها ان تطلبتهَا أبُ لها ليس بوهُتَابِ  
أحلتها قصراً منيع الذُّرّاً يُحمى بأبوابِ وحجَّابِ  
وأشد أبو دهبيل هذه الابيات بعض اخوانه فشاعت وغنى بها المغنون ، فبلغت عاتكة فبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما . فلما صدرت عن مكة خرج معها الى الشام . فلما دخلت دمشق ( جيون ) انقطعت عن لقاءه في دمشق ، فنظم في ذلك قصيدة مطلعها :

طال ليلى وبيتٌ كالمحزون وملتُ التَّسْواءِ في جَيِّرون  
وبلغ معاوية تشببيه بابنته ، فأحب أن يمتعه بأسلوب من أساليبه الناعمة . . . فدعاه اليه وأخبره أنه اطلع على ما قاله . فأراد أبو دهبيل أن يتنصل ويزعم أنها قيلت عن لسانه ، فأكد له معاوية أنها له . ولكنه قال : « لا خوف عليك من جهتي ولكنني أخاف عليك من يزيد ، فان له سورة الشبب وأنفه الملوك » فخاف أبو دهبيل وخرج الى مكة هاربا . لكنه عاد الى مكاتبة عاتكة ، وبلغ ذلك معاوية فحج . ولما انقضت أيام الحج دعا أبا دهبيل في جملة الشعراء والاشراف وأجازه ، وسأله عن أحب بنات عمه اليه ، فقال : فلانة ، فقال : « قد زوجتك اياها وأصدقته ألفي دينار ، وأمرت لك بألف دينار » فلما قبضها طلب العفو عما مضى ولم يتزوج الفتاة ، فسر معاوية من ذلك . وأكثر شعره غير الغزل في عهد الله بن عبد الرحمن الأزرق والي اليمن ولابي دهبيل أخبار طويلة ذكرها صاحب الاغانى ١٥٤ ج ٦ ، وله اشعار في الشعر والشعراء ٣٨٩ (\*)

#### ٥ - ابن قيس الرقيات

بوفى سنة ٧٥ هـ

اسمه عبيد الله بن قيس ، من قريش ، وكان ممن انحاز الى ابن الزبير ، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ومدحه وطعن في

(\*) وانظر الاشتقاق ٨١ ، والمؤلف ١١٧ ، والحامسة لابي تمام ( الفهرس )

بيني أمية ، ثم انحاز الى عبد الملك بعد قتل مصعب وعبد الله فأمنه ،  
فقال يمدحه من قصيدة :

ان الاغراء الذى أبوه أبو ال عاصى عليه الوقار والحجُبُ  
يَعْتَدِلُ التاجُ فوق مَقْرَقِهِ على جبينِ كَأَنَّهُ الذهبُ  
فقال له عبد الملك : « يا ابن قيس تمدحنى بالتاج كأتى من العجم ،  
وتقول فى مصعب :

انما مصعبٌ شهابٌ من اللآءِ تجلكتُ عن وجهه الظلماءُ  
ملكه ملكٌ عزيزٌ ليس فيه جَبَرُوتٌ منه ولا كبرياءُ  
أما الامان فقد سبق ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً »

أما تغزله فقد كان فى امرأة كوفية كان ينزل عندها اسمها كثيرة ، وله فى  
أخرى اسمها رقية غزل كثير . على أن غزله أقل من غزل سائر من تقدم  
من الشعراء القرشيين ، ولكن طائفة من شعره يغنونها ، ومن شعره فى  
رقية ويغنى به :

رُقَيٌّ بعيشكم لا تهجرينا ومَئِينا المَئِينى ثم امْطَلِينا  
عَدِينا فى غدا ما شئتِ إنا نحبُّ وان مَطَلتِ الواعِدِينا  
فأما تنجزى عِدتى وأما نعيش بما تؤمل منك حينا  
وله فيها أيضا :

وترى فى البيت صورتها مثل ما فى البيعة الشَّرْحُ  
خَبَّرُونى هل على رجلٍ عاشقٍ فى قبلةٍ حَرَجُ

وترى أخباره فى الاغانى ١٥٥ ج ٤ ، وفى الشعر والشعراء ٣٤٣ ، وخزانة  
الادب ٢٦٧ ج ٣ ( \* ) وله ديوان طبع فى فينا سنة ١٩٠٢ مع ترجمة  
ألمانية . وقد شرحه السكرى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ، وفى دار الكتب المصرية  
نسخة خطية من الشرح المذكور

#### سائر الشعراء الغزليين

لا يكاد يخلو شاعر من أبيات غزلية قالها عن حب أو تشبيب ، ولكن المراد  
بشعراء الغزل الذين أكثروا من قولهم فيه وقد تقدم ذكر بعضهم واليهك  
الباقيين :

(\*) وأنظر طبقات الشعراء لابي سلام ، واللائء ٢٩٤ ، والاشتقاق ٧١ ، وشواهد الغنى  
٢٠١١ ، وحديث الأرياء لطفه حسين ، وتاريخ الاداب العربية لتالينو ، والشعر الفنائى فى  
الإمصار الاسلامية ، الجزء الخاص بمكة



## ١ - مجنون ليلي

هو فيس بن الموح ، ويقال ابن معاذ بن مزاحم من عامر بن صعصعة ، ويعرف بمجنون ليلي نسبة الى ليلي التي كان يتعشقها وهو مشهور . ولدن بعض اهل النقد من علماء الشعر يرون أن قصته موضوعة ، وضعها رجل من بنى أمية كان يحب ابنة عم له يكره أن يظهر ما بينه وبينها . . . فوضع حديث المجنون وقال الاشعار التي يظنها الناس للمجنون . وقد زاد الناس فيه بعدئذ . ويؤيد ذلك أن كثيرا مما ينسب اليه من الاشعار روى لغيره . . . فقصته اذا من قبيل الشعر التمثيلي الذي يراد به تمثيل بعض الفضائل . وهي تمثل العشق مع التعفف ، أو لعل لها أصلا قليلا . وزاد فيه الرواة كما فعلوا بقصة عنتره التي تمثل الشجاعة والعشق . وعلى كل حال ، فان بين الاشعار المنسوبة الى المجنون طائفة تمثل اشعار المحبين كما هي على طبيعتها . وديوان مجنون ليلي شائع ومتداول . ومما ينسب اليه قوله :

واني لينسيني لقاؤك كلما لقيتُك يوما أن أبئُك ما يبئُ  
وقالوا به داء " عيَاء " أصابه وقد علمتُ نفسي مكانَ دوائها  
وقوله :

فوالله ثم الله اني لدائب " أفكّر ما ذنبي اليها وأعجب  
ووالله ما أدري علام قتلتنى وأى " أمورى فيك ياليلَ أركب  
أأقطع جبلَ الوصل ، والموتُ دونه أم اشربُ رثقا منكم ليس يشربُ  
أم اهربُ حتى لأرى لى مجاورا أم اصنع ماذا أم أبوح فأغلب  
فأيشهما يا ليلَ ما ترتضينه فاني لمظلوم " واني لمعتيبُ

وأخبار المجنون فى الاغانى ١٦٧ ج ١ ، والشعر والشعراء ٣٥٥ ، وخزانة  
الادب ١٧٠ ج ٢ ( \* ) ، وله ديوان مطبوع فى القاهرة ١٣٠٠ هـ وفى بيروت  
سنة ١٨٨٢ م ، ثم طبع مرارا . ومنه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ،  
وفى مكاتب : تونس ، وپرلين ، وباريس ، وإياصوفيا ، وغيرها

## ٢ - كثير عزة

توفى سنة ١٠٥ هـ

هو كثير بن عبد الرحمن ، من خزاعة ويعرف بكثير عزة نسبة الى عشيقته  
التي كان يشبب بها . وكان يدخل على الملك وينشده ، وكان شيعيا

( \* ) انظر المؤلف ١٨٨ ، ومعجم الرزبانى ٤٧٦ ، واللائى ٣٥٠ ، وحديث الاربعاء كله  
حسين ودائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ الاداب العربية للنايى

شديد التعصب لال أبى طالب . وكان عبد الملك يعرف ذلك فيه فلا ينكره ، فاذا أراد أن يصدقه فى شىء حلفه بعلى . وكان له صديق اسمه خندف الاسدى شديد التشيع مثله ، وبلغ من جرأة خندف هذا أنه وقف مرة فى الموسم والناس مزدحمون وقال : « أيها الناس انكم على غير حق ، وقد تركتم بيت نبيكم والحق لهم وهم الائمة » فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه ، ودفن خندف بقنونا فقال اذ ذلك كثير يرثيه :

أصادرة<sup>١</sup> حجاج كعب<sup>٢</sup> ومالك<sup>٣</sup> على كل عجلي ضامر البطن محنق<sup>٤</sup>  
بمرثية<sup>٥</sup> فيها ثناء<sup>٦</sup> محسبر<sup>٧</sup> لأزهر<sup>٨</sup> من أولاد مثة<sup>٩</sup> معرق<sup>١٠</sup>

والقصيدة طويلة . . أما معشوقته عزة فهى بنت جميل بن وقاص من ضمرة ، وكانت من أجمل النساء وأديهن وأعقلهن . ويقال أنه لم ير لها وجها الا انه استهام بها قلبه لما ذكر له عنها . وعاتبه بعض أهلها فقالوا : « قد شهرت نفسك وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك » فقال : « انى لا أذكرها بما تكرهون »

واتفق خروجهم الى مصر فى عام الجلاء . . فتبعهم على راحلته فزجروه ، فأبى الا أن يلحقهم ، فتربص له بعضهم فى الطريق وقبضوا عليه وجعلوه فى جيفة حمار وربطوها عليه ، فمر به صديقه خندق فأطلقه وألحقه ببلاده . وكان كثير دميما قليلا أحمر أقيشر عظيم الهامة قبيحا . وأكثر أشعاره فى عزة هذه . ومن ذلك قوله لما أخرجت الى مصر :

وقال خليلي ما لها اذ لقيتها<sup>١</sup> غداة السنأ فيها عليك وجوم<sup>٢</sup>  
فقلت له ان المودة بيننا<sup>٣</sup> على غير فحش<sup>٤</sup> والصفاء<sup>٥</sup> قديم  
وانى وان أعرضت عنها تجلدا<sup>٦</sup> على العهد فيما بيننا المقيم<sup>٧</sup>  
وان زمانا فرق<sup>٨</sup> الدهر بيننا<sup>٩</sup> وبينكم فى صر<sup>١٠</sup>فه لمشوم<sup>١١</sup>  
وقوله وبه يغنى :

وكنت اذا ما جئت أجللن<sup>١</sup> مجلسى وأظهرن منى هيبة<sup>٢</sup> لا تجهشما<sup>٣</sup>  
يحاذرن<sup>٤</sup> منى غيرة<sup>٥</sup> قد عرفتها قديما فما يضحكن الا تبسما<sup>٦</sup>  
ومن أحاسن شعره قوله :

أغاضير<sup>١</sup> لو شهدت غداة ينتم<sup>٢</sup> حنوء<sup>٣</sup> العائدات على وسادى  
أويت<sup>٤</sup> لوامق<sup>٥</sup> لم تشكمي<sup>٦</sup> (\*) نوافذه<sup>٧</sup> تلذع<sup>٨</sup> بالزناد<sup>٩</sup>  
ومن قوله فى الحكم :

(\*) تشكم : تعطى

ومن لا يغتصّ عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمتّ وهو عاتبٌ  
ومن يتتبع جاهدا كل عثرةٍ يجدها فلا يسلم له الدهر صاحبٌ  
ويختار من قوله :

وأجسعُ هجرانا لأسماءَ ان دنتُ بها الدار لا من زهدةٍ في وصالها  
فان شحطتُ يوما بكيتُ وان دنتُ تذلتُ واستكثرتها باعترالها  
ومن منتخبات قوله في عزة قصيدة طويلة مطلعها :

خليلى هذا ربّع عزة فاعقلا قلوبكما ثم ابكيا حيث حلت  
وقوله وفيه افراط :

ومشى الى بعب عزة نسوة جعل الاله خدودهن نعالها  
ولو ان عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موفق لفضى لها

واشبهه كثيرة تجدها في الاغاني ٤٦ ج ١١ و ٢٧ ج ٨ و ٧٨ ج ٧ ،  
والشعر والشعراء ٣١٦ ، وابن خلكان ٤٣٣ ج ١ ، والمعقد الفريد ١١٥  
و ٢٠٣ ج ١ ، وخراتة الادب ٣٨١ ج ٢ ؛ (\*) وله ديوان شرحه أبو عبد الله  
الرشيدى منه نسخة خطية في الاسكوديال

### ٣ - ابن ميادة

هو الرماح بن يزيد بن ثوبان ، من ذبيان ، وكان أحمر سبطا عظيم الخلق  
طويلا طويل اللحية ، وكان لباسه عطرا . وذكروا أنه أشعر غطفان في  
الجاهلية والاسلام ، وكان خيرا لقومه من النابغة . لم يمدح غير قريش  
وقيس . وكان النابغة يمدح اليمن ( القحطانية ) ومما يؤثر من قوله في  
الشعر وقد قيل له مرة : « لو اصلحت شعرك لذكرت به لانه فيه كثير  
من السقط » فقال : « انما الشعر كنبيل في جفرك ترمى به الغرض فطالع  
وواقع وعاصد وقاصد (\*)»

وعاصر ابن ميادة الوليد بن يزيد ومدحه ، وأدرك أول الدولة العباسية  
فمدح المنصور وجعفر بن سليمان . فهو من أهل الدور الثالث ، وانما  
ذكرناه هنا لانه من الشعراء الغزليين ، وأحب امرأة من بنى مرة اسمها أم  
جعندر . وكان يختلف اليها فعلم أبوها وغضب وأقسم أن لا يزوجها رجلا  
من قومه ، فزوجها رجلا من الشام . فقال ابن ميادة من شدة الوجد :

(\*) انظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والمؤلف ١٦٩ ، والإشتقاق ٢٨٠ ، ومعجم الرزياني  
الموسم ، واللاله ٦١ ، وحديث الاربعاء لظه حسين ، وتاريخ الاداب العربية لتالينو ، ودائرة  
المعارف الاسلامية ، وقد طبع ديوانه في الجزائر بعناية هنرى بريس ، وهو في جزئين  
(\*) الجعفر : جعبة السهام ، والعاصد : الذى لا يصيب الهدف

خليلى من أبناء عذرة بكنا رسائلنا لا تزيدكما وقرا  
 المما على تيماء نسال يهودها فان لدى تيماء من ركبها خبرا  
 وبالغمر قد جازت وجاز مطيها عليه فسل من ذلك نيكان فالغمر  
 وياليت شعري هل يحلن أهلها وأهلك روضات بطن اللوى خضرا  
 ولابن ميادة مواقفات مع الحكم القصرى ، وأراجيزا طوال ومفاخرات مع  
 عقال بن هاشم ، ذكر صاحب الاغانى بعضها وهى منتقيات . وله فى مدح  
 انوليد قصيدة مطلعها :

يا أطيّب الناس ريقا بعد هجعتها وأملح الناس عيننا حين تنتقب  
 ولما مات الوليد رثاء . فلما قامت الدولة العباسية مدح المنصور  
 وأخبار ابن ميادة كثيرة فى الاغانى ٨٨ ج ٢ ، والشعر والشعراء ٤٨٤ . (\*)

#### ٤ - الاحوص

توفى سنة ١٠٥ هـ

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله من الاوس من أهل المدينة ، وكان مثل  
 سائر شبان يثرب فى تلك الايام ميالا الى اللهو . وكان قليل المروءة والدين  
 مع ميل الى هجاء الناس ، وقد جعله ابن سلام فى طبقة ابن قيس الرقيات  
 ونصيب وجميل . ولكن أهل الحجاز يفضلونه عليهم ، وهو أسمح طبعاً  
 وأسهل كلاماً وأصح معنى منهم . ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة  
 وعذوبة ، وبه ألفاظ ليست لواحد منهم . وكان متهتكاً فبلغ سليمان بن  
 عبد الملك عنه أقوال فنفاه . ويقال فى سبب ذلك أن سكينه بنت الحسين  
 فخرت يوماً بالرسول ، ففاخرها الاحوص بقصيدته التى يقول فيها : « ليس  
 جهل أتيته ببديع » فبلغ ذلك سليمان فنفاه ثم رده

واشتهر الاحوص بتشبيبه بأبى جعفر وهى امرأة من الانصار ، وتوعده  
 أخوها وهدده فلم يكف عن التشبيب . فاستعدى عليه والى المدينة وهو  
 يومئذ عمر بن عبد العزيز ، فربط الاحوص وأخاها بحبل ودفع اليهما  
 سوطين وقال : « تجالدا » فغلب أخوها ، ومن شعره فيها :

أزور البيوت اللاصقات بيئتها وقلبي الى البيت الذى لا أزور  
 وماكنت زوارا ولكن ذا الهوى اذا لم يزر لا بد أن سيزور  
 أزور على أن لست أنفك كتما أتيت عدوا بالبنان يشير  
 ومن شعره الجيد قوله :

(\*) وانظر المؤلف ١٧٤ ، والاشتقاق ١٧٥ ، واللأى ٣٠٦ ، والخزانة ج اول ص ٧٦

الا لا تلمه اليوم أن يتبددا فقد غلب المحزون أن يتجلدا  
وما العيش الا ما تلد وتشتهى وان لام فيه ذو الشنان وفنكدا  
بكيت الصبا جهدا فمن شاء لامنى ومن شاء واسى فى البكاء وأسعدا  
وانى وان عيرت فى طلب الصبا لأعلم أنى لست فى الحب أوحدا  
وكان الخليفة يزيد بن الوليد مشتغلا عن الخلافة بجاريتيه حباية ، فلامه  
عمه مسلمة ونهاه عنها فتركها وانقطع عن زيارتها ٠٠ فأرادت أن تسترجعه  
فلاقته وهو خارج الى المسجد بعودها وغنته بيت الاحوص : « وما العيش  
الا ما تلد وتشتهى » الخ ، فضرب يزيد بخيزرانتة الارض ، وقال صدقت  
وعاد الى حالته معها  
ومن غزله قوله :

فما هو الا أن أراها فجاءةً فأبْهت حتى ما أكاد أجيبُ  
وقوله :

ستبقى لها فى مضمّر القلب والحشا سريرةٌ حبٌّ يوم تبلى السرائرُ  
وترى ترجمة الاحوص وأقواله فى الاغانى ٤٥ ح ٤ و ٥٣ ج ٦ و ١١٧  
ج ١ ، وفى الشعر والشعراء ٣٢٩ ، والعقد الفريد ١١٥ ج ١ ، وخزانة  
الادب ٢٣٢ ج ١ ، وفى سائر كتب الادب (\*) . وله قصيدة محفوظة فى  
مكتبة برلين

#### ٥ - قيس بن ذريح

هو قيس بن ذريح من كنانة ، وكان رضيع الحسين بن علي لان أم قيس  
أرضعت الحسين ٠ كان منزل قومه فى ظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه من  
حاضرة المدينة ٠ واشتهر قيس بحبه لبنى بنت الحجاب الكعبية ، وهى التى  
جعلته ينظم الشعر فانه رآها مرة واستسقاها فسقته ، وكانت امرأة  
مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام ٠ فلما رآها وقعت فى نفسه  
فعشقها وجعل ينطق بالشعر ٠ وشكا اليها غرامه فشكت اليه مثله ، فطلب  
الى أبيه أن يخطبها له فأبى لانه كان غنيا فأراد له احدى بنات عمه ٠ فشكا  
الى أمه فلم تسعفه ، فأتى الحسين بن علي فتوسط له فزوجوه لان اشارته  
لا ترد ٠ فأقامت زوجته عنده مدة لا ينكر أحد من صاحبه شيئا  
ثم دخلت الحماة بين الابن وزوجته ٠ وذلك أن قيسا كان أبى الناس بأمه ،  
فألته لبنى عنها فغضبت وأخذت تتحين الفرص للانتقام ٠ فلما مضى على

(\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والمؤتلف ٤٧ ، واللالء ٧٣ ، وحديث الاربعاء لظه  
حسين ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو : والشعر والشعراء فى الامصار الاسلامية ، الجزء  
الخاص بالمدينة

الزواج زمن ولم تلد لبني لقيس ولدا ، خاطبت أمه أباه بذلك وقالت : « أنت ذو مال فيصير المال الى الكلاله ، فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولدا » وألحت عليه فاستمهلها ، وسأل ابنه في ذلك فأبى أن يتزوج غيرها ، فعرض عليه أن يتسرى فأبى ، فقال : « طلقها » . فلم يرض ، فألح عليه وحلف لا يكنه سقف بيت ابدأ حتى يطلق لبني . فكان يخرج فيقف في حر الشمس ويجيء أبوه فيقف الى جانبه فيظله بردائه ، ويصلي هو بحر الشمس حتى يفيء الفء فينصرف ، ويدخل قيس الى لبني فيعانقها وتعانقه ويبيكي وتبكي معه وتقول له : « يا قيس لا تطع أباك فتهلك وتهلكنى » فيقول : « ما كنت لأطبع أحداً فيك أبداً » . فيقال أنه مكث كذلك سنة وقيل عشر سنين ثم طلقها ، ولم يلبث أن استظير عقله ولحقه مثل الجنون وصار يبكي كالطفل . ثم أتى أبوها ليحملها الى أهله ، فلما رأى قيس هودجها وعلم أنها مسافرة بعد ليلة سقط مغشياً عليه وهو يقول :

وانى لثفنٍ دمعَ عينيَ بالبكا حذار الذى قد كان أو هو كائنٌ  
وقالوا غدا أو بعد ذلك بليلة فراقٍ حبيب لم يبين وهو بائن  
وما كنت أخشى أن تكون منيتى بكفيك الا أن ما حان حائن  
ولما غاب هودجها أكب على أثر خف بغيرها يقبله ، ورجع يقبل موقع  
مجلسها وأثر قدميها فلاموه على ذلك فقال :

وما أحببت أرضكم ولكن أقبل اثر من وطىء الترابا  
لقد لاقيت من كلفى بلبنى بلاء ما أسخ به الشرابا  
إذا نادى المنادى باسم لبني عييت فما أطيع له جوابا  
ثم زوجوها رجلا من قظفان ، وعاود قيس زيارتها ، فشكوه الى معاوية  
فأهدر دمه ، فقال فى ذلك :

فان يحجبوها أويحئل دون وصلها مقالة واشى أو وعيد أمير  
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا ولن يذهبوا ما قد أجن ضميرى  
وأخبار قيس بن ذريح كثيرة فى الاغانى ١١٢ ج ٨ ، وفى الشعر  
والشعراء ٣٩٩ (\*) ، وله ديوان مشروح ومنه نسخة خطية فى مكتبة  
الاسكوريال وغيرها فى برلين

## ٦ - المخبل القيسى

اسمه كعب وهو صاحب ميلاء ابنة عمه ، وقد رآها مرة فعشيقها ، ولقيها  
فشكا اليها حبه فوعدهت ، فعلم اخوتها وهم سبعة فهددوه ، وكان منزله فى

(\*) وانظر المؤلف ١٢٠ ، واللائى ٣٨٩ ، ٧١٠ ، وأمالى القالى فى مواضع متفرقة

الحجاز فخرج الى الشام ونظم فيها الاشعار . ومن ذلك قصيدة مطلعها :  
 خليلي قد قستُ الأمور ورمتها بنفسى وبالفتيان كلَّ زمان  
 فلم أخفِ سوءاً للصديق ولم أجد خلياً ولا ذا البثِّ يستويان  
 الى أن قال يصف غرامه :

بئسنا بهجرانٍ ولم أرَ مثلنا من الناس انسانين يهتجران  
 أشدَّ مصافاةً وأبعد من قلى وأعصى لواشٍ حين يكتفیان  
 فوالله ما أدري أكلُّ ذوى الهوى على ما بنا أم نحن مبتليان  
 وهى طويلة ، ومنها :

أحققاً عباد الله أن لست ماشياً برحابٍ حتى يحشرَ الثقلان  
 وتجد أخباره فى الاغانى ٢٠٩ ج ٢١ ، وهو غير المخبل السعدى الذى  
 تقدم ذكره مع الجاهليين

وهناك بضعة من الشعراء العشاق يعدون من الدور الثالث لانهم توفوا  
 بعد انقضاء الدور الثانى ، وقد آتينا على تراجمهم هنا كما آتينا على اخرين  
 قد يعدون من الدور الاول لاستيفاء هذا الموضوع فى مكان واحد

## ٧ - ذو الرمة

توفى سنة ١١٧ هـ

هو غيلان بن عقبة بن نهيس ، من مضر ، ويعبد من الشعراء المتيمين  
 وصاحبته مية بنت مقاتل المنقرى . وكانت جميلة وكان هو دميماً أسود  
 وسمعت تشييبه بها ولم تره ثم رآته ، فقالت : « واسوأناه » فغضب ، وقال  
 يهجوها :

على وجه مئى مسحة من ملاحه وتحت الثياب العار لو كان باديا  
 ألم تر أن الماء يخبث طعمه وان كان لون الماء أبيض صافيا  
 فوا ضيعة الشعر الذى ليج فانقضى بمئى ولم أملك ضلال فؤاديا  
 وكان يشبب بخرقاء ايضا ، وهى من عامر بن صعصعة ، ومن قوله فيها  
 وهو مما يتغنى به :

لقد أرسلت خرقاء نحوى جديها لتجعلنى خرقاء فيمن أضلت  
 وخرقاء لا تزداد الا ملاحه ولو عمّرت عمير نوح وجكّلت  
 وكان ذو الرمة كثير الاخذ من غيره ، وقد ذكر ابن قتيبة فى الشعر  
 والشعراء امثلة كثيرة من ذلك . وكان ذو الرمة كثير المديح لبلال بن أبى

بردة بن أبى موسى الأشعري ، وكان له ثلاثة اخوة كلهم شعراء . وكان مستدير الوجه حسن الشعر جمده أبنى أنزع خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مفوها ، اذا كلمك كلمك أبلغ الناس ، يضع لسانه حيث يشاء . وهو من أصحاب الملحقات ومطلع ملحمته :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلئى مفريئةٍ سَرِبَ (\*)  
ويمتاز في شعره انه احسن شعراء عصره تشبيها ، كما كان امرؤ القيس احسن شعراء الجاهلية في ذلك . ودخل بين جرير والفرزدق لما تهاجبا ، فكان مع الفرزدق على جرير . واخباره كثيرة في الاغانى . ١٠١ ج ١٦ ، والشعر والشعراء ٣٣٣ ، وابن خلكان ٤٠٤ ج ١ ، ومصارع العشاق ٧٨ ، والجمهرة ١٧٧ ، وخزانة الادب ٥١ ج ١ (\*) ، وله ديوان خطى في دار الكتب المصرية ومثله في مكاتب لندن وليدن (\*\*\*)

#### ٨ - يزيد بن الطثرية

توفى سنة ١٢٦ هـ

اسمه يزيد بن الصمة ، من قشير ، من عامر ويكنى أبا مكشوح ، وكان حسن الوجه والشعر حلو الحديث غزلا آخذا بقلوب النساء . وكان الغزل في القشيريين نادرا ، ولهم في ذلك حادثة مع جرم ذكرها صاحب الاغانى ، لا بأس من مطالعتها ( ١١١ ج ٧ ) انتهت بتعلق يزيد بامرأة من جرم يقال لها وحشية ، واشتد وجده بها حتى أشرف على الموت ونظم فيها الشعر ، ومن قوله فيها :

بنفسى من لو مرَّ برِّدٌ بَنانُه على كبدى كانت شفاءً أُناملُه  
ومن هابنى في كل أمرٍ وهبتهُ فلا هو يعطينى ولا أنا سائلُه  
وكتب اليها هذين البيتين :

أحبك أطرافَ النهارِ بشاشةٍ وبالليل يدعونى الهوى فأجيبُ  
لئن أصبحتَ ريحُ المودةِ بيننا شمالا لقدما كنتِ وهى جنوبُ  
فأجابته بقولها :

أحبك حبَّ اليأسِ ان نفع الحيا وان لم يكن لى من هواك طيب  
وقد قاسى في حبها كما قاسى غيره من العشاق واللاتيمين ونظم فيها كثيرا ومن قوله :

(\*) الكلى : الرقع في القرية ، مفريئة : مقطعة ، سرب : سائل  
(\*\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والاشتقاق ١١٦ ، واللاليء ٨١ ، والمعنى ٤١٢ ، والطور والتجديد في الشعر الاموى ص ٢٠٩ ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو (\*\*\*) طبع هذا الديوان في كمبريدج بعناية المستشرق كارليل هنرى هيسن مكارتى



هبينى امرءا اما بريئا ظلمته واما مسيئا قاب منه وأعتبا  
 وكنت كذى داء تبغى لدائه طبيبا فلما لم يجده تطببا  
 ولابن الطثرية أخبار كثيرة فى الاغانى ١١٠ ج ٧ ، وفى ابن خلكان ٢٢٩  
 ج ٢ ، وفى الشعر والشعراء ٢٥٥ (\*)

#### سائر الشعراء العشاق

- ومن الشعراء العشاق طائفة حسنة يضيق المكان عن تراجمهم ، فنكتفى  
 بالاشارة الى المصادر وهم :
- ٩ - الابرود الرياحى : من تميم ، كان يهوى امرأة ولم يفد على الخلفاء .  
 أخباره فى الاغانى ١٠ ج ١٢
- ١٠ - ابن رهيمة : شاعر مشبب أيام عبد الملك . أخباره فى الاغانى  
 ١١٨ ج ٤١
- ١١ - توبة بن الحمير : من عامر بن صعصعة وصاحب ليلى الاخيلية .  
 أخباره فى الاغانى ٦٧ ج ١٠ ، وفوات الوفيات ٩٥ ج ١ ، والشعر والشعراء  
 ٢٦٩ ، وسيأتى ذكره مع ليلى الاخيلية
- ١١٢ - مرة بن عبد الله النهدي : من قضاة شاعر بدوى . أخباره فى  
 الاغانى ٦١ ج ٢٠
- ١٣ - مزاحم العقيلي : من هوازن شاعر بدوى صاحب قصيدة ورجز ،  
 عاصر الفرزدق ، أحب امرأة تزوجها غيره فتفتقت قريحته . أخباره فى  
 الاغانى ١٥٠ ج ١٧ وخزانة الادب ٤٥ ج ٣
- ١٤ - مسعدة بن البخترى : من اقرباء المهلب بالعراق . أخباره فى  
 الاغانى ٧٧ ج ١٢
- ١٥ - النميرى : من ثقيف . (١) أخباره فى الاغانى ٢٤ ج ٦
- ١٦ - وضاح اليمين : شبب بامرأة الوليد فقتله . أخباره فى الاغانى  
 ٣٢ ج ٦ ، وفوات الوفيات ٢٥٣ ج ١
- ١٧ - عبد الله بن علقمة : من زرارة أخباره فى مصارع العشاق
- ١٨ - حميد بن ثور الهلالى : أخباره فى الاغانى ٩٨ ج ٤ ، والشعر  
 والشعراء ٢٣٠ (\*\*\*)

(\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، ومجمع الادباء لياقوت طبع مصر الجزء السابع ،  
 واللائى ١٠٣ ، وحيوان الجاحظ الجزء السابع ( القهرس )  
 (١) له ديوان منه نسخة خطية فى مكتبة اياصوفيا بالاستانة  
 (\*\*\*) طبعت دار الكتب المصرية ديوان حميد

قد رأيت الخلاعة والسكر في بعض من تقدم ذكرهم من الشعراء ، وإنما  
نعنى بهذه الطبقة الشعراء الذين غلب عليهم السكر والتهتك والمجون ،  
أشهرهم :

### ١ - الأقيشر الاسدى

هو المغيرة بن عبد الله ، من بنى أسد ، من مضر ، وكان أحمر الوجه أقشر ،  
فسمى الأقيشر ويكنى أبا معرض . كان كوفيا خليعا ماجنا مدمنا شرب  
الخمير ومن شعره :

فان أبا معرض اذ حَسَسَا من الراح كأسا على المنبر  
خطيب "ليب" أبو معرض فان ليم في الخمر لم يصبر  
أحل الحرام أبو معرض فصار خليعا على المكبر  
وكان شديد الهجو قبيحه ، ومن لطائفه أنه شرب مرة في الحيرة في بيت  
فيه خياط مقعد ورجل أعمى وعندهم رجل مغن مطرب . فطرب الأقيشر  
فسقاهم من شرابه ، فلما انتشوا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم وقفز  
الخياط المقعد يرقص على ظلعه ويجهد في ذلك كل جهده . فقال  
الأقيشر :

ومبتعد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناها ثلاثا فأبصرا  
شرابا كريح العنبر الورد ريح ومسحوق هندی من المسك أذفرا  
وترى أخباره في الاغانى ٨٤ ج ١٠ ، وفي الشعر والشعراء ٣٥٢ (\*)

### ٢ - الحزين الكنانى

هو عمرو بن عبيد بن وهيب من كنانة ، وقيل أنه مولى . وهو حجازى  
مطبوع ليس من فحول طبقتة . وكان هجاء خبيث اللسان ساقطا ،  
يرضيه اليسير ويتكسب بالشعر وهجاء الناس ، ذرب اللسان لم يخدم  
الخلفاء ولا انتجع بمدح . وكان أشعر ذا بطين عظيم الانف ، على أنه مدح  
بعض آل مروان غير الخلفاء . ومن ذلك قصيدة رنانة قالها في عبد العزيز  
ابن مروان ، منها :

قالوا دمشق ينبئك الخبير بها ثم أتت مصر فثم النائل العمم  
لما وقفت عليها في الجموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم

(\*) وانظر الاصابة ج ٦ ، والمؤلف ٥٦ ، والمرزبانى ٣٦٩ ، والخزانة ج ٢ ص ٢٧٩

حييته بسلامٍ وهو مرتفق" وضجة القوم عند الباب تزدهم  
في كفه خيزران" ريحها عبق" من كف أروع في عرنيه شمم  
يغضى حياءً ويغضى من مهابته فما يكلكم الا حين يتسهم  
وترى أخباره في الاغانى ٧٦ ج ١٤ و ٥٢ ج ١١

ومن الشعراء الخلاء جماعة نكتفى بذكر مصادر تراجعهم :

٣ - بكر بن خازجة : مولى بنى أسد سكير ماجن سكن الحيرة . أخباره  
في الاغانى ٨٧ ج ٢٠

٤ - الشمردل بن شريك : من يربوع كان مغرماً بالشراب واللهو كثير الهجو .  
أخباره في الاغانى ١١٧ ج ١٢ ، والشعر والشعراء ٤٤٣

٥ - الوليد بن يزيد الخليفة : أول من وصف الخمر . أخباره في الاغانى  
١٠١ ج ٦ ، و ٩٨ ج ٣ ، والعقد الفريد ٢٦٨ ج ٣ ، وخزانة الادب ٣٢٨ ج ١

#### الشعراء المغنون

لم يكن بين شعراء الجاهلية من المغنين الا الأعشى وعلس ، ولكن اقتراب  
الامويين من الحضارة ونمو العلاقات بين الحجاز والشام والعراق ولدت  
الموسيقى ، ونبغ كثيرون من المغنين أكثرهم في المدينة ، أشهرهم :

١ - حنين الحيرى : شاعر نصرانى ، كان يغنى أيام هشام . أخباره في  
الاغانى ١٢٠ ج ٢

٢ - سعيد الدرهمى : ( تميم ) شاعر ظريف من أهل مكة أيام عمر بن  
عبد العزيز . أخباره في الاغانى ١٧٨ ج ٢

٣ - عبادل : مولى قريش في الحجاز لم يفارقها ، كان نبيلاً وكان يغنى .  
أخباره في الاغانى ١٧٥ ج ٥

٤ - محمد بن الأشعث : من قريش كان كاتباً من فتيان أهل الكوفة .  
ظريفاً ينظم ويغنى ، أحب سلامة الزرقاء ونظم فيها وأخباره في الاغانى ١٢٧  
ج ١٣

٥ - نصيب : مولى عبد العزيز بن مروان شاعر اشتهر بالغناء . أخباره  
في الاغانى ١٢٩ ج ١ ، والشعر والشعراء ٢٤٢

٦ - ابن عائشة : من موالى آل المطلب السهمى ، كان يغنى للوليد بن  
يزيد . أخباره في الاغانى ٦٢ ج ٢

#### الشعراء الادباء

نريد بهذه الطبقة من الشعراء من لم تستطع ادخالهم في احدى الطبقات  
المتقدم ذكرها . . فهم ليسوا من شعراء السياسة ، ولا العشق ، ولا  
السكر ، ولا الغناء . وهم بضعة وعشرون شاعراً ، يطول بنا ذكر تراجعهم

وخصوصا بعد أن طال بنا الكلام في شعراء هذا العصر . . فنكتفى بترجمة اثنين منهم مع الاشارة الى المصادر التي يرجع اليها من أراد التوسُّع في الباقيين

### ١ - القظامي

هو عمير بن شبيم من بني تغلب ، وكان نصرانيا ، عاصر الاخطل ، وله شعر من الطبقة الاولى في التشبيب والحماسة والفخر . أما في التشبيب فقولُه (\*):

وفي الخدور غماماتٍ بَرَقْنَ لَنَا حتى تصيّدنا من كل مُصْطادٍ  
يقتلنا بحديثٍ ليس يعلمه من يتّقين ولا مكنونه بادي  
فهنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يثبِنُ به مواقف الماء من ذوى العُلة الصادي  
وكان يمدح زفر بن الحارث الكلابي وأسماء بن خارجة الفزارى . وكان  
زفر قد أسره ثم أطلقه ووهب له مائة ناقة ، فقال ، وفيه من كبر النفس  
ما فيه :

من مبلغ زفرَ القيسيّ مدحتَه عن القظاميّ قولاً غير افنادٍ  
انى وان كان قومي ليس بينهم وبين قومك الا ضربة الهادي  
مثنٍ عليك بما أوليت من حسنٍ وقد تعرّض منى مَقْتَلٍ بادٍ  
فان قدرت على يومٍ جزيت به والله يجعل أقواما بمرصاد

وله هجاء شديد نحا فيه نحواً خاصاً يدل على تفننه ، كقولُه يريد هجاء  
قيس بالبخل من قصيدة استهلها بأنه كان مسافراً ونزل ضيفا على امرأة  
من قيس وانها ارتاعت لما علمت أنه ضيف سينزل عليها . ووصف ما جرى  
بينهما في أسلوب جميل . وهو القائل :

والناس مَنْ يَلْتَقِ خيرا قائلون له ما يشتهي ولأمّ المخطيء الهبل  
قد يَدْرِكُ المتأنى بعضَ حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل  
ومن قوله في الفخر يصف حرباً مع قبيلة كلب :

وكلب تركنا جمعهم بين هاربٍ حذار المنايا أو قتيل مجدّل  
وأفلتنا لما التقينا بعاهدٍ على سابح عند الجراء ابن بجدل  
وأقسم لو لا قيته لعلوته بأبيض قطّاع الضرية مفصل

(\* الغريب في هذه الابيات وما يليها من نفس القصيدة : غمامات : سحابات ، أراد بها نساء جميلات ، برقن لنا : أطمعنا ، مصطاد : مصيد ، يتقين : يخفنه ، باد : ظاهر ، يبندن : يرمين ، العلة : حرارة العطش ، الصادي : العطشان ، افناد : كذب ، الهادي : النصل ، المرصاد : الطريق ومكان الرصد

وهو من أصحاب المشوبات ، ومطلع مشوبته :

أنا محيوك فاسلم° أيها الطلل وان بكليت وان طالت بك الطَّيْلُ (١)  
ونجد أخبار القطامي في الاغانى ١١٨ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء ٤٥٣ ،  
والجمهرة ١٥١ (\*\*) . وله ديوان طبع في ليدن سنة ١٩٠٢ ، ومنه نسخة  
خطية في دار الكتب المصرية وفي مكتبة برلين

## ٢ - ليلي الاخيلية وتوبة بن الحمير

توفيت ليلي سنة ٨٠ هـ

هي ليلي بنت عبد الله بن الرحال من بنى الاخييل من عامر . وهي  
من النساء المتقدمات في الشعر ، وكان توبة بن الحمير يهاها وهو من بنى  
عقيل من عامر أيضا ، فعشقها وقال فيها الشعر . . فخطبها الى أبيها  
فأبى أن يزوجه أياها وزوجها في بنى الادلع . فجاء يوما كما كان يجيء  
لزيارتها فإذا هي سافرة ولم ير منها الا بشاشة ، فعلم أن ذلك لامر  
ما كان . فرجع الى راحلته فركبها ومضى . وبلغ بنى الادلع انه اتاها  
فتعوه ففاتهم . فقال توبة في ذلك :

نأتك بليلى دارها لا تزورها وشطكت نواها واستمر مريرها (٢)  
وهي طويلة يقول فيها :

وكنت اذا ماجئت ليلي تكبرعت فقد رابنى منها العداة سنفورها  
ويحكى ان توبة رحل الى الشام فمر بينى عذرة . فراته بثينة ، فجعلت  
تنظر اليه ، فشق ذلك على جميل فطلبه للمصارعة كما يفعل الغريون اليوم  
في طلب المبارزة في مثل هذه الحال ، فتصارعا وبثينة خاضرة فغلبه جميل ،  
فقال توبة : « انما صرعتنى بريح هذه . انزل بنا الوادى » فنزلا فغلبه  
توبة . ومن لطيف شعره في ليلي قوله :

ولو أن ليلي الأخيلية سلمت على ودونى تربة° وصفائح°  
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا (\*\*) إليها صدئى من جانب القبر صائح  
ولو أن ليلي في السماء لأصعدت بطرفى الى ليلي العيون اللوامح  
وكان توبة كثير الفارات فقتل في احدى غاراته ، كما ورد في حديث طويل  
ذكره صاحب الاغانى . وكانت ليلي تغد على الحجاج فتمدحه وتنال جوائزه .  
وأراد الحجاج أن يداعبها فقال لها : « ان شبابك قد ذهب واضمحل أمرك

(١) الطليل : الدهور  
(٢) استمر مريرها : قويت عزيمتها  
(\*\*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والمرزبانى ٢٤٤ ، والاشقاق ٢٠٤ ، والمؤلف  
١٦٦ ، والخزانة ج ١ ص ٣٩١ ، ج ٧ ص ١٨٨ ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو  
(\*\*) زقا : صاح

وأمر توبة ، فأقسم عليك إلا صدقتني : هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك ؟ » فقالت : « لا والله أيها الأمير إلا أنه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر فقلت له :

وذى حاجة قلنا له لا تبج بها فليس اليها ما حيت سبيل  
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخلين  
فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا . قال لها الحجاج :  
« فما كان منه بعد ذلك ؟ » قالت : « وجه صاحبها له الى خاضرنا » ،  
فقال : « إذا أتيت الحاضر من بنى عبادة بن عقيل فاعل شرفا » ، ثم اهتف  
بهذا البيت :

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة من الدهر لا يسرى الي خيالها  
فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقالت له :

وعنه عفا ربي وأحسن حفظه عزيز علينا حاجة لا ينالها  
ومن شعرها قولها في مدح الحجاج :

أحجاج لا يثقل سلاحك إنما ال منايا بكف الله حيث تراها  
إذا هبط الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاهها  
شفاهها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها

وأخبار ليلى وتوبة في الاغانى ٦٧ ج ١١٠ و ١٣٢ ج ٤ ، و ١١٦ ج ٧ ، والشعر  
والشعراء ٢٧١ ، وفوات الوفيات ١٤١ ج ٢ ، والمستطرف ٣٤ ج ١ (\*)

### ٣ - سائر شعراء الدور الثاني

وهالك أسماء من بقى من شعراء الدور الثاني :

٣ - ارطاة بن سهية : من ذبيان شاعر فصيح شريف صادق جواد .  
أخباره في الاغانى ١٣٩ ج ١١ ، والشعر والشعراء ٣٣٢

٤ - أعشى تغلب : نصراني يسكن الشام اذا حضر وينزل بلاد قومه بنواحي  
الموصل اذا بدأ . أخباره في الاغانى ٩٨ ج ١٠

٥ - الجحاف السلمى : من سليم ولد بالبصرة وحضر معركة فيها ابن  
الاخلط ، فهرب الجحاف الى بلاد الروم ثم عاد وعفا عنه عبد الملك . أخباره  
في الاغانى ٥٧ ج ١١

(\*) وانظر في أخبارهما أيضا الاشتقاق ١٨٢ ، والمؤلف ٦٨ ، ٩٣ واللائى ١١٩ ، والخزانة  
ج ٣ ص ٣١ ، والغينى ج ١ ص ٥٦٩ و ج ٢ ص ٤٧ ، ج ٤ ص ٤٥٣ ، وآمالى القالى ج ١  
ص ٨٦ ، وتاريخ الاداب العربية لتالينو

- ٦ - جعفر بن الزبير : شاعر مقل . أخباره في الاغانى ١٠٤ ج ١٣
- ٧ - حجية بن المضرب : ( كندة ) شاعر أموى . أخباره في الاغانى  
٩ ج ٢١
- ٨ - سراقه بن مرداس البارقى : أخباره في الاغانى ٤٤ و ٦٧ ج ٧  
و ٣١ ج ٨ (١)
- ٩ - سويد بن كراع : من عكل شاعر فارس . أخباره في الاغانى ١٢٧  
ج ١١
- ١٠ - عبد الله بن أبى معقل : من الخزرج حجازى أخباره في الاغانى  
١١٦ ج ٢٠
- ١١ - عبد الله بن الحشرج الجعدى : سيد من سادات قيس ولى الولايات  
ومدحه زياد الاعجم . ترجمته في الاغانى ١٥١ ج ١٠
- ١٢ - العجاج الراجز : أخباره في الشعر والشعراء ٣٧٤ ، والاغانى  
١٢٤ ج ١٨ (٢)
- ١٣ - عروة بن أذينة : من كنانة . أخباره في الاغانى ١٠٥ ج ٢١ ، وابن  
خلكان ٢١٢ ج ١ ، والشعر والشعراء ٣٦٧
- ١٤ - عقيل بن علفة : من ذبيان شاعر مقل جاف شديد الهوج والعجرفة  
والبذخ من بيت شرف في قومه . أخباره في الاغانى ٨٥ ج ١١ و ٩٩ ج ٢
- ١٥ - ليلى بنت طريف الشيبانى : رأس الخوارج . أخبارها في الاغانى  
٩ ج ١١
- ١٦ - مالك بن أسماء بن خارجة : من فزارة تولى اصبهان تحت امرة  
الحجاج . أخباره في الاغانى ٤١ ج ١٦ والشعر والشعراء ٤٩٢
- ١٧ - مالك بن الريب : من مازن نشأ في بادية البصرة ، وهو من أصحاب  
المرائى . أخباره في الاغانى ١٦٣ ج ١٩ ، والشعر والشعراء ٢٠٥
- ١٨ - محمد بن بشير الخارجى : من قيس شاعر حجازى من أهل  
المدينة ، كان منقطعا الى أبى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشى . قدم  
البصرة وخطب امراة اشترطت عليه الاقامة بها . أخباره في الاغانى ١٤٨  
ج ١٤
- ١٩ - مرة بن محكان السعدى : من تميم عاصر الفرزدق وجريرا واخملا  
ذكره ، كان شريفا جوادا . أخباره في الاغانى ٩ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء  
٤٣١
- ٢٠ - المقنم الكندى : شاعر جميل الخلقة شريف . أخباره في الاغانى  
١٥٧ جزء ١٥

(١) له ديوان منه نسخة في دار الكتب المصرية « طبع هذا الديوان »  
(٢) له ديوان مشروح في دار الكتب المصرية وفيها كتاب خطى اسمه رجز العجاج - ( وقد  
طبع هذا الديوان في مجموعة اشعار العرب بعناية المستشرق Ahlwardt )

- ٢١ - المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي : أخباره في الاغانى ١١ ج ١٥  
 ٢٢ - يعلى الاحول : من القحطانية ، لص كان يقطع السابلة . أخباره في  
 الاغانى ١١١ ج ١١٩

#### ٤ - الدور الثالث من الشعر

في العصر الاموى

١٠١ - ١٣٢ هـ

ويدخل فيه الشعراء الذين قضوا معظم حياتهم في اواخر الدولة الاموية، وهو دور انحطاطها وفسادها بعد أن تولاهما يزيد بن الوليد وابنه الوليد بن يزيد ، والناس على دين ملوكهم . فأكثر شعراء هذا الدور أميل الى التملق والخلاعة والتهتك والقصف . أشهرهم يزيد بن الطثرية ، وابن ميادة ، وقد ذكرناهما بين الشعراء العشاق

وهناك سائر شعراء الدور الثالث من العصر الاموى :

- ١ - أبو حية النميرى : من عامر مدح الخلفاء في الدولتين ، وكان ساكنا في البصرة . أخباره في الاغانى ٦٤ ج ١٥ ، والشعر والشعراء ٤٨٦
- ٢ - أبو عطاء السندى : عاصر الدولتين . أخباره في الاغانى ٨١ ج ١٦ ، والشعر والشعراء ٤٨٢
- ٣ - أبو نخيلة الراحز الحماني : (تميم) تقاه أبوه فخرج الى الشام ثم اتصل بالعباسيين . أخباره في الاغانى ١٣٩ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ٣٨١
- ٤ - جعفر بن علبة الحارثى : ( كهلان ) شاعر غزل وفارس . أخباره في الاغانى ١٤٦ ج ١١ ، وخزانة الادب ٣٢٢ ج ٤
- ٥ - حريث بن عناب : من طيء ، بدوى مقل لم يتصد بالشعر للناس فى مدح ولا هجاء . أخباره فى الاغانى ١٠٢ ج ١٣
- ٦ - الحسين بن مطير : مولى بنى أسد شاعر فصيح مدح الدولتين . أخباره فى الاغانى ١١٤ ج ١٤ ، وخزانة الادب ٤٨٥ ج ٢
- ٧ - رؤبة بن العجاج الراجز : أخباره فى الاغانى ٥٠ ج ٢١ ، والشعر والشعراء ٣٧٦ (١)
- ٨ - سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : مدح الوليد بن يزيد . أخباره فى الاغانى ١٦٤ ج ٧
- ٩ - يزيد بن ضبة : مولى ثقيف كان يقيم فى الطائف ، مدح الوليد بن يزيد . أخباره فى الاغانى ١٤٦ ج ٦



## الخاتمة

أما وقد فرغنا من الكلام في الشعر والشعراء في العصر الأموي ، فقد رأينا أن نختم الكتاب ببضعة فصول تتعلق بالشعر والشعراء اتماما للفائدة

### ١ - كيف كان الشعراء يستحثون قرائحهم ؟

مهما بلغ المرء من سمو المدارك وصفاء الذهن وسرعة البديهة فإنه لا يستغنى أحيانا عن شحذ قريحته وذهنه أو استحثاث خاطره وخصوصا في الشعر ، إذ كثيرا ما تمر على الشعراء فترات لا يجدون فيها قدرة على النظم . قال الفرزدق : « قد تمر على الساعة وقلع ضرس من أضراسي أهون على من نظم بيت من الشعر » . ويرى آخرون أن الشعر مثل عين الماء أن تركتها اندفقت وأن استهنتها هتنت ، يريدون أنه لا بد للشاعر من استحثاث قريحته من وقت إلى آخر

وللشعراء طرق شتى في استحثاث قرائحهم تختلف باختلاف أمرجتهم وعاداتهم وطبائعهم (\*) سئل ذو الرمة : « كيف تفعل إذا انقلد دونك الشعر ؟ » فقال : « كيف ينقلد دوني وعندى مفاتيحه ! » قيل له : « وعنها سألتك ما هي ؟ » قال : « الخلوة بذكر الأحباب » فهذا لأنه عاشق . وسئل كثير عزة : « كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر ؟ » قال : « أطوف في الرباع الحيلة والرياض المعشبة فيسهل على أروصنه ويسرع إلى أحسنه »

وكان الاخطل يستحث قريحته بشرب الخمر . وكذلك كان يفعل كثيرون ممن كانوا يشربونها . وكانت طائفة من الشعراء تستحث شياطينها . كما فعل الفرزدق ، وقد أفجم عند سماع قصيدة حسان التي يقول فيها :

لنا الجففات الغرث يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقد أمهله قائلها ثلاثة أيام حتى يجيب عليها ، وكانت ساعة جمود على قريحته . فاضطر إلى استحثائها ، قال : « أتيت منزلي فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر فكانني مفعم أو لم أقل شعرا قط ، حتى نادى المنادى بالفجر : فرحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها فقدتها حتى أتيت ريانا - وهو جبل بالمدينة - ثم ناديت بأعلى صوتي : أخاكم أخاكم أبا لبني يعني شيطانه ، فجاش صدري كما يجيش الرجل . ثم عقلت ناقتي

(\*) لخص المؤلف هذا الفصل من مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة ، فلتراجع

ونوسدت ذراعها ، فما قمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتا « على انه كان اذا خائته قريحته وصعب عليه الشعر ركب ناقته وطاف خاليسا منفردا وحده فى شعاب الجبال وبطون الاودية والاماكن الخربة الخالية فيعطيه الكلام قياده . . .

وكان الابيرد الرياحى اذا خائته القريحة أخذ عصاه وانحدر فى الوادى ، وجعل يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر فتأنيه المعانى . وكان جرير يستحث قريحته بشرب النبيذ ويتمرغ بالرمل أو على الفراش ويهمهم ويحبو على الفراش عريانا حتى يخاله الناظر اليه أصيب بجثلة . وسئل نصيب مرة : « أتطلب القريض أحيانا فيعسر عليك ؟ » فقال : « أى والله ربما فعلت فأمر براحتى فيشد بها رحلى ، ثم أسير فى الشعاب الخالية واقف فى الرياح المقوية فيطربنى ذلك ويفتح لى الشعر »

ويقال نحو ذلك فى أحوال الشعر فى سائر العصور . وكان أبو تمام اذا أميته القريحة غطس فى صهريج ماء عنده يمكث فيه ساعة

على أن لاستحاثات القريحة قواعد عامة يجرى عليها الكثيرون منها الجلوس بجانب الماء الجارى أو الاشراف من الاماكن العالية والنزوح الى الاماكن الخالية أو التجول فى الرياض . وبعضهم يستنهض قواه العاقلة أو قريحته بالاستلقاء على الظهر ، وهم مجمعون فى الاكثر على مباركة العمل بالاسحار عند الهبوب من النوم

## ٢ - شياطين الشعراء

كان العرب يعتقدون أن لكل شاعر شيطانا يوحى اليه المعانى ، حتى لقد يتوهم الشاعر منهم انه رأى شيطانه وخاطبه وأوحى اليه . وألهم فى ذلك أخبار طويلة ذكر بعضها فى جمهرة أشعار العرب ( صفحة ١٨ ) وذلك مبنى على اعتقادهم بوجود الجن على طوائف ، وينسبون اليها أشعارا وأقوالا لا فائدة من ذكرها

ومن غريب اعتقادهم فى شياطين الشعراء أن للشعر شيطانين يدعى احدهما الهوير والآخر الهوجل ، فمن انفرد به الهوير جاد شعره وصح كلامه . ومن انفرد به الهوجل فسد شعره ، (١) وزاد ادعواؤهم ذلك حتى سموا شيطان كل شاعر باسم خاص به فكان شيطان الاعشى يسمى « مسحل » (٢)

وفى كتب الادب أخبار كثيرة تدل على ما يعتقدونه من الجن وشياطين الشعر ، من ذلك أن رسولا من عند بشر بن مروان جاء جريرا فدفع اليه كتابا وقال له : « انه قد أمرنى أن أوصله اليك ولا أبرح حتى تجيب عن الشعر فى يومك ان لقيتك نهارا أو ليلتك ان لقيتك ليلا » . وأخرج اليه كتاب بشر وقد نسخ له القصيدة وأمره أن يجيب عنها . فأخذها ومكث

ليته يجتهد أن يقول شيئا فلا يمكنه ( قالوا ) فهتف به صاحبه من الجن من زاوية البيت ، فقال له : « أزعمتك انك تقول الشعر ما هو الا أن غبت عنك ليلة حتى لم تحسن أن تقول شيئا فهلا قلت :

يا بشر حرق لوجهك التبشير هلا قضيت لنا وأنت أمير »

فقال له جرير : « حسبك ، كفيتك » وما زال حتى اتم القصيدة وذكروا عن كثير عزة انه قال : « ما قلت الشعر حتى قولته » . قيل له . « وكيف ذلك ؟ » قال : « بينما انا يوما نصف النهار أسسير على بعير لى بالغميم او بقاع حمدان اذا راكب قد دنا منى حتى صار الى جنبى فتأملته فاذا هو من صفر وهو يجز نفسه فى الارض جرا ، فقال لى : « قل الشعر » والقاء على ، قلت : « من أنت » قال : « انا قرينك من الجن » فقلت الشعر . .

### ٣ - الشعراء والقراءة

وكانت القراءة فى صدر الاسلام خاصة بطبقة من الناس أهمهم حفظة القرآن ومن توخى المدنية فسكن المدن وغلبت عليه الحضارة . أما أهل البادية فيظهر أنهم ظلوا يعولون على الذاكرة وخصوصا الشعراء ، فقد نانت طائفة من فحولهم لا يقرأون وخصوصا فى الجاهلية فأكثرتهم كانوا اميين . أما فى الاسلام بعد انتشار القراءة والكتابة فظل كثير من الشعراء لا يقرأون وخصوصا أهل البادية ، فلعلهم كانوا يعولون على الرواية او على الحفظ . ومن شعراء العصر الاموى الذين كانوا لا يقرأون الفرزدق ، وقد وقفنا حينما عندما تبين لنا انه لا يقرأ لعلمنا بمنزلته من الشاعرية وتقدمه بين رجال الدولة . وقد تبين لنا ذلك عرضا فى سياق واقعة جرت له مع مروان بن الحكم . . وذلك انه قال شعرا أساء مروان بن الحكم وهو والى المدينة ، فدعاه اليه وتوعده وأجله ثلاثا وقال : « أخرج عنى » فأشدد الفرزدق :

دعانا ثم أجعلنا ثلاثا كما وعدت لهلكها ثمود

قال مروان قولوا له عنى انى أجبته ، فقلت :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس ودع المدينة انها محظورة والتحق بمكة أو بيت المقدس

فعزم على الشخصوس الى مكة فكتب له مروان الى بعض عماله ما بين مكة والمدينة بمائتى دينار ، فارتاب ( الفرزدق ) فى كتاب مروان فجاء به اليه وقال :

مروان ان مطيتى معقولة ترجو الحياء وربها لم يئأس

آتيتنى بصحيفةٍ مختومةٍ يخشى علىّ بها حياء النقرس  
 الق الصحيفة يا فرزدق لا تكن نكدا كمثل صحيفة المتلمس  
 ورمى بها الى مروان فضحك ، وقال : « ويحك انى امى لا تقرأ فاذهب  
 بها الى من يقرأها ، ثم ردها حتى أختمها » فذهب بها فلما قرئت اذا بها  
 جائزة فردها الى مروان فختمها . وأمر له الحسين بن على بمائتى دينار (١)  
 فتبين لنا من ذلك أنه لا يقرأ ، فاذا صح ذلك عن الفرزدق فكيف بسواه .  
 ويقال ان ذا الرمة أيضا كان لا يقرأ

### ٤ - الخطابة والخطباء في العصر الاموى (\*)

ظلت الخطابة محتفظة بمكانتها في العصر الاموى لحاجة القوم الى  
 استنهاض الهمم في جمع الاحزاب أو تفريقها والتحريض على النهوض  
 للحرب ونحوها ، فكان أكثر القواد خطباء وفيهم جماعة من أبلغ رجال  
 الخطابة . . فالحجاج بن يوسف كان خطيبا بليغا زادته الخطابة عظمة  
 وسطوة . وكان العراق متمردا على عبد الملك ، فلما أعجزه أمره ولى  
 الحجاج عليه فدخل الحجاج الكوفة وصعد المنبر مثلثا متنكبا قوسا واضعا  
 ابهامه على فمه ، واحتقره الناس وكادوا يرمونه بالحصى فوقف وأزاح لثامه  
 عن وجهه وألقى خطبته التى قال فى مطلعها : (\*\*\*)

أنا ابن جلا وطلائع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى  
 الى أن قال :

«أما والله انى لاحمل الشر بثقله واحذوه بنعله وأجزيه بمثله . أما والله  
 انى لأرى رعوسا قد أينعت وحن قطافها ، وكأنى أرى الدماء بين العمائم  
 واللحى :

هذه أوان الشدة فاشتدى زيمٌ قد لثقتها الليل بسواقٍ حطمٌ

« ألا وان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنانته فبعجم عيبدانها ،  
 فوجدنى أصلبها عودا فوجهنى اليكم . فاتكم أهل بغى وشقاق ، وخلاف  
 ونفاق ، طالما سعيتم فى الضلالة وسننتم سنن البغى . أما والله لالحو نكم لحو

(١) الاغانى ٤٣ ج ١٩ .  
 (\*\*\*) انظر فى الخطابة الاموية تاريخ الاداب العربية لالنيتو ، وتطور الاساليب الشعرية  
 لزييس المقدسى ، وكتابتنا : الفن ومذاهبه فى النثر العربى  
 (\*\*\*) الغريب فى هذه الخطبة : أنا ابن جلا : مثال يضرب للظاهر المتكشف أى ان كل  
 الناس يعرفونه . وطلائع الثنايا : ثنايا الجبال ، كناية عن الجلد والقوة . الشد : العدو ،  
 وزيم اسم قرص ، والسواق الحطم : الظالم لابله فى سرها ، فكانه يحطمها بالسير تحطيمها  
 الحو : من اللحو أى القشر للعود وتهديبه ، السلمة : شجر كثير الشوك ، كانوا يجمعونها  
 عيदानا ويضربون بها الشجر لسقوط أنورق وتحطيم العيدان . الروة : حجارة بيض  
 تورى النار ، أخلق : اقدر ، فريت : قطعت

العصا وأعصبتكم عصب السلمة ولاقرعنكم قرع المروة ولاضربنكم ضرب غرائب الأبل . والله ما أخلق إلا فريت ولا أعد إلا وفيت . الخ »

فما فرغ من خطبته حتى هابوه وأذعنوا له ، وكان شديدا عليهم وأمره مشهور . ومع ذلك فقد كان إذا رقى المنبر وذكر احسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم واسبأتهم اليه ، يخيل للسامع أنه صادق وأن أهل العراق ظلموه (١) . ولذلك كان الأمراء والخلفاء يحاقون الخطباء كما يخافون الشعراء لما في أقوالهم من التأثير في تلك النفوس الحساسة

وكان أكثر الخلفاء يخطبون لكنهم يتفاوتون في البلاغة وقوة العارضة ، على أن تلك القوة أخذت تضعف فيهم بعد الفراغ من الفتوح والانغماس في أسباب الترف والسكون الى الرخاء والبذخ . وتحولت من الحماسة الى الواعظ ثم الى الشكاية . وتداعى فن الخطابة بتداعى دولة العرب في الشرق . فما قامت دولتهم في الأندلس بعثوه وقربوا الخطباء كما قربوا الشعراء ، لكنهم قلما كانوا يستخدمونهم لانهاض الهمم أو اخماد الفتن ، لذهاب الحاجة الى ذلك بذهاب البداوة والفراغ من الفتح ، على أنهم كانوا اذا احتفلوا بتنصيب خليفة أو بالنصر على عدو أو باستقبال قادم كبير ، تقدمت الخطباء للترحيب به وأعظام شأنه ووصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة (٢)

وأما الأمراء والقواد فكانوا يخطبون في الجند قبل الإغارة على العدو ، فيحرضونهم على الثبات . وكثيرا ما كانت الخطبة سببا للنصر كخطبة خالد ابن الوليد في موقعة البرمك ، وخطبة المغيرة في موقعة القادسية ، وخطبة طارق بن زياد في فتح الأندلس ، ونحو ذلك مما لا تسعه المجلدات

ناهيك بشيوع الخطابة في القبائل على اختلاف أصقاعها كما كانت في الجاهلية . وكانت ترد الوفود الى المدينة أو دمشق أو بغداد أو غيرها من عواصم المسلمين لتهنئة الخليفة أو استنفاره أو استنجاهه أو استجدائه . وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم لشيوع حب الخطابة فيهم (٣) ولاقتباس أساليب البلاغة منهم

### ٥ - الإنشاء في العصر الأموي (\*)

كان الإنشاء في عصر الراشدين جامعا مانعا ، وفيه بلاغة وإيجاز كما تقدم . وقد علمت أن الدولة الأموية عززت اللغة العربية وآدابها فكانت بلاغة القول في جملة ذلك . وكان الخلفاء والأمراء ينشطون أهل الأدب ، وأكثر انشائهم في المراسلات بين الخليفة وعماله يقلدون بها مكاتبات عصر الراشدين . وقد ذكرنا أمثلة من ذلك في مكانها

على أن اقتراب الدولة الأموية من الحضارة اثر في الإنشاء ونوعه وإطالة ،

(١) البيان ٢٠ ج ١ (٢) نفع الطيب ١٧٥ (٣) المقدم الفريد ٢٦٧ ج ٢ (\*) انظر في هذا الموضوع تطور الأساليب النثرية لانس المقدسي ، ومن حديث الشعر والنثر لطف حسين ، والفن ومذاهبه في النثر العربي

ونشأت طائفة من الكتاب ( أى كتاب الرسائل ) فى الدولة فأصبحت الكتابة مهنة . وبعد ان كان الكاتب فى زمن الراشدين يتولى ضبط حساب الديوان وكتابة المراسلات ، أصبحت الكتابة فى الدولة الأموية خمسة أصناف لكل منها كاتب خاص . . . ومنهم كاتب الرسائل المقصود من كلامنا هنا ، وقد يسمى كاتب السر وهو يد الخليفة وكاتبه ومستودع أسراره . فكان الخلفاء يتخيرون لهذا المنصب أبلغ المنشئين . وكان للبلاغة تأثير فى سياستهم كما كان للشعر ، لان القوم يومئذ لا يزالون فى عهد الفروسية والاربيحية ، تقيهم البلاغة وتقدهم

ومن أشهر كتابهم سالم كاتب هشام بن عبد الملك ، وقد نقل شبيثا من رسائل أرسطو الى الاسكندر . وله رسائل فى مائة ورقة ( فهرست ١١٧ ) . وكان للأمراء كتاب ينشئون لهم الرسائل لم يصلنا من اخبارهم الا القليل . وكان الانشاء فى اثناء ذلك يتنوع ويرتقى حسب الاحوال وعملا بناموس الارتقاء ، فلم تنقض الدولة الأموية حتى صار للانشاء فيها صفة معينة وطريقة مخصوصة وضعها أو أتمها عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد ، وصار له أسلوب خاص نسب اليه وقلده الكتاب فيه

#### عبد الحميد الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى . . مولى من أهل الشام ، أى أهل البلاد الاصيلين الذين دخلوا فى الاسلام ، فهو ليس عربيا . وكان المثل يضرب ببلاغة انشائه فى الرسائل ، فيقال فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان فى أول أمره معلم صبوية يتنقل فى البلدان ، ثم ارتقى حتى صار كاتب مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين ومات معه سنة ١٣٢ هـ . ويمتاز عبد الحميد بأنه أول من اطال الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب ، فاستعمل الناس ذلك بعده وقلدوه فيه ، وله رسائل بليغة ذكر ابن النديم انها تجتمع فى ألف ورقة لم يصل اليها منها الا القليل (\*)

وفى دار الكتب رسالة خطية تنسب لعبد الحميد المذكور

#### ٦ - الخلاصة

والخلاصة ان الامويين نشطوا الاداب الجاهلية ولا سيما الشعر والخطابة ، فارتقت فى أيامهم وراجت سوق الادب بالبصرة والكوفة . وكثر الشعراء ونظموا فى كل باب ولم يصلنا كل ما نظموه وفى هذا العصر بدأ تكون الفقه والتفسير والنحو وضبط الخط وبدأوا بالاعجام والحركات . وفيه رسخت اللغة العربية فى المملكة الاسلامية بنقل الدواوين اليها ، وفيه بدأوا بنقل العلوم الطبيعية

(\*) أنظر فى عبد الحميد رسائل البلاغاء لمحمد كرد على ، وأمراء البيان له أيضا ، وتطور الاساليب النثرية ، ومن حديث الشعر والنثر ، والفن ومذاهبه فى النثر العربى

وأهم ما بين أيدينا من المؤلفات الشرعية أو اللسانية أو الأدبية أو في التاريخ والجغرافيا أو في أي علم من العلوم إنما هو من ثمار العصر العباسي الأثني ذكره . أما التفسير الذي ينسبونه إلى عبد الله ابن عباس ، فقد تقدمت الإشارة إليه ..

حتى الشعر الأموي فإنه لم يصلنا إلا على أيدي الرواة من أهل العصر العباسي ..

# فهرس

صفحة		صفحة	
٤١	فروع اللغة العربية	٥	تقديم الكتاب
		٧	مقدمة المؤلف
	<b>مميزات اللغة العربية</b>	١٣	ما هو المراد بآداب اللغة ؟
٤٢	الاعراب	١٤	أسبق الامم الى العلم
٤٤	دقة التعبير	١٨	مصادر آداب اللغة
٤٤	الاعجاز والايجاز	٢٠	آداب اللغة اليونانية
٤٥	المترادفات والاضداد	٢٢	آداب اللغة العربية وأقسامها
٤٦	السجع		<b>آداب اللغة قبل الاسلام</b>
٤٦	حكاية الاصوات	٢٤	الجاهلية الاولى
٤٧	الامثال	٢٧	الجاهلية الثانية
٤٨	كتب الامثال	٢٩	درجة ارتقاء عقول العرب
	<b>الشعر في العصر الجاهلى</b>	٣٢	المراة فى الجاهلية
٥٠	ما هو الشعر ؟	٣٤	اقسام آداب العرب قبل الاسلام
٥١	انواع الشعر		<b>اللغة العربية</b>
٥٣	هل عند العرب شعر تمثيلى ؟	٣٥	تاريخ اللغة العربية
٥٤	كيف بدأ العرب ينظمون الشعر ؟	٣٧	ما دخلها من الالفاظ الاعجمية ؟
٥٥	أصل وزن الشعر	٣٧	كيف كانت اللغة لما جاء الاسلام ؟
٥٨	شاعرية العرب	٣٩	الشعوب التى كانت تتكلم العربية



صفحة

٩٨	زهير بن أبى سلمى
١٠٠	النابغة الذبياني
١٠٣	أعشى قيس
١٠٥	ليبد بن ربيعة
١٠٧	عمرو بن كلثوم
١٠٨	الحارث بن حلزة
١٠٩	طرفة بن العبد
١١١	عنتر العيسى
١١٤	عبيد بن الأبرص الأسدي

**الشعراء الامراء**

١١٧	الأفوه الأودي
١١٨	المهلهل بن ربيعة
١١٩	عبد يفيوث
١٢٠	زهير بن جناب
١٢١	عامر بن الطفيل
١٢١	أبو قيس بن الأسلت
١٢٢	الحصين بن الحمام
١٢٢	قيس بن عاصم

**الشعراء الفرسان**

١٢٤	أبو محجن الثقفي
١٢٥	الأغلب العجلي
١٢٥	حاتم الطائي
١٢٦	زيد الخيل
١٢٧	سلامة بن جندل
١٢٨	علقمة الفحل

صفحة

**نهضة الشعر في الجاهلية**

٥٩	أسباب النهضة
٥٩	استقلال عرب الحجاز
٦١	حروبهم فيما بينهم
٦١	نهضة قريش
٦٢	أقدم الشعراء
٦٢	تنقل الشعر في الأقاليم
٦٣	تنقل الشعر في القبائل
٦٤	عدد الشعراء بالنظر إلى القبائل
٦٥	كثرة الشعر وتعدد الشعراء
٦٧	طبقات الشعراء في الجاهلية
٦٩	تقسيمهم من حيث طبقاتهم

**خصائص الشعر الجاهلي**

٧٣	تمثيل الطبيعة
٧٧	البلاغة في التركيب
٧٨	مذاهبهم وأساليبهم
٨٠	أبواب الشعر عندهم
٨٣	منزلة الشاعر في الجاهلية
٨٤	تأثير الشعر في نفوس العرب
٨٦	أشعر شعراء الجاهلية
٨٧	رواة الشعر
٨٧	الشعراء من حيث أغراضهم

**أشهر شعراء الجاهلية**

٩١	أصحاب المعلقة
٩٣	امرؤ القيس بن حجر

صفحة		صفحة	
١٤٧	ليلى العفيفة	١٢٩	عمرو بن معدى كرب
١٤٧	جلىلة بنت مرة	١٣٠	قيس بن الخطيم
	<b>الشعراء الهجاءون</b>	١٣٠	سائر الشعراء الفرسان
١٤٨	الحطيئة		<b>الشعراء الحكماء</b>
١٥٠	حسان بن ثابت	١٣٢	أمية بن أبى الصلت
١٥٢	عبد الرحمن بن الحكم	١٣٣	ورقة بن نوفل
	<b>الشعراء الوصافون للخيل</b>	١٣٤	زيد بن عمرو
١٥٤	أبو دؤاد الأيادى	١٣٥	قس بن ساعدة
١٥٤	طفيل الغنوى		<b>الشعراء العشاق</b>
١٥٥	النابعة الجعدى	١٣٦	المرقش الأكبر
١٥٦	الشمخ بن ضار	١٣٨	عبد الله بن العجلان
١٥٦	عبد بنى الحسحاس	١٣٨	عروة بن حزام
	<b>سائر الشعراء الجاهليين</b>	١٣٩	مالك بن الصمصامة
١٥٨	ابن الدمينة	١٣٩	مسافر بن أبى عمرو
١٥٩	أوس بن حجر		<b>الشعراء الصعاليك</b>
١٦٠	التملمس	١٤١	الشنفرى
١٦١	المثقب العبدى	١٤٢	تأبط شراً
١٦٢	المنخل الشكرى	١٤٢	السليك بن السلكه
١٦٢	كعب بن زهير	١٤٣	عروة بن الورد
١٦٣	معن بن أوس		<b>النساء الشواغر</b>
١٦٤	الباقى من هذه الطبقة		الخنساء
١٦٧	الخطابة فى الجاهلية	١٤٦	خرنق بنت بدر بن هفان
١٧٠	الانساب فى الجاهلية	١٤٧	

صفحة		صفحة	
	<b>العصر الاموى</b>	١٧١	الاخبار أو التاريخ
٢٠٣	مميزات العصر الاموى	١٧١	أسواق العرب
٢٠٥	حال الشرق عند الفتح الاسلامى	١٧٣	مجالسي الادب
	اقسام آداب اللغة في عصر بنى أمية		<b>العلوم الطبيعية</b>
٢٠٨		١٧٤	الطب
	<b>العلوم الشرعية</b>	١٧٥	الاطباء
٢١٠	البصرة والكوفة	١٧٧	البيطرة والخيول
٢١٣	قراءة القرآن الكريم	١٧٧	الانواء ومهاب الرياح
٢١٥	التفسير		<b>العلوم الرياضية</b>
٢١٦	الحديث	١٨٠	الفلك والنجوم
٢١٨	الفقه	١٨٢	الميثولوجيا
	<b>العلوم اللسانية في العصر الاموى</b>	١٨٣	التوقيت
٢٢٠	النحو		<b>ما وراء الطبيعة</b>
٢٢٢	الحركات	١٨٥	الكهانة والعرافة
٢٢٥	الاعجام	١٨٧	القيافة وغيرها
٢٢٥	التاريخ والجغرافية		<b>عصر صدر الاسلام</b>
٢٢٧	العلوم الدخيلة	١٨٩	التغيير الذى أحدثه الاسلام
	<b>الآداب الجاهلية في العصر الاموى</b>	١٩٠	تأثير ذلك في آداب اللغة
٢٢٩	اللغة	١٩١	الخطابة في عصر صدر الاسلام
٢٣٠	الشعر في العصر الاموى	١٩٣	الشعر في عصر صدر الاسلام
٢٣٣	مميزات الشعر الاموى	١٩٦	اللغة والانشاء
٢٣٥	شعراء قريش والتشبيب	١٩٨	جمع القرآن وتلويحه
٢٣٦	الخلفاء والتشبيب	٢٠٠	الخط العربى وتاريخه
٢٣٦	الهجاء السياسى		
٢٣٨	الهجاء الأدبى		

صفحة		صفحة	
٢٦٩	زياد الاعجم		<b>شعراء العصر الاموى</b>
٢٧٠	ثابت قطنة		
٢٧١	حمزة بن بيض	٢٤٠	الشعراء بالنظر الى قبائلهم
٢٧٢	كعب الاشقرى	٢٤١	الشعراء بالنظر الى أغراضهم
٢٧٣	بيهس الجرمى	٢٤٣	النعمان بن بشير الانصارى
٢٧٤	الكميت بن زيد	٢٤٣	ابن مفرغ الحميرى
٢٧٥	أيمن بن خريم الاسدى	٢٤٤	أبو الاسود الدؤلى
٢٧٦	الطرماح بن حكيم	٢٤٥	مسكين الدارمى
٢٧٧	عمران بن حطان		
٢٧٨	عبد الله بن الحجاج الديرانى		<b>فحول الشعراء</b>
٢٧٩	اسماعيل بن يسار النسائى		
	<b>شعراء الغزل</b>	٢٤٨	الاخطل
		٢٥١	جرير
		٢٥٥	الفرزدق
٢٨١	جميل بن معمر	٢٥٩	الراعى
٢٨٣	عمر بن أبى ربيعة	٢٦٠	أبو النجم الراجز
٢٨٥	العرجى	٢٦١	الاحوص
٢٨٦	الحارث بن خالد المخزومى		
٢٨٦	أبو دهبيل الجمحى		<b>شعراء السياسة</b>
٢٨٧	ابن قيس الرقيات		
٢٨٩	مجنون ليلى	٢٦٢	أبو العباس الاعمى
٢٨٩	كثير عزة	٢٦٤	أعشى ربيعة
٢٩١	ابن ميادة	٢٦٥	ثلبغة بنى شيبان
٢٩٢	الاحوص	٢٦٥	عدى بن الرقاع
٢٩٣	قيس بن ذريح	٢٢٦	أبو صخر الهذلى
٢٩٤	المخبل القيسى	٢٦٦	عبد الله بن الزبير الاسدى
٢٩٥	ذو الرمة	٢٦٧	أبو قطيفة
٢٩٦	يزيد بن الطثرية	٢٦٨	سائر انصار بنى أمية

٣٠٤	الدور الثالث من الشعر		<b>الشعراء الخلفاء</b>
	<b>الخطبة</b>	٢٩٨	الاقيشر الاسدى
		٢٩٨	الحزين الكنانى
	كيف كان الشعراء يستحثون قرائهم ؟	٢٩٩	الشعراء المغنون
٣٠٥			
٣٠٦	شياطين الشعراء		<b>الشعراء الادباء</b>
٣٠٧	الشعراء والقراءة		
	الخطابة والخطباء فى العصر الاموى	٣٠٠	القطامى
٣٠٨		٣٠١	لىلى الاخيلية وتوبة بن الحمير
٣٠٩	الانشاء فى العصر الاموى	٣٠٢	سائر شعراء الدور الثانى